المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية التربية للبنات بمكة
الأقسام الأدبية
قسم الدراسات الإسلامية

التصوف وآثاره في تركيا إبان العصر العثماني

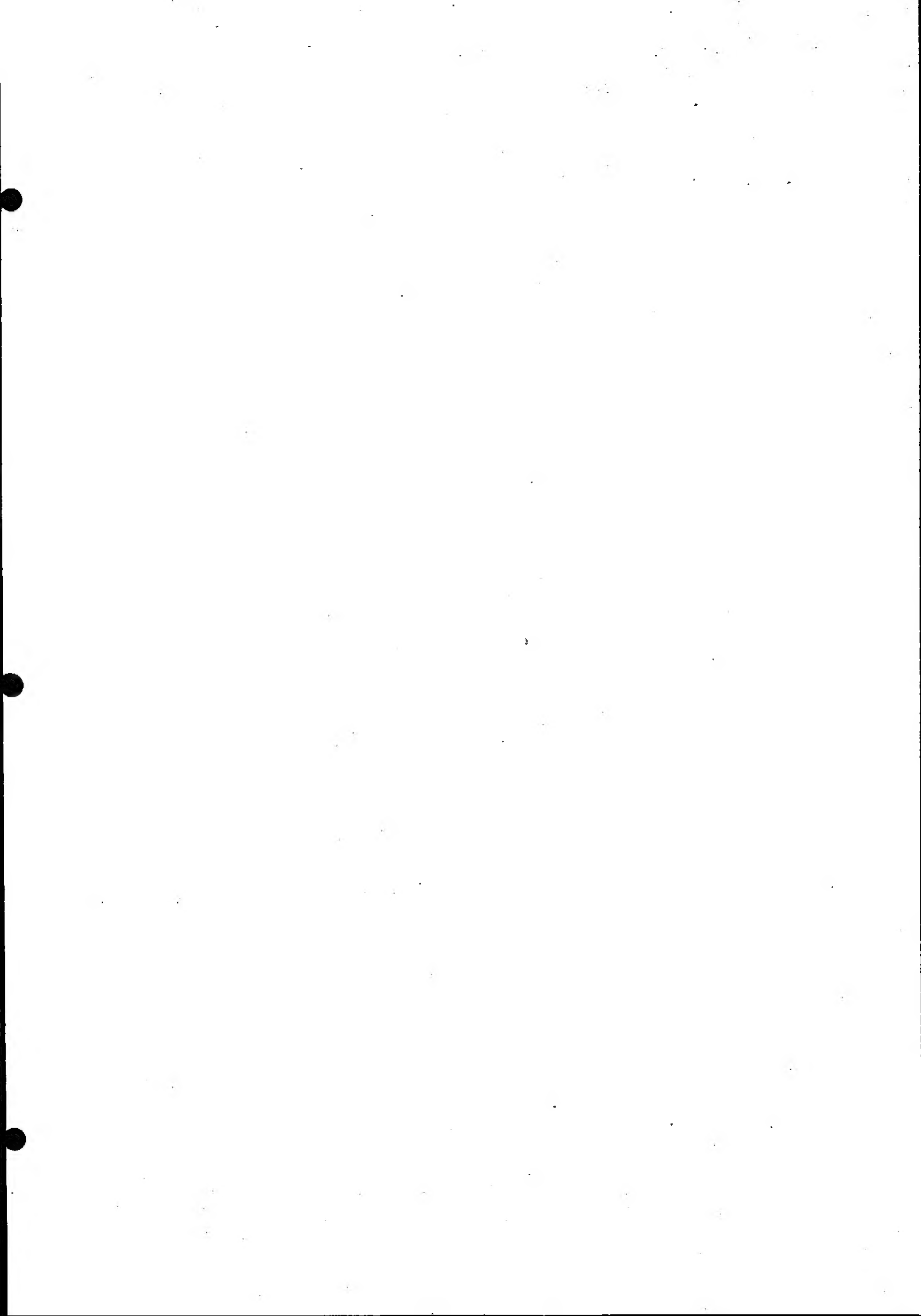
(عرض ونقد)

بحث مقدم للحصول على درجة الدكتوراه
في تخصص العقيدة والمذاهب المعاصرة

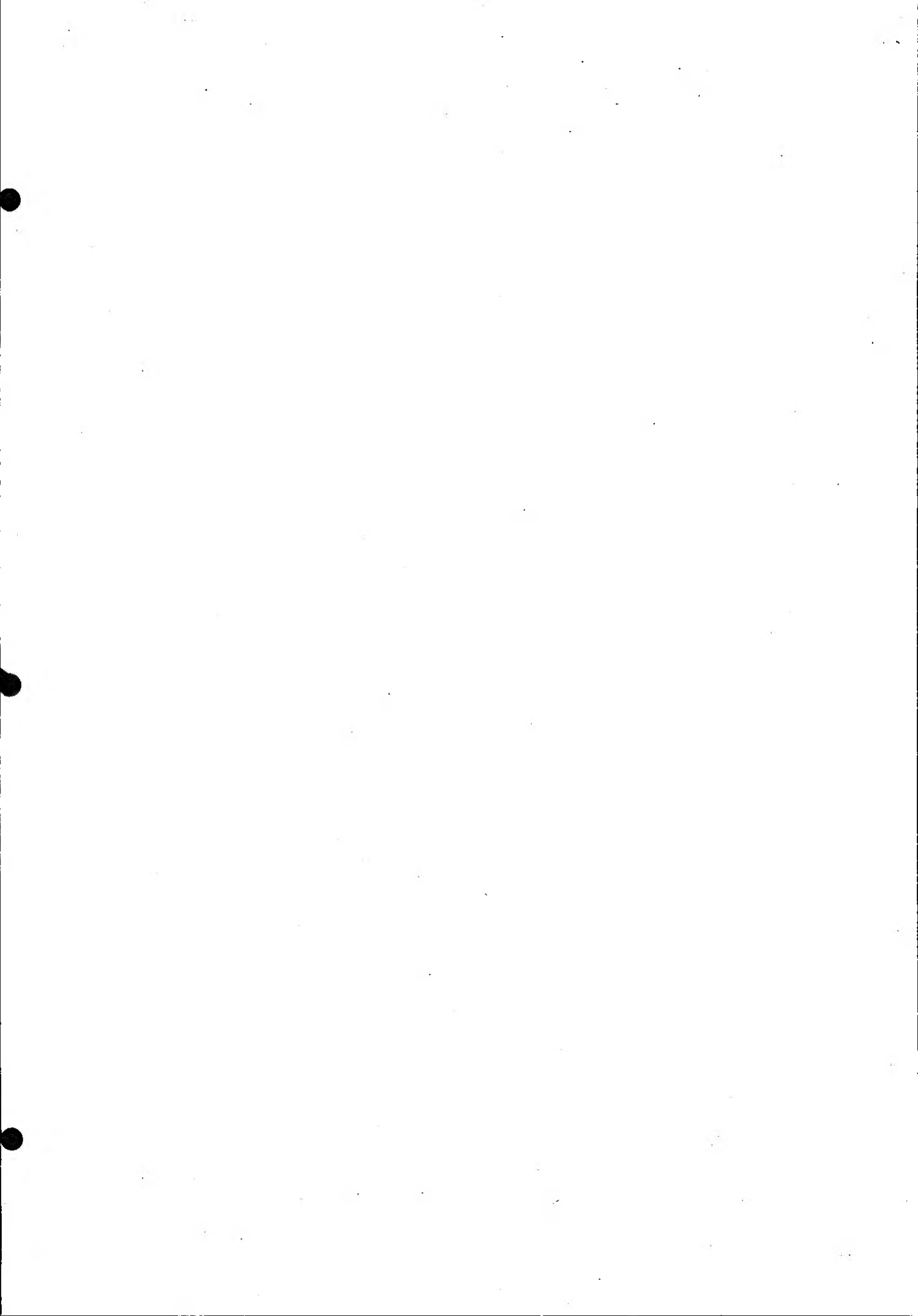
إعداد الطالبة
حنان عطية الله ضيف الله المعبدي
المحاضرة بكلية التربية للبنات بمكة

إشراف فضيلة الدكتور
عبدالله بن عمر الدميجي
الأستاذ المشارك بقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة بجامعة أم القرى

الفصل الدراسي الثاني
١٤٢٨هـ - ١٤٢٩هـ




بسم الله الرحمن الرحيم



ملخص البحث

تتناول هذه الدراسة موضوع التصوف وآثاره في تركيا إبان العصر العثماني. وقد بدأت الرسالة بفصل تمهيدي بينت فيه تعريف التصوف ونشأته ومصادره. ثم عرجت في مبحث آخر إلى الحديث عن نشأة الدولة العثمانية.

تضمن **الباب الأول** في الرسالة الحديث عن جذور التصوف في الدولة العثمانية وبينت أن التصوف في تلك الديار سابق على وجود الدولة إلا أنها غذته ورعته.

أما فصول الباب فقد كان الحديث فيها عن أبرز الطرق الصوفية وأقواها أثراً وهي البكتاشية، المولوية، النقشبندية.

عرضت في كل طريقة نشأتها ومؤسسها وأبرز رجالاتها، والعقائد التي تؤمن بها مع بيان انحرافها والرد عليها من الكتاب والسنة وأقوال السلف الصالح، ثم بيان دورها في الدولة العثمانية.

أما **الباب الثاني**: فقد تضمن آثار التصوف على الدولة العثمانية وتبين بالبحث أن آثاره كانت خطيرة ومؤلمة على جميع النواحي العقدية، والشرعية، والعلمية، والاقتصادية، والاجتماعية، والسياسية.

وقد لخصت نتائج البحث فيما يلي:

١- أن التصوف نبتة غريبة في الإسلام، ولا علاقة لها بالزهد المشروع، وليس لها قدوة من صحابي أو تابعي أو إمام معتبر من أهل السنة والجماعة.

٢- انتشار الطرق الصوفية في تركيا وكثرتها، إلا أنها تختلف قوة وضعفاً بحسب انتساب رجال الدولة لها.

٣- يجمع الطرق الصوفية في تركيا التصوف الغالي الداعي إلى وحدة الوجود ومع ظهور التشيع في بعض هذه الطرق.

٤- انتشار الشرك والبدع في الدولة العثمانية بسبب دعم التصوف لهما.

٥- للتصوف دور مهم في سقوط الدولة العثمانية.

هذا وقد قدمت الدراسة عدداً من التوصيات منها:

١- مناصحة دعاة التصوف في الأمة، والرد عليهم، وكشف أباطيلهم بالحجة والبرهان.

٢- دعوة الأمة عامة إلى العقيدة الصحيحة، وتضليل البدع المنتشرة وبيان خطرها.

٣- دعم المراكز السلفية في العالم الإسلامي دعماً مادياً ومعنوياً لنشر منهج السلف الصالح.

٤- دعوة الإعلام الإسلامي أن يقوم بدوره في التحذير من أهل الأهواء والبدع والديانات الباطلة.

٥- إقامة مركز للأبحاث العلمية المتخصصة في التصوف تعني بكشف عواره، وبيان أثره السيء على الأمة وترجمة تلك الأبحاث بلغات العالم الإسلامي ونشرها بين المسلمين الذين يعيشون في ضلالات التصوف.

الباحثة	المشرف	العميدة
حنان عطية الله المعبدي	د/ عبدالله بن عمر الدميجي	د/ [illegible]

Summary for this search

This study talks about the suffism and its effects in Turkey by the Uthmani time. It starts with introductory Chapter showed the definition of Suffism, it's begining and sources. Then, in another part to the start of the Uthmani Country.

The first chapter talks about the roots of Suffism in this country and shows that suffism in these states was before the existance of the Country which supported and looked after it.

But the parts of the chapter talked about the most important ways of Suffism as: Baktachia, Moloyah, and Nakshabandiah Every way shows its begining. Founders, and famous leaders and the beliefs showing mistakes and the replies from The Qura'an and Al-Sunnah and the opinions of early ancestor, then, showing its role in the country.

The Second chapter includes the effects of Suffism on the Uthmani Country, these effects were dangerous and painful on the beliefs, religious, scientific, legal, economical, social, and political sides.

The results of the search can be summerized as following :

1- The Suffism is a strange plant in Islam, it has no relation to the allowed asceticism and no model-example from any of early believers in islam or from the people of AL-Sunnah and AL-Gama,a group.

2- These ways spreaded in Turkey, but it differed form strength or weakness according to their followers form the leaders of the country.

3- The different ways in Turkey exaggerate in the direction of existance unit with the appearance of the sect principals in some groups.

4- Spreading of disbelieving and innovations because of the supporting of Suffism.

5- The Suffism had an important role in the menace of the Uthmani Country.

This study introduces some recommendations:

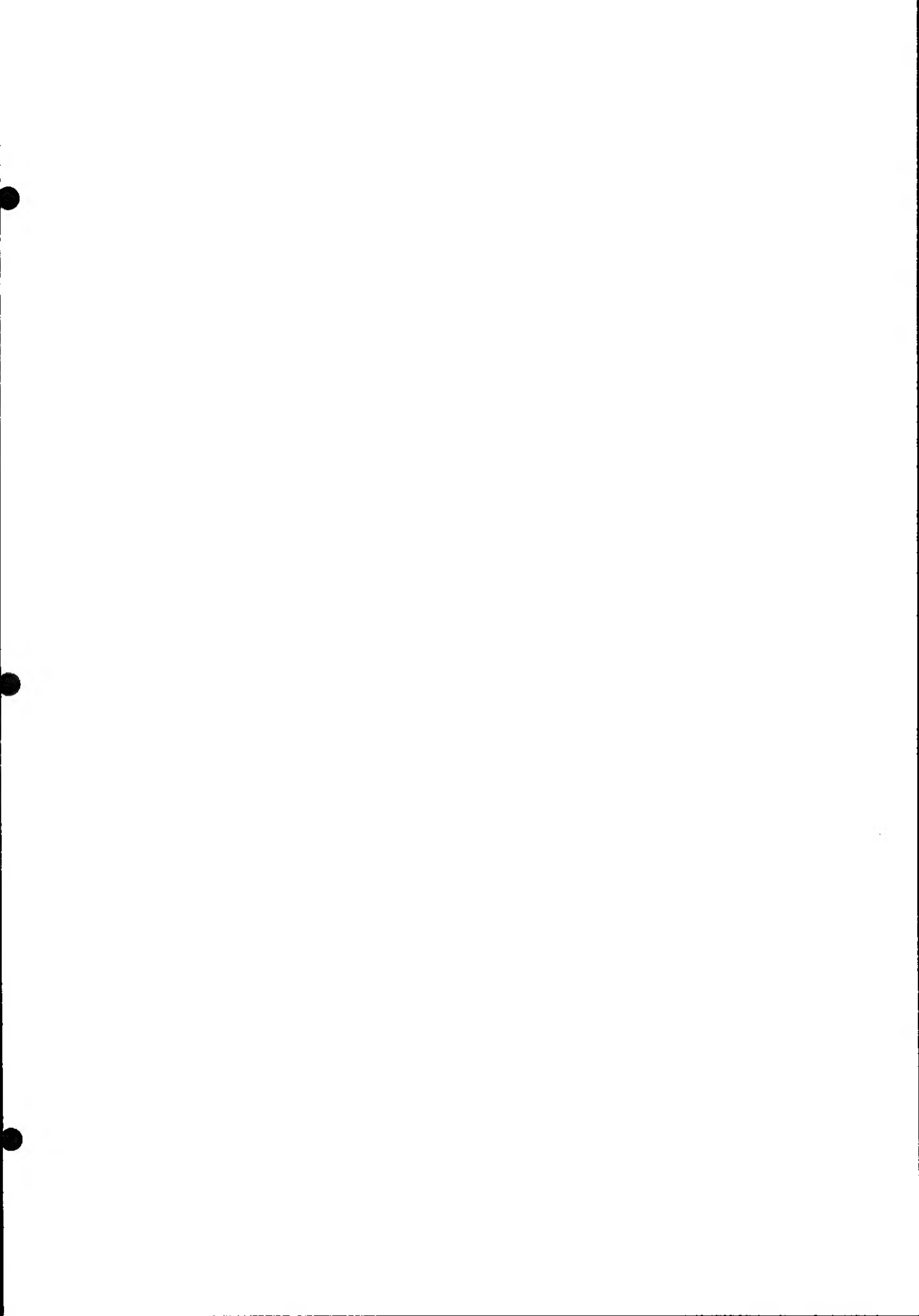
1- Advising symbols of Suffism and replying using the clues.

2- Inviting the muslims to the right beliefs and showing that spreading innovations and their dangers.

3- Supporting the ancestor centres financialy for spreading the ancestors' principles.

4- Inviting Islamic media to play the role of warning against innovations and mistaken religions.

5- Building a Centre for scientific researches that are specialist in Suffism to show its bad effects on the muslims and to translate these researches to different Islamic world languages and spreading them amony the muslims who live in the delusions of Suffism.



المقدمــــة

المقدمــة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾[1].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾[2].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ۝ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾[3].

أما بعد:

يقول الله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾[4].

لقد أرسل الله تعالى رسوله محمداً ﷺ بالهدى ودين الحق، ليظهره على الدين كله، ولو كره المشركون، فأكمل الله به الدين، وأتم النعمة، وكشف الغمة، حتى ترك النبي ﷺ أمته على المحجة البيضاء، لا خير إلا دلها عليه، ولا شر إلا حذرها منه، وكان هو الأسوة الحسنة للأمة، وسار من بعده سلف الأمة الصالح على منهاجه، واهتدوا بهديه.

---

(١) سورة آل عمران، الآية: (١٠٢).

(٢) سورة النساء، الآية: (١).

(٣) سورة الأحزاب، الآية: (٧٠-٧١).

(٤) سورة الأنعام، الآية: (١٥٣).

ثم خلف من بعدهم خلف، تنكبوا الصراط، واتبعوا السبل، وضعفت فيهم جذوة الاقتداء، فانقسموا فرقا، وكانوا شيعاً وأحزاباً، كل حزب بما لديهم فرحون.

وكان من أكبر تلك الفرق وأكثرها انتشاراً فرقة (الصوفية) التي تدثرت بالزهد والنسك، وقد عظم شأنها، في عهد الدولة العثمانية.

لذا فقد عقدت العزم - مستعينة بحول الله وقوته - على كشف حالها، وبيان أثرها على الدولة العثمانية.

فكانت هذه الرسالة والتي جعلتها بعنوان: "**التصوف وآثاره في تركيا إبان العصر العثماني عرض ونقد**"

وكان لاختيار هذا الموضوع جملة من الأسباب أهمها ما يلي:

أولاً: شدة خطورة العقائد الصوفية، ومناقضتها لأصول الإيمان، ومبادئ الإسلام، وتأثيرها الهدام على العقيدة، والعبادة، والأخلاق، وبقاء الأمة.

ثانياً: إن الذب عن الملة، والتحذير من المبتدعين، والرد عليهم، أصل عظيم من أصول الدين، ومن أعظم الواجبات على المسلمين.

ثالثاً: الإسهام في حراسة العقيدة مما نسب إليها من الانحراف والضلال، ابتغاء الأجر والثواب.

رابعاً: الوقوف في وجه أعداء الأمة الذين يعملون على تقوية الفكر الصوفي في العالم الإسلامي وإحياء ما اندثر من طرقه ودعمها وتأييدها لما علموا من دوره في هدم الإسلام وسقوط الدول الإسلامية.

خامساً: إن من يدرس الانحرافات الصوفية، لا يكاد يذكر مثالاً عن التصوف في تركيا خلال العصر العثماني، رغم دوره الكبير في نشر البدع والشركيات بعد أن حكمت دولته أغلب العالم الإسلامي، فأردت أن أقدم مادة

علمية في هذا الجانب.

سادساً: النشاط المتزايد لتحقيق مصنفات رموز التصوف التي بدأها المستشرقون وتلامذتهم، وامتلاء المكتبات العامة والخاصة من تراثهم، فجاءت هذه الرسالة تحذيراً للأمة والأجيال القادمة من آثاره السيئة.

هذا وقد واجهتني عند دراسة هذا الموضوع عدد من المصاعب أهمها: ندرة المادة العلمية باللغة العربية إذ إن غالب الكتب المتوفرة والمتعلقة بالدولة العثمانية تبحث في المجال التاريخي لهذه الدولة فقط.

وقد عالجت ذلك بإحضار المراجع من تركيا وترجمتها بعد ذلك في مركز بحوث آسيا والعلاقات الآفرواسيوية الأوربية وقد استغرق ذلك وقتاً طويلاً إذ أخذت الترجمة ما يقارب الخمسة أشهر. ومع ذلك تبين لي بعد الإطلاع على ما تمت ترجمته أن هذه المراجع لم تكن مشتملة على جميع المعلومات المراد تناولها في هذا البحث. وقد دفعني ذلك إلى مراسلة مركز بحوث آسيا والعلاقات الأفروآسيوية الأوروبية بمصر، فقام المركز ممثلاً في أ/ محمد قنديل بإمدادي بما وقع عليه من مراجع تتصل بموضوع بحثي.

كذا قام د/ سعود العتيبي بالسفر إلى دولة مصر وإحضار مجموعة من المراجع أفدت منها ولله الحمد والمنة. وتكرم د/ أمين باشا مشكوراً بتزويدي ببعض الكتب التي احتجتها أثناء البحث. ونظراً لحاجة البحث إلى المزيد من المراجع حول الطريقة المولوية فقد قمت بالاتصال هاتفياً على أ/ محمد القونوي بالمدينة المنورة وهو باحث متخصص في هذه الطريقة فأرسل إليَّ ببعض أبحاثه غير المطبوعة، وكتباً باللغة التركية مما اضطرني إلى إرسالها إلى مصر لترجمتها.

كما تكرم أ/ طلحة محمد توفيق بإحضار بعض الكتب المتعلقة بذات الطريقة من سوريا.

جزى الله الجميع خير الجزاء وبارك فيهم ونفع بعلمهم.

أهداف البحث:

١- التعرف على أبرز الطرق الصوفية في تركيا إبان العصر العثماني.

٢- بيان الآثار السيئة للتصوف على تركيا في ذلك العصر.

٣- تجلية دور التصوف في سقوط الدولة العثمانية.

الدراسات السابقة:

على الرغم من كثرة الكتب والرسائل المؤلفة حول موضوع التصوف، إلا أنني لم أقف على دراسة سابقة لموضوع بحثي. حتى كتاب (التصوف في مصر إبان العصر العثماني) لم يتعرض للحديث عن الطرق التي كانت موضوع البحث. وكذا خلا الكتاب من الحديث عن آثار التصوف السيئة ووزنها بميزان الشرع. ثم إن الكتاب قد مضى على تأليفه أكثر من ستين عاماً.

المنهج المتبع في كتابة البحث:

اتبعت في كتابة البحث

* **المنهج الوصفي:** وذلك في عرض تاريخ الطرق وأفكارها التي تؤمن بها والدور الذي قامت به في الدولة العثمانية.
* **المنهج التحليلي النقدي:** وذلك في نقد مسلك تلك الطرق وبيان أثرها في الدولة العثمانية.
* **المنهج الاستنتاجي:** في استنتاج آثار التصوف السيئة من خلال واقع الدولة العثمانية آنذاك.

عملي في البحث:

أولاً: تشعبت الطرق الصوفية في تركيا إبان العصر العثماني حتى قيل إنها بلغت سبعين طريقة إلا أنني اقتصرت في البحث على ثلاث طرق تعد الأبرز

والأقوى أثراً على الدولة العثمانية.

ثانياً: الاستناد في معرفة آراء الطرق على مصادرهم المعتمدة عندهم.

ثالثـاً: اعتماد منهج أهل السنة والجماعة في الرد على هؤلاء، وذلك مـن خلال كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ الصحيحة، ثم فعل الصحابة رضوان الله عليهم وأقوالهم ثم أقوال الأئمة من السلف الصالح.

رابعاً: الاقتصار على اسم المصدر، والمؤلف، ورقـم الجـزء – إن وجـد – ورقم الصفحة، في الهـامش اكتفـاء بـذكر المعلومـات كاملـة في فهـرس المصـادر والمراجع.

خامساً: كتابة الآيات بالرسم العثماني، وعزوها إلى أماكنها في المصـحف بذكر اسم السورة ورقم الآية.

سادساً: تخـريج الأحاديـث الـواردة مـن مظانهـا، فـإن كـان الحـديث في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت بالعزو إليهما، وإن كان في غيرهما خرجتـه مـن مظانه مع بيان درجة الحديث من أقوال علماء هذا الفن.

سابعاً: الاعتماد على التاريخ الهجري في الوقائع والأحـداث، فـإذا كـان التاريخ ميلاديًا حولته إلى التاريخ الهجري.

ثامنـاً: عمل الفهارس المعينة على الإفـادة مـن البحـث، وترتيبهـا ترتيبـاً هجائياً، سوى فهرس الآيات القرآنية فقد رتبتها حسب ورودها في القرآن الكريم وهي:

١- فهرس الآيات القرآنية.

٢- فهرس الأحاديث النبوية.

٣- فهرس الآثار.

٤- فهرس الأعلام المترجم لهم.

٥- فهرس المصطلحات والفرق والكلمات الغريبة.

٦- فهرس الأماكن والبلدان.

٧- فهرس المصادر والمراجع.

٨- فهرس الموضوعات.

خطـة البحث:

قسمت البحث إلى:

مقدمة وفصل تمهيدي وبابين وخاتمة.

أما المقدمة فضمنتها ما يلي:

أسباب اختيار الموضوع.

أهداف البحث.

منهج البحث.

خطة البحث.

الفصل التمهيدي: التصوف والدولة العثمانية. وفيه مبحثان:

المبحث الأول: تعريف التصوف ونشأته ومصادره.

المبحث الثاني: نشأة الدولة العثمانية.

الباب الأول: أبرز الطرق الصوفية في تركيا إبان العصر العثماني ويشتمل على تمهيد وثلاثة فصول.

التمهيد: جذور التصوف في الدولة العثمانية وعوامل انتشاره.

الفصل الأول: الطريقة البكتاشية، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: نشأة الطريقة البكتاشية.

المبحث الثاني: العقائد التي تؤمن بها الطريقة البكتاشية.

المبحث الثالث: علاقة الطريقة البكتاشية بالدولة العثمانية.

الفصل الثاني: الطريقة المولوية، وفيه ثلاثة مباحث

المبحث الأول: نشأة الطريقة المولوية.

المبحث الثاني: العقائد التي تؤمن بها الطريقة المولوية.

المبحث الثالث: علاقة الطريقة المولوية بالدولة العثمانية.

الفصل الثالث: الطريقة النقشبندية وفيه ثلاثة مباحث

المبحث الأول: نشأة الطريقة النقشبندية.

المبحث الثاني: العقائد التي تؤمن بها الطريقة النقشبندية.

المبحث الثالث: علاقة الطريقة النقشبندية بالدولة العثمانية.

الباب الثاني: آثار التصوف في تركيا إبان العصر العثماني.

ويشتمل على خمسة فصول:

الفصل الأول: الآثار العقدية والشرعية.

الفصل الثاني: الآثار العلمية.

الفصل الثالث: الآثار الاقتصادية.

الفصل الرابع: الآثار الاجتماعية.

الفصل الخامس: الأثر السياسي (علاقة التصوف بسقوط الدولة العثمانية).

هذا وقد أنهيت البحث بخاتمة تضمنت أهم نتائجه والتوصيات.

وبعد، فهذه هي الخطة التي سرت عليها في البحث، وقد بذلت في إنجازه جهدي، وأعملت فيه نظري، ولا أدعي أني أوفيته حقه، ولا أني أصبت في كل ما

كتبت، فما كان من صواب فمن الله تعالى وحده، وما كان من خطأ فمن نفسي والشيطان، وأستغفر الله تعالى منه.

وفي الختام، أتوجه بالحمد والثناء والشكر لله تبارك وتعالى، الذي أتم عليّ نعمه ووالى عليّ منته، وأعانني على إتمام البحث متوجهة إليه بالدعاء لوالديَّ الحبيبين رب اغفر لهما وارحمهما كما ربياني صغيراً

ثم أتوجه بالشكر والتقدير لشيخي الكريم، فضيلة الدكتور/ عبدالله بن عمر الدميجي الأستاذ المشارك بقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة بجامعة أم القرى، الذي منحني شرف التتلمذ على يديه، وكان لآرائه السديدة، ومتابعته المستمرة دور كبير في إنجاز هذه الرسالة، فالله أسأل أن يجزيه كل خير، وأن يبارك في علمه وعمره.

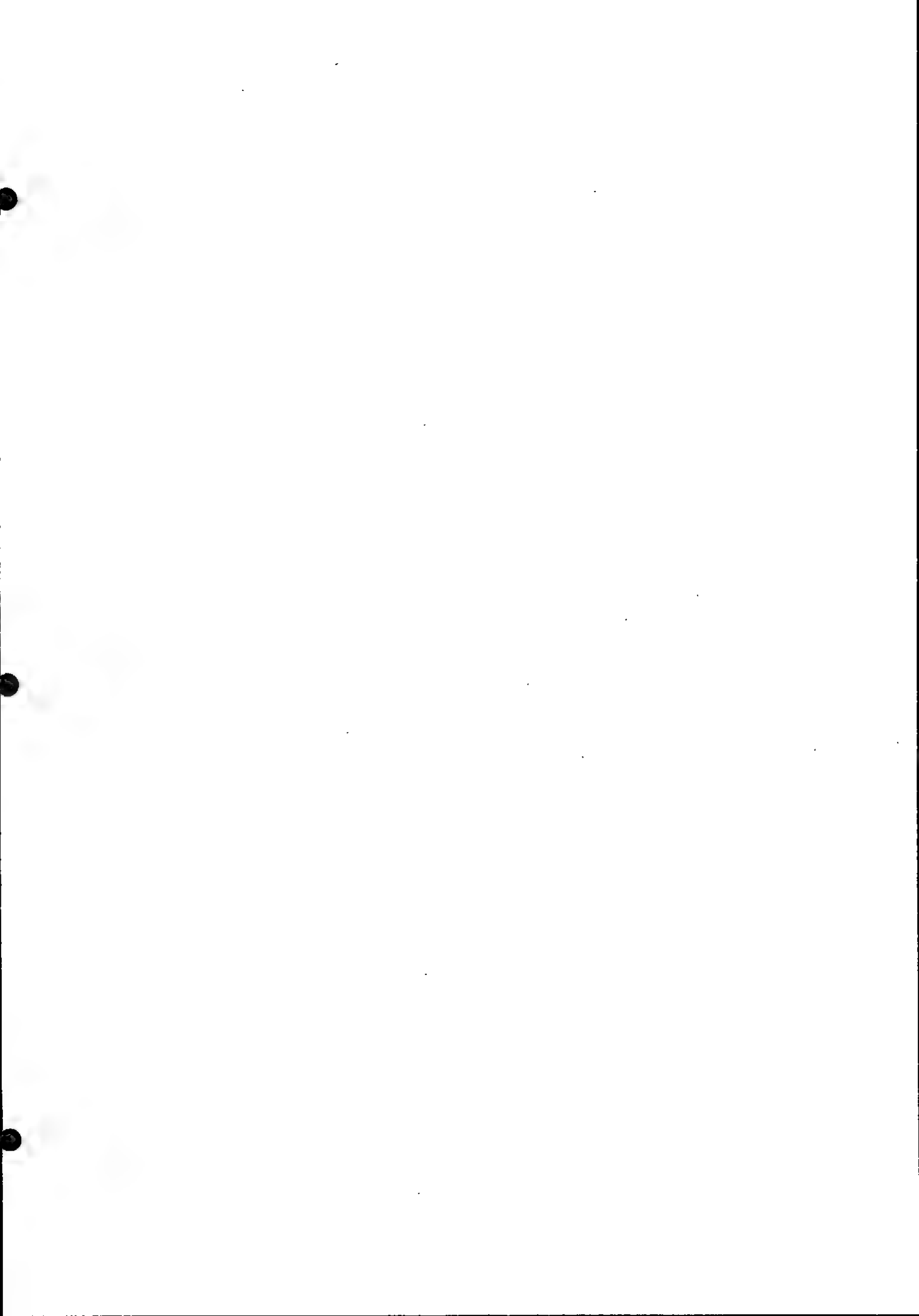
كما أشكر الأستاذين الفاضلين الذين تفضلا بقبول مناقشة الرسالة سعادة الأستاذ الدكتور: عبدالله بن صالح البراك أستاذ العقيدة بجامعة الملك سعود وسعادة الأستاذ الدكتور: محمد عبدالحافظ أستاذ العقيدة بجامعة أم القرى وأعدهما أن أعمل بآرائهما القيمة، وأسأل الله أن يجزيهما خير الجزاء.

والشكر موصول لكل من أعانني في هذا البحث وأخص في هذا المقام د/ سعود العتيبي الذي تكبد عناء السفر إلى تركيا وجمع المراجع، وترجمتها في مصر، كما وفر لي الكثير من المراجع فجزاه الله كل خير.

وكذا أتقدم بوافر الشكر وأصدقه إلى إخوتي وأخواتي على وقوفهم بجانبي، ودعواتهم الصادقة التي كانت تخفف عني صعوبات البحث. ولا يفوتني في هذا المقام شكر كلية التربية للبنات بمكة المكرمة الأقسام الأدبية، ممثلة في عميدة الكلية ووكيلة العميدة لشؤون الدراسات العليا، ورئيسة قسم الدراسات الإسلامية، وجميع أعضاء هيئة التدريس، والمسؤولات عن المكتبة المركزية.

جزى الله كل من أعانني بإعارة كتاب، أو نصيحة مسداه، أو دعوة صادقة، من الخير ما يثقل بـه الميـزان، والله أسـأل أن يـرزقني الإخـلاص والقبـول، وأن يحفظني من الزلل في القول والعمل والاعتقاد.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

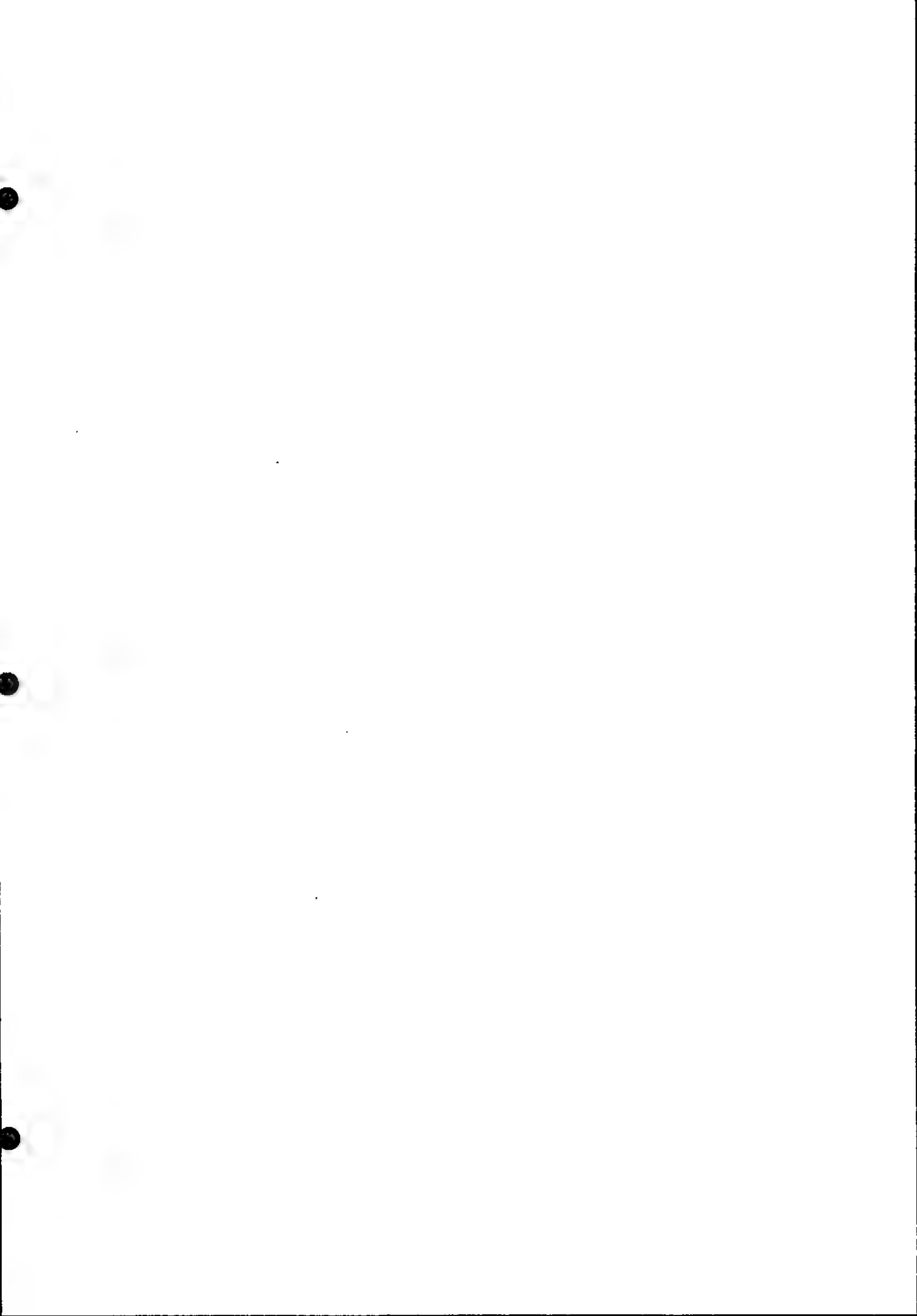


فصل تمهيدي

التصوف والدولة العثمانية، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: تعريف التصوف ونشأته ومصادره.

المبحث الثاني: نشأة الدولة العثمانية.



المبحث الأول

تعريف التصوف ونشأته ومصادره

- **تعريف التصوف في اللغة:**

تأتي كلمة الصوف في اللغة بمعنى الصوف المعروف للشاة ونحوها، كما أنها تأتي بمعنى عدل ومال.

قيل: "الصوف للشاة، والصوفة أخص منه ... وصوفة: أبو حي من مضر، وهو الغوث بن مر بن ادّ بن طابخة بن إلياس من مضر، كانوا يخدمون الكعبة في الجاهلية ويجيزون الحاج أن يفيضوا بهم.

قال الشاعر:

ولا يريمون في التعريف موقفهم   حتى يقال أجيزوا آل صوفانا

وكبش صاف، أي كثير الصوف ... وصاف السهم عن الهدف يصوف ويصيف أي عدل عنه، ومنه قولهم: صاف عني شر فلان، وأصاف الله عني شره[1].

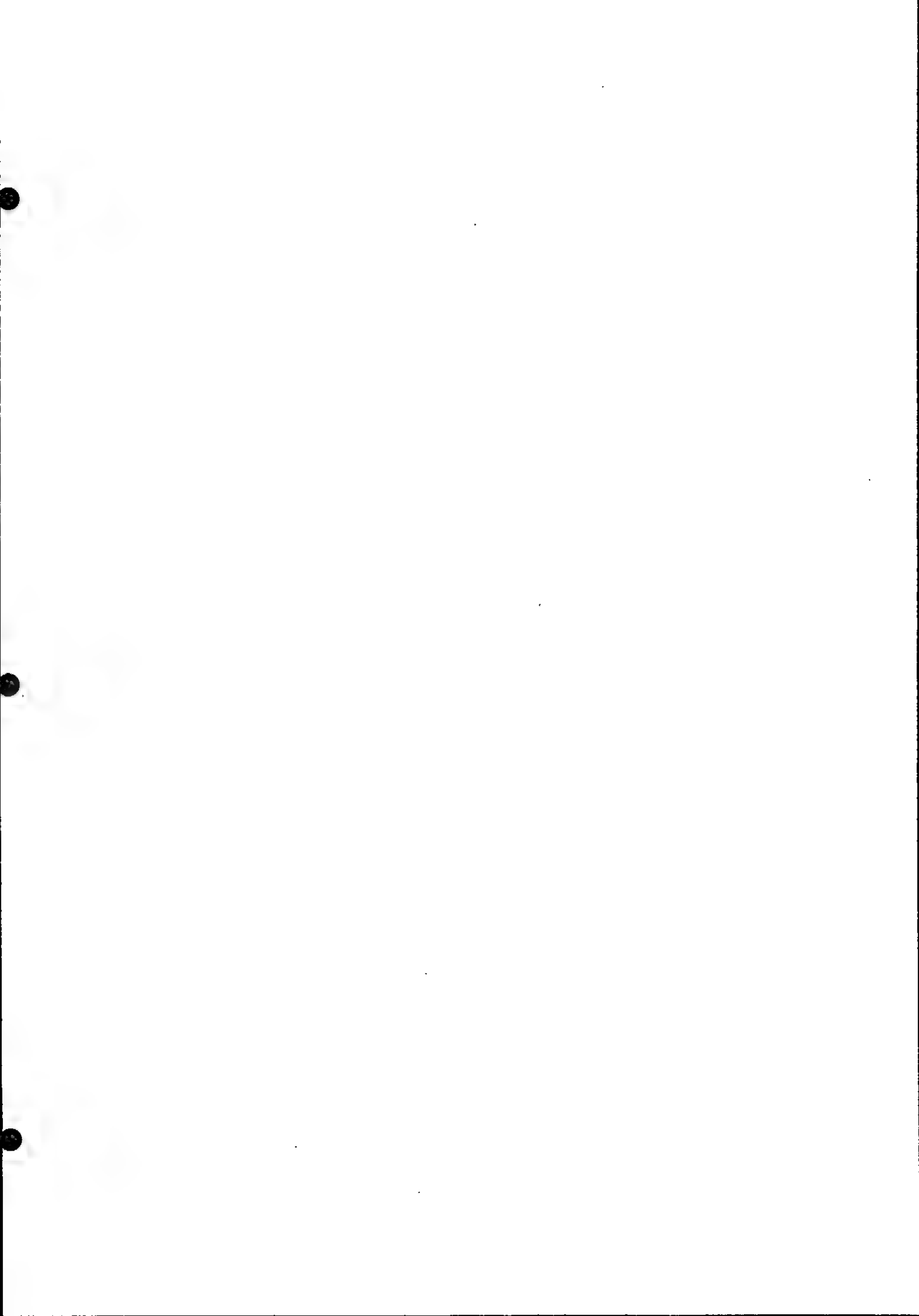
وجاء في مقاييس اللغة: الصاد والواو والفاء أصل واحد صحيح، وهو الصوف المعروف. والباب كله يرجع إليه. يقال: كبش أصوف وصوف وصائف وصاف، كل هذا أن يكون كثير الصوف.

ويقولون: أخذ بصوفة قفاه، إذا أخذ بالشعر السائل في نفرته .. وأمّا قوله صاف عن الشر، إذا عدل، فهو من باب الإبدال يقال: صاف إذا مال[2].

---

(١) الصحاح تاج اللغة، إسماعيل الجوهري، مادة صوف (١٣٨٨/٤-١٣٨٩)، القاموس المحيط للفيروزآبادي، مادة صوف، (١٦٩/٣)، لسان العرب، مادة صوف (٢٠٠/٩).

(٢) مقاييس اللغة، أحمد القزويني (٣٢٢/٣).



- **الاشتقـاق:**

كثرت آراء الباحثين في المصدر الذي اشتقت منه كلمة التصوف، ومرد ذلك إلى الأقوال المتعددة التي ساقها الصوفية محاولين من خلالها الثناء على هذا اللفظ، وتزكية أهله، وإيجاد الأصل الشرعي له.

وقد تعددت الأقوال على النحو التالي:

الأول: أن كلمة التصوف نسبة إلى الصفاء، حيث صفت قلوبهم ومعاملاتهم مع الله تعالى[١].

قال بشر بن الحارث[٢]: الصوفي من صفا قلبه لله[٣].

وقال الجنيد[٤]: التصوف هو صفاء المعاملة مع الله تعالى[٥].

وقد رد هذه النسبة من حيث اللغة الكلاباذي[٦][٧]، والقشيري[٨][٩]،

---

(١) التعرف لمذهب أهل التصوف، لمحمد الكلاباذي، ص (٢١)، حلية الأولياء، لأبي نعيم الأصبهاني (١٧/١).

(٢) هو بشر بن الحارث بن عبدالرحمن بن عطاء بن هلال المروزي المعروف بالحافي، اشتهر بالزهد والعبادة، توفي عام (٢٢٧هـ).
انظر: الرسالة للقشيري (٨٤/١)، جامع كرامات الأولياء، للنبهاني (٤٩٣/١)، تقريب التهذيب، ابن حجر العسقلاني، ص (١٨٦).

(٣) التعرف لمذهب أهل التصوف، ص(٢١).

(٤) هو الجنيد بن محمد الجنيد، لقب بسيد الطائفة، أخذ التصوف عن خاله السري السقطي، ولد في بغداد وتوفي بها عام (٢٩٧هـ).
انظر: طبقات الصوفية، للسلمي، ص (١٥٥)، الرسالة (١٣٢/١)، حلية الأولياء (٢٥٥/١٠)، الطبقات الكبرى، عبدالوهاب الشعراني، ص (١٢٢).

(٥) الطبقات الكبرى للشعراني، ص (١٢٢).

(٦) هو محمد بن إسحاق الكلاباذي، من شيوخ الصوفية في القرن الرابع الهجري، من أهل كلاباذ ببخارى له مؤلفات منها: التعرف لمذهب أهل التصوف، قيل عنه: لولا التعرف لما عرف التصوف، توفي عام (٣٨٠هـ). انظر: كشف الظنون (٢٢٥/١)، الأعلام (٢٩٥/٥)

(٧) التعرف لمذهب أهل التصوف، ص (٢١).

(٨) هو عبدالكريم بن هوازن بن عبدالملك القشيري النيسابوري، من كبار الصوفية، أخذ التصوف عن أبي علي الدقاق، صار شيخ خراسان في التصوف، توفي عام (٤٦٥هـ).
انظر: السير (٢٢٧/١٨)، العبر (٣١٩/٢)، البداية والنهاية (١٠٧/١٢).

(٩) الرسالة (٥٥٠/٢).

وابن تيمية[١]، وابن خلدون[٢][٣].

ذلك أن النسبة إلى الصفاء صفوي أو صفاوي، أو صفائي لا صوفي.

الثاني: أن تكون الكلمة نسبة إلى الصُّفَّة وهي موضع مظلل ملحق بمسجد الرسول الله ﷺ يأوي إليها الفقراء من المهاجرين الذين لا مأوى لهم ولا مال[٤] فانتسب إليهم الصوفية زاعمين قرب أوصافهم منهم[٥] ولكونهم مجتمعين، متآلفين متصاحبين لله وفي الله[٦].

وقد رد هذه النسبة القشيري[٧]، والسهروردي[٨][٩]، وابن تيمية[١٠]، وابن خلدون[١١].

باعتبار أن هذا الاشتقاق لا يصح لغة؛ لأنه لو كان كذلك لقيل صُفي[١٢].

الثالث: أن تكون هذه الكلمة نسبة إلى الصف الأول بين يدي الله تعالى بارتفاع هممهم إليه، وإقبالهم عليه بقلوبهم، ووقوفهم بسرائرهم بين يديه[١٣].

---

(١) مجموع الفتاوى (٦/١١).

(٢) هو عبدالرحمن بن محمد بن محمد بن خلدون، ولي الدين الحضرمي الأشبيلي، ولد بتونس عام (٧٣٢هـ)، مؤرخ اجتماعي، صاحب المقدمة المشهورة، توفي بالقاهرة عام (٨٠٨هـ).
انظر: الضوء اللامع (١٤٥/٤)، الأعلام (٣٣٠/٣).

(٣) مقدمة ابن خلدون، ص (٣٨١).

(٤) لسان العرب (١٩٥/٩).

(٥) التعرف لمذهب أهل التصوف، ص (٢١)، اللمع، ص (٢٨).

(٦) عوارف المعارف (١٤٦/١).

(٧) الرسالة القشيرية (٥٥٢/٢).

(٨) هو عمر بن محمد بن عبدالله بن محمد شهاب الدين أبو حفص السهروردي، شيخ الصوفية ببغداد، توفي عام (٦٣٠هـ).
انظر: جامع كرامات الأولياء (٣٤٠/٢)، البداية والنهاية (١٣٨/١٣).

(٩) عوارف المعارف (١٤٦/١).

(١٠) مجموع الفتاوى (٦/١١).

(١١) مقدمة ابن خلدون، ص (٣٨١).

(١٢) مجموع الفتاوى (٦/١١).

(١٣) التعرف لمذهب أهل التصوف، ص (٢١، ٢٣).

قال ابن تيمية ﷺ: وهو أيضاً غلط؛ لأنه لو كان كذلك لقيل صَفّي"[1] وأنكرها القشيري قائلاً: "اللغة لا تقتضي هذه النسبة إلى الصف"[2].

الرابع: أن تكون هذه الكلمة نسبة إلى رجل يقال له صوفة، أول من تفرد بخدمة بيت الله الحرام وانتسب إليه قوم في الجاهلية سموا (صوفية) وقد انقطعوا لله تعالى وقطنوا الكعبة، فمن تشبه بهم فهم الصوفية.

وقد مال إلى هذا القول ابن الجوزي ﷺ[3]، فبعد أن ذكره أتبعه بأقوال متعددة ثم قال: "والصحيح الأول"[4].

وهذه النسبة وإن كانت صحيحة من حيث اللغة إلا أنها ضعيفة ومردودة من حيث المعنى والعرف، يقول شيخ الإسلام ﷺ مبيناً سبب ذلك: "لأن هؤلاء غير مشهورين، ولا معروفين عند أكثر النساك، ولأنه لو نسب النساك إلى هؤلاء لكان هذا النسب في زمن الصحابة والتابعين وتابعيهم أولى ولأن غالب من تكلم باسم الصوفي، لا يعرف هذه القبيلة، ولا يرضى أن يكون مضافاً إلى قبيلة في الجاهلية لا وجود لها في الإسلام"[5].

ولذا لم ترد هذه النسبة في كتب المتصوفة أنفسهم.

الخامس: أن هذه الكلمة تنسب إلى (صوفانة) وهي بقلة رعناء قصيرة، نسبوا إليها لاكتفائهم بنبات الصحراء.

---

(١) مجموع الفتاوى (٦/١١).

(٢) الرسالة (٥٥١/٢).

(٣) هو: عبدالرحمن بن علي بن محمد البغدادي، المفسر الواعظ ولد ببغداد عام (٥٠٨هـ)، علامة في السير والتاريخ له مؤلفات كثيرة منها: زاد المسير، والمنتظم، توفي ببغداد عام (٥٩٧هـ). انظر: الذيل على طبقات الحنابلة (٤٥٨/٢-٥١٢)، السير (٣٧٤/٢١)، شذرات الذهب (٣٢٩/٤).

(٤) تلبيس إبليس، ص (٢٠١).

(٥) مجموع الفتاوى، ص (٦/١١).

وهـذا أيضـاً لا يصـح لغـة؛ لأنـه لـو نسـبوا إليهـا لقيـل للواحـد منهم (صوفاني)[1].

السادس: أن تكون نسبة هذه الكلمة إلى الصوف، وقد رجح هذا الرأي شيخ الإسلام ابن تيمية[2]، وابن خلدون رحمهما الله[3].

وإليه ذهب غالب المتصوفة مثل السراج الطوسي[4][5] والسهروردي[6].

لكن القشيري رد هذه النسبة قائلاً:

"ذلك وجه، ولكن القوم لم يختصوا بلبس الصوف"[7].

وهذا الرأي سليم من حيث اللغة، وموافق لحال كثير من المتصوفة، فإنهم وإن لم يختصوا بلبس الصوف إلا أنه كان السمة البارزة لكثير منهم، بسبب ميلهم لحياة التقشف والزهد المبالغ فيه المخالف لمنهج النبي ﷺ، حيث لم يعرف عنه ﷺ لبس الصوف؛ بل ورد عنه كراهته له لخبث رائحته.

"فعن عائشة ﵂، قالت: صنعت لرسول الله ﷺ بردة سوداء فلبسها، فلما عرق فيها وجد ريح الصوف فقذفها، قال: وأحسبه قال: وكان تعجبه الريح الطيبة"[8].

---

(١) تلبيس إبليس، ص (٢٠١).

(٢) مجموع الفتاوى (١١/٦).

(٣) المقدمة، ص (٣٨١).

(٤) هو: عبدالله بن علي السراج الطوسي، شيخ الصوفية، ملقب عندهم بطاووس الفقراء، كان كثير التنقل في البلدان ينشر علوم الصوفية، اشتهر بكتابه اللمع، توفي عام (٣٧٨هـ). انظر: العبر (٢/١٥١)، شذرات الذهب (٣/٩١)، هدية العارفين (٥/٤٤٧).

(٥) اللمع، ص (٢٤).

(٦) عوارف المعارف (١/١٤٤-١٤٥).

(٧) الرسالة (٢/٥٥٠).

(٨) الحديث رواه أبو داود في اللباس ح (٤٠٧٤) (٤/٣٣٩)، المسند (٦/١٣٢)، الحاكم في المستدرك (٤/١٨٨-١٨٩)، وصححه ووافقه الذهبي، قال الألباني في السلسلة الصحيحة: وهو كما قالا رقم (٢١٣٦) (٥/١٦٨).

السابع: أن تكون منسوبة إلى السوفية اليونانية.

وإلى هذا الرأي ذهب أبو الريحان البيروني ﷺ[1] يقول:

"إن من اليونان من كان يرى الوجود الحقيقي للعلة الأولى فقط، لاستغنائها بذاتها فيه، وحاجة غيرها إليها، وأن ماهو مفتقر في الوجود إلى غيره فوجوده كالخيال، غير حق، والحق هو الواحد الأول فقط، وهذا رأي السُّوفية، وهم الحكماء، فلما ذهب في الإسلام قوم إلى قريب من رأيهم سموا باسمهم، ولم يعرف اللقب بعضهم، فنسبهم إلى الصفة، وأنهم أصحابها في عصر النبي ﷺ، ثم صُحِّف بعد ذلك فصير من صوف التيوس"[2].

ويرى أصحاب هذا الرأي أن "الكلمة في أصلها ليست عربية، بل هي يونانية أصلها (سوفية) وانقلاب السين صاداً غير ممتنع في اللغة.

أما معناها فهو الحكمة، والفيلاسوف هو محب الحكمة، وفق ما ذكره البيروني آنفاً، وما يتفق عليه الصوفية أن الصوفي هو الحكيم، وأن الحكمة وصف لازم للصوفي، ومن لم يكن كذلك فلا حظٌ له في اللقب.

يقول ابن عربي[3] مقرراً هذا الأمر:

"ومن شروط المنعوت بالتصوف أن يكون حكيماً ذا حكمة، وإن لم يكن فلا حظ له من هذا اللقب"[4].

---

(١) هو محمد بن أحمد، أبو الريحان، البيروني الخوارزمي، ولد عام (٣٦٢هـ) في خوارزم، اطلع على فلسفات اليونانيين والهنود، له مؤلفات كثيرة، توفي بخوارزم عام (٤٤٠هـ).
انظر: عيون الأنباء (٢٩/٣)، بغية الوعاة (٥٠/١)، الأعلام (٣١٤/٥).

(٢) تحقيق ما للهند من مقولة للبيروني، ص (٢٥/٢٤).

(٣) هو محمد بن علي بن محمد، الحاتمي الطائي المرسي، ولد بالأندلس عام (٥٦٠هـ)، ملقب عند الصوفية بالشيخ الأكبر، من أكبر دعاة المعتقد الكفري وحدة الوجود، له مؤلفات عديدة منها الفتوحات المكية، فصوص الحكم، الفناء، التجليات وغيرها، توفي بدمشق عام (٦٣٨هـ). انظر ترجمته في: الطبقات الكبرى للشعراني، ص (٢٦٤)، جامع كرامات الأولياء (١٦١/١)، ميزان الاعتدال (٦٥٩/٣)، السير (٤٨/٢٣).

(٤) الفتوحات المكية (٤٠٠/٣).

ومما يرجح ذلك عندهم تأخر اشتهار مصطلح الصوفية إلى ما بعد ترجمة الكتب اليونانية إلى العربية في القرن الثاني الهجري "[1].

- **تعريف التصوف اصطلاحاً:**

اختلف المتصوفة في تعريف التصوف اختلافاً كثيراً حتى امتلأت كتبهم بتعريفات لا حصر لها، والمتأمل في هذه التعريفات لا يجد مع كثرتها تعريفاً جامعاً مانعاً ولعل السبب في ذلك يعود إلى ماهية التصوف القائمة على الوجدانيات فيعبر كل واحد منهم بما يشعر ويجد فتعددت التعريفات بتعدد الأشخاص، فنجد الطوسي مثلاً يجمع في كتابه نحواً من ثلاثين تعريفاً، مذكراً بأن تعريفاته تتجاوز المائة[2] وجمع قريباً من جمعه الكلاباذي[3]، وتجاوز ذلك القشيري فجمع نحواً من ستين تعريفاً[4].

وذكر السهروردي أن "أقوال المشايخ في ماهية التصوف تزيد على ألف قول"[5].

ونظراً لهذه الكثرة فمن المتعذر ذكرها جميعاً؛ لذا سأورد بعضاً منها على سبيل المثال:

قال معروف الكرخي[6]:

"التصوف الأخذ بالحقائق، واليأس مما في أيدي الخلائق"[7].

---

(١) انظر: عقيدة الصوفية وحدة الوجود الخفية، د/ أحمد القصير، ص (١٠٠-١٠٢).

(٢) اللمع، ص (٢٨).

(٣) انظرها في التعريف لمذهب أهل التصوف الصفحات التالية: (٢٥، ٨٩-٩٢).

(٤) الرسالة (٥٥١/٢).

(٥) عوارف المعارف (١٤٢/١).

(٦) هو أبو محفوظ معروف بن فيروز الكرخي، يلقب بالزاهد، معروف بالورع، توفي عام (٢٠٠هـ)، قبره ظاهر ببغداد.
انظر ترجمته: طبقات الصوفية، ص (٢١)، الطبقات الكبرى، ص (١٠٤)، صفة الصفوة (٢، ٢١٠).

(٧) الرسالة (٥٥٢/٢)، عوارف المعارف (١٣٨/١).

وعندما سئل الجنيد عن التصوف قال:

"أن تكون مع الله بلا علاقة"[1].

وورد عنه أيضاً: "أن يميتك الحق عنك، ويحييك به"[2].

وعرفه أخرى "بتصفية القلب عن موافقة البرية، ومفارقة الأخلاق الطبيعية، وإخماد الصفات البشرية، ومجانبة الدواعي النفسانية، ومنازلة الصفات الروحانية، والتعلق بالعلوم الحقيقية، واستعمال ما هو أولى على الأبدية"[3].

هذه بعض تعريفاتهم، إذ أننا لو أردنا أن نسوق كل ما قاله الصوفية لطال بنا المقام، من غير كبير فائدة، وذلك لاختلافاتهم الكثيرة في حده، وقد أدرك هذه الحقيقة المتصوفة أنفسهم حتى قال د. عبدالحليم محمود: "ولم ينته الرأي فيه إلى نتيجة حاسمة بعد"[4].

فليس فيها تعريف جامع مانع يحد التصوف ويميز الصوفي من غيره.

فأقوالهم - على كثرتها - ليست تعريفات حقيقية للتصوف؛ شارحة لمعناه؛ ولكنها إشارات وإيماءات تؤدي في نهايتها إلى الفناء ووحدة الوجود.

وقد قام أبو العلا عفيفي بجمع خمسة وستين تعريفاً للتصوف، صادرة عن أئمتهم في القرنين الثالث والرابع الهجريين، واستنبط أنها تدور حول عقيدة الفناء في الله، بعد اعتقاد زوال وجود العبد.

يقول: "وقد كنا نطمع بعد دراسة خمسة وستين تعريفاً للتصوف، أن نجد معنى عاماً مشتركاً ينتظمها جميعاً، ولكننا لم نظفر بهذا المعنى على وجه التحديد، ووصلنا إلى معنى قريب منه، يمكن أن يقال: إن الغالبية العظمى من التعريفات تتفق فيه، وهو: أن التصوف - في أساسه وجوهره - فَقْد ووجود، فقد لأنيّة العبد

(١) اللمع، ص (٢٦)، الرسالة (٢/٥٥٢)، عوارف المعارف (١/١٣٨).

(٢) الرسالة (٢/٥٥١)، عوارف المعارف (١/١٤٠).

(٣) التعرف لمذهب أهل التصوف، ص (٢٥).

(٤) أبحاث في التصوف ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفاته، ص (١٥٣).

ووجود له بالله، أوفي الله، أي فناء عن الذات المُشَخَّصة وأوصافها وآثارها، وبقاء في الله[1].

• نشأة التصوف:

يعد التصوف من الألفاظ المحدثة التي لم يرد لها ذكر في عهد النبي ﷺ ولا في عهد الصحابة رضوان الله عليهم ولا التابعين رحمهم الله وإنما نشأ بعد ذلك.

وقد أقر كبار المتصوفة بذلك، فقد خصص الطوسي باباً للرد على من قال: لم نسمع بذكر الصوفية في القديم وهو اسم مستحدث.

فقال: الصحبة مع رسول الله ﷺ لها حرمة، فلا يجوز أن يعلق عليه اسم على أنه أشرف من الصحبة، وذلك لشرف رسول الله ﷺ وحرمته، فلما نسبوا إلى الصحبة والتي هي أجل الأحوال استحال أن يفضلوا بفضيلة غير الصحبة[2].

وبمثل ما سبق قال السهروردي:

"وهذا الاسم لم يكن في زمن رسول الله ﷺ وقيل: كان في زمن التابعين وقيل: لم يعرف هذا الاسم إلى المائتين من الهجرة"[3].

وأرجع القشيري اشتهار هذا الاسم إلى ما قبل المائتين من الهجرة[4].

وذهب ابن الجوزي وابن خلدون - رحمهما الله - إلى أنه نشأ قبل سنة مائتين[5].

في حين يرى شيخ الإسلام ﷺ أنه نشأ في أوائل القرن الثاني، إلا أنه لم

---

(١) التصوف الثورة الروحية في الإسلام، لأبي العلا عفيفي، ص (٣٥).
(٢) اللمع، ص (٢٤-٢٥).
(٣) عوارف المعارف (١/١٤٧-١٤٨).
(٤) الرسالة (١/٥٣).
(٥) تلبيس إبليس، ص (٢٠١)، المقدمة، ص (٣٨١).

يشتهر التكلم به إلا بعد القرن الثالث[1].

وهكذا فإن مصطلح التصوف لم يظهر في العالم الإسلامي إلا في القرن الثاني الهجري، حيث وصف به أبو هاشم الزاهد[2]، وجابر بن حيان[3]، وعبدك الصوفي[4] فهؤلاء هم سلف الصوفية يظهر من تراجمهم أنهم لم يكونوا من أصحاب المعتقد الصحيح لذا يقول عنهم إحسان إلهي ظهير ﷺ :

"الجدير بالذكر أن هؤلاء الثلاثة – الذين يقال عنهم بأنهم أول من سموا بهذا الاسم، وتلقبوا بهذا اللقب – مطعون في مذاهبهم وعقائدهم، ورمي كل واحد منهم بالفسق والفجور، وحتى الزندقة"[5].

وقد ذهب بعض الباحثين إلى أن بداية التصوف كان رد فعل على توسع الناس في الانشغال بالدنيا والملذات فعُرف المنصرفون إلى العبادة والزهد بالمتصوفة.

والذي يظهر أن التصوف في حقيقته انحراف عقدي يؤيد ذلك موقف العلماء المسلمين منهم بالإنكار عليهم والتنفير من مجالستهم والشهود عليهم بالكفر والزندقة بل وقتل بعضهم إذا لزم الأمر مما دفعهم إلى إظهار الزهد والورع والتشبه بالزهاد والعباد والاكتفاء بالرموز والإشارات، بل ونسبوا أهل الفضل

---

(١) مجموع الفتاوى (٥/١١).

(٢) هو عثمان بن شريك، أبو هاشم الزاهد، اختلف المترجمون له هل كان كوفياً أم بغدادياً أم شامياً ذكر بعضهم أنه اتهم بالزندقة، وأنه كان باطنياً دهرياً، توفي عام (١٥٠هـ).
انظر: حلية الأولياء (٢٢٥/١٠)، تاريخ بغداد (٣٩٧/١٤)، التصوف المنشأ والمصادر، ص (٤١).

(٣) هو جابر بن حيان بن عبدالله الطرسوسي الكوفي، كيميائي شيعي، يعرف بجابر الصوفي، من أهل الكوفة، أصله من خراسان، له عدة مؤلفات، توفي عام (٢٠٠هـ).
انظر: الفهرست لابن النديم، ص (٤٣٥)، الأعلام (١٠٣/٢).

(٤) هو عبدك الصوفي، من أوائل الصوفية، كان مظهراً للزهد والتشيع، متهماً بالزندقة، نشأ في الكوفة أول من اشتهر ببغداد باسم الصوفي، توفي عام (٢١٠هـ).
انظر: التنبيه والرد للملطي، ص (١٠٧-١٠٨)، التصوف المنشأ والمصادر، ص (١٤٣).

(٥) التصوف المنشأ والمصادر، ص (٤٣).

والورع إلى مذهبهم الباطل فهذا أبو نعيم[(١)] يضيف التصوف إلى كبار الصحابة أمثال أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وغيرهم ﵃ جميعاً. وقد أنكر ابن الجوزي ﵀ ذلك بقوله:

" وليس عند هؤلاء القوم خبر من التصوف "[(٢)] ثم عقب بقوله: " فإن قال قائل: إنما عني به الزهد في الدنيا، وهؤلاء زهاد، قلنا: التصوف مذهب معروف عند أصحابه، لا يقتصر فيه على الزهد، بل له صفات وأخلاق يعرفها أربابه، ولولا أنه أمر زيد على الزهد ما نُقل عن بعض هؤلاء المذكورين ذمه "[(٣)].

وهذا ما قرره الصوفية أنفسهم فهذا السهروردي يقول:

" التصوف غير الزهد، فالتصوف اسم جامع لمعاني الفقر، ومعاني الزهد، مع مزيد أوصاف وإضافات، لا يكون بدونها الرجل صوفياً، وإن كان زاهداً "[(٤)].

فمن الخطأ إضافة زهاد الأمة وعُبَّادها إلى التصوف مهما ذكر عنهم من الزهد والعبادة والانصراف عن الدنيا وذمها. ذلك أن التصوف مذهب له حقيقته التي تميزه عن الزهد والعبادة.

بل حتى الزهد الذي ورد عن كثير منهم في كتب التراجم زهد منحرف عن المنهج الرباني، فالإسلام لم يأت بالسياحة في البراري، وحرمان النفس مما تشتهي من الطعام سنوات طويلة، وعدم التزوج، والعيش في المغارات والكهوف، وترك الأسباب وإنما جاء بالاعتدال والتوازن، دعا إلى التخفيف من متاع الدنيا وحذر من الاغترار بها ولكنه في المقابل دعا المسلم إلى أن يكون له دوره الفعال

---

(١) هو أحمد بن عبدالله بن أحمد، أبو نعيم الأصبهاني، ولد بأصبهان عام (٣٣٦هـ)، له مؤلفات متعددة، محدث ومؤرخ متصوف، توفي بأصبهان عام (٤٣٠هـ).
انظر: السير (٤٥٣/١٧)، ميزان الاعتدال (١١١/١)، البداية والنهاية (٤٥/١٢).

(٢) صفة الصفوة (١٠/١).

(٣) المرجع نفسه (١٠/١).

(٤) عوارف المعارف (١٣٩/١).

في المجتمع، له واجبات وعليه حقوق لنفسه وأهله ومجتمعه، وأمره بالتكسب واتخاذ الأسباب مع التوكل على الله تعالى.

ثم بدأ التصوف في القرنين الثالث والرابع بتقعيد القواعد وتنظيم الطريق الصوفي، فنظموا أنفسهم في جماعات وفرق لها طرقها الخاصة وشيوخها وانتشرت تبعاً لذلك الأربطة والزوايا التي يختلون بها وتوالى ظهورها سريعاً في القرنين الخامس والسادس الهجريين.

وفي القرون السادس والسابع والثامن بلغت الفتنة الصوفية أقصاها وأنشئت فرق خاصة بالدراويش، وظهر المجاذيب، وبنيت القباب على القبور في كل ناحية، وذلك بقيام الدولة العبيدية في مصر وبسط سيطرتها على أقاليم واسعة من العالم الإسلامي، واستطاعت هذه الدولة تجنيد الفرق الصوفية وغزو العالم الإسلامي بها[1].

وهكذا كانت ولا زالت الطرق الصوفية السلاح الذي تحارب به الأمة من أعدائها، ولا زال الأعداء حريصون كل الحرص على تقوية تلك الطرق والتواصل معها ودعمها مادياً ومعنوياً خاصة في الوقت الحاضر الذي يهدف فيه الأمريكان والغرب لإحياء الفكر الصوفي وجعله الدين السائد في العالم الإسلامي.

ففي مركز نيكسون بالولايات المتحدة عقد مؤتمر عام (١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م) بعنوان (فهم الصوفية والدور الذي ستلعبه في رسم السياسة الأمريكية)، هدف هذا المؤتمر إلى تقديم الإسلام الوسطي!!

أتبع هذا المؤتمر مؤتمرات أخرى كثيرة كلها تهدف إلى ذات الهدف ففي نفس العام نظم المركز الثقافي الأوربي البلغاري ندوة حول (أدب التصوف في الإسلام) وفي العام الذي يليه أقيمت على مدى عشرين يوماً محاضرات عن

(١) الفكر الصوفي، عبدالرحمن عبدالخالق، ص (٥١-٥٢).

الحلاج وابن عربي وابن الفارض في الدنمارك.

أثمرت هذه المؤتمرات دعم الطرق الصوفية عملياً في جميع أنحاء العالم الإسلامي فعندما دخل الأمريكان والبريطانيون أفغانستان كان أول ما قاموا به هو فتح المزارات والأضرحة، وسمحوا للموالد أن تقام.

يقول أحد مشايخ الطرق هناك: "إن حركة طالبان المتعصبة أغلقت المزارات وأوقفت الاحتفالات ومنعتنا من حلقات الذكر والإنشاد طوال فترة حكمها رغم أنها لم تتوقف حتى في وجود الحكم الشيوعي والاحتلال الروسي!! وأنا سعيد جداً بسقوط تلك الحركة المتعصبة وأمريكا سمحت لنا بممارسة طقوسنا وإقامة موالدنا ونحن نشكر لها ذلك وبشدة".

وفي (١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م) أعلن في العراق عن تشكيل (الأمانة العليا للإفتاء والتدريس والبحوث والتصوف الإسلامي) والتي من أهدافها (إنشاء المدارس الدينية ودعم الطرق الصوفية).

وفي عام (١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م) حرص السفير الأمريكي (فرنسيس ريتشاردوني) على حضور مولد (أحمد البدوي) مبدياً إعجابه بالطرق الصوفية، واعتبر وجودها دليل على سماحة المصريين وتدينهم المعتدل!!

وفي عام (١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م) تكرم هيئة اليونسكو جلال الدين الرومي وتعتبر هذا العام عام جلال الدين الرومي[(١)].

هذه الأقوال والأفعال تبين أن الغرب يرى في الصوفية مشروعاً جديداً لمواجهة الإسلام وتخريبه من داخله وتنفيذ سياسته في العالم الإسلامي.

---

(١) انظر: موقع مفكرة الإسلام، التصوف والدور القادم في خدمة الغرب، بقلم/ أنور قاسم الخضري، الصوفية والأمريكان والإسلام، بقلم/ وليد نور.

موقع مدونات مكتوب، دعم التيار الصوفي يخدم مصالح أمريكا والعلمانيين، بقلم/ عبدالله المغربي.

• مصـــادر التصوف

يزعم المتصوفة أن التصوف مذهب ينبع من الإسلام في مبادئه، وقواعده، وأغراضه وألفاظه بل وفي مواجيده وأناشيده. ومن ثم فلا مصدر له إلا الكتاب والسنة.

إلا أن المتأمل في هذا الفكر وما يحمل من انحراف منذ بدايته يتبين لـه أنـه لا يمت إلى الإسلام بصلة، ولا علاقة له بالكتاب والسنة، وإن كان يحاول بعضهم إظهاره بالمظهر الشرعي وربطه بالكتاب والسنة والاستدلال على بعض قضـاياه بنصـوص شـرعية مـن أجـل أن يجـد قبـولاً بـين المسـلمين فهـو مفهـوم دخيـل علـى الإسـلام منـذ أن نشـأ وقـام. لـه روافـد متعـددة؛ إذ هـو متـأثر بالديانات السابقة والثقافات المتنوعة وها هـي أهـم المصـادر الـتي استقى منهـا التصوف مبادئه:

أولاً: المصدر اليوناني:

تعد الفلسفة الأفلاطونية الحديثة من أهم المصادر المؤثرة في التصوف؛ ذلك أن أهم ما يميز الفكر الصوفي عقيدة "وحدة الوجود" التي سبق أن اعتقدها اليونان وآمنوا بها كما ذكر عنهم ذلك البيروني ﷺ قائلاً:

"إن قدماء اليونانيين قبل ظهور الحكمة فيهم .. كانوا على مثل مقالة الهنود وكان بينهم من يرى أن الأشياء كلها شيء واحد .. ومنهم من كان يرى الوجود الحقيقي للعلة الأولى فقط لاستغنائها بذاتها فيه، وحاجة غيرها إليها، وأن مـاهو مفتقر في الوجود إلى غيره فوجوده كالخيال، غير حق، والحق هـو الواحـد الأول فقط"[1].

ثم قال: "وكذلك ذهبـوا إلى أن الموجـود شـيء واحـد وأن العلـة الأولى

(١) تحقيق ما للهند، ص (٢٤-٢٥).

تتراءى فيه بصورة مختلفة وتحل قوتها في أبعاضه بأحوال متباينة توجب التغاير مع الاتحاد"[1].

وقد نقل د/ عبدالقادر محمود عنهم اعتقادهم.

"إنه لا يوجد شيء إلا الله، وأن كل شيء غير الله ليس إلا مظاهر خارجية، وأحوال لله"[2].

وقد نقل هذا الاعتقاد عن أفلوطين[3] يقول د/ بدوي:

"يعتقد أفلوطين أن للكون رباً، هو الموجود الأول، وهو مطلق بسيط، غير متناهي، لا يوصف بأي وصف ثبوتي؛ لأنه فوق الصفات، وسابق عليها.

ويرى أن الوجود الحقيقي إنما هو لهذا الرب، أما الكون فهو ظل له. وأن الكون وجد بفيض من الرب، من غير اختيار منه ولا إرادة، بل فيض إضطراري، كما يصدر الشعاع من الشمس.

ويعتقد أن الوجود كله يكون وحدة تامة؛ وعلى هذا يمكن أن يفهم مذهبه على أنه مذهب وحدة في الوجود؛ بمعنى أن الكثرة في الواحد، فهو يعتقد أن الوجود المحسوس مشتق وصادر عن وجود الأول أو الرب، وأن ماعدا الأول فهو عرض وليس بجوهر"[4].

وقد اعترف بعض الصوفية بهذه الصلة يقول يوسف جشتي[5]:

---

(١) المرجع نفسه، ص (٢٥).

(٢) الفلسفة الصوفية في الإسلام، ص (٣٠).

(٣) هو فيلسوف يوناني، ولد بمصر عام (٢٠٥م) درس الفلسفة في الإسكندرية، وروما، تأثر بالوثنيات القديمة وبخاصة ديانات الهند، واعتنى بالمزج بينها وبين الفلسفة اليونانية، له كتاب التاسوعات، توفي عام (٢٧٠م).
انظر: موسوعة الفلسفة، لعبدالرحمن بدوي (٢٠١/١).

(٤) موسوعة الفلسفة (١٩٦/١).

(٥) هو: يوسف بن سليم جشتي، صوفي هندي معاصر، من أتباع الطريقة الجشتية، له مؤلفات منها: تاريخ التصوف.
انظر: التصوف المنشأ والمصادر لإحسان إلهي ظهير، ص (١١٤).

إن التصوف لم يقتبس ولم يؤخذ إلا من المنابع الصافية، والمصادر الطاهرة وعلى رأسها الأفلاطونية المحدثة، والتي نشرها أفلوطين الاسكندري وفلسفته في الإلهيات تدور على وحدة الوجود، وهذا عين ما يؤمن به الشيخ الأكبر ابن عربي وغيره كما أؤمن به أنا أيضاً"[١].

كما أن ما يؤمن به الصوفية من الأخذ عن الله مباشرة - مثل ما زعمه ابن عربي أن كتابه الفتوحات المكية بإملاء من الله تعالى[٢]. أو قول أبي يزيد البسطامي[٣]: أخذتم علمكم ميتاً عن ميت وأخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت[٤].- نجده عند أفلوطين قبلهم حيث يقول: "إن المعرفة لا يستمدها الإنسان بطريق الحواس أو من التفكير المقصود بل هي تصدر مباشرة عن النفس الكلية إلى النفس الجزئية. وهي في حالة من الذهول عن الحس (أي الفناء) وهذا هو الإشراق الذي ترد به المعرفة من الملأ الأعلى مباشرة على النفس، وأن هذه المعرفة هي العلم الصحيح"[٥].

ويبرز د/ علي النشار جانباً آخر من جوانب التوافق بين الصوفية والفلسفة الأفلاطونية فيقول: "إن الغنوص[٦] قد سيطر على فلسفة الصوفية، ودخلت فكرة

---

(١) التصوف المنشأ والمصادر، ص (١٢٧).

(٢) انظر: مقدمة كتابه الفتوحات المكية (١٧/١، ٨٠، ٨٥).

(٣) هو طيفور بن عيسى بن سروشان، من كبار الصوفية القائلين بوحدة الوجود، وقد أخذ هذه العقيدة عن رجل هندي حديث عهد بالإسلام (!!)، توفي عام (٢٦١هـ).
انظر في ترجمته: طبقات الصوفية، ص (٦٧)، حلية الأولياء (٣٣/١٠)، جامع كرامات الأولياء (١١١/٢).

(٤) الفتوحات المكية (٥٤/١)، الطبقات الكبرى للشعراني، ص (١١).

(٥) الحقيقة التاريخية للتصوف الإسلامي، ص (٤٢-٤٣).

(٦) الغنوص: كلمة يونانية بمعنى المعرفة، وهي تذوق المعارف تذوقاً مباشراً بأن تلقى في النفس إلقاء. والغنوصية مذهب تلفيقي يجمع بين الدين والفلسفة، تمثل مزيجاً من العقائد اليونانية والفارسية مع غلبة الطابع الوثني عليها تؤمن بوجود مبدأين الروح والمادة، وتقوم على أساس فكرة الصدور.
انظر: المعجم الفلسفي / إعداد مجمع اللغة العربية، ص (١٣٣)، الموسوعة الميسرة للأديان والمذاهب (١١٠٣/٢-١١٠٥).

فكرة الثنائية الغنوصية بين الله والمادة في عقائدهم، فأصبح محمد هو أول الصادرات عن الله تعالى، ومنه صدرت المخلوقات وهذه العقيدة تعرف عند الصوفية بالإنسان الكامل أو الحقيقة المحمدية وبمقدور كل إنسان أن يصل إلى تحقيق هذه المرتبة - الجامعة للكمالات الإلهية - عن طريق الغنوص أي العرفان ثم يقرر هذا التأثر قائلاً:

" ومما لا شك فيه أن التصوف الفلسفي في الإسلام قد تأثر بالغنوص وسقط عدد من مفكري الإسلام ضحية له "[1].

مما تقدم يظهر أثر الفلسفة الأفلاطونية في التصوف الفلسفي، ولعلي أختم بقصة ذكرها عبدالكريم الجيلي[2] في كتابه الإنسان الكامل يقول: " ولقد اجتمعت بأفلاطون الذي يعدونه أهل الظاهر كافراً فرأيته وقد ملأ العالم الغيبي نوراً، وبهجة، ورأيت له مكانة لم أرها إلا لآحاد من الأولياء. فقلت له: من أنت؟ قال: قطب الزمان، وواحد الأوان "[3].

وهذه القصة تظهر مدى انكباب الصوفية على المصادر غير الإسلامية وخاصة في مجال المعرفة، كما تؤكد أن الكشف والمشاهدة التي يؤمن بها الصوفية هي أوهام وخيالات حملتهم على الخروج عن جادة الصواب والبعد عن هدى الإسلام.

ثانياً: المصدر النصراني.

من أهم المبادىء التي يقوم عليها التصوف والتي جعلت له القبول بين طبقات المجتمع ما يظهرونه من التقشف والبعد عن ملاذ الدنيا والانقطاع إلى

---

(١) نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام (١/٢١١-٢١٢) بتصرف.

(٢) هو عبدالكريم بن إبراهيم بن عبدالكريم الجيلي من جيلان بفارس، ولد عام (٧٦٧هـ)، من كبار صوفية القرن التاسع الهجري، له نحو ثلاثين مؤلفاً كلها في تقرير العقيدة الصوفية، توفي باليمن عام (٨٢٦هـ).
انظر: كشف الظنون (١/١٥٨)، الأعلام (٤/٥٠).

(٣) الإنسان الكامل، ص (١٨٨-١٨٩).

العبادة ولبس الخشن من الثياب.

حتى وصف الكلاباذي المتصوفة بأنهم "قوم قد تركوا الدنيا فخرجوا عن الأوطان، وهجروا الأخدان، وساحوا في البلاد، وأجاعوا الأكباد، وأعروا الأجساد"[1].

ونقل الشعراني[2] عن رباح القيسي[3] أنه قال: "لا يبلغ الرجل إلى منازل الصديقين حتى يترك زوجته كأنها أرملة، وأولاده كأنهم أيتام، ويأوي إلى منازل الكلاب"[4].

وذكر عن أبي سليمان الداراني[5] "ثلاث من طلبهن فقد ركن إلى الدنيا: من طلب معاشاً، أو تزوج امرأة، أو كتب الحديث"[6]. وقال: "ما رأيت أحداً من أصحابنا تزوج فثبت على مرتبته"[7].

والنصوص في ذلك أكثر من أن تحصى ولاشك أن هذا التقشف والزهد المبالغ فيه لم يأخذه المتصوفة إلا من رهبان النصارى الذين ابتدعوا هذه الرهبنة وخالفوا الفطرة التي فطر الله الناس عليها.

وقد وردت في كتابهم المحرف عدة فقرات تدعو إلى التبتل والبعد عن

---

(١) التعرف لمذهب أهل التصوف، ص (٢١).

(٢) هو عبدالوهاب بن أحمد بن علي الشعراني، الشافعي مذهباً، الشاذلي طريقة، له مؤلفات كثيرة في التصوف من الغلاة القبوريين الداعين إلى عبادة القبور، توفي عام (٩٧٣هـ).
انظر: جامع كرامات الأولياء (٢/٢٢٦-٢٣٣)، هدية العارفين (٥/٦٤١-٦٤٢)، معجم المؤلفين (٦/٢١٨).

(٣) هو أبو المهاجر بن عمرو القيسي، ذكر له الشعراني مجموعة من الأقوال في طبقاته الكبرى، ص (٦٩).

(٤) انظر: المرجع نفسه، ص (٦٩).

(٥) هو عبدالرحمن بن عطية من أهل داريا من قرى دمشق، من كبار المتصوفة، اشتهر بالتقشف توفي عام (٢١٥هـ).
انظر: طبقات الصوفية، ص (٧٥)، الطبقات الكبرى، ص (١١٥)، جامع كرامات الأولياء (٢/١٢٠).

(٦) عوارف المعارف (١/٢٣٢).

(٧) المرجع نفسه (١/٢٣٢).

الزواج ومن ذلك ما نسبوه إلى عيسى عليه السلام.

"ويوجد خصيان خصوا أنفسهم لأجل ملكوت السماوات من استطاع أن يقبل فليقبل"[1].

وورد عن بولس "فحسن للرجل أن لا يمس امرأة"[2].

ومن رهبانهم أخذوا لبس الصوف، وهذا ما وعاه السلف الصالح، فعن حماد بن سلمة رحمه الله[3] أنه قال لفرقد السبخي[4] حينما رآه لابساً الصوف: "دع عنك هذه النصرانية"[5].

وأورد ابن الجوزي رحمه الله : أن عبدالكريم أبا أمية[6] جاء إلى أبي العالية[7] رحمه الله وعليه ثياب صوف فقال له:

"إنما هذه ثياب الرهبان، إن المسلمين إذا تزاوروا تجملوا"[8].

ويستشهد الصوفية بلبس الصوف على فعل عيسى عليه السلام فيذكرون عنه:

---

(١) انجيل متى، العهد الجديد، (١٢).

(٢) رسالة بولس إلى أهل كورنتوس من العهد الجديد، ص (١٢).

(٣) هو حماد بن سلمة بن دينار البصري، الرَّبعي، أبو سلمة، مفتي البصرة وأحد رجال الحديث، كان حافظاً ثقة مأموناً، وهو أول من صنف التصانيف الرصينة، توفي (١٦٧هـ).
انظر: ميزان الاعتدال (٥٩٠/١)، السير (٤٤٤/٧)، تقريب التهذيب، ص (٢٦٨).

(٤) هو فرقد بن يعقوب السَّبَخي، أبو يعقوب البصري، عابد لكنه لين الحديث، كثير الخطأ، مات سنة (١٣١هـ).
انظر: تقريب التهذيب لابن حجر، ص (٧٨٠)، طبقات الشعراني، ص (٥٥).

(٥) تلبيس إبليس، ص (٢٤١)، العقد الفريد (٣٧٨/٣).

(٦) هو عبدالكريم بن أبي المخارق، أبو أمية، ضعيف الحديث. كان يرى الإرجاء مع تعبد وخشوع، روى عن أنس ومجاهد وسعيد بن جبير وعنه مالك، وحماد بن سلمة رحمهم الله جميعاً. انظر: السير (٨٣/٦)، تقريب التهذيب، ص (٦١٩).

(٧) هو رفيع بن مهران، أبو العالية، كان مولى لامرأة من بني تميم، أدرك زمن النبي ﷺ وهو شاب، المقرىء، الحافظ، المفسر، مات عام (٩٣هـ).
انظر: طبقات ابن سعد (١١٢/٧)، السير (٢٠٧/٤)، تقريب التهذيب، ص (٣٢٨).

(٨) تلبيس إبليس، ص (٢٤٢).

"أنه كان يلبس الصوف والشعر، ويأكل من الشجر، ويبيت حيث أمسى"[1].

فانظر كيف يستشهدون بخبر عن عيسى عليه السلام ويتركون سنة المصطفى ﷺ التي أمروا باتباعها.

يقول شيخ الإسلام رحمه الله: "إن قوماً يتخيرون الصوف يقولون إنهم متشبهون بعيسى ابن مريم، وهدي نبينا أحب إلينا، وكان النبي ﷺ يلبس القطن وغيره"[2].

بل كان بعض السلف يعد هذا اللباس بدعة فقد أورد ابن الجوزي رحمه الله عن سفيان الثوري رحمه الله[3] أنه أبصر رجلاً عليه صوف فقال: لباسك هذا بدعة[4].

كذلك اتخاذهم التكايا والزوايا وانقطاعهم فيها للخلوة أياماً متعددة من آثار النصارى فهي تشابه الأديرة تماماً، أما الإسلام فلا أثر لهذه التكايا في مصدريه بل كان النبي ﷺ يتعبد مع أصحابه في المسجد بلا خلوة ولا انقطاع عن الناس، يدعوهم إلى الدين، ويتفاعل مع قضاياهم.

وقد عد ابن الجوزي رحمه الله الأخطاء التي وقع فيها المتصوفة ببناء الأربطة والزوايا وذكر منها: "أنهم تشبهوا بالنصارى بانفرادهم في الأديرة"[5].

بل لم يجد الصوفية حرجاً في أخذ المواعظ من أفواه الرهبان النصارى؛ لذا فقد حوت كتب الصوفية وأخبارهم أقوال الرهبان ورياضاتهم كطبقات الشعراني

---

(١) التعرف لمذهب أهل التصوف، ص (٢٢)، عوارف المعارف (١/١٤٤).

(٢) مجموع الفتاوى (١١/٧).

(٣) هو سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري، أبو عبدالله الكوفي، ثقة، حافظ، فقيه عابد، إمام حجة، أدرك جماعة من كبار التابعين، توفي عام (١٦١هـ).
انظر: صفة الصفوة (٣/٩٧)، تقريب التهذيب، ص (٣٩٤).

(٤) تلبيس إبليس، ص (٢٤٣).

(٥) المرجع نفسه، ص (٢١٧).

وجامع كرامات الأولياء للنبهاني[1].

ويؤكد ذلك نيكلسون[2] بقوله: "كثير من نصوص الإنجيل ومن الأقوال المنسوبة إلى المسيح، مقتبس في أقدم تراجم الصوفية، والرهابنة المسيحيون كثيراً ما يظهرون في مقام المعلمين، يولون النصح والتسديد لزهاد مسلمين متنقلين، وقد رأينا أن ثوب الصوف مسيحي الأصل، ونذور الصوم عن الكلام، والذكر، ورياضات الزهد الأخرى، لعلها أن ترد إلى هذا الأصل نفسه"[3].

ولم يكن موضوع العشق الإلهي والمحبة الإلهية من إنشاء الصوفية بل هما من آثار الدين النصراني، فقد نسبت رواية للمسيح عليه السلام أنه مر بجماعات صفر الوجوه، نحال الأجسام من كثرة عبادتهم فعندما سأل المسيح عليه السلام المجموعة الأولى عن سبب ضعفهم، فقالوا إننا نعبد الله خوفاً من ناره، وأما المجموعة الثانية فإنهم يعبدونه طمعاً في جنته وأما المجموعة الثالثة والتي هي أكثرهم هزالاً قالوا: إننا نعبد الله بسبب العشق لله[4].

ولا ريب أن هذا القول مخالف لما جاء به الإسلام الذي بنى العبادة على الرجاء والخوف والمحبة، بل امتدح الله تعالى أنبياءه بقوله: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾[5].

وكان هذا حال نبينا محمد ﷺ حينما قال: "إني لأعلمهم بالله وأشدهم له خشية"[6].

---

(١) هو يوسف بن إسماعيل النبهاني الشاذلي، من الصوفية الغلاة، دعاة الشرك، له كتب متعددة في التصوف، توفي عام (١٣٥٠هـ).
انظر: الأعلام (٢٨٩/٩)، مقدمة كتابه جامع كرامات الأولياء (٣/١-٦).

(٢) هو رينولد ألين نيكلسون، مستشرق انجليزي من أكبر الباحثين في التصوف، توفي عام (١٩٤٥م). انظر: المستشرقون (٩١/٢-٩٣).

(٣) الصوفية في الإسلام، ص (١٩).

(٤) تاريخ التصوف في الإسلام، ص (٩٩-١٠٠).

(٥) سورة الأنبياء، الآية: (٩٠).

(٦) رواه البخاري، كتاب الأدب، باب من لم يواجه الناس بالعتاب، ح ٦١٠١، (٥١٣/١٠).

فمن أحسن العلم بالله تعالى كان له أشد خشية وأخوف وزاده ذلك رجاءً فيما عند الله تعالى وحباً لله تعالى.

مما سبق يظهر الأثر النصراني في التصوف مما يدعم القول بأنه بعيد المنشأ عن الإسلام.

ثالثاً: المصدر الهندي.

تأثر الفكر الصوفي بأديان الهند الوثنية في تعاليمهم وفلسفتهم وأورادهم وقد أكد ذلك كثير من الكتاب والباحثين في مجال التصوف.

ولعل أبا الريحان البيروني رحمه الله أول من كشف الصلة بين التصوف وأديان الهند فقال بعد أن تحدث عن مذهب باتنجل: "وإلى طريق باتنجل ذهبت الصوفية في الاشتغال بالحق فقالوا: ما دمت تشير، فلست بموحد، حتى يستولي الحق على إشارتك بإفنائها عنك، فلا يبقى مشير ولا إشارة"[1].

ويؤكد إيمان الهنود بعقيدة (وحدة الوجود) التي اعتقدها الصوفية قول البيروني في موضع آخر:

"قال (باسديو) في كتابه (كيتا)[2] أما عند التحقيق فجميع الأشياء إلهية لأن (بشن) جعل نفسه أرضاً ليستقر الحيوان عليها، وجعله ماءً ليغذيهم، وجعله ناراً وريحاً لينميهم وينشيئهم وجعله قلباً لكل واحد منهم، ومنح الذكر والعلم وضديهما"[3].

وقد نبه إلى ذلك ول ديورانت صاحب (قصة الحضارة) يقول:

---

(١) تحقيق ما للهند، ص (٦٦).

(٢) كيتا: من كتب الهندوسية المقدسة، يصف حرباً بين أمراء من أسرة ملكية واحدة، فيه نظرات فلسفية واجتماعية.

انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان (٧٢٥/٢)، دراسات في أديان الهند، محمد الأعظمي، ص (٥٥٠).

(٣) تحقيق ما للهند، ص (٣٠).

إذا بحثنا عن أخطر نظرية أخذها الجانب الصوفي في الإسلام عن المصدر الهندي وجدناها نظرية وحدة الوجود، إنها أساس جوهر (الفيدا)[1] فالإله (براجاتي) هو خالق وخلق، والعالم فيها لم ينشأ من العدم وإنما أجزاؤه أبعاض الإله[2].

أكد ذلك د/ محمد الأعظمي يقول: "هذه المدارج والمنازل التي يدعو إليها المتصوفون القائلون بوحدة الوجود توجد في كلمة "أوم" السنسكرتية عند متصوفي الهنادك. وكانت أسفار أبانشاد[3] هي المصدر الحقيقي لوحدة الوجود"[4].

وإليه أشار د/ عبدالقادر محمود بقوله:

"وتبدو نظرية وحدة الوجود واضحة في (اليوبنشاد) على الأخص؛ حيث يؤكد في تعبيراته الشعرية أن الله والنفس الإنسانية شيء واحد، فإن خيل للإنسان أنهما شيئان مختلفان، فما ذاك إلا لأن إدراكه أضيق من أن يرى اتحادهما"[5].

أضف إلى ذلك إن الديانة الهندية كانت قد انتشرت في شرق إيران إلى

---

(١) الفيدا: كلمة سنسكريتية تعني الحكمة والمعرفة، من أهم كتب الهندوسية، فيه أدعيةتنتهي بالشك، وفيه تأليهاً يرتقي إلى وحدة الوجود. تتألف من أربعة كتب هي: رج فيدا، يجور فيدا، سم فيدا، أثروا فيدا. وكل واحد منها يشتمل على أربعة أجزاء هي: سمهتا، البراهمن، آرانياك، آباينشادات.

انظر: أديان الهند الكبرى، ص (٢٤)، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب (٢/٧٢٤-٧٢٥)، دراسات في أديان الهند، ص (٥٣٤).

(٢) قصة الحضارة (٣/٣٤).

(٣) اليوبنشاد: معناه: الجلوس عند الشيخ لتلقي العلم، وهي أسفار تفسيرية للفيدات، فيها تجارب الرهبان الهندوس. يبلغ عدد كتبها ما يقارب ثمانية ومائة كتاب لكن المعتبرة منها اثنا عشر كتاباً.

انظر: دراسات في أديان الهند، الأعظمي، ص (٥٤٢).

(٤) دراسات في أديان الهند، ص (٥٤٥).

(٥) الفلسفة الصوفية في الإسلام، ص (١١).

بلخ[1] وبخارى[2] وفي ما وراء النهر قبل الإسلام بأكثر من ألف سنة وكانت لها صوامع ومعابد مشهورة، وكانت معابد بلخ أكثر شهرة، وصارت بلخ ونواحيها من أهم المراكز الصوفية، وكان صوفيو خراسان[3] يعدون في الرعيل الأول من الصوفية الذين جاهروا بعقيدة الفناء في الله المقتبسة من الديانة الهندية[4].

ومن هؤلاء أبو يزيد البسطامي الذي كان أوسع صوفية عصره كلاماً في وحدة الوجود أخذ هذا المذهب عن رجل هندي، اسمه أبو علي السندي[5] كان جاهلاً بالإسلام.

قال عنه أبو يزيد: "صحبت أبا علي السندي، فكنت ألقنه ما يقيم به فرضه، وكان يعلمني التوحيد والحقائق صرفاً"[6].

وهنا يبرز سؤال: ما التوحيد الذي يتعلمه أبو يزيد من شخص لا يعرف ما يقيم به فرضه ؟! إلا أن يكون توحيد الهنود "عقيدة وحدة الوجود".

وإلى هذا ذهب نيكلسون يقول:

---

(1) بَلْخ: مدينة مشهورة في شمالي خراسان، تقع الآن في شمال أفغانستان.
انظر: معجم البلدان (١/٤٧٩-٤٨٠)، بلدان الخلافة الشرقية، ص (٤٦٢).

(2) بخارى: من أعظم مدن ما وراء النهر وأجلها، تقع الآن في أوزبكستان.
انظر: معجم البلدان (١/٣٥٣)، بلدان الخلافة الشرقية، ص (٥٠٤).

(3) خراسان: خراسان بلاد واسعة أول حدودها مما يلي العراق وآخرها مما يلي الهند أي هي إيران وأفغانستان حالاً.
انظر: معجم ما استعجم (١/٤٨٩)، معجم البلدان (٢/٣٥٠)، بلدان الخلافة الشرقية، ص (٤٢٣).

(4) تاريخ التصوف في الإسلام، ص (١٢٢).

(5) هو أبو علي السندي، شيخ لأبي يزيد البسطامي، كان جاهلاً بالإسلام، ذكروا له كرامات.
انظر: اللمع، ص(٢٨١)، جامع كرامات الأولياء (١/٣٧٩).

(6) اللمع، ص (٢٣٥).

"والفكرة الصوفية في فناء النفس الذاتية في الوجود الكلي هي عندي دون ريب من أصل هندي ولعل ممثلها الأول البسطامي قد تلقاها عن شيخه أبي علي السندي"[1].

وبهذا يتأكد أن التصوف الذي ظهر في العالم الإسلامي، لم يكن أمرًا مبتدعاً وإنما نُقل من المصادر السابقة، ونشر في العالم الإسلامي رغبة في تقويض الدين الذي قوض أركان دولتهم الفارسية، وقد قام بهذا الدور أوائل الصوفية الأعاجم.

(١) الصوفية في الإسلام، ص (٢٨).

المبحث الثاني

نشأة الدولة العثمانية

المبحث الثاني

نشأة الدولة العثمانية

• **أصـل الترك:**

يكاد يجمع المؤرخون الأول على أن أصل الأتراك يرجع إلى ترك من أبناء يافث بن نوح ﷺ.

يقول ابن خلدون ﷺ في تاريخه: اتفق النسابون، على أن ولد نـوح ﷺ الذين تفرعت منهم الأمم ثلاثة، سام وحام ويافث، وأن من ولد يافـث الـترك، والصين والصقالبة، ويأجوج ومأجوج[1].

ويه قال الطبري[2][3] ﷺ.

ويهذا قال المؤرخون الترك، ذكر ذلك عنهم المـؤرخ سـرهنك بقولـه: إن مؤرخي العثمانيين مثل خير الله، ونعيما، وراشد، وجودت باشا، ومنجم باشـا، وجلبي وغيرهم من فحول العلماء المؤرخين ذهبوا إلى أن أصل شجرة آل عثمان يتصل فرعها بيافث بن نوح ﷺ.

ثم أتبع ذلك بذكر سلسلة النسب[4].

يقول القلقشندي ﷺ [5]: "هم الأمة المشهورة، وهم من بني ترك بن كومر ابن يافث بن نوح ﷺ، ويدخل في جنسهم القفجـاق، والطغرغـر وهـم الـتتر،

---

(١) تاريخ ابن خلدون (٢/١١-١٢).

(٢) هو محمد بن جرير بن زيد الطبري، المؤرخ، المفسر، الإمام، ولد عام (٢٢٤هـ) في طبرستان واستوطن بغداد، من مصنفاته تاريخ الطبري، وجامع البيان. توفي ببغداد عام (٣١٠هـ).
انظر: تاريخ بغداد (٢/١٦٢)، تذكرة الحفاظ (٢/٣٥١)، لسان الميزان (٦/١٧٣).

(٣) تاريخ الطبري (١/٢٠١).

(٤) تاريخ الدولة العثمانية ص (٨).

(٥) هو أحمد بن علي بن أحمد الفزاري، ولد عام (٧٥٦هـ)، المؤرخ، الأديب، البحاثة، أفضل تصانيفه صبح الأعشى، وله حلية الفضل وزينة الكرم فـي المفاخـــرة بـين السـيف والقلـم، قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان، توفي بالقاهرة عام (٨٢١هـ).
انظر: الضوء اللامع (٢/٨)، الأعلام (١/١٧٧).

والخطا، والخرلخية، والخزر: وهم الغز الذين كان منهم ملوك السلاجقة، والهياطلة وهم الصغد[1].

وتعتبر قبيلة الغز من أكبر قبائل الأتراك ومنها تفرع السلاجقة والعثمانيون.

موطن الأتراك:

يتفق معظم المؤرخين على أن موطن الأتراك الأصلي هو آسيا الوسطى. "وآسيا الوسطى شبه منحرف تحده من الجنوب جبال الهمالايا، ومن الجنوب الغربي هضبة البامير، ومن الغرب جبال تيان شان، ومن الشمال جبال الألتاى ويا بلونوي وستانوفوي، ومن الشرق جبال كنجان وكوكونور.

والأراضي المحصورة بين هذه الحدود حوالي ستة ملايين كيلومتر مربع، هي في مجموعها سلسلة من الجبال والهضاب والمنخفضات"[2].

يقول د/ متولي:

"ينحدر العثمانيون من قبائل رعوية كانت تجوب منطقة جبال آلتاى إلى الشرق من سهول أوراسيا، وإلى الجنوب من نهر ينيسي وبحيرة بيكال في الأراضي التي تعتبر حالياً جزءاً من سهول منغوليا"[3].

ويبدو من خلال ما تقدم أن موطن الأتراك يشمل بلاد ما وراء النهر والتي يطلق عليها الآن "تركستان" والتي تمتد من هضبة منغوليا وشمال الصين شرقاً إلى بحر قزوين غرباً، ومن سهول سيبيريا شمالاً، إلى شبه القارة الهندية وفارس جنوباً.

---

(١) صبح الأعشى (٢٦٦/١).

(٢) تاريخ الترك في آسيا الوسطى، ص (٧).

(٣) تاريخ الدولة العثمانية منذ نشأتها حتى نهاية العصر الذهبي، ص (١٥).

في القرن السادس الميلادي تحركت هذه القبائل من موطنها الأصلي نحو آسيا الصغرى في هجرات ضخمة وقد اختلفت المصادر في تحديد أسباب هذه الهجرات.

فهناك من أرجعها إلى الظروف الاقتصادية فالجدب الشديد، وزيادة النسل جعلتها ترحل للبحث عن العيش الأفضل[١].

وهناك من يرى أن الظروف السياسية هي الدافع لهذه الهجرات فضغط قبائل أكثر منها قوة دفعها للرحيل لتعيش آمنة مستقرة[٢].

يقول د/ خليل أيناجيك:

"ومن النتائج المباشرة لغزوات المغول هجرة التركمان، باتجاه الغرب، وقد استقر هؤلاء، في إيران وشرق الأناضول، ثم تابعوا هجرتهم نحو الغرب، حيث استقروا هذه المرة في المناطق الجبلية غرب الأناضول"[٣].

- **اتصال الأتراك بدولة الإسلام:**

لم تذكر المصادر التاريخية معلومات تدل على احتكاك مباشر بين العرب والترك قبل الفتح الإسلامي في عهد عمر بن الخطاب ﷺ.

ففي خلافته سار الجيش الإسلامي سنة (٢٢هـ) إلى أرض الترك، وهناك التقى قائد المسلمين عبدالرحمن بن ربيعة ﷺ[٤] بملك الترك، الذي طلب الصلح وأبدى استعداده للمشاركة مع المسلمين في محاربة الأرمن، فأرسله عبدالرحمن إلى القائد العام، فقبل منه ذلك، وجرى الصلح، ولم يقم بين الترك والمسلمين أي

---

(١) السلوك للمقريزي (٣٠/١).

(٢) انظر: دولة السلاجقة، ص (١٧-١٨)، وقيام الدولة العثمانية لابن دهيش، ص (٨).

(٣) تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار، ص (١٤).

(٤) هو عبدالرحمن بن ربيعة بن يزيد الباهلي، من الصحابة ﷺ، كان يلقب ذا النور، ولاه عمر قضاء جيش القادسية وعهد إليه بتقسيم الغنائم، ثم ولاه قتال الترك فاستمر إلى أن استشهد ﵀ تعالى.
انظر: أسد الغابة (٥٠/٣)، الإصابة (٣٩٨/٢).

قتال، بل سار الجميع إلى بلاد الأرمن لفتحها ونشر الإسلام فيها[١].

وفي خلافة عثمان ﷺ: توجه الأحنف بن قيس ﷺ[٢] إلى طخارستان[٣] وفتح الطالقان[٤] صلحاً، وسار إلى بلخ فصالحه أهلها ثم سار إلى خوارزم[٥] وعبر نهر جيحون فصالحه أهالي بلاد ما وراء النهر[٦].

أما في عهد الدولة الأموية فقد توطدت أقدام المسلمين في تلك المنطقة حيث تولى قتيبة بن مسلم الباهلي ﷺ[٧] ولاية خراسان عام (٨٦هـ) واستعد لفتح بلاد ما وراء النهر. ففتح بخارى ومنها إلى سمرقند[٨] وبعدها طشقند[٩] وفرغانة[١٠] وواصل انتصاراته حتى دانت له جميع بلاد ما وراء النهر.

---

(١) تاريخ الطبري (٢٥٦/٣-٢٥٧).

(٢) هو الأحنف بن قيس بن معاوية بن حصين، أبو بحر التميمي، أحد من يضرب بحلمه وسؤدده المثل، اسمه ضحاك، شهر بالأحنف لحنف رجليه، كان سيد تميم، ثقة مأموناً، مات عام (٧١هـ).
انظر: وفيات الأعيان (٤٩٩/٢)، السير (٨٦/٤)، تقريب التهذيب، ص(١٢١).

(٣) طخارستان: شرق بلخ ممتدة بحذاء الضفة الجنوبية لنهر جيحون.
انظر: معجم البلدان (٢٣/٤)، بلدان الخلافة، ص (٤٦٩).

(٤) الطالقان: تقع على بعد ثلاث مراحل من مرو الروذ من جهة بلخ، لم يبق لهذا الاسم ذكر في الخارطة بعد أن دمرها جنكيز خان عام (٦١٧هـ).
انظر: معجم البلدان (٦/٤)، بلدان الخلافة، ص (٤٦٥).

(٥) خوارزم: هي المنطقة التي تلي خراسان إلى الشمال وتقع إلى الشرق من بحر قزوين.
انظر: معجم ما استعجم (٥١٥/١)، معجم البلدان (٣٩٥/٢)، بلدان الخلافة، ص (٤٨٩).

(٦) انظر: فتوح البلدان، ص (٥٧٣-٥٧٤).

(٧) هو قتيبة بن مسلم ابن عمرو بن حصين الباهلي، من ذوي الحزم والدهاء، فتح بلاد الترك، ولي خراسان عشر سنين، توفي عام (٩٦هـ).
انظر: وفيات الأعيان (٨٦/٤)، العبر (٨٦/١)، شذرات الذهب (١١٢/١).

(٨) سمرقند: مدينة قديمة تقع في أوزبكستان، كانت عاصمة تيمورلنك.
انظر: معجم ما استعجم (٧٥٤/٢)، معجم البلدان (٢٤٦/٣)، بلدان الخلافة، ص (٥٠٦).

(٩) طشقند: عاصمة أوزبكستان.
انظر: معجم البلدان (٣٠٨/٣)، بلدان الخلافة، ص (٤٧٧).

(١٠) فَرْغَانة: مدينة في أوزبكستان ومتاخمة لبلاد تركستان.
انظر: معجم البلدان (٢٥٣/٤)، بلدان الخلافة الشرقية، ص (٤٧٧).

وما أن بدأ عهد الدولة العباسية حتى أصبحت بلاد ما وراء النهر تحت الحكم الإسلامي، وقد بدأت الاستفادة من الترك على نطاق ضيق في الجيش والإدارة منذ العصر الأموي ثم ازداد نفوذ الأتراك في الخلافة العباسية وتولوا المناصب القيادية والإدارية المهمة في الدولة حتى صاروا يشاركون في تصريف شؤون الدولة وأول من اعتمد على الترك بشكل واسع هو الخليفة العباسي المعتصم[١] وقد تم دخولهم إلى الخلافة العباسية في البدء بصورة فردية عن طريق الأسر أو الشراء أو لقاء الضرائب، سرعان ما تحول إلى هجرة قبائل بكاملها، تستهويها إمكانيات السيطرة على الخلافة العباسية المزدهرة[٢].

- **توطن الترك في الأناضول:**

استوطن الترك الأناضول قبل ظهور السلاجقة بأكثر من قرنين من الزمان، وذلك أن الخليفة المهدي كان يستقدم القبائل التركية من آسيا ويسكنها الأناضول في القسمين الشرقي والجنوبي منها[٣]. وما زال عددهم يتزايد بعد ذلك.

وفي القرن الخامس الهجري: اندفعت قبائل تركمانية من أواسط آسيا نحو الثغور في آسيا الصغرى بسبب ضغط المغول مما أدى إلى تكثيف العنصر البشري في مناطق الحدود البيزنطية.

فكر السلاجقة في فتح الأناضول، ففي عام (٤٠٦هـ) جرد السلاجقة أول حملة على الأناضول تعرفوا فيها على مدى قوة الإمبراطورية البيزنطية، وفي هذه الحملة هُزم الجيش البيزنطي، وأسر قائده. فأرسل الإمبراطور فدية إلى الخاقان

---

(١) هو محمد بن الرشيد هارون بن محمد المهدي، الخليفة العباسي، كان ذا قوة وبطش وشجاعة وهيبة، امتحن الناس بخلق القرآن، مات عام (٢٢٧هـ).
انظر: تاريخ بغداد (٣/٣٤٢)، العبر (١/٣١٥-٣١٦)، شذرات الذهب (٢/٦٣).

(٢) انظر تفصيل ذلك في: نفوذ الأتراك في الخلافة العباسية وأثره في قيام مدينة سامراء، د/ عبدالعزيز اللميلم، عموم الصفحات، والترك في مؤلفات الجاحظ، ص (٩٥-١٨٤).

(٣) تاريخ الدولة العثمانية، متولي، ص (٢٣).

الأكبر أرطغرل بك السلجوقي[1]، فأعادها ووعد بإطلاق سراحه مقابل فتح الجامع الذي أغلق في القسطنطينية لإقامة الشعائر الإسلامية للمسلمين المقيمين هناك، وافق الإمبراطور على ذلك، وأصبحت تقام فيه الصلوات ويذكر فيه اسم أرطغرل بعد اسم الخليفة العباسي[2].

تلا ذلك قيام ملوك السلاجقة وأمراء الأتراك بترتيب الغزوات على الأناضول سنوياً حتى كان عام (٤٦٤هـ) الذي هزمت فيه جيوش السلاجقة جيوش البيزنطيين في معركة (ملاذكرد) ففتح هذا النصر أبواب الأناضول لهذه الجماعات التركمانية المسلمة واستطاعت تثبيت أقدامها في شرق ووسط الأناضول، وقد قامت على أثر ذلك دول تركية كثيرة حكمت تلك المناطق مثل دولة السلاجقة والتي عمرت قرابة القرنين من الزمان (٤٧٠-٧٠٨هـ)، ودولة بني قرمان (٦٥٤-٨٨٨هـ)، دولة أمراء دنزلي (٦٧٦-٧٧٠هـ)، دولة بني حميد (أواخر القرن السابع- ٧٩٣هـ)، وغيرها[3].

وبعد سقوط دولة السلاجقة ظهرت دول جديدة على خارطة الأناضول منها الدولة العثمانية.

• قيام الدولة العثمانية:

اختلفت آراء المؤرخين وأقوالهم حول هذا الموضوع، ولعل السبب في ذلك يعود إلى أن ميلاد دولة من الدول يبدو في حينه لا يستحق الاهتمام والتسجيل، إلى أن يكتب الله تعالى لهذه الدولة البقاء والدوام وتظهر على مسرح الأحداث

---

(١) هو محمد بن ميكائيل بن سلجوق أبو طالب السلجوقي، الملقب ركن الدين طغرل بك، أصل السلجوقية من بر بخارى، كان حليماً، وعاقلاً، متعبداً، متهجداً، توفي بالري عام (٤٥٥هـ).
انظر: الكامل (٩٥/٨)، السير (١٠٧/١٨)، النجوم الزاهرة (٧٣/٥).

(٢) تاريخ الدولة العثمانية، أزوتونا (٦٥/١-٦٦).

(٣) انظر: انتشار الإسلام في آسيا، أحمد سليمان، ص (٢٧-٢٨)، تاريخ الدولة العثمانية، متولي، ص (٢٤).

فيتنبه لها المؤرخون، وكلما تأخرت تلك الفترة عن مرحلة النشأة والقيام، كانت المعلومات التي تكتب غير صحيحة، ويشوبها التناقض وتكثر فيها الأقوال.

تحدث د/ محمد فؤاد كوبريلي حول هذا الموضوع في كتابه "قيام الدولة العثمانية" وخَلص إلى أن "العثمانيين ينتسبون إلى عنصر غزي تركماني لا يفترق في ذلك عن أغلبية الترك، وفي أواخر القرن الثالث عشر الميلادي كان أرطغرل وابنه عثمان على رأس عشيرة صغيرة تنتمي إلى قبيلة "قايي"، وأنها جاءت إلى الأناضول بعد الفتوحات السلجوقية الأولى، وأنها تفرقت بعد ورودها أقساماً توطنت أماكن متباعدة وكانت هذه العشيرة تخضع نظرياً لسلاطين السلاجقة ثم للإيلخانيين، شعبة قليلة منها أحاطت بأرطغرل ثم عثمان من بعده اتخذت لها موطناً في منطقة اسكي شهر[1] الواقعة على الحدود التركية البيزنطية، وفي نفس الوقت كان على حدود الأناضول الغربية عدد من أمراء الحدود يغيرون كلما وجدوا الفرصة على حدود بيزنطة ويعملون فيها السلب، بل كان من بينهم من استولى على بعض الاستحكامات والقصبات وأسس القواعد لتشكلات سياسية جديدة ومن هؤلاء عثمان، فقد استطاع في هذه المنطقة ومن بين هذه القوى المنافسة أن يؤسس تشكلاً سياسياً نُسب إليه أطلق عليه الدولة العثمانية[2].

وقد ذكرت كتب التاريخ رواية أخرى حول قيام الدولة العثمانية تقول:

"إن قيام الدولة العثمانية كان نتيجة للغزو المغولي على العراق وشرق آسيا الصغرى حيث هاجر سليمان شاه أحد ملوك تركستان وجد آل عثمان من وطنه

(١) اسكي شهر: معناها المدينة القديمة، وهي مدينة قديمة تقع في وسط بلاد الأناضول وعلى مفترق طرق إلى غرب أنقرة.
انظر: تاريخ الدولة العلية، ص (١١٦)، هـ (٢).

(٢) قيام الدولة العثمانية، كوبريلي، ص (١١٨-١٢٦).

متجهاً غرباً نحو آسيا الصغرى فأقام بمدينة أخلاط[١]، حتى توفي فيها عام (٦٢٨هـ) فخلفه ابنه أرطغرل، الذي واصل تحركه نحو الشمال الغربي من الأناضول[٢] حتى وصل إلى أذربيجان[٣] وفي أثناء ذلك دارت معركة سميت (ياسي جمن) بين السلطان السلجوقي[٤] وبين خاقان تركستان جلال الدين خوارزم شاه[٥] فأيدت هذه العشيرة السلطان السلجوقي فأدى ذلك إلى انتصاره.

علم سلطان قونية[٦] أن هذه العشيرة تبحث لها عن وطن فأقطعهم ثغراً على الحدود بين سلطنته وبين الإمبراطورية البيزنطية"[٧].

وتذكر بعض الروايات "أن أرطغرل أرسل ولده صاروياتي إلى سلطان الروم علاء الدين السلجوقي يطلب منه الحماية ويستعطفه في أن يمنح عشيرته بعض الأراضي الخصبة .. فأقطعه أرضاً قرب أنقرة[٨]، ولما ساعد أرطغرل

---

(١) أخلاط: بلدة في شرق تركيا الحالية بالقرب من بحيرة وآن في هضبة أرمينيا.
انظر: بلدان الخلافة الشرقية، ص (٢١٧-٢١٨).

(٢) انظر: قيام الدولة العثمانية، ابن دهيش، ص (٢٦)، الدولة العثمانية، علي الصلابي، ص(٤٤).

(٣) أذربيجان: مدينة في أرمينيا، تسمى اليوم كيروف آباد.
انظر: معجم البلدان (١٢٨/١)، بلدان الخلافة الشرقية، ص (١٩٣)، تاريخ الدولة العلية، ص (١٧٣) هـ (١).

(٤) هو علاء الدين كيقباد بن كيخسرو بن قلج أرسلان بن مسعود السلجوقي، فيه عدل وإنصاف، كان شجاعاً، مهيباً، وقوراً، مات في شوال عام (٦٣٤هـ)، وكانت دولته تسعة عشر عاماً.
انظر: السير (٢٤/٢٣)، العبر (٢٢٠/٣)، شذرات الذهب (١٦٨/٥).

(٥) تذكر بعض الروايات أن الجيش المعادي من الروم، وإلى هذا الرأي مال د/ عبداللطيف بن دهيش. انظر: الدولة العثمانية، للصلابي، ص (٢٦) هـ (١).

(٦) قونية: مدينة تركية تقع إلى الجنوب من أنقرة وإلى الشمال من البحر الأبيض المتوسط.
انظر: معجم البلدان (٤١٥/٤)، بلدان الخلافة، ص(١٨١)، تاريخ الدولة العلية، ص(٦٨)، هـ (٤).

(٧) العثمانيون في التاريخ والحضارة، محمد حرب، ص (١٤).

(٨) عاصمة الجمهورية التركية حالياً.

السلطان السلجوقي في حربه مع المغول أقطعهم الأراضي الواقعة بجهتي طومانيج واسكي شهر[1].

أما المؤرخ أوزوتونا فيذكر أنه في عام (١٢٣٠م/ ٦٢٧-٦٢٨هـ) تقابل الجيشان جيش السلطان جلال الدين خوارزم شاه مع جيش علاء الدين كيقباد، فدعا علاء الدين محاربين كثيرين للانضمام للجيش الأناضولي، فكان من بين من سارع بتلبية الدعوة أرطغرل وعشيرته، فاكتسبوا تقدير البادشاه التركي، وكوفئوا على ذلك بتمكينهم من الحصول على أرض في الغرب على الحدود البيزنطية"[2].

وعلي أيّ حال فإن هذه الروايات واجهت النقد من قبل بعض المؤرخين، ومن هؤلاء د/ أحمد متولي، فقد وصف هذه القصة بالأساطير يقول:

"اختلفت الآراء وتباينت حول قيام الدولة العثمانية، وتأثرت هذه الآراء بمصادر العصور الوسطى التي تمتلئ بالأساطير عن هذا الموضوع.

واتخذ له رأياً آخر يقول:

"رحل العثمانيون من أواسط آسيا واستقروا في الأناضول، ولم تكن هويتهم قد اتضحت بعد، فقد كانوا في تلك المرحلة يعتبرون ضمن العناصر التركية، وكانت العناصر التركية كثيرة ومتنوعة ويصعب التمييز بينها.

اضمحلت دولة السلاجقة في القرن السابع الهجري بعد أن داهمتها غارات المغول. وفي تلك الآونة ظهرت إمارة صغيرة على الحدود بين السلاجقة والبيزنطيين سميت إمارة عثمان"[3].

---

(١) تاريخ الدولة العثمانية، سرهنك، ص (١٠).

(٢) تاريخ الدولة العثمانية (١/٨٣-٨٧).

(٣) تاريخ الدولة العثمانية، د/ أحمد متولي، ص (٢٨).

ويرى د/ خليل اينالجيك:

"أن جذور الدولة العثمانية مرتبطة بالحملات المغوليـة؛ حيـث أدت هـذه الغزوات إلى هجرة التركمان وهم مـن القبائـل الرحـل التركيـة القويـة، باتجـاه الغرب. وقد استقر هؤلاء، في إيران وشرق الأناضول، ثم تابعوا هجـرتهم نحـو الغرب، حيث استقروا في المناطق الجبلية غرب الأناضول.

وفيما بـين (١٢٦٠-١٣٢٠م) (٦٥٨-٦٥٩هـ/ ٧١٩-٧٢٠هـ) تمكـن زعماء الغـزو مـن التركمـان المقـاتلين مـن تأسـيس إمـارات مسـتقلة في غـرب الأناضول في الأراضي التي اقتطعوها من بيزنطة. ومن بين كـل هـؤلاء الأمـراء كان الغازي عثمان ﷺ يسيطر على مناطق في أقصى الشمال أقـرب مـا يكـون لبيزنطه والبلقان"[1].

سار عثمان ﷺ على نهج والده في الجهاد وغزو الأراضي البيزنطية فضم له مناطق جديدة، وحقق انتصارات عظيمة، دفعت السلطان السلجوقي أن يرسل إليه شـارات السـلاجقة وهـي الرايـة البيضـاء والخلعـة والطبـل وكتاباً تركـي العبارة معلناً استقلال عثمان بك وبأن يكون لـه فيمـا بعـد كـل مـا فتحـه مـن الأراضي[2].

في عـام (٦٩٩هـ) أغـار التتـار علـى سـلطنة قونيـة فقُتـل عـلاء الـدين آخر ملوك السلاجقة ولما لم يكن للسلطان ذرية اجتمـع وزراء الدولـة وأعيانهـا وقرروا بالإجماع أنه لا يليق للسـلطنة سـوى عثمـان الغـازي لـيحفظ للإسـلام عزته[3].

(١) تاريخ الدولة العثمانية، د/ خليل أينا لجيك، ص (١٤).

(٢) تاريخ الدولة العثمانية، سرهنك، ص (١٠).

(٣) تاريخ الدولة العليـة، لمحمـد فريـد بـك، ص (١١٨)، الدولـة العثمانيـة دولـة مفتـرى عليهـا (٣٩/١).

أما المؤرخ جودت باشا ﷺ فيذكر أنه بعد انقراض الدولة السلجوقية قام أمراؤها وولاتها بالاستقلال إلا أن عثمان استطاع أن يؤلف قلوبهم عليه[1].

وبذلك دخلت معظم المقاطعات والأراضي التي كانت تحت حكم السلطان السلجوقي تحت حكم عثمان، فأعلن بذلك قيام إمارته ولقب نفسه (بادشاه آل عثمان) وجعل مقر حكمه يكي شهر[2] وقام بتحسينها وتحصينها[3].

وهكذا قامت الدولة العثمانية وأصبح عثمان شاه المؤسس الأول للدولة، وإليه تُنسب.

---

(١) تاريخ جودت باشا، ص (٥٢).

(٢) يكي شهر: معناها البلد الحديث وتقع إلى الشمال الشرقي من بورصة. انظر: تاريخ فريدبك، ص (١١٨)، هـ (٤).

(٣) تاريخ الدولة العلية، محمد فريد بك، ص (١١٨).

الباب الأول

أبرز الطرق الصوفية في تركيا إبان العصر العثماني.

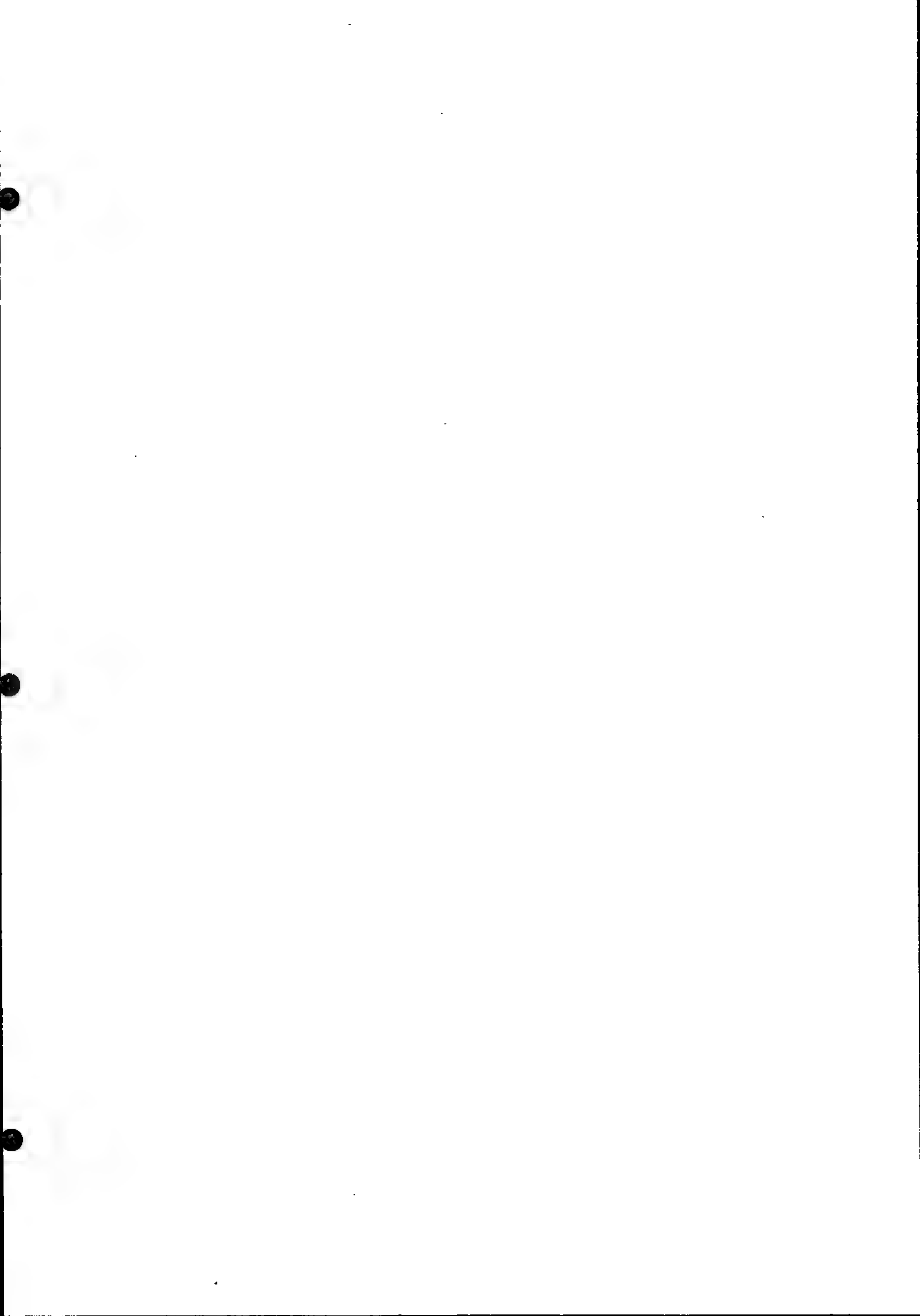
ويشتمل على تمهيد وثلاثة فصول

التمهيد: جذور التصوف في الدولة العثمانية وعوامل انتشـاره.

الفصل الأول: الطريقة البكتاشية.

الفصل الثاني: الطريقة المولويــــة.

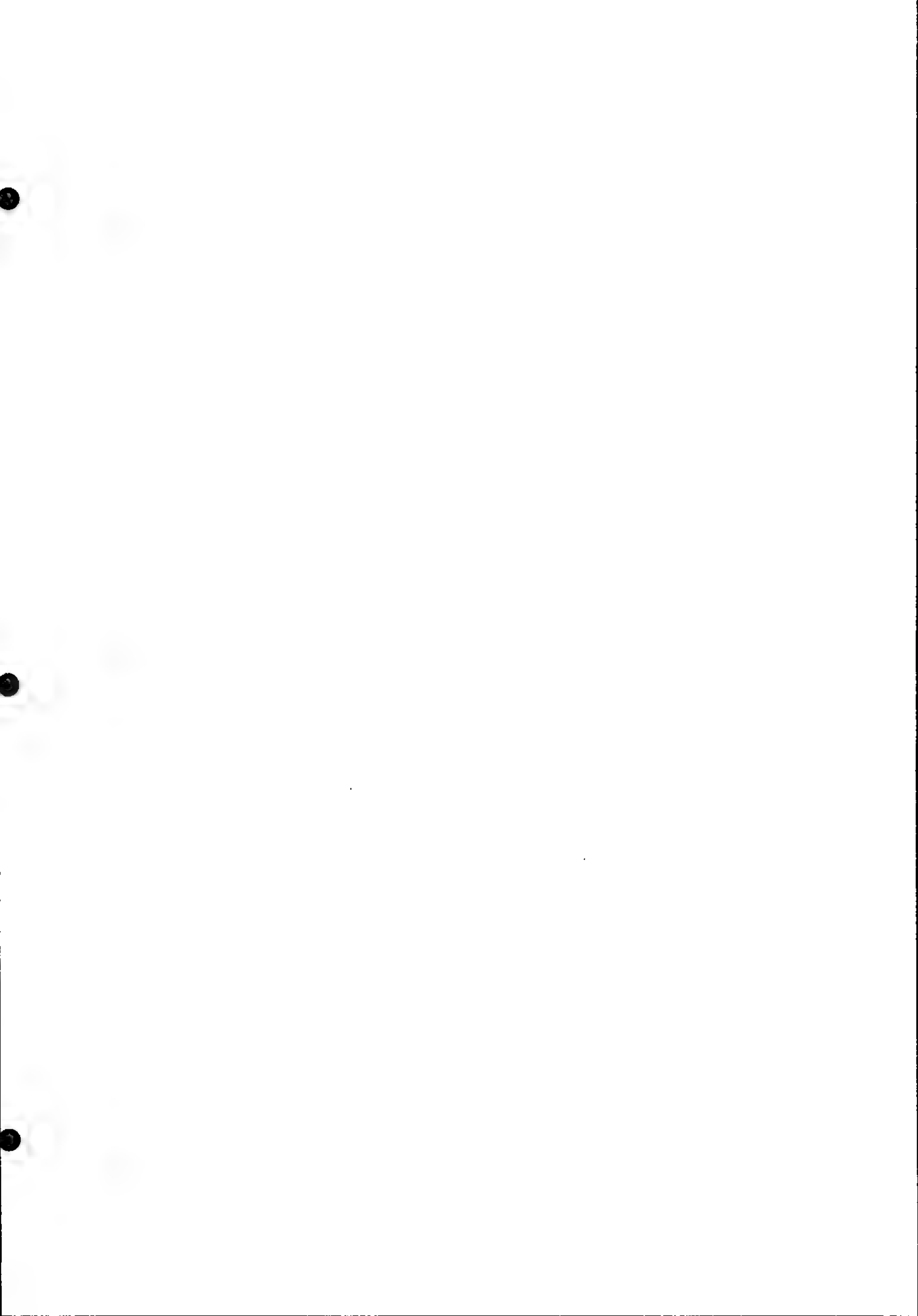
الفصل الثالث: الطريقة النقشبندية.



التمهيد

جذور التصوف في الدولة العثمانية

وعوامل انتشاره



جذور التصوف في الدولة العثمانية وعوامل انتشاره

يعد التصوف في الدولة العثمانية امتداداً طبعياً للتصوف في بلاد ما وراء النهر المنشأ الأصلي للأتراك العثمانيين، فلهذه المنطقة تأثير قوي في نشر التصوف وتقوية نفوذه، بحكم موقعها الجغرافي؛ إذ تجمعت فيها الثقافات، والتقت الديانات، وجاورت بلاد فارس وخراسان، المعقل الأول للتصوف وأهم مراكزه.

وقد انتشر التصوف في بلاد ما وراء النهر عن طريق الأتراك الرحل، وانتشرت التكايا والزوايا في معظم تلك البلاد، وقد مكن للتصوف كبراء وسلاطين تلك البلاد برعاية مشايخه وتوقيرهم بما بوأ لهم نفوذاً كبيراً وسلطاناً عظيماً.

ولعل المتصوف التركي "أحمد اليسوي ت (٥٦٢هـ)" الذي تُنسب له الطريقة اليسوية من متصوفة الأتراك الأول الذين دعموا بصورة كبيرة انتشار الأفكار الصوفية بين معظم الأتراك.

ولا أدل على أهميته لدى الأتراك من عمل ندوة علمية عن أحمد اليسوي عام (١٩٩١م/ ١٤١١-١٤١٢هـ) وذلك بمعرفة وزارة الثقافة للمرة الأولى في تركيا، واختيار عام (١٩٩٣م/ ١٤١٣-١٤١٤هـ) ليكون عام أحمد اليسوي[(١)].

يقول د/ فؤاد كوبريلي عن أهميته في التاريخ التركي:

"لم يكن - أي أحمد اليسوي - صوفياً عادياً مثل مئات الصوفيين في التاريخ التركي، بل عندما يذكر أحمد اليسوي يذكر اعتناق الشعب التركي للإسلام"[(٢)].

---

(1) Turkiye'de tarihin saptirilmasi surecinde turk suflligine Bakislar, Ahmed yasar, Istanbul, 1996, s 75, (64).

(٢) المرجع نفسه، ص (٧٤).

ونظراً لأهميته في تاريخ التصوف التركي سأذكر نبذة عنه وعن الطريقة التي تُنسب إليه.

ولد أحمد اليسوي في صايرام[1] وتوفي في مدينة يسى (شمال قازاقستان).

كان أحمد اليسوي شاعراً، يكتب باللغة التركية، اتسمت أشعاره بالبساطة فكان لها قبول واسع بين البدو الرحل وأناسي السهوب.

نُسب له كتاب "ديوان الحكمة" ويرى بعض الباحثين أنه نتاج معتقدات وأفكار شيوخ اليسوية جميعاً[2].

تأثر أحمد اليسوي بشخصين مهمين هما يوسف الهمداني[3]، وأرسلان بابا وهو شيخ قلندري[4] من خراسان، تذكر المصادر أن أحمد اليسوي يمم وجهه شطر بخارى بمشورة شيخه أرسلان بابا، وهناك تعرف على يوسف الهمداني وصحبه وتربى على يديه، ثم عاد إلى خراسان إحدى أهم المراكز الصوفية القلندرية التي تؤمن بالعشق الإلهي والانجذاب.

---

(١) مدينة تقع شمال شرق طشقند يطلق عليها اليوم اسبيجاب.
انظر: بلدان الخلافة الشرقية، ص (٥٢٧).

(2) Turkiye'de tarihn, p, (45).

(٣) هو أبو يعقوب، يوسف بن أيوب الهمداني، انتهت إليه تربية المريدين بخراسان، من أسرة همدانية مجوسية اعتنقت الإسلام، توفي عام (٥٣٥هـ)، ودفن بمرو.
انظر ترجمته في الطبقات الكبرى للشعراني، ص(١٩٣)، جامع كرامات الأولياء (٤٣٤/٢)، شذرات الذهب (١١٠/٤).

(٤) القلندري هو الصوفي الذي اتخذ التجرد والفقر والتسول والملامة شعاراً له، يتقمص كل غريب من الهيئات ويتعرى، ويظهر الاستخفاف بالتكاليف الشرعية وبالعرف وقد يحلق كل شعر رأسه إمعاناً في جلب الملامة إليه، ليس للقلندرية مؤسس تنسب إليه إنما هي تراكمات بدعية عبر القرون وقد يستقل القلندرية بطريقة ينسبون إليها وقد ينسبون إلى المسلك فيقال قلندري.
انظر عنهم بالتفصيل: الصوفية القلندرية تاريخها وفتوى شيخ الإسلام فيها لأبي الفضل محمد القونوي، ص (١٧-٤٦).

تربى أحمد اليسوي في منطقة امتلأت بالصوفيين الذين اعتنقوا المذهب القلندري.

وقد أثرت هذه النشأة في أشعاره، فمثل فيها مفهوم التصوف القائم على الشعور بالذاتية، وعلى الانجذاب نحو العشق الإلهي، والانشغال بحب الله وحب الناس، والتركيز على التسامح فمن أقواله:

لا تكن زاهداً ولا عابداً وكن عاشقاً

تكبد المحن وكن صادقاً في طريق العشق

طهر نفسك لتليق بتكيتك وصومعتك

فلا إيمان ولا روح لغير العاشقين[1]

أخذ أحمد اليسوي ينشر طريقته في كل أرجاء التركستان وبلاد ما وراء النهر بين القبائل التركية البدوية بتصوره الصوفي الذي تلقاه من خراسان وقد لاقت دعوته قبولاً واسعاً بين الأتراك الرحل، حتى قيل إن مريديه بلغوا تسعة وتسعين ألف مريد[2] ولاشك أن هذا رقم مبالغ فيه يؤكد ذلك الرواية الأخرى التي تجعل عدد مريديه اثنى عشر ألفاً[3].

وضع أحمد اليسوي أسس هذه الطريقة وجعل لها آداباً، وواجبات خاصة بها.

*** واجبات الطريقة:**

١- البحث عن الشخص الكامل والتقرب إلى الله عن طريقه.

٢- الشوق للوصول إلى الله تعالى.

٣- الرجاء في كل الأحوال.

٤- الذكر المستمر.

---

(1) Turkiye'de tarihin, p, (45).

(٢) المرجع السابق، ص (٦٩).

(٣) دور التصوف في انتشار الإسلام في آسيا الوسطى، ص (١٠٥).

***آداب الطريقة:**

١- الجلوس بأدب منكباً على ركبتيه.

٢- أن يرى الشخص نفسه أقل من جميع الناس.

٣- الجلوس في سكون في حضور المشايخ.

٤- عدم التحدث بدون إذن في حضور المشايخ.

٥- حفظ أسرار ورموز المشايخ في نفسه.

***خصائص المريد:**

١- التسليم التام للشيخ، وعدم فعل أي أمر دون إذن من الشيخ.

٢- أن يكون المريد ذكياً بدرجة كبيرة حتى يمكنه فهم إشارات ورموز الشيخ.

٣- أن يُظهر المريد الرضا عن كل أقوال وأفعال الشيخ.

٤- أن يكون المريد نشيطاً في خدمة الشيخ.

٥- أن يكون على استعداد تام لتوزيع كل أمواله وأملاكه من أجل الشيخ، وذلك حتى تفتح له عين الباطن.

٦- يجب أن لا يفشي أسرار الشيخ.

٧- يجب أن يكون المريد صديقاً لصديق الشيخ وعدواً لعدوه من أجل تحقيق الوصل الإلهي.

***أركان المشيخة:**

١- المعرفة. ٢- الكرم المطلق. ٣- الصدق المطلق.

٤- اليقين المستغرق. ٥- التوكل. ٦- التفكر المدقق.

٧- اليقين[1].

---

(1) Osmanli Ansiklopedisi Tarih, dedeniyet, kultur, Dr. Mustafa kora, s, (189).

تقوم طريقة أحمد اليسوي على الاعتقاد بوحدة الوجود ونشرها بين البدو الرحل من التركمان[1] كما لم يفرق بين المرأة والرجل في الطريقة فقد سمح للمرأة بدخول المسجد دون خمار وأن تجلس إلى جانب الرجل[2].

أسهم خلفاء أحمد اليسوي في نشر طريقته والتعريف بها في أماكن متعددة فقد قاموا بنشرها في وسط آسيا وبلاد ما وراء النهر حتى وصلت إلى خوارزم ودخلت إيران من هناك. ومن وسط آسيا حتى الهند وبسبب الغزو المغولي دخلوا جماعات إلى بلاد الأناضول وعملوا على نشر طريقتهم وأسسوا لهم زوايا في مناطق متعددة ضمت مريدين جداً نقلوا جميع الأعراف الشفهية الخاصة بأحمد اليسوي من وسط آسيا إليهم.

وقد أرجع أحد الباحثين السبب في انتشار الطريقة اليسوية وتلاؤمها مع الحياة البدوية التركية إلى اقتباس كثير من العادات الشامانية[3] القديمة كالموسيقى والشعر والرقص واختلاط النساء بالرجال فلو كانت معارضة لتلك العادات لم تستطع الانتشار[4].

---

(١) الرسالة الأحمدية في تاريخ الطريقة البكتاشية، أحمد سرى دده بابا، ص (٦٤).

(٢) المنهج الصوفي للطريقة البكتاشية وتأثيره على السلطة الحاكمة في تركيا، هدى درويش، ص (٣٣).

(٣) الشامانية: تطلق على اعتقادات الأقوام القاطنة في سيبيريا وهي الدين الذي كان الأتراك يدينون به قبل الإسلام والشامان يطلق على الساحر ويعتقدون فيه القدرة على الاتصال بالأرواح والقدرة على تنفيذ الرغبات تقام الطقوس الدينية، وتولع الشمعات، لاعتقادهم أن النار تزيل جميع الأوساخ المعنوية، وقد فقدت الشامانية نفوذها بين الأتراك بعد اعتناقهم الإسلام.
انظر: الموسوعة العربية العالمية (٢٤/١٤).

(٤) الأوضاع الثقافية في تركيا في القرن الرابع عشر الهجري، سهيل صابان، رسالة علمية مقدمة إلى قسم الثقافة الإسلامية، جامعة الإمام محمد بن سعود، رسالة غير منشورة لنيل درجة الدكتوراه، ص (٦٠).

وعليه يمكن اعتبار اليسوية اندماجاً مثيراً بين الثقافة البوذية[1] والشامانية والمانوية[2] قبل الإسلام من خلال الخصائص الأساسية لإيضاح الإسلام المتدثر بغطاء صوفي قلندري[3].

وقد أرست هذه الطريقة دعائم التصوف في آسيا الوسطى بشكل قوي، حيث إن أي تيار صوفي كان يرى أن عليه الأخذ من هذه الدعائم، ولا يزال تأثير أحمد اليسوي حاضراً فالآلاف من البشر يقومون كل عام بزيارة قبره للتبرك به بغية الشفاء وتحقيق الرغبات !!

ولا يزال كتابه المنسوب إليه (ديوان الحكمة) يُقرأ بغاية الاحترام والتقديس في آسيا الوسطى بل ويُحفظ من قبل الرجال والنساء وهؤلاء النسوة يقرأن الأجزاء منه في المحافل والمناسبات ويطلبهم الشعب باحترام وحب شديد ليشاركوهم مناسباتهم[4].

وهذا يؤكد استمرار أثر أحمد اليسوي في آسيا الوسطى، وهو يدل دلالة قوية على استمرار طريقته بين الشعب وهذا ما أكده باحثان فرنسيان هما جانتال ليمرسه والكسندر نيجين، فقد أثبتا أن الطريقة اليسوية بدأت تظهر بشكل جديد

---

(١) البوذية: فلسفة وضعية انتحلت الصبغة الدينية، أسسها سدهارتا جوتاما الملقب ببوذا، دعا إلى الخشونة ونبذ الترف والمناداة بالمحبة والتسامح. تحولت بعد موت مؤسسها إلى معتقدات باطلة، ذات طابع وثني. ولقد غالى أتباعها في مؤسسها حتى ألهوه.
انظر: دراسات في أديان الهند، ص (٦٣٧)، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب (٧٥٨/٢).

(٢) المانوية: من أشهر المذاهب الدينية الفارسية، أسسها ماني بن فاتك (٢١٥-٢٧٣م)، دعا إلى الإيمان بعقيدة ثنوية قوامها الصراع بين النور (الخير) والظلام (الشر) وهما إلهان أزليان، وقد امتزج الخير بالشر امتزاجاً تاماً حتى أصبح الخير شراً، لذا حرم النكاح ليستعجل الفناء، له أتباع كثيرون في آسيا وأوروبا.
انظر: الفرق بين الفرق، ص (٢٠٣)، الملل والنحل (٢٤٤/١)، قاموس المذاهب والأديان، د/ حسين علي حمد، ص (١٨٠).

(3) Turkiye'de tarihin, p, (35).

(٤) المرجع نفسه، ص (٤٦).

وصورة جديدة تماماً في النصف الثاني من القرن التاسع عشر تحت مسمى " الاتجي لر " اجتمعوا تحت قيادة شيخ يسوي يدعى " صانوار " أعدم بحجة الزندقة عام (١٨٧٠م/ ١٢٨٦-١٢٨٧هـ)، ومن ثم واصلت جهودها بسرية ووجدت أنصاراً لها من القيرغيزيا وكانوا مراقبين بسبب اجتماعاتهم السرية المختلطة، وقد انضمت هذه الفرقة إلى كل الثورات والانقلابات ضد النظام الحاكم.

وفي عام (١٩٢٠م/ ١٣٣٨-١٣٣٩هـ) أسس أبو مطلب خطيب الدين الشيخ اليسوي طريقته التي تدعي " صاجلي ايشانلر " اتهم أنصاره بالإعداد لتحركات حربية عسكرية ضد النظام السوفيتي ومن ثم صدرت عليهم أحكام كثيرة بعد إلقاء القبض عليهم.

وفي عام (١٩٥٠م/ ١٣٦٩-١٣٧٠هـ) انتشرت هذه الطريقة بين الأوزبك وطاجيك وقيرغيزيا ولا تزال هذه الطريقة تواصل وجودها [١].

كما انبثقت من اليسوية في العشرينات طريقة جديدة تسمت باسم طائفة " ايشان شفلو " وكان مركزها (أرسلان باد) في وادي فرغانة ولها مريدون في أوزبكستان وفي قيرغيزيا، وقد اكتشفت هذه الطريقة عام (١٩٦٣م/ ١٣٨٢-١٣٨٣هـ) [٢].

ومع أهمية هذه الطريقة في تلك المنطقة إلا أنها لم تكن مقتصرة عليها فقط، بل برزت طرق صوفية متعددة من أهم هذه الطرق تأثيراً وانتشاراً في المنطقة الطريقة النقشبندية والقادرية [٣]

(1) Turkiye'de tarihin, s, (47-49).

(٢) دور التصوف في انتشار الإسلام في آسيا الوسطى، ص (١٠٦).

(٣) القادرية: إحدى الطرق الصوفية تنسب إلى عبدالقادر الجيلاني، والتي انتشرت في شمال أفريقيا بعد موت منشئها بفترة وقد دخلت الطريقة الأراضي التركية على يد أشرف عبدالله الرومي ت (٨٧٣هـ) وانتشرت في إستنبول على يد إسماعيل الرومي ت (١٠٤٠هـ)، أسس أربعين تكية للطريقة في مختلف مناطق الأناضول.

انظر: Buyuk Tarikatlar – yasar nuri, s, (19-20).

والكبراوية[1].

وعليه يمكن القول بأن تاريخ آسيا الوسطى تسيطر عليه وتحكمه الطرق الصوفية منذ القرن الثاني عشر الميلادي حتى الآن.

وكما أن التصوف في الدولة العثمانية امتداد طبيعي للتصوف في آسيا الوسطى باعتبارها المنشأ الأصلي للعثمانيين فهو كذلك امتداد طبيعي للتصوف في دولة سلاجقة الروم باعتبارها الدولة السابقة للدولة العثمانية، وكما أن الدولة العثمانية قامت على أراضي السلاجقة فإنها ورثت عنهم الطرق التي كانت موجودة لديهم، حيث يعتبر عهد السلاجقة هو العهد الفعلي لتأسيس الطرق الصوفية في الأناضول كما أن قسماً مهماً من المؤلفات الصوفية تم تأليفه في عهد السلاجقة وهذا ما سيشكل المصدر الأساسي للحياة الصوفية التي ستتطور بعد ذلك في عهد العثمانيين.

وقع العالم الإسلامي في عهد السلاجقة بين محنتين عظيمتين الحروب الصليبية من الغرب والغزو المغولي من الشرق.

وقد أثار الغزو المغولي الرعب بين الناس حتى فروا هاربين ميممين شطر بلاد الأناضول وقد كانت الأوساط المتعلمة في مدن وسط الأناضول تأخذ بالثقافة الفارسية مما دفع بالعلماء والشعراء وكبار الصوفية إلى القدوم إليها فقدموا من بخارى وخراسان وفارس وقد رحب السلاجقة بالصوفية ففتحوا لهم أبواب قصورهم، وجعلوهم يقومون بإشاد السلاطين وكبار الأعيان فيها فقوي نفوذهم حتى امتد إلى طبقات الشعب مما جعل المدن السلجوقية كقونية

---

(١) الكبراوية: نشأت هذه الطريقة على يد نجم الدين الكبرا (٥٤٠-٦١٧هـ)، انتشرت في جميع مناطق آسيا الوسطى، خاصة خوارزم، وتؤدي أذكارها بشكل جهري حتى تم استيلاء الروس على المنطقة فحلت محلها أذكار الطريقة النقشبندية السرية.
انظر: دور التصوف في انتشار الإسلام، ص (١٠٦).

وقيصرية[1] وسيواس[2] تتحول إلى أشهر مراكز الصوفية في العالم الإسلامي آنذاك.

وكان ممن قدم على دولة السلاجقة:

* شهاب الدين أبو الفتوح السهروردي: سافر إلى نواحي متعددة من بلاد الشام وأصفهان وحلب حتى جاء إلى سلطنة سلاجقة الروم بآسيا الصغرى، وكان له مجلس وعظ[3].

* محي الدين ابن عربي: من مشاهير المتصوفة الذين اتجهوا إلى آسيا الصغرى واستقبلتهم سلطنة قونية بترحيب بالغ، وقد مارس ابن عربي تأثيراً كبيراً في الفكر التركي بفضل ربيبه وأشهر تلاميذه في قونية 'صدر الدين القونوي'[4] شيخ الأعاربة بقونية إذ يمكن عده شارحاً لآراء ابن عربي فكتابه (الحقوق) أشهر شرح لكتاب الفصوص وقد استمر تأثير ابن عربي بشكل كبير في الفكر التركي العثماني. ويبرز أثره في مؤلفات المولى محمد الفناري[5]، مؤسس نظام المدارس في

---

(١) قيصرية: مدينة تركية تقع وسط الأناضول بين أنقرة وملطية.
انظر: بلدان الخلافة الشرقية، ص (١٧٨)، تاريخ الدولة العلية، ص (١٩٧)، هـ (١).

(٢) سيواس: مدينة تقع في شمال شرق تركيا.
انظر: بلدان الخلافة الشرقية، ص (١٧٩-١٨٠)، تاريخ الدولة العلية، ص (١٣٩)، هـ (٤).

(٣) هو شهاب الدين أبو الفتوح يحيى بن حبش بن أميرك السهروردي، له مؤلفات منها: التلويحات اللوحية والعرشية، اللمحة، هياكل النور، حكمة الإشراق، توفي سنة (٥٨٧هـ).
انظر ترجمته: وفيات الأعيان (٤٤٦/٣)، السير (٢٠٧/٢١)، الوافي بالوفيات (٣١٨/٢).

(٤) محمد بن إسحاق الرومي، له مؤلفات عديدة منها: النفحات، التجليات، تفسير سورة الفاتحة، توفي بقونية عام (٦٧٢هـ).
انظر ترجمته في / الطبقات الكبرى، ص (٢٨٦)، جامع كرامات الأولياء (١٨٠/١).

(٥) هو محمد بن حمزة بن محمد الفناري الرومي، أول شيخ للإسلام في الدولة العثمانية، أخذ التصوف من والده الذي كان من تلامذة صدر الدين القونوي، من مؤلفاته: شرح على النصوص لصدر الدين وشرح على مفتاح الغيب له أيضاً، ورسالة في بيان وحدة الوجود توفي عام (٨٣٤هـ) ودفن في بروسه.
انظر: الشقائق النعمانية، ص (١٦-٢١)، الضوء اللامع. (٢١٨/١١)، شذرات الذهب (٣٤٢/٦).

الدولة العثمانية الذي يمثل مدرسة قونية، ولذا منعت مؤلفاته من قبل علماء مصر[1].

كذلك يبرز أثره في إصدار شيخ الإسلام في الدولة العثمانية فتوى تقر كل مؤلفات ابن عربي. كما بنى السلطان سليم الأول[2] ﷺ ضريحاً له وجامعاً حوله خلال دخوله دمشق عام (٩٢٣هـ)[3].

كذلك قام العلماء العثمانيون بترجمة مؤلفاته ووضع الشروح والتعليقات عليها حتى القرن السابع عشر.

ولعلي أختم بأبرز ما يدل على مكانة ابن عربي في الدولة العثمانية، وهو ما جرى من عزل شيخ الإسلام محمد أفندي ﷺ[4] من منصبه - وهي أول مرة في تاريخ الدولة العثمانية - لمعارضته ما جاء في كتب ابن عربي من آراء وأقوال[5].

* فخر الدين العراقي[6]: تأثر فخر الدين العراقي بمؤلفات ابن عربي وصدر الدين القونوي ونتج عن ذلك تأليف كتاب (اللمعات) ألفه في الأناضول

---

(١) تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار، ص (٣٠١).

(٢) السلطان سليم الأول بن بايزيد الثاني (٨٧٥-٩٢٦هـ) السلطان العثماني التاسع، اعتلى عرش الدولة العثمانية خلال الفترة (٩١٨-٩٢٦هـ)، لقب بياووز، أي القاطع، أول سلطان حمل لقب خليفة، دفن في استانبول.
انظر: الكواكب السائرة (٢٠٨/١)، شذرات الذهب (١٤٣/٨).

(٣) جامع كرامات الأولياء (١٦٣/١)، المنح الرحمانية في الدولة العثمانية، ص (٨٣).

(٤) هو محي الدين محمد أفندي منتشوي، حصل العلم بإستانبول على يد علماء بارزين، درس في مدارس أدرنة، بورصا وجورلو، وفي عام (٩٣٤هـ) عمل قاضياً في مصر، عين شيخاً للإسلام عام (٩٤٥هـ) عمل فيه إلى أن أقيل منه عام (٩٤٩هـ) له (الأسرار في شرح المختار) في الفقه و (حسن القارئ) في التجويد. توفي عام (٩٥٤هـ).
انظر له ترجمة في: الشقائق النعمانية، ص (٢٦٥)، الكواكب السائرة (٢٨/٢)، شذرات الذهب (٤٣٦/٨).

(5) Osmanlilarda Devlet-Tekke munasebetleri, Dr. Irfan Gunduz, p, (78).

(٦) هو إبراهيم بن شهريار الهمداني، المشهور بالعراقي فخر الدين شاعر، عالم. ولد في نواحي همدان، مات في دمشق، له ديوان شعر، وكتاب اللمعات.
انظر: معجم المؤلفين (٣٨/١).

باللغة العربية والفارسية يحوي (٢٨) لمعة كتبت كلها بتأثير فصوص الحكم[1].

* عفيف الدين التلمساني[2]: تلميذ ابن عربي استقر في سلطنة سلاجقة الروم لفترة كبيرة.

* محمد بن حسين البلخي[3]: المعروف باسم (بهاء الدين ولد) سلطان العلماء، من أصل فارسي، اتجه إلى الأناضول وفي عام (٦٢٣هـ) نزح إلى قونية إجابة لرجاء الأمير علاء الدين كيقباد فأقام فيها واعظاً حتى وفاته، ثم خلفه فيها ابنه جلال الدين الرومي الذي انتسبت إليه الطريقة المولوية وسيأتي عنها مزيد بيان بإذن الله تعالى.

* ومنهم أيضاً نجم الدين رازي الداي ت (٦٥٤هـ): من كبار متصوفة الفرس، وهو مريد سابق للصوفي نجم الدين الكبرا[4]، له كتاب (مرصاد العباد) وهو من الكتب المحببة والمشهورة في الأناضول ألفه بالفارسية وأهداه للسلطان علاء الدين كيقباد، انتشر في وسط آسيا وترجم إلى اللغة التركية في عهد مراد الثاني[5] رحمه الله[6].

---

(1) osmanli, p, (183).

(٢) هو سليمان بن علي بن عبدالله التلمساني ولد عام (٦١٠هـ) نسبت إليه عظائم الأقوال والاعتقاد من الزندقة والكفر المحض والاتحاد والحلول له كتاب شرح الفصوص، توفي بدمشق عام (٦٩٠هـ).
انظر: ترجمته في: العبر (٣٧٢/٣)، الوافي بالوفيات (٢٤٩/١٥)، شذرات الذهب (٤١٢/٥).

(٣) انظر ترجمته في / فصول من المثنوي، عبدالوهاب عزام، ص (٤-٧)، السلاجقة في التاريخ والحضارة، لأحمد كمال حلمي، ص (٢٦٣).

(٤) هو أبو الجناب أحمد عمر الخَيْوَقي الخوارزمي، يلقب (بالطاقة الكبرى)، مؤسس سلسلة الكبروية، من كبار صوفية القرن السادس، ترك مصنفات كثيرة تربى على يد جماعة من كبار الصوفية، مات سنة (٦١٨هـ). انظر: العبر (١٧٧/٣)، شذرات الذهب (٧٩/٥).

(٥) هو مراد الثاني بن محمد الأول (٨٠٦-٨٥٥هـ) وهو السلطان العثماني السادس، تولى السلطنة عام (٨٢٤هـ) على ثلاث دفعات، المؤسس الحقيقي للدولة العثمانية بعد هزيمة أنقرة، مؤسس مشيخة الإسلام العثمانية، توفي في أدرنة ودفن في بروسة. انظر: معجم الأنساب (٢٣٩/٢)، المنح الرحمانية، ص(٣٦)، تاريخ الدولة العلية، فريد بك، ص (١٥٣).

(6) osmanli, p, (183).

وغير هؤلاء كثير ممن امتلأت بهم أراضي الأناضول وقد أسهم ذلك في زيادة الطرق وانتشارها ووجدت كل طريقة لها مكاناً في تلك البلاد.

هذا الوضع بالنسبة للمدن والأوساط المتعلمة، أما المناطق الحدودية فقد كانت تسود فيها الثقافة الشعبية التركية للدراويش والغزاة، يعرف هؤلاء باسم (الأبدال) جاءوا إلى الأناضول مع أمواج الوافدين التركمان، كانوا يمثلون هرطقة تنحدر من المعتقدات الشامانية وتنسجم مع التركيب الاجتماعي العشائري.

يصف د/ محمد فؤاد كوبريلي إسلام هؤلاء بأنه "لم يكن سنياً خالصاً ولكن كان ملفقاً من التقاليد الوثنية التركية القديمة ومن عقائد غلاة الشيعة مبسطة على نحو شعبي ومن بعض مخلفات العقائد المحلية، يغطيها جميعها طلاء صوفي"[(١)].

كان هؤلاء الدراويش يحملون الأجراس والعظام حول أعناقهم، يحلقون لحاهم ويرسلون شواربهم، وفي أيديهم يحملون السيوف الخشبية، أو النباتات المعقوفة في نهايتها. وكانت تصاحبهم الطبول والمزامير التي يرقصون على أصواتها بحركات قوية، وكانت حركاتهم هذه تثير الضجة مما يدفع بالمشاهدين لكي يبتعدوا عن طريقهم ولم يكن هؤلاء يبالون بالصلاة أو الصيام[(٢)].

وحينما وصلت جحافل المغول إلى شرق الأناضول، هاجر الأهالي بمختلف طوائفهم إلى غربه وفي ظل هذه الظروف العصيبة نشأت إمارة آل عثمان فكانت نشأتها محاطة بالنفوذ المعنوي الذي تحقق للمتصوفة بسبب الغزو المغولي.

"وكما هو الحال في دولة السلاجقة يمكن فرز الطرق الدينية في الدولة العثمانية إلى قسمين رئيسين.

القسم الأول: يتضمن الطرق المعروفة التي لها تكايا تدعمها مداخيل

---

(١) قيام الدولة العثمانية، ص (١٧٠).

(٢) تاريخ الدولة العثمانية، د/ خليل، ص (٢٨١).

الأوقاف المؤسسة من قبل السلطان وكبار رجال الدولة، والتي لها تنظيم واضح وشعائر محددة ومن أشهر هذه الطرق النقشبندية، والمولوية، والخلوتية[1] والتي تتمركز في المدن وتستقطب أتباعها من الشرائح العليا في المجتمع.

القسم الثاني: يضم الطرق الباطنية التي كانت تعرف باسم الملامية، كانت أشكال عبادتها سرية وباطنية، وضمن هذا القسم كان الدراويش المتجولون، الذين عرفوا بالقلندرية والأبدال والحمزوية[2]، وكان أفرادها يعيشون بسرية في وسط الأصناف في المدن. ولم يكن لهذه الطرق علاقة بالدولة، بل كانت بشكل ما في موقع المعارضة للدولة"[3].

فالتصوف في الدولة العثمانية كان ظاهرة اجتماعية يختلف موقف الدولة منها حسب الظروف والأوضاع، فإن كان موقف الطرق موافقاً لها في سياستها الداخلية والخارجية، سادت الألفة والمحبة بين الفريقين وبادر السلاطين إلى القيام بزيارة التكايا والانتساب إلى الطريقة وإظهار التبجيل والاحترام للشيخ، وإن كان الموقف على العكس كانت النقمة والنفي ومصادرة ممتلكات الطريقة.

---

(١) الطريقة الخلوتية أحد أكثر الطرق الصوفية انتشاراً في الأناضول والروملي، مؤسسها عمر الخلوتي، دخلت الطريقة للدولة العثمانية على يد يحيى الشيرواني، ووصلت إلى إستانبول عن طريق جمال الخلوتي الذي أسس فيها أول تكية للخلوتية، ومما يلفت الانتباه في هذه الطريقة كثرة الشعب والتفرعات حتى أطلق على جمال " منتج الطرق " ولا تزال هذه الطريقة من الطرق المؤثرة في تركيا ووصل عدد تكاياها في الفترة الأخيرة (٨٩) تكية بإستانبول وحدها.
انظر:
Osmanli, p, (195) – Buyuk, p, (46).

(٢) أتباع حمزة بالي البوسنوي، أحد أقطاب الملامية التي انتشرت في عهده إلى أوسع مدى لها، انتسب إلى حسام الدين الأنقروي، أدعى المهدية، حكم عليه شيخ الإسلام أبو السعود بالزندقة والإلحاد وحكم عليه بالإعدام استمر نفوذه بين أتباعه حتى القرن السابع عشر.
انظر عنها بالتفصيل:
Osmanli toplumunda zlndiklar ve mulhldler, Ahmed yasar, p, (290-301).

(٣) تاريخ الدولة العثمانية، خليل اينالجيك، ص (٢٨٨).

وعليه يمكن القول أن التصوف أمر سابق على وجود الدولة العثمانية، فقد قامت الدولة العثمانية ونشأت وسط هذا الزخم من الطرق الصوفية ومتشبعة بالنزعة الصوفية.

ولكن ذلك لا يمنع من القول بأن الدولة العثمانية غذت هذه الطرق وعملت بشكل كبير على توسيع دائرتها وتقوية نفوذها من خلال رعايتها والاهتمام بها بل والانتساب إليها.

عوامل انتشار التصوف في الدولة العثمانية:

أولاً: الجهل بحقيقة الإسلام.

حينما اعتنق الأتراك الإسلام، لم تكن الغالبية منهم تفهم حقيقة التوحيد الذي جاء به، إنما أسلموا إسلاماً شابه كثير من المعتقدات التي توارثوها من معتقدات شامانية، ونزعات برهمية، وتقاليد مانوية. فقد أثبت الباحثون وعلماء التاريخ "أن الأتراك قد اعتنقوا ديناً بعد دين عبر تاريخهم، وكلما وجدوا مساغاً ليبدلوا دينهم نزحوا من ساحته - وهم يحملون جل آثاره - وركنوا إلى دين آخر، فخلطوا ذاك بهذا، فتقلبوا هكذا في أمواج الديانات والمعتقدات حتى وجدوا أنفسهم في رحاب الإسلام. فلم يكن تعاملهم مع الإسلام مختلفاً فحملوا جماً من معتقداتهم الوثنية وتقاليدهم الموروثة ودخلوا بها الإسلام"[1].

الغفلة عن حقيقة التوحيد الذي هو لب الإسلام، وما هم عليه من موروثات سابقة، جعلتهم يستحدثون طرقاً صوفية، رتبوا فيها أوراداً وأذكاراً، مزجوا فيها بين الإسلام ورواسب الوثنية، كما جعلتهم يقبلون بكل طريقة صوفية تنتشر بينهم، ولا يجدون غضاضة في الإيمان بها، وهذا ما يفسر كثرة الطرق في الدول التركية ومنها العثمانية.

يقول د/ أوجاق مؤكداً هذا الأمر:

---

(١) الطريقة النقشبندية بين ماضيها وحاضرها، ص (١٥-١٦).

"إن الشعب التركي بدأ إسلامه بالهوية الصوفية، وإنه حافظ على هويته هذه في كل مكان أينما وجد، ولهذا السبب فإن اعتناق الشعب التركي للإسلام في كل مكان عاش فيه الأتراك يعد نمط إسلام الأولياء المركزي"[(١)].

ويقول في موضع آخر:

"إن ثقافة الأولياء هذه أدت إلى اعتناق الأتراك الإسلام في كل مكان من وسط آسيا حتى البلقان، إن مفهوم الإسلام هذا يعرض لنا شخصية محافظة مغلفة بالخرافات والأساطير ..

لقد جاء هذا الإسلام إلى الأناضول بإضافات وتأثيرات جديدة أرسى دعائمها المتصوفون الأتراك وظهر من الأناضول حتى البلقان مع الفتوحات العثمانية ووصل إلى وقتنا الحاضر"[(٢)].

وعن هذه الحقيقة التاريخية يقول الشيخ محمد قطب حفظه الله:

"إن الدولة العثمانية قد شجعت الصوفية ولاشك، ورسختها في ربوع العالم الإسلامي باعتناق حكامها وعلمائها لها. ولكن من التجاوز أن نقول إنهم هم الذين أدخلوها ابتداء .. بل الأحرى أن نقول إن الأتراك أنفسهم قد ابتلوا بها عند دخولهم في الإسلام لأنها كانت هي الصورة الشعبية عندئذ للإسلام !! فإن كانوا هم قد زادوها رسوخاً .. فقد كان هذا اعتقاداً منهم أنهم بذلك يخدمون الإسلام"[(٣)].

ثانياً: الجهل بلغة القرآن الكريم.

نزل القرآن الكريم على نبينا محمد ﷺ بلسان عربي مبين، نزل بلغة قريش الذين أرسل النبي ﷺ بين أظهرهم، فسمعوه، ووعوه، وعرفوا حقيقة ما جاء به من

---

(1) Turkiyede tarihin, p, (32).

(٢) المرجع نفسه، ص (٨٠).

(٣) كيف نكتب التاريخ الإسلامي، ص (١٧٥).

التوحيد الخالص، ونبذ عبادة الأصنام، وجميع صور الشرك والوثنية. ولذا من كفر منهم ولم يرد إلا عبادة الأصنام وقف في وجه هذه الدعوة معانداً مكابراً لها، ومعذباً لمن آمن بها.

ومن آمن منهم بهذه الدعوة، آمنوا به على حقيقته، تخلو عن كل ما شاب نفوسهم من الشركيات والوثنيات، وحققوا التوحيد الذي أراده الله منهم، ففتحوا بذلك البلاد وقلوب العباد لهذا الدين، ولم يدانيهم في إيمانهم قوم ممن جاء بعدهم.

اتسعت مساحة الإسلام ودخل فيه من لا يعرف هذه اللغة ولا يعي منها شيئاً وكان هذا حال الأتراك فقد أسلموا وهم لا يعرفون من أمر هذه اللغة شيئاً، ولا يفهمون شيئاً مما جاء به الإسلام، وإنما تعرفوا على هذا الدين والأمور الشرعية الضرورية منه عن طريق الترجمة – ومن المعلوم سلفاً أن الفائدة من الترجمة تعتمد على صحة الترجمة وكفاءة المترجم – ولا اختلاف أن تعليم مسائل التوحيد الصحيح لإنسان ظل طوال عمره في ظلمات الشرك والجهل والوثنية أمر في غاية الصعوبة ويحتاج إلى جهد ووقت مضاعف. فكيف بأمة عاشت طوال وجودها بين براثن الشرك والجهل، والديانات المتعددة، وفوق ذلك لا تعي شيئاً من القرآن ؟!! هذا الوضع دفعها حين دخلت في الإسلام أن تستحدث طرقاً خلطت فيها بين وثنياتها والدين الجديد مثل: البكتاشية، البيرامية، الحروفية، الخلوتية .. إلخ مما هي من صنع الأتراك كما تدل على ذلك ألفاظها[1].

ثالثاً: بعد المسافة بين مراكز العلم والحكم وبلاد الأتراك.

عندما اتسعت البلاد الإسلامية وانتشر الإسلام في المناطق البعيدة النائية عن مراكز العلم والحكم كبلاد خراسان وفارس وما وراء النهر، بدأ فيها الانحراف عن صراط الله المستقيم، وظهور كثير من الطرق الصوفية هناك. إلا أن

---

(١) انظر الطريقة النقشبندية بين ماضيها وحاضرها، ص (١٦-١٧).

بُعد هؤلاء عن مراكز العلم قلل من وجود العلماء الذين يصححون الطريق، ويدلون إلى الحق.

وأما الدول فإنها لا تخلو من فتن داخلية وخارجية - كما هو مفصل في كتب التاريخ - شغلتها عن القيام برد البدع وقمعها، ولا ريب أن لهذا العجز أثره في استفحال أمر التصوف هناك، حتى كوَّن المشايخ لهم نفوذاً لا يستهان به، واستعبدوا الناس ووصل نفوذهم إلى الحد الذي ينافس فيه نفوذ السلطان نفسه، وهذا ما دفع السلاطين إلى الخوف من قمعهم ورد بدعهم، بل واتسع الخرق على الراقع حينما أصبح السلاطين يتوددون إليهم ويغدقون عليهم الأموال وينتسبون إلى طرقهم حتى وصلوا إلى ما وصلوا إليه من انتشار على امتداد العالم الإسلامي والله المستعان.

رابعاً: الغزو المغولي.

حينما اجتاح الغزو المغولي العالم الإسلامي أدى ذلك إلى هجرات مكثفة ممن اعتنق تلك الطرق الصوفية المنتشرة في بلاد ما وراء النهر وغيرهم إلى بلاد الأناضول وقد كان ذلك بسبب ما توفر في تلك البلاد من الاستقرار السياسي وبعدها عن خط الاجتياح المغولي "فأناضول القرن الثالث عشر هي بلدة مثيرة جرت فيها كيانات ثقافية مهمة بجانب التغيرات الاجتماعية والسياسية، حكمت فيها دولة السلاجقة، وحققت استقرارها السياسي، وقويت في بداية هذا القرن حتى أصبحت المنطقة المفضلة للتيارات الصوفية المختلفة وملجأ للمتصوفين الفارين من أمام الغزو المغولي"[1].

وحينما وصل الاجتياح إلى أرض الأناضول، أثار ذلك الرعب في أفئدة الناس، فلم يجدوا غير تكايا الصوفية يلجؤون إليها؛ رغبة في توفير المسكن والمأكل بلا كدح ولا تعب، تاركين الدولة السلجوقية تسقط بين براثن المغول.

(1) Turkiyede tarihin, p, (127).

وقد يصور بعض الكُتَّاب ذلك بأن الصوفية وفروا الملاذ الآمن للناس وكانوا اليد الحانية المنقذة، وما علموا أن الأمن الذي توفر لبعض الطرق الصوفية وتكاياها إنما هو بسبب تواطؤ تلك الطرق الصوفية مع المغول وتعاونهم معهم كما سيأتي ذكره عند الحديث عن المولوية.

ومن الطبيعي جداً أن يلجأ الناس في هذه الحالة من الفزع والاضطراب والحرب إلى المكان الذي تتوفر فيه احتياجاتهم من الأمن والغذاء وهما من أكبر النعم، وهكذا امتلأت التكايا الصوفية بهؤلاء الناس وكانت النتيجة الطبيعة هي انتساب هؤلاء الناس لتلك الطرق والاعتقاد بها وتقديس مشايخها لما رأوا، ظناً منهم أنه كرامة لهؤلاء المشايخ، واعترافاً بفضلهم، وهكذا انتشرت تلك الطرق انتشاراً واسعاً في أرض الأناضول وقد استمر ذلك إلى قيام الدولة العثمانية وحتى سقوطها.

خامساً: رعاية السلاطين العثمانيين للطرق الصوفية.

يعد هذا العامل من أهم العوامل المساهمة في نشر التصوف، وتقويته في الدولة العثمانية - ولولا التسلسل التاريخي لكان الأولى بالتقديم -.

قامت الإمارة العثمانية كما سبق أن ذُكر في بيئة تُشكل فيها الطرق الصوفية عصب الحياة، ويمثل فيها المشايخ القوة النافذة على حياة المريدين. فرغبة في استغلال هذه القوة وتوجيهها لتدعيم وجود الدولة واستمرارها وتوسيع حدودها، كانت الأسرة الحاكمة وأصحاب النفوذ والجاه في الدولة، يقومون بين الحين والآخر بوقف أموال و عقارات، وإنشاء زوايا وتكايا، بل "كانت الدولة تصدر الأوامر بين الحين والآخر إلى مختلف الدوائر الحكومية في مختلف الولايات تؤكد فيها على احترام المشايخ، والاهتمام بتنظيم أمور الطرق وتسهيل مهماتها وتخصيص رواتب للمشايخ ونفقات للتكايا"[1].

(١) أرشيفات رئاسة الوزراء التركية باستانبول في دفتر، مكتوبي قلمي، عموم ولايات (١٢٦٦هـ) المجلد الأول، عموم الصفحات. نقلاً عن الأوضاع الثقافية في تركيا في القرن الرابع عشر، ص (٥٩).

وقد اكتسب رجال الطرق بذلك مكانة اجتماعية مرموقة، ونفوذاً سياسياً عالياً؛ زاد في قوة الطريقة كثرة أتباعها ومريديها من مختلف الطبقات الاجتماعية، وخاصة الأغنياء.

هذا النفوذ للطرق المستمد من الامتيازات الممنوحة لهم، ومن المحيط الكبير الذي يحيط بالشيخ من المتصوفة كان نصب أعين السلاطين لتوظيفه لصالح قيام الدولة واستمرارها لذا فقد كان الاهتمام بالطرق الصوفية متزامناً مع قيام الإمارة العثمانية. فقد ذكرت المصادر أن عثمان بن أرطغرل[1] ﷺ قد أحاط نفسه برجال الطريقة الآخية فقد كان حريصاً على زيارة شيخ يقيم في قرية قريبة من اسكي شهر يدعى أدبالي[2] كان مشهوراً بالعلم والعرفان، وقد وثق عثمان صلته به بأن تزوج ابنته وقد عقد نكاحهما أحد مريدي الشيخ[3].

ومن ثم ولاه منصب الإفتاء، وبعد وفاته استخلف عليه الشيخ طورسون فقيه[4] الذي أذن له عثمان ﷺ بأن يخطب الجمعة في (قاراجه حصار) باسمه وأن يخطب العيد في (اسكي شهر) باسمه أيضاً.

وبعد وفاته كان اختيار (أورخان)[5] ﷺ ليحل محل والده عن طريق

---

(١) عثمان بك بن أرطغرل، السلطان عثمان الأول (٦٥٦-٧٢٦هـ)، المؤسس للإمارة العثمانية، كانت سلطنته خلال الفترة (٦٨٧-٧٢٦هـ)، قام بتثبيت أقدام الدولة الكاملة المقومات، توفي في بروسة.
انظر: معجم الأنساب (٢٣٩/٢)، شذرات الذهب (٦٨/٦)، المنح الرحمانية، ص(٨).

(٢) هو الشيخ أدبالي، درس في الشام وتتلمذ على يد علماء عصره، استقر في اسكي شهر، وكان القضاء والإفتاء في بداية عهد الدولة مستنداً إليه، توفي في بلجك عام (٧٢٥هـ).
انظر: الشقائق، ص (٦-٧).

(3) osmanlilarda Devlet-tekke munasepetleri, p, (71).

(٤) هو طورسون فقيه من بلاد قرامان، بعد وفاة أده بالي قام مقامه في الفتوى وتدبير أمر السلطنة وتدريس العلوم الشرعية. انظر: الشقائق النعمانية، ص (٧).

(٥) هو أورخان بن عثمان، (٦٨٠-٧٦١هـ)، تولى السلطنة عام (٧٢٧هـ)، نظم الإدارة في عهده، فنظم العملة والجيش توفي عام (٧٦١هـ) ودفن في بروسه.
انظر: معجم الأنساب (٢٣٩/٢)، المنح الرحمانية، ص(١٩)، تاريخ الدولة العثمانية، يلماز (٩٣/٢).

مشايخ الآخية رغم وجود أخيه الأكبر (علاء الدين) فتم له تقلد هذا المنصب[1].

ارتبط هذا السلطان ارتباطاً وثيقاً بالشيخ كيكلي بابا[2] فكان دائم الزيارة للشيخ، والسبب في ذلك يفهم من وثيقة تتحدث عن مناقبه في (أرشيف) رئاسة الوزراء التركية أن مريدي الشيخ من القلندرية قد ساعدوا أورخان ﷺ في حروبه، فلذلك لقي تعظيمه، وكانت عطاياه تأتيهم. ومن عجيب ما روته الوثيقة أن أورخان أرسل إليه بعض ما يتعاطاه القلندرية من الخمور معللاً ذلك بقوله: إن كيكلي بابا مدمنها !! [3]

هذا التحالف بين الإمارة التركمانية الناشئة وبين طوائف القلندرية والآخية يعلله فؤاد كوبريلي: بجهل زعماء التركمان بالمسائل العقدية في بدء تأسيس دولتهم[4].

أما الأمير (مراد الأول) [5] ﷺ فقد أثبتت الوثائق التاريخية أنه كان رئيساً على الآخية وأنه هو الذي كان يعطي العهد فيها. وقد ثبت في وقفية السلطان مراد الأول المؤرخة بتاريخ مارس(١٣٦٦م/ ٧٦٧هـ) أنه لقب "بملك المشايخ

---

(1) osmanlilarda Devlet-tekke, p, (16).

(٢) هو كيكلي بابا، من الذين عاصروا بداية دولة آل عثمان، من قلندرية الطريقة الوفائية، توطن قريباً من مدينة بروسا ومات هناك ودفن بذلك الموضع، بنى أورخان على قبره قبة، وقبره يزار، يلقب بالغزال، لزعمهم أنه كان مسخراً له فكان يركبه دائماً !!
انظر: الشقائق النعمانية ، ص (١١).

(٣) القلندرية الطريقة المنبوذة في العصر العثماني، أحمد يشار، ص (٨٤)، ترجمها محمد القونوي في كتابه القلندرية، ص (١٢٣).

(٤) الإسلام في الأناضول، ص (٦٣-٦٤)، ترجمة محمد القونوي في القلندرية، ص (١٢٣).

(٥) مراد بن أورخان، السلطان العثماني الثالث، تولى السلطنة عام (٧٦١هـ)، لقب باسم (خداوندكار) وهو لفظ يعني الحاكم، كان جسوراً، منظماً، نشيطاً، قتل في معركة كوسوفا على يد أمير صربي جريح نقل جثمانه إلى بروسه ودفن فيها عام (٧٩١هـ).
انظر: معجم الأنساب (٢/٢٣٩)، شذرات الذهب (٦/٣٣٢)، تاريخ الدولة العلية، فريد، ص(١٢٩).

مراد الغازي • وأنه بنى زاوية للآخية ونصب أحدهم رئيساً عليها، وهذا السبب هو الذي جعل آخية أنقرة يسلمونها له دون مقاومة حينما سار إليها[1].

وفي عهد (مراد الثاني) ﷺ انتشرت الطرق الصوفية أكثر من العهود السابقة له، وقد أرجع الباحثون ذلك إلى شخصية السلطان المتسمة بالهدوء، والميل إلى الخلوة، والانزواء والانشغال بالرياضة[2]، وفي عهده زاد نفوذ الشيخ المتصوف حاجي بيرام[3] حتى استطاع أن يحيط بأفكاره ونفوذه كل أرجاء الدولة العثمانية.

أظهر له مراد الثاني ﷺ كل الاحترام والتبجيل والمحبة - حينما استقبله في قصره - وأعطى تعليماته لكل من حوله بأن يكونوا في خدمته ويعملوا على راحته، وفي خاتمة اللقاء قال له: لتجعلني عبداً لك !!

ومنذ ذلك الحين أصبح متنسباً له.

كما أصدر قراراً بإعفاء كل المتنسبين له من كل الضرائب الحكومية. وكان لهذا القرار صدى كبيراً في انضمام كثير من الأهالي للطريقة البيرامية[4].

ويعتبر د/ خليل أن فعله هذا يمثل دون شك محاولة مدروسة لتوسيع نفوذه وسط الشعب[5].

---

(1) osmanlilarda Devlet-tekke, p, (18).

(٢) المرجع السابق، ص (٢٧).

(٣) هو الحاج بيرام كان فلاحاً بأنقرة، أحد دراويش الملامية، أسس الطريقة البيرامية، من القائلين بوحدة الوجود، كان له ولطريقته تأثير كبير على الأناضول في عهده من أهم مريديه (دده عمر) الذي يعد الشيخ الثاني عندهم نشر فكر وحدة الوجود في الأناضول والروملي، وآق شمس الدين، ويازجي زاده محمد مؤلف منظومة (المحمدية) توفي عام (٧٩٦هـ).

انظر عن طريقته بتوسع في/ * zindiklar vemullidler, p, (251-304)
* osmanil, p, (199).
* تاريخ الدولة العثمانية، د/ خليل، ص (٢٨٩-٢٩١)

(٤) انظر بالتفصيل اللقاء بين السلطان مراد والحاج بيرام في:
Tarikatlarin turk, p, (154-178).

(٥) تاريخ الدولة العثمانية، ص (٢٩٠).

وقد عهد مراد الثاني ﷺ بتربية ابنه "محمد الفاتح"[(١)] ﷺ إلى شيخ من مشايخ الطريقة البيرامية وهو "آق شمس الدين"[(٢)] بناءً على ترشيح من الشيخ حاج بيرام نفسه وقد كان لهذا الشيخ مكانة عظيمة لدى محمد الفاتح فقد ذكر عنه القول:

"إن احترامي لهذا الشيخ أمر ليس بيدي، فعندما أكون بجانبه ارتعد من الخوف، وترتعش يداي، أما بقية المشايخ فهم الذين يرتعشون من الخوف عندما يكونون بجانبي"[(٣)].

أوكل إليه السلطان محمد الفاتح ﷺ إلقاء خطبة الجمعة في جامع أيا صوفيا بعد الفتح، وعهد إليه بتدريس التفسير فيه[(٤)].

وأما (بايزيد الثاني)[(٥)] ﷺ فقد أُطلق عليه لقب بايزيد الصوفي، لما عُرف عنه من حبه لأهل التصوف والذهاب إليهم باستمرار[(٦)].

---

(١) محمد بن مراد الثاني، السلطان السابع، تولى الحكم بعد وفاة والده عام (٨٥٦هـ) لقب بالفاتح، لفتحه القسطنطينية سماها (إسلام بول)، ومنذ ذلك الوقت أصبحت عاصمة الدولة العثمانية من أعظم سلاطين آل عثمان، وأكثرهم جهاداً للكفار توفي في طريقه إلى الحرب، دفن في استانبول عام (٨٨٦هـ).
انظر: خلاصة الأثر (٦١/٣)، شذرات الذهب (٢٨٠/٧)، تاريخ الدولة العلية، فريد، ص (١٦٠).

(٢) هو محمد بن حمزة الشهير بآق شمس الدين، ولد بدمشق، ثم أتى مع والده هو صبي إلى بلاد الروم، كان طبيباً للأبدان وله تصانيف، حضر مع السلطان فتح القسطنطينية، ويقال إنه هو من عين قبر أبي أيوب الأنصاري ﷺ، عاد إلى قصبة كونيك وبها مات ودفن عام (٨٦٣هـ).
انظر: الشقائق النعمانية، ص (١٣٨-١٤٢)، جامع كرامات الأولياء (٢٢٣/١-٢٢٤).

(٣) العثمانيون، لمحمد حرب، ص (٤٦٥).

(٤) تاريخ الدولة العثمانية، يلماز أزوتونا (١٤١/١).

(٥) بايزيد الثاني ابن السلطان محمد هو السلطان العثماني الثامن، تولى عرش الدولة العثمانية (٨٨٦-٩١٨هـ)، تنازل عن العرش لابنه سليم الأول عام (٩١٨هـ)، توفي في قرية (آبالر)، نقل جثمانه إلى استانبول ودفن بها.
انظر: الكواكب السائرة (١٢٢/١)، شذرات الذهب (٨٦/٨).

(6) osmanlilarda Devlet-tekke, p, (26).

وإلى الطريقة الخلوتية انتسب السلطان (سليم الأول) فقد انتسب إلى الشيخ سنبل سنان[1] مؤسس الطريقة السنبلية فرع للطريقة الخلوتية، وصاحبه وكان يشارك في المجالس التي يعقدها، وكان السلطان سليم يكرمه ويحسن إليه كثيراً. وعندما توفي أقام له مراسم جنازة كبيرة[2].

وقد ذكر عنه أنه كان مؤمناً بفلسفة وحدة الوجود[3]، وإذا كان الأمر كذلك فمما لاشك فيه أنه قد أخذها عن أحد مشايخ الطرق.

أما السلطان (سليمان القانوني)[4] ﷺ فقد ظل طوال عهده يظهر مودته وحبه للمشايخ وكبار رجال التصوف، حيث كان يؤسس لهم التكايا، ويصلح القديمة منها، ويزورهم، ويعتني بهم، وقد جدد عدة أضرحة لكبار رجال التصوف مثل عبدالقادر الجيلاني[5]، وجلال الدين الرومي وغيرهم.

كما كانت له علاقة قوية بالشيخ مركز أفندي[6] أحد مشايخ الخلوتية،

---

(١) هو سنبل سنان، ولد في مارزيفون، أتم تربيته وتعليمه الصوفي علي يد جلبي خليفة أول وأكبر ممثل للخلوتية في إستانبول. أسس تكية في حي قوجه مصطفى باشا توفي في إستانبول عام (٩٣٦هـ).
انظر: Tarikatlarin Turk, p, (181).

(2) Tarikatlarin Turk, p, (182).

(٣) تاريخ الدولة العثمانية، يلماز (٢٣٨/١).

(٤) سليمان ابن سليم، السلطان العثماني العاشر، تولى عرش الدولة العثمانية بعد وفاة والده (٩٢٦هـ) لقب بالقانوني لوضعه قوانين تنظيمية للدولة، بمتابعة من المفتي أبو السعود أفندي، دامت سلطنته (٤٧ سنة و٤ أشهر)، توفي عام (٩٧٣هـ).
انظر: الكواكب السائرة (١٥٦/٣)، شذرات الذهب (٣٧٥/٨)، تاريخ الدولة العثمانية، يلماز (٣٥٤/١).

(٥) هو عبدالقادر بن موسى بن عبدالله الجيلاني، ولد بجيلان من بلاد فارس عام (٤٧١هـ)، سلك طريق التصوف على يد حماد الدباس، اشتغل بالتدريس والوعظ ونشر التصوف، فعظم جاهه واشتهر أمره إلى وفاته عام (٥٦١هـ).
انظر: السير (٤٣٩/٢٠)، العبر (٣٦/٣)، الطبقات الكبرى، ص (١٨١).

(٦) هو مصلح الدين أفندي، ملقب بمركز، من خلفاء الشيخ سنبل سنان، تميز بالذكاء وقوة الحفظ، بعد أن تم تعليمه خدم مفتي بورصة، توفي عام (٩٥٩هـ)، دفن في المنطقة التي تعرف باسمه خارج يني قابي. =

تقرب إليه القانوني حينما عين مرشداً في الجامع الذي بنته والدته. وكان السلطان يشترك معه في مجالسه، ويذهب لزيارته عندما يخرج لأي حملة ويحصل منه على الدعاء بالخير والتوفيق[1].

وإلى نفس الطريقة انتسب (مراد الثالث)[2] ﷺ وكان لشيخها مكانة مؤثرة إلى حد أن أي راغب بمنصب من المناصب فإن عليه أن يزور الشيخ أولاً[3].

أما السلطان (أحمد الأول)[4] ﷺ فقد بدأ انتسابه لها أثر رؤيا رآها ففسرها له الشيخ عزيز خداي[5] فأعجب بها وقبل يده ورجاه أن يقبله مريداً في طريقته، وبذلك انتظم السلطان في مجالسه، بل وكان يصب الماء على يديه، كما أنه أنشأ جسراً بين قرية الشيخ وبين مقره حتى يداوم على زيارته، أما في الأوقات

= انظر: الشقائق النعمانية، ص (٣١٧).

Tarikatlarin Turk, p, (183-184).

(1) Tarikatlarin Turk, p, (183).

(٢) مراد الثالث بن سليم الثاني، السلطان الثاني عشر، تولى السلطة بعد وفاة والده عام (٩٨٢هـ) دامت سلطنته عشرون عاماً، شاعر، خطاط، له كتاب عن التصوف، توفي عام (١٠٠٥هـ).

انظر: خلاصة الأثر (٣٤١/٤)، البدر الطالع (٣٠١/٢).

(٣) تاريخ الدولة العثمانية، د/ خليل، ص (١٥٧).

(٤) أحمد الأول بن محمد الثالث، السلطان الرابع عشر، تولى السلطنة خلال الفترة (١٠١٢-١٠٢٦هـ) توفي في استانبول ودفن في حضيرة جامع السلطان أحمد.

انظر: خلاصة الأثر (٢٨٤/١)، المنح الرحمانية، ص (٢٧٩)، تاريخ الدولة العثمانية، يلماز (٤٥٤/١).

(٥) هو عزيز محمود خداي، من مشايخ الطريقة الخلوتية، ولد عام (٩٤٨هـ)، عين قاضياً على بورصة، واشتغل بالتدريس والإرشاد عام (٩٨٨هـ)، ثم استقر في إستانبول، له آثار كثيرة للموسيقى التركية الكلاسيكية كالتواشيح، والإلهيات، والنعت النبوي، والموسيقى التركية الدينية الحالية إنما هي من أعماله، توفي عام (١٠٣٥هـ).

انظر:

Tarikatlarin Turk, p, (185-186).

التي يكون فيها مشغولاً فقد كان يرسل نائباً عنه لزيارة الشيخ وتقبيل يده بالنيابة عنه وتحصيل الدعاء.

استمر هذا الوضع في الدولة العثمانية إلى سقوطها فقد كان السلطان عبدالحميد[1] ﷺ آخر سلاطين الدولة العثمانية الفعليين يتقرب إلى الطرق الصوفية، وكان يحيط به أربعة من مشايخ الطرق الصوفية، وقد كان لأبي الهدى الصيادي[2] من أتباع الطريقة الرفاعية[3] مكانة خاصة به، حيث كان موضع ثقة السلطان[4] وقد أدى ذلك إلى اشتهار طريقته وانتشارها بين أهل الأناضول، بل وصارت أحزابهم وأورادهم تتضمن الدعاء له ولدولته. وظل هذا الوضع حتى خُلع السلطان عام (١٩٠٩م/ ١٣٢٦هـ).

---

(١) السلطان عبدالحميد الثاني بن عبدالمجيد، هو السلطان (٣٤) من سلاطين آل عثمان، تولى عرش الدولة العثمانية عام (١٢٩٣هـ) كان أعظم سلاطين الدولة في آخر عهدها، خلع بمؤامرة يهودية في عام ١٣٢٧هـ). توفي عام (١٣٣٦هـ).
انظر: المنح الرحمانية، ص (٥٨٧)، تاريخ الدولة العثمانية، يلماز (٩٥/٢).

(٢) هو محمد بن حسن وادي بن علي الصيادي الرفاعي الحسيني، ولد في خان شيخون عام (١٢٦٦هـ)، تعلم بحلب وولي نقابة الأشراف فيها، اتصل بالسلطان عبدالحميد الثاني، فقلده مشيخة المشايخ، استمر في خدمته زهاء ثلاثين سنة، كان حاد الذكاء، له تصانيف منها: قلادة الجواهر في ذكر الغوث الرفاعي وأتباعه الأكابر، فرحة الأحباب في أخبار الأربعة الأقطاب، الجوهر الشفاف، تنوير الأبصار، السهم الصائب وغيرها. نفي إلى جزيرة الأمراء في رينكيبو لما خلع السلطان. توفي بها عام (١٣٢٨هـ).
انظر ترجمته: الأعلام، للزركلي (٩٤/٦).

(٣) تنسب الطريقة الرفاعية لأحمد الرفاعي، ويطلق عليها الأحمدية، دخلت مبكراً إلى أراضي الأناضول على يد تاج الدين بن أحمد الرفاعي مع جمع غفير من مريديه وفد بهم إلى الأناضول وأقام في أماسيا، وقد ذكر الرحالة ابن بطوطة في رحلته أنه شاهد زوايا لهم، اشتهروا عن الطرق الأخرى باقتحام النار واللعب بالحيات والأفاعي والضرب بالشيش وغيرها.
انظر: كتاب الرفاعية لدمشقية،
Osmanli, p, (201).

(٤) مذكرات السلطان عبدالحميد، ترجمة محمد حرب، ص (١٥١).

وبعد هذا العرض يمكن القول أن الحكام العثمانيين قد أعطوا لمشايخ الطرق الصوفية امتيازات وصلاحيات واسعة حتى كانوا بمثابة المساعد للتشكيل السريع للطرق الصوفية من خلال الإمكانيات المادية للدولة والمعنوية أيضاً.

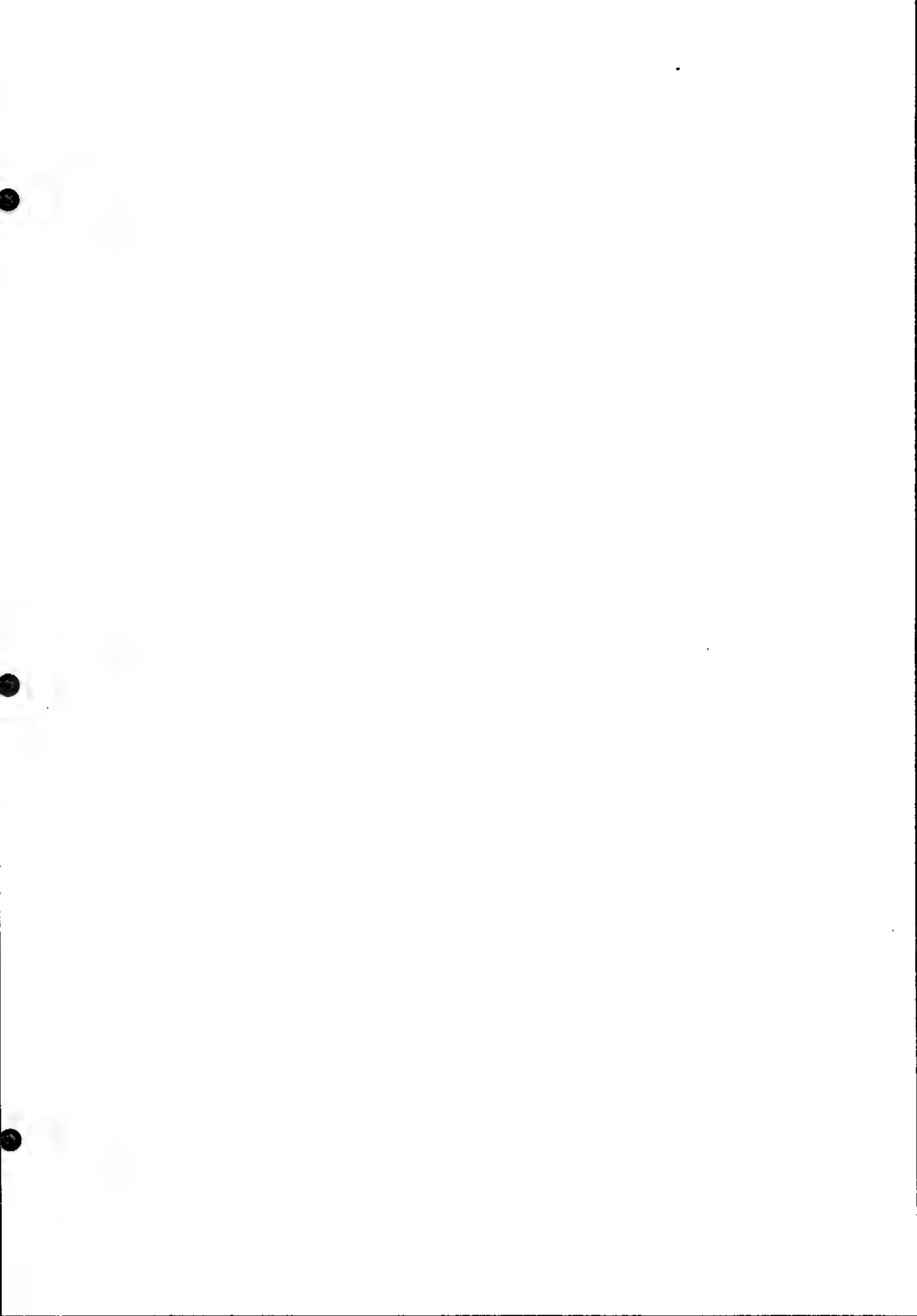
الفصل الأول

الطريقة البكتاشية

المبحث الأول: نشأة الطريقة البكتاشية.

المبحث الثاني: العقائد التي تؤمن بها الطريقة البكتاشية.

المبحث الثالث: علاقة الطريقة البكتاشية بالدولة العثمانية.



المبحث الأول
نشأة الطريقة البكتاشية

البكتاشية طريقة صوفية شيعية نشأت في القرن الثالث عشر الميلادي، تنسب إلى الحاج بكتاش ولي لذا فقد أطلق على أتباعها "البكتاشيين" كما أطلقوا على أنفسهم اسم "اللطفاء" لزعمهم أن نفوسهم قد بلغت درجة عالية من اللطف والرقة والشفافية[1].

والبكتاشية لفظ يقصد به الإنسان الكامل وهي - في زعمهم - نقطة برزخية كبرى لها وجهتين الأولى خارجية تطل على الناس، والثانية داخلية وتطل على الله تعالى[٢].

مؤسس الطريقة:

يذهب بعض الباحثين إلى أن الحاج بكتاش من أتراك وسط آسيا[٣]، أما بعضهم الآخر فيرى أن نسبه يعود إلى علي بن أبي طالب ﷺ. وقد أجمع البكتاشيون على صحة القول الثاني ويقولون:

هو محمد بن إبراهيم الثاني بن موسى بن إسحاق بن محمد إبراهيم بن حسن بن إبراهيم بن مهدي بن محمد بن حسن بن إبراهيم بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن زين العابدين بن الحسين بن علي ﷺ.

ولد في نيسابور[٤] عام (٦٤٦هـ)، والده إبراهيم الثاني من السادات الكاظميين كان أميراً على إحدى المقاطعات، ووالدته تدعى خاتمة يذكرون أنها

---

(1) Tarikat aliyye Bektasiyye, p, (17).
(2) Melamilik vp bektasilik, p, (20).
(3) Buyuk tarikatlar, p, (33).

(٤) نيسابور: مدينة تقع في الشمال الشرقي لإيران.
انظر: بلدان الخلافة الشرقية، ص (٤٢٤).

كانت متبحرة في علم الظاهر و الباطن، توفي عن عمر يناهز الثانية والتسعين سنة، وذلك عام (٧٣٨هـ) في قيرشهر[١] ودفن بها[٢].

تولى تعليمه أحد خلفاء أحمد اليسوي وهو الشيخ لقمان براندا الخرساني[٣]. وثمة معلومات تشير إلى أن الحاج بكتاش كان مريداً لأحمد اليسوي وأنه سلمه الأمانات التي كانت معه وهي التاج والخرقة والسجادة وقال له: "يا حاجي بكتاش ولي هذه قسمتك ونصيبك فخذه، وأبشرك ببشارة هي أنك أصبحت في مرتبة قطب الأقطاب وسيدوم حكمك أربعين عاماً، وقد كنا له أهلاً حتى الآن، فلتكن أنت أهلاً له؛ فهيا اذهب إلى بلاد الروم وقد جعلتك شيخاً على صوفيتها"[٤].

ولعل القول الأول هو الأقرب إلى الصواب فبينهما أربعة وثمانون عاماً، فلا إمكانية لتعارفهما أو التحدث والالتقاء بينهما، لكنه ربما تعرف بأحد خلفاء اليسوي وتأثر به.

بعد أن حصل الحاج بكتاش على إجازة من شيخه، قرر الاعتزال عن العالم، واختلى مدة طويلة للمجاهدة والرياضة.

وجهه شيخه إلى الروم لنشر طريقته هناك. فغادر خراسان متجهاً نحو النجف لزيارة قبر علي ﷺ، ومنه إلى مكة مؤدياً فريضة الحج ومنها

---

(١) قيرشهر: مدينة تركية تقع غرب قيصرية على نحو ثمانين ميلاً.
انظر: بلدان الخلافة الشرقية، ص (١٧٩).

(٢) الرسالة الأحمدية في تاريخ الطريقة البكتاشية، ص (٧-٨).

(٣) هو لقمان براندا لم يعثر على هذا اللقب في الآثار والكتب التي تبحث في مناقب الأولياء إلا أن هناك معلومات تقول إنه كان شيخاً عظيم القدر، مدفون في (هراة) وكانت تكيته وقبره وقفاً مشهوراً في القرن الحادي عشر.
انظر: المتصوفون الأولون في الأدب التركي، محمد كوبريلي، ص (١٠٥-١٠٦)، هـ (٢).

(٤) المتصوفون الأولون في الأدب التركي، ص (١٠٨).

إلى المدينة المنورة لزيارة قبر النبيﷺ، ثم طاف عدداً من البلدان حتى وصل إلى الأناضول ودخلها عام (٦٨٠هـ)، فأتى مدينة (قيرشهر) وأنشأ تكيته بها فتوافد عليه المريدون(١).

ويرى د/أوجاق أن دخول الحاج بكتاش إلى الأناضول بسبب الغزو المغولي فيقول: "إن الحاج بكتاش أحد المتصوفين الروحانيين المتسبين إلى التيار القلندري المعروف بشيوخ خراسان، جاء إلى الأناضول في صورة أحد الدراويش الحيدريين(٢) ضمن الشيوخ الرحل الذين غادروا البلاد أمام الغزو المغولي في القرن الثالث عشر، جاء الحاج بكتاش على رأس عشيرة تركمانية مرتبطة به (٣).

ارتبط الحاج بكتاش في الأناضول بالطريقة البابية. وأصبح أحد أتباع بابا إسحاق الذي قاد في عام (١٢٤٠م/ ٦٣٧-٦٣٨هـ) تمرداً بابياً ضد الدولة السلجوقية(٤).

---

(١) الرسالة الأحمدية، ص (١٠-١١)، المنهج الصوفي للطريقة البكتاشية، ص (٨).

(٢) الحيدرية: طريقة صوفية تنسب إلى مؤسسها قطب الدين حيدر الذاوئي المتوفي عام (٦١٨هـ)، تأسست تلك الطريقة في منطقة خراسان وما حولها، معروف عنه أنه حلق لحيته وأطلق شاربيه، أما مريدوه فقد كانوا يشتهرون بتعليق الحلقات الحديدية على كل أعضاء جسدهم كالأنف والقدم والأذن. وكانوا يتصفون بأنهم مجاذيب متجولون لا أرض لهم ولا وطن، انتشرت طريقتهم في إيران وتركستان والهند والأناضول.
انظر: Islam Ansik, T.D. vak, p, (64).

(3) Turkiye'de tarihin, p, (158).

(٤) البابية طريقة شيعية – صوفية أسسها بابا إلياس القادم من خراسان في القرن الثالث عشر الميلادي في الأناضول خلفه على الطريقة بابا إسحاق الذي زعم أن النبي ﷺ بعد وفاته انتقلت روحه إلى أعلى وامتدت إليه النبوة؛ لذا فقد عُرف ب (بابا رسول الله) وكان أتباعه من البدو من عشائر التركمان في الأناضول، قام بالتمرد ضد الدولة السلجوقية في عهد كيخسرو الثاني في ظروف حرجة من هجمات المغول. قضى السلطان على هذه الثورة بحزم وشنق زعيمها.
انظر التفاصيل في:
Bektasilik, p, (72).

وأثناء الحكم المغولي بعد سقوط الدولة السلجوقية عاش حاجي بكتاش في قرية صولوجة وأقام بها تكيته وواصل حياته منعزلاً معتكفاً مرشداً لطلابه نشطت الدعوة إلى طريقته في الأناضول في المناطق التي تقطنها بكثافة قبائل تركمانية، وجماعات نصرانية. حيث أقام علاقات قوية مع النصارى في تلك المنطقة معتمداً على بنية التصوف المتقبلة لجميع الأديان. وقد عُرف عن البكتاشية التسامح مع كل الأديان بصورة لا توجد في أي طريقة أخرى، حتى أنها تسمح لهم بالانضمام إلى الطريقة مع احتفاظهم بملتهم، وفي المقابل كانت البكتاشية تقدس أضرحة القديسين منهم وتقدم النذور لهم[(١)].

وهذا ما دفع المؤرخين الغربيين لأن يعتقدوا أن البكتاشيين في الأصل نصارى[(٢)] ويعلل بعضهم ذلك بترغيبهم في الإسلام ونشره بينهم !!

تذكر الروايات التاريخية أن الحاج بكتاش قد أرسل صاري صالتوق[(٣)] إلى بلاد الروملي والبلقان لنشر الطريقة البكتاشية وقد تبعه بكتاشي آخر يدعى "سيد علي".

وقد ذكر ابن بطوطة أن مناقب صاري صالتوق تنتشر بشكل كبير في تلك الأراضي[(٤)] حتى بين النصارى الذين كانوا يكنون كل التقدير والاحترام له، بل ويعتبرونه داعياً لدينهم، وأقاموا له أضرحة متعددة في بلادهم.

---

(١) انظر: أوجه الموافقة بين النصارى والبكتاشية في تاريخ الدولة العثمانية، د/ خليل، ص (٢٩٨)، المنهج الصوفي للطريقة البكتاشية، ص (٢١-٢٢).

(٢) حاضر العالم الإسلامي، شكيب أرسلان، ص (٣٤٩).

(٣) هو صاري صالتوق من شيوخ البابية، استقر في منطقة (دوبروجا) مع أربعين عائلة من التركمان أبرزت شخصيته في كتاب (صلتق نامه) على أنه الداعي إلى الإسلام في كنائس النصارى، وأنه كان يقتل بسيفه الخشبي الكهنة الذين يعترضونه وغيرها من المناقب. بقيت قاعدته خلال العهد العثماني مركزاً للعشائر التركمانية والدراويش الهراطقة.
انظر: تاريخ الدولة العثمانية، د/ خليل، ص (٢٨٣-٢٨٤).
Buyuk Tarikatlar, (29-30).

(٤) رحلة ابن بطوطة، ص (٢١٥).

ويشير هذا الفعل بدلالة واضحة على كيفية تعامل صاري صالتوق مع النصارى وأنها قائمة على الولاء الكامل حتى أنه كان يتزيا بزي الكهان في الكنائس، أسهم في ذلك الشعارات التي كانت ترفعها البكتاشية "إن قبلتي هي الإنسان" و "إذا أراد الإنسان البحث فليبحث في نفسه"[1].

على أي حال انتشرت الطريقة البكتاشية في تلك المناطق حتى غدت منطقة البلقان بكتاشية الطريقة.

وفي الأناضول ساعد مريدو الحاج بكتاش في نشر طريقته، وإلباس الحاج بكتاش ثوب الشهرة عن طريق الكرامات التي أشاعوها بين الناس، والسعي إلى زيادة عدد مريديه، ويقع العبء الأكبر في ذلك على عاتق دراويش الحيدرية أمثال أبدال موسى[2] الذي عمل على نهوض هذه الطريقة مع مجموعة شيوخ تابعين له، حيث دخل أراضي الإمارة العثمانية وشارك في الفتوحات مع أورخان ﷺ ناشراً مناقب الحاج بكتاش والتعريف به وبطريقته، واستمر على ذلك الوضع إلى أن اشتهر في انطاليا[3] وفتح زاوية له في (تكه كوى)[4].

أصبحت البكتاشية من أهم الطرق الموجودة في الأناضول من حيث انتشارها، وذلك بعد أن استوعبت عدة طرق، ومجموعات من الدراويش، كالأبدال، والقلندرية، و الحيدرية، وقد امتد انتشارها بين طبقات الشعب على نطاق واسع بفضل اعتماد الطريقة على اللغة التركية الشعبية البسيطة، وتركيز

---

(١) المنهج الصوفي للطريقة البكتاشية، ص (٥٤).

(٢) هو موسى أبدال من مشايخ البكتاشية المعظمين لديهم، يعد من القلندرية كان حليق الرأس واللحية والحاجبين والرمشين يلقب بالشيخ المجذوب، حضر مع السلطان أورخان فتح بروسا وقبره مشهور بأنطاليا يزعمون أن له كرامات.
انظر: الشقائق النعمانية، ص (١٢)، جامع كرامات الأولياء (٤١١/٢)، القلندرية، ص (١٢٢-١٢٣).

(٣) انطاليا: مدينة ساحلية جنوب تركيا مطلة على البحر المتوسط.
انظر: معجم البلدان (٢٧٠/١)، بلدان الخلافة الشرقية، ص (١٨٣).

(4) Turkiye'de tarihin, p, (166-167).

الدعوة إليها في المواطن التي يتكثف فيها العامة من التركمان البسطاء الجهلاء، الذين لا يزالون يحتفظون بكثير من خرافات الأديان السابقة، فوجدوا في البكتاشية طريقة ذات اعتقادات مؤلفة من عناصر مختلفة يغلب عليها الطابع الشعبي مستقاة من مصادر متعددة، حيث تدل اعتقاداتها على وجود مخلفات للتقاليد التركية القديمة خاصة الشامانية.

وهكذا استمر تأثير هذه الطريقة ووجودها حاضراً حتى جلس على سجادة الطريقة "بالم سلطان"[1] ويعد الرجل الثاني في الطريقة ويذكر المؤرخون أنه واضع أسس وأصول وقواعد الطريقة وأنه المؤسس الحقيقي للبكتاشية.

ويعتقد الباحثون أن تنظيم بالم سلطان للطريقة إنما يهدف من وراء ذلك إلى فصل الحيدرية عن الطريقة البكتاشية.

ويذهب د/ عصمت زكي إلى أن "حاجي بكتاش منتسب إلى الطريقة اليسوية - وهي طريقة غير علوية - وحين جاء إلى الأناضول لم يغير اعتقاده، بيد أن الذين شكلوا الطريقة البكتاشية بعد وفاته، تبنوا المعتقدات العلوية.

ويستدل على صحة هذا القول بعدم انتشار البكتاشية خارج منطقة الأناضول[2] ولعله يمكن الجمع بين هذه الروايات التاريخية بأن الحاج بكتاش قد دخل أراضي الأناضول كشيخ حيدري ينتسب لأحمد اليسوي ولكنه حينما استقر في منطقة قيرشهر تأثرت الطريقة بالاعتقادات العلوية، لأن هذه المنطقة عرفت

---

(١) هو بالم سلطان: من مشايخ البكتاشية المشاهير، يعرف بأنه الشيخ الثاني للطريقة، كان له تأثير جد كبير في الطريقة، قام بتطوير بعض قواعد وأفكار الطريقة ووضع بعضها الآخر، يعتبر جده يوسف بالي الابن الروحي لحاج بكتاش توفي عام (٩٢٢هـ)، وقبره بجوار ضريح الشيخ بكتاش ولي.

انظر:

Islam Ansik, T.D. vak, p, (17).

(2) Bektasilik, p, (77).

بتأثير الأخية الكبير فيها، وهي مؤسسة علوية أشاعت بين مسلمي الأناضول الغلو في حب علي ﷺ، وبذلك توفرت التربة المناسبة لاستقرار ونمو الطريقة فلما جاء بالم سلطان قعد القواعد وأسس الطريقة على ما هي عليه من اعتقادات سارت عليها بعد ذلك.

وعلى هذا أصبح من المؤكد عند الباحثين أن الحاج بكتاش لم يؤسس البكتاشية بنفسه رغم انتسابها إليه، وإنما تأسست باسمه من قبل بالم سلطان. الذي توفي عام (٩٢٢هـ) ودفن في قبة خاصة بجوار ضريح الحاج بكتاش. ولما لم يتزوج بالم سلطان؛ لم تكن له ذرية تخلفه على سجادة الطريقة مما أوقع بينهم نزاعاً دام ستة وثلاثين عاماً حتى تم الإجماع على (سرسم علي بابا) تعاقب عليها بعده عدة مشايخ[١] كان آخرهم (صالح نيازي دده بابا)، إذ أصدرت الحكومة التركية مرسوماً عاماً في سنة (١٩٢٥م/ ١٣٤٣-١٣٤٤هـ) بإلغاء جميع الطرق الصوفية ومن ضمنها البكتاشية، فأخليت التكايا من الدراويش وأغلقت أبوابها، ونقلت مقتنياتها إلى متاحف أنقرة ومكتبتها إلى دار الكتب العامة في أنقرة.

ومن بعدها انتقل مقر الطريقة إلى ألبانيا عام (١٩٣٠م/ ١٣٤٨-١٣٤٩هـ)، وانتخب لها (صالح نيازي)، و صادقت الحكومة الألبانية على هذا الانتخاب، وتتابع من بعده مشايخ الطريقة[٢].

(١) انظر إلى قائمة أسماء المشايخ الذين تعاقبوا على المشيخة، ص (٢٧-٢٨) من كتاب الرسالة الأحمدية.

(٢) الرسالة الأحمدية، ص (٢٥-٣٠).

المبحث الثاني

العقائد التي تؤمن بها الطريقة البكتاشية

يزعم البكتاشيون بأن طريقتهم هي طريقة أهل البيت الطاهر وهي مؤسسة على أوامر الشريعة السمحة، والتزام السنة النبوية، واجتناب البدع في جميع الحركات والسكنات[١].

ويصورونها على أنها طريقة سنية سلفية تنتهي إلى مذهب أهل السنة والجماعة، وأنهم مؤمنون بأصول العقيدة الإسلامية على الإجمال والتفصيل[٢].

ولكي نؤكد هذا القول أو نفنده لابد من معرفة العقائد التي تؤمن بها البكتاشية حتى يتسنى لنا الحكم بذلك.

أولاً: الإيمان بعقيدة الحلول والاتحاد ووحدة الوجود:

تتفق آراء البكتاشية مع آراء ابن عربي في الإيمان بعقيدة وحدة الوجود، حيث يعتقدون أن الله تعالى هو أصل لجميع هذه المخلوقات، وما هذه المخلوقات إلا جزء من ذلك الأصل، وعليه فإن البكتاشية ترى أن الوجود هو الأصل، ثم ظهر بعده العدم الذي هو تموج يعود إليه من جديد، أي أن الوجود كالبحر والعدم أمواجه، فكل شيء نبع من هذا البحر، وكل الموجودات والكائنات إنما هي قبس من ذلك الأصل النوراني، وكل شيء هو انعكاس لأسرار الوجود ومرآة تعكس جماله[٣].

فالمرء حين ينظر إلى المرآة ويرى جماله، وحُسن خلقته، فإنه يكون قد وصل إلى إدراك عمق الحقيقة وهي فكرة (أنا الحق).

وهذا يفسر لنا الأساس الذي تقوم عليه البكتاشية وهو حب الإنسان

(١) الرسالة الأحمدية، ص (٦٧).
(٢) المنهج الصوفي للطريقة البكتاشية، ص (١٠).
(3) Melamilik VE Bektasilik, p, (24).

وخدمته؛ إذا ينظرون إليه على أنه خُلق على صورة إلهية. وهذا يعني أن الإنسان يمكنه أن يرتقي ويعلو حتى يصل إلى الذات الإلهية ويعيش الحياة الأبدية. وهذا الارتقاء أمر فطري موجود في كل المخلوقين وإن كان المخلوق لا يدرك ذلك في نفسه ويعبر البكتاشيون عن هذه العقيدة بقولهم (من الكثرة إلى الوحدة). ويمثلونها بشكل عمود مخروطي يوجد على يسار الداخل للتكية البكتاشية، تمثل قاعدة العمود الكثرة من الكائنات، ومن يرتقي منها يتجه إلى الله، فيصعد في هذا العمود حتى يصل إلى ذروته وهي نقطة واحدة عندها يكون قد وصل إلى الوحدة وهي الله، وبذلك يكتسب الألوهية، ويصبح علوياً[1].

والطريق إلى هذه الألوهية يكون بتطهير النفس والروح حتى يصير الإنسان براقاً مثل المرآة، حينئذ لا مكان للكلمات التي تظهر الفرقة أو الثنائية من أنا وأنت، فيختلط الجميع ويتم الوصول إلى الوحدة، ويطلق على الشخص الواصل الإنسان الكامل.

وهذا التطهير للنفس يكون بتحمل الآلام والصعاب والمجاهدات الرياضية وهو ما يعبر عنه البكتاشيون بالعشق، فالشخص الذي يقع في العشق يصل إلى الله تعالى في ذاته ويصل إلى الأبدية، فيتحرر من جميع المخلوقات، ويكون الحق مع الحق، وبذلك يكون أبدياً غير فانٍ.

وتشير الوثائق إلى أن أول شاعر بكتاشي جعل من العشق موضوعاً له هو (يونس أمره)[2] ولأشعاره أهمية بالغة، وتأثير عظيم عند البكتاشية؛ إذ يترغمون بها في تكاياهم.

(1) Melamilik VE Bektasilik, p, (20-21).

(٢) هو يونس أمره من أصحاب الشيخ طابدق أمره، يزعم أصحابه أن له كرامات ظاهرة، وأنه كان صاحب وجد وحال وله نظم كثير بالتركية يفهم منه أن له مقاماً عالياً في التوحيد ومعرفة عظيمة بالأسرار الإلهية حسب زعمهم.
انظر: الشقائق النعمانية، ص (٣٧)، وانظر كتاب المتصوفون الأولون في الأدب التركي، محمد كوبريلي، الجزء الثاني، ص (١٠١) وما بعدها.

يقول:

إن التمسك بأذيال العشق لا يوجب الزوال في العاقبة

ولو قرأت ألفاً من العشق لن تسأل

من أفنى روحه في طريق العشق فقد كسب ما ضحى به

لابد أن يكون الشخص عاشقاً ولابد من العثور على المعشوق

لا يصح أن تقول العاشق مات

فالحيوان هو الذي يموت أما العاشقون فلا يموتون

لو سألت العاشقين عن الدين والملة سيقولون ما الحاجة للدين؟

فالشخص العاشق يكون خرباً والخرب لا يعرف الدين[1]

يصور يونس أمره في هذه الكلمات عقيدة وحدة الوجود والطريق الموصل إليها فمن يسير في طريق العشق يصل إلى الأبدية في الذات الإلهية، وبذلك لا يمكن أن يزول في الآخرة، ولا يُسأل يوم القيامة، وبتحقيق الأبدية لا يجد الموت إلى الواصل طريقاً، وإذا وصل الإنسان إلى هذه المرحلة لم يعد بحاجة إلى الدين والملة و العبادات؛ لأنهم يعتقدون أن العبادات إنما هي طريق الوصول، فإذا وصل الإنسان سقط التكليف.

ويصرح بهذه العقيدة في أشعار أخرى له فيقول:

أنا الأول، وأنا الآخر، وأنا روح الأرواح

أنا السلطان الأول الآخر ولا زوال بعدي وقبلي

أنا الرحمن اللطيف القادر الذي يقول للشيء كن فيكون

ولم يقتصر الأمر على يونس أمره؛ بل إن جميع شعراء البكتاشية رضوا وقبلوا بهذا المعتقد وأظهروه في أشعارهم.

---

(1) Bektasilik, p, (270-272).

يقول (شرى):

قبل خلق العالم الذي كان لا يزال في طيات العدم
كنت أنا متوحداً مع الحق تعالى
وخلق هذا الملك لأنه كان لا يزال نفخة
وقمت بتصويره فإنني كنت نقاشاً

والشاعر البكتاشي (شميمي) يقتفي أثر من سبقه من البكتاشية في الإيمان بهذه العقيدة يقول:

عندنا السبع المثاني وعندنا عرش الرحمن
فنحن مظهر ذي الكبرياء وعندنا العظيم سبحانه

فالشاعر يزعم أن الله تعالى وسورة الفاتحة موجودان في الإنسان، ووفقاً لهذا تكون هناك وحدة وجود بين الله تعالى وبين الإنسان.

وعلى نفس الاعتقاد سار (أديب خرابي) فنظم شعره قائلاً.

فأنت لست سوى رب العالمين
وكنهك أنت مثل كنه الحق

ويصف في شعر آخر له، الطريق الموصل إلى الذات الإلهية وهو السير في طريق التصوف والعشق يقول:

لا يصل لحظة إلى مجلس المعشوق
من لم يشرب من دمع عينه
واعلم أن من لم ير كعبة الوصل
هو الذي لم يغبر وجهه في هذا الطريق
لقد وصلت الشمعة للشوف لما ذابت واحترقت

واعلــــم أنتــــا وصـــــلنا إلى مجلـــس الحبيـــــب

وقـــــد ســـــكرنا بنــــــار العشـــــق

فبالعشـــق ضـــرب الهـــم أطنابـــه في الـــداخل [1]

ومن شعراء القرن التاسع عشر (درويش توفيق) يقول:

علــــق في عنقـــــك ربقـــــة العشـــــق

فــــاخلع وجـــودك وأنقـــــذ نفســــك [2]

فالعشق في اعتقاده هو الموصل إلى التجرد التام من جميع المخلوقات بما فيها وجوده ونفسه، وبذلك ينقذ هذه النفس بالوصول إلى الأبدية.

ويعتقد البكتاشية أن من يصل إلى هذه المرحلة فهو من أولياء الله العظام، ويكون بذلك قد وصل بالنفس إلى المرتبة الأخيرة وهي "النفس الصافية"[3].

"والنفس في هذا المقام لا تستطيع أن تتحكم في الإنسان؛ لأنها وصلت إلى حالة روح مصفاه لأقصى درجة، وهذا يعني أن الإنسان وصل بذلك إلى الله، وأقوال وأفعال الإنسان في هذا المقام هي أقوال وأفعال الله، ويصل الإنسان في هذا المقام إلى بحر الذات، وبذلك لا يقبل الإنسان العدم من ناحية الحقيقة ومن ناحية الأزل، كما أنه لا يقبل الوجود من ناحية الصورة أيضاً، أو بتعبير آخر لا يقبل العدم ولا الوجود"[4].

---

(1) AL-Bektasilik, p, (220-221, 221, 247, 249, 276).

(2) AL-Bektasilik, p, (281).

(٣) هي المرتبة السابعة من مراتب النفس السبعة، إذ تعتقد الطريقة البكتاشية أن طريق التصوف هو الطريق للحقيقة، ومن أراد الحقيقة لابد أن يتخطى هذه المراتب وهي:
النفس الأمارة، النفس اللوامة، النفس الملهمة، النفس المطمئنة، النفس الراضية، النفس المرضية، النفس الصافية.
انظر التعريف بها في: Melamilik VE bektasilik, p, (111-112).

(٤) المرجع نفسه، ص (١١٢).

ويعبر عنه البكتاشيون بالفناء في الله، ويصفون العارف الواصل بأنه "قد ارتقى درجات التصوف إلى أن وصل إلى مقام الفناء، وهو زوال الأشياء وعدم إمكان رؤيتها، وهو الصوفي الذي يرى الحق فقط، والواصل إلى فناء ذات العبد وصفاته في ذات الحق وصفاته، فهو تارك كل شيء، وفي حالة استغراق تام، وهو مقام الموت قبل الموت، والذي ضاعت شخصيته، ومحي من الوجود اسمه ورسمه"[1].

وقد عبر الشاعر (بصري بابا) عن هذا المقام بقوله:

فلتكن في ذات الحق الذي يُفني

ولتنزع كل الأحقاد من قلبك

ولترى وجه الله في كل نظرة

وأينما يكون وجه الله يكن السجود[2]

ويقول أيضاً:

ما يظهر ويُرى هو نفسك أنت ولتعلم أنه لا يوجد أغيار

وأنت العبد وأنت المعبود

فالحق هو من يُرى في كسوة العابد

أما الشاعر (قمتري) فصرح:

لا يوجد غريب في عالم الوحدة سوى الحق

وهكذا يتأكد لنا اعتقاد البكتاشيين بعقيدة وحدة الوجود وقول (أنا الحق) الذي قاله منصور الحلاج[3] قبل ذلك، ولم تخل أشعارهم من الإشارة إليه وإلى

---

(١) الرسالة الأحمدية، ص (٣٣).

(2) Bektasilik, p, (291).

(٣) هو الحسين بن منصور الحلاج الفارسي، ولد سنة ٢٤٤هـ بفارس، نشأ بالعراق، أخذ التصوف عن سهل التستري وعمرو المكي، له ثمانية وأربعون مؤلفاً، قتل على الزندقة عام (٣٠٩هـ). =

المصير الذي لاقاه ففي رباعية نظمها بالم سلطان المؤسس الثاني للطريقة يقول:

تـــرى عــــــيني الاســـــتواء

فـــوجهي هـــو الســـبع المثـــاني

وكلامــــي يقـــول أنـــا الحـــق

والمشـــنقة هـــي معراجنـــا

وممن أشار إليه أيضاً شاعر البكتاشية الأول (يونس أمره) في قوله:

لقـد كـان في الأزل فكـري وأنـا الحـق كانـت هـي ذكـري

وكـان هـذا ذكـري قبـل أن يخلـق الكـون ومنصـور البغـدادي

وكذلك الشاعر (فاضلي) نظم هذه الأبيات

لا أقـول الحـق لفاضـلي فانـا الحـق وعنـدي الحـق

حتـى ولـو أن المنصـور قـد شـنق فـنحن ممـن صـلبوا[1]

وبعد، فهذه نصوص تُظهر بجلاء تام عقيدة وحدة الوجود، بلا موارية وخاصة من خلال الشعر، فالشعر هو لغة البكتاشي ، وهو وسيلة التعبير عن أفكاره، والإحساس بها، وجعل الآخرين يشعرون بها، وبالشعر يقول ويوضح ما يريد، خاصة في ظل الانغلاق الذي تفرضه الطريقة على شعائرها واعتقاداتها.

يتم تعليم المريد هذه العقيدة من خلال المرور بمراحل معروفة في الطريقة يصل بها إلى النضج والكمال رويداً رويداً وهي أربع مراحل يُربى ويُنشأ عليها المريد الذي دخل الطريقة حديثاً:

أ - **نفي الإثبات:** وفي هذه المرحلة يُعلم المريد معنى "لا إله إلا الله" ما كنهها وما حقيقتها، وهو ما يطلق عليه التوحيد.

= انظر: طبقات الصوفية، ص (٣٠٦)، الطبقات الكبرى، ص (١٥٤)، السير (٣١٣/١٤)، العبر (٤٥٤/١).

(1) Bektasilik, p, (291, 248, 242, 243, 242).

وليس المقصود بمعناها لدى الطريقة المعنى المعروف لدى أهل السنة والجماعة بأنه لا معبود بحق إلا الله تعالى. بل يراد بها لا موجود إلا الله. إذ إن المعنى السني لا يوصل إلى وحدة الوجود بل يفرض وجود عبادة تتضمن أن هناك عبداً ومعبوداً وهو ما لا تسعى إليه الطريقة.

فمن المغالطة القول بعد ذلك أن هذه العقيدة هي الأساس في كل المؤسسات التابعة للدين الإسلامي وأنها أول شرط من شروط الإسلام !!

ب- إثبات محض: وهو الإثبات القاطع بأنه لا موجود إلا الله، وشرح ذلك الوجود وحقيقته، ولابد للمريد أن يفهم المعاني الحقيقية للمفاهيم، وأن يكون لديه التعمق والكمال، ويكفي أن يقول (إلا هو) ذلك أن الله هو الموجود الوحيد ولا موجود غيره وكلمة (هو) تعني الله وتحمل في جوهرها كل الصفات الإلهية.

جـ- الفناء في الله: وهو أن يقوم المريد بإفناء وجوده والتجرد منه، ويدرك أن الله وحده هو الموجود حوله في كنههه وذاته. وفي هذه المرحلة لا تداول ولا وجود لكلمات التفرقة مثل: أنا وأنت ونحن، التي توحي بوجود آخر غير الله.

د- الفناء المطلق: وتعني تجرد الشخص من جميع الموجودات بشكل قاطع وفنائه في كنه الله تعالى، فالشخص في هذه المرحلة يعتبر فانياً والحق وحده هو الموجود، فيقول: (أنا الحق) ويصل إلى الشعور بأنه هو الله"[١].

ثانياً: التشيع والغلو في علي ﷺ وآل بيته.

يتقرب المسلمون إلى الله تعالى بحب النبي ﷺ، وحب آل بيته الأطهار، وصحابته ﷺ جميعاً، وكان لآل البيت مزيد فضل وحب لجمعهم حق الصحبة وحق القرابة من النبي ﷺ. إلا أن هذا الحب يقف عند حد الاعتقاد بفضلهم والترضي عنهم.

---

(١) المرجع السابق، ص (٢٩٦-٢٩٧).

وقد خالف البكتاشية هذا المعتقد السلفي، فغلوا في حق علي ﷺ و أرضاه وآل بيته الأطهار متجاوزين في ذلك ما أمروا به من التعظيم المشروع.

وقد ظهرت هذه المخالفات في عدة أمور أهمها:

أ- القول بألوهية علي ﷺ:

يعتمد فكر البكتاشية اعتماداً كبيراً على فكرة التوحيد النوراني والتي تعني: أن الله تعالى ومحمداً وعلياً نور واحد.

وقد انبثقت هذه العقيدة عندهم - فيما زعموا - من قوله تعالى:

﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ﴾[1] فيجعلون هذه الهداية نوعاً من الحلول ما دام الله هو النور.

ومع اعتقاد البكتاشية بأن الله ومحمداً وعلياً نور واحد، فإنهم يجعلون محمداً وعلياً آخر نقطة للإنسانية، أي أنهما الظهور التام للحق.

فالعارف الواصل إلى الوحدة وهي "الله" يكتسب بذلك الألوهية، ويصبح علوياً، عندئذ يصبح علي كل شيء، فعندما ينظر إلى المرآة لا يرى نفسه بل يرى علياً، حينئذ يكون إنساناً كاملاً، فاللحظة التي يجد فيها الذات الإلهية يجد العلوية.

لذا يقول شاعرهم:

نظرت إلى وجهي في المرآة ... فإذا بعلي يظهر أمامي

علي الأول علي الآخر ... علي الباطن علي الظاهر

علي الطيب علي الطاهر ... ظهر علي أمام عيني

علي رحيم علي رحمان ... فإذا بعلي أمام عيني

إلى أي مكان أوجه نظري ... أجد علياً أمام نظري[2]

---

(١) سورة النور، الآية: (٣٥).

(2) Melamilikve bektasilik, p, (22).

وللبكتاشية تفسير رمزي خاص بها، يبنون عليه اعتقادهم في علي ﷺ، حيث يجعلون سر القرآن الكريم في سورة الفاتحة، وسورة الفاتحة في البسملة، والبسملة في حرف الباء، والباء في نقطتها ويقولون:

"إنها امتدت لتصير ألفاً وتدل على وحدانية الذات وهي الألف في لفظ (الله) وحرفا اللام أحدهما لمحمد والآخر لعلي والهاء إشارة إلى الضمير (هو).

ولفظ (محمد) يفسر على أن الميم الأول: هو ميم الإمكان، والآخر ميم الشكران. والحرفان الباقيان (الحاء – الدال) يدلان على الوحدانية، إذ لو أضيفت إليهما النقطة التي أصبحت ألفاً صارت الكلمة (أحد) وهي الذات الواحدة!!

وأما كلمة (علي) فإنها تدل على العلو وهذه العلوية هي الألوهية !! "[1].

ويستشهد البكتاشية على صحة هذه العقيدة بأقوال ينسبونها كذباً إلى علي ﷺ.

فيروون عن علي ﷺ قوله: "أنا النقطة التي تحت الباء" أو "أنا تلك النقطة"[2].

وفي ذلك يقول شاعرهم:

يا علي أنت بناء القدرة في مطلع الأنوار

[أنت من] علم الأسماء لآدم في الحقيقة يا علي

أنت نقطة الباء أنت بسم الله

اسمك مشتق من اسم رب العالمين

اسمك مشتق من أسماء الجلالة يا علي

أنت رب العزة رب القدرة رب الدولة يا علي

---

(١) المرجع السابق، ص (٢١).

(٢) المرجع نفسه، ص (٢٥).

أنـــت بالتأكيــد مالـــك ديـــوان يـــوم الـــدين

أنـــت يـــا علـــي آيـــة إيـــاك نعبـــد

أنـــت قـــل هـــو الله أحـــد

القـــدرة عنـــد مـــن (الله الصـــمد) يـــا علـــي

أنـــت بـــلا شـــك (لم يلـــد) في عـــالم الأنـــوار

ســـحت في العـــالم مائـــة ألـــف ســـنة يـــا علـــي

ولـــو أقـــول (ولم يولـــد) أســـتغفر الله العظـــيم

أنـــت رب علـــى كـــل الخلـــق[1]

وبهذا الاعتقاد آمن الشاعر (فيراني) فنظم:

لا إلـــه إلا علـــي نـــور الـــذات ذو الجـــلال

لا إلـــه إلا علـــي حـــي بـــاقي لا يـــزال[2]

وتابعه الشاعر (سرسم علي بابا):

لقـــد قـــدمت هـــذا في وقـــت الســـحر

فاللـــه محمـــد وعلـــي

ولا إلـــه إلا الله الـــتي هـــي ذكـــري

فاللـــه محمـــد وعلـــي

فهـــو بيـــت الله في قلـــب المـــؤمن

فاللـــه محمـــد وعلـــي[3]

فمعتقد كون الإنسان إلهاً كان مقبولاً وثابتاً عند البكتاشية؛ إذ يعتقدون

(١) جزء من شعر طويل انظره في المرجع نفسه، ص (٤٦-٤٧).

(2) Bektasilik, p, (244).

(٣) المرجع نفسه، ص (٢٤٤).

تجلي الله تعالى وظهوره في أجمل الكائنات وأقربها إلى الله تعالى وهو الإنسان، إلا أن بعض البكتاشية حصر هذا التجلي في علي ﷺ؛ باعتباره يمثل الكمال الإنساني، ومن أراد أن يبلغ هذه المرتبة العلوية عليه أن يطهر نفسه ويجردها من كل شيء، وأن يكون عارفاً بعلم الحقيقة، عندها يرى علياً في كل شيء.

تجلى علي أمام عيني	بعمود فلك السماء
حضرة نوح نجي الله	وإبراهيم خليل الله
كليم الله في طور سيناء	فإذا بعلي أمام عيني
عيسى روح الله	إنه القدوة للمؤمنين
إنه الشاه في العالمين	فإذا بعلي أمام عيني[1]

اعتقاد الألوهية بعلي ﷺ دفع البكتاشية إلى طلب المدد واللجوء واللواذ بعلي ﷺ، فهناك دعاء في البكتاشية يطلق عليه (ناد علياً) يقرأ في جميع تكايا البكتاشية فيه طلب الحفظ من الشرور والمساوئ والآلام[2].

ومن يعتقد بألوهية علي ﷺ يعتقد أن إمامته لم تنته، ولم تبطل بموته؛ إذ الموت والفناء ليس وارداً عليه، إذ إن إمامته تأتي من وجود الله؛ لذا فإن اتباع علي ﷺ اتباع لله تعالى وحب علي ﷺ حب لله تعالى، والسير على نهج علي ﷺ سير في الطريق الذي أراده الله تعالى.

ب- الغلو في علي ﷺ والأئمة الاثنى عشرية:

لم يجمع البكتاشية على تأليه علي ﷺ، ومع ذلك فإن من لم يصل منهم إلى حد التأليه لم يخل اعتقاده من الغلو فيه.

يعتقد البكتاشية بأحقية علي ﷺ بعد النبي ﷺ بالخلافة؛ لأن النبي ﷺ قد عينه بالنص الجلي، فهو الأحق بذلك ومن بعده الاثنا عشر إماماً، ويظهر هذا

---

(1) Melamilikve bektasilik, p, (22).
(2) Bektasilik, p, (162).

الاعتقاد جلياً في الورد البكتاشي الذي يداوم البكتاشيون على قراءته. فقد جاء في الورد:

"اللهم صل وسلم وزد وبارك على السيد المطهر .. الإمام الوصي، الحاكم بالنص الجلي"[1].

وجاء فيه أيضاً "بعث الأنبياء ليبين عدله، ونصب الأوصياء ليظهر طوله وفضله".

وفيه كذلك "محمد المصطفى أمنا به، وبما دعانا إليه، وبالقرآن الذي أنزله عليه، و الوصي الذي نصبه يوم الغدير"[2].

"وأشهد أن الأئمة الأبرار والخلفاء الأخيار، بعد الرسول المختار، علي قامع الكفار، ومن بعده سيد أولاده الحسن بن علي ثم أخوه السبط التابع لمرضات الله الحسين، ثم العابد علي، ثم الباقر محمد، ثم الصادق جعفر، ثم الكاظم موسى، ثم الرضا علي، ثم التقي محمد، ثم النقي علي، ثم الزكي العسكري الحسن، ثم الحجة الخلف الصالح القائم ثم المنتظر المهدي المرجي"[3].

كما يعتقد البكتاشية أن الإمامة وظيفة روحية، تحمل السمة الإلهية، وهي مسألة فضل فالإمام شخص فاضل كامل بلا ذنب، وأن هذه السمة لا تتوافر إلا في علي ﷺ ونسله فحسب؛ لذا فإن تعيين آخرين غيرهم لا يعتبر كافياً ولا جائزاً، ويعد أمراً مخالفاً للدين وإفساداً لمبدأ السنة، ولوحدة المسلمين، فلا ضرورة في إتباعهم ومن يتبعهم يكون مخالفاً للدين !!

وينظرون إلى الخلافة على أنها وسيلة لمن يريدون نشر الظلم والحكم به،

(١) ذكر أحمد سري دده بابا شيخ مشايخ البكتاشية الورد البكتاشي كاملاً في نهاية كتابه الرسالة الأحمدية، ص (٨٣).

(٢) المرجع نفسه، ص (٩١).

(٣) المرجع نفسه، ص (٩٢).

وأنها تجلب المظالم والطغيان والجور؛ لذا فهم يرون إما (الأصالة) أو (السفارة): والأولى تعني صدور الحق التام عن أي فرد، أما الأخرى فهي تعني الشخص الذي تستند إليه مهمة الإرشاد من قِبل الشخص الذي تجاوز مرحلة الأصالة[1].

ومع ذلك يعترف البكتاشيون بخلافة أبي بكر وعمر وعثمان ﷺ، وفي هذا تناقض بيِّن، ولعل ذلك من باب التقية، ومحاولة إظهار الموافقة لأهل السنة والجماعة؛ خاصة إذا علمنا أنهم لا يتسَمّون بأبي بكر وعمر وعثمان ﷺ وأرضاهم[2].

ولاشك في مخالفة هذا الاعتقاد لمنهج أهل السنة والجماعة، إذ أجمع المسلمون وفيهم كبار الصحابة رضوان الله عليهم على مبايعة أبي بكر الصديق ﷺ بعد وفاة النبيﷺ ولو أن النبيﷺ قد أوصى بالخلافة من بعده لعلي ﷺ لما وقع الخلاف في سقيفة بني ساعده على من يكون خليفة للنبيﷺ.

وقد استشهد الشيعة بعدة أدلة يستدلون بها على أحقية علي ﷺ بالخلافة، وهي في مجملها إما أن تكون صحيحة ولكنها لا تدل على ما يريدون، وإما أن تكون مكذوبة على النبيﷺ، وفي ذلك يقول ابن خلدون ﷺ "إن ما استدل به الشيعة من نصوص إنما هي نصوص ينقلونها ويؤولونها على مقتضى مذهبهم، لا يعرفها جهابذة السنة ولا نقلة الشريعة؛ بل أكثرها موضوع أو مطعون في طريقه، أو بعيد عن تأويلاتهم الفاسدة"[3].

---

(1) Melamilik VE bektasilik, p, (23).

(٢) تؤمن البكتاشية بالتقية وتعني عندهم ستر المؤسسة العقدية، وإخفاء المنهج العقدي؛ لذا فلا يفشون ولا يصرحون بأسرارهم وأفكارهم وخاصة في الأماكن التي يسيطر عليها السنيون.

انظر:

Bektasilik, p, (161-162).

(٣) مقدمة ابن خلدون، ص (١٥٥).

ومن هذه الأدلة حديث (غدير خم) الذي يشيرون إليه في أورادهم وهذا الحديث لم يرد بالصورة التي يروونها[1] في كتب السنة المعتمدة، وإنما أورد الإمام الترمذي ﷺ جزءاً منه، وهو "من كنت مولاه فعليٌّ مولاه"[2] أما الزيادة الواردة فيه فقد بين ابن تيمية ﷺ إنها مكذوبة وأن ما صح منه ليس فيه دلالة على أن النبي ﷺ أوصى بالخلافة لعلي ﷺ، فضلاً عن أن تكون وصاية جلية[3].

وإذا بطل القول بوصاية النبي ﷺ لعلي ﷺ، بطل ما بني على هذه العقيدة من رد لخلافة من جاء بعد النبي ﷺ، أو تخصيص الأئمة من بعد علي ﷺ بالإمامة، فإذا بطل التخصيص لعلي ﷺ فمن بعده من الأئمة من باب أولى.

* تعتقد البكتاشية أن النبي ﷺ قد خص أهل بيته، وبعض صحابته بسر الوحدانية وأسرار القرآن ومعانيه الباطنة، وأنهم لم يبوحوا بها بل حافظوا على نقاء الشريعة الصحيحة، ويستشهدون على ذلك بحادثة الكساء، ومن ثم انتقلت هذه الأسرار إلى الأئمة الاثنى عشر حتى وصلت إلى الحاج بكتاش ولي؛ لذا فهم يوجبون حب علي ﷺ والارتباط الفكري والقلبي بالأئمة من بعده، ووجوب احترام وتبجيل وتقديس أصحاب الكساء محمد ﷺ، وعلي، وفاطمة، والحسن، والحسين ﷺ.

ومن الناحية العملية ينبغي في البكتاشية أن يجلس المريد والمرشد متلامسي

---

(١) رواية الشيعة للحديث أن النبي ﷺ أخذ بيد علي ﷺ وقال: " من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره وأخذل من خذله" زاد الكليني " الحق مع علي أينما مال ".
انظر: الأصول من الكافي للكليني (١/٢٩٤)، كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد لابن المطهر، ص (٣٤٥).

(٢) رواه الترمذي، كتاب المناقب، باب مناقب علي بن أبي طالب ﷺ، ح (٣٧١٣)، (٥/٦٢٣). قال أبو عيسى: حديث حسن صحيح، صححه الألباني في الجامع الصغير رقم (٦٥٢٣)، (٢/١١١٢).

(٣) انظر: منهاج السنة النبوية (٧/٣١٣-٣٢٥)، مجموع الفتاوى (٤/٤١٧-٤١٨).

الركبتين، ثم يغطى رأسيهما بغطاء أسود، ويسر إليه أمانة الطريقة البكتاشية ويطلق على هذا الستار الأسود (الكساء)، ومن تحته أهل الكساء، ولا يقبل المريد في الطريقة إلا إذا دخل تحت دائرة الكساء[1].

وحديث الكساء، صحيح رواه الإمام مسلم ﷺ في صحيحه من طريق عائشة ﵂ قالت: "خرج النبي ﷺ غداة وعليه مرط مرحل[2] من شعر أسود فجاء الحسن بن علي فأدخله، ثم جاء الحسين فدخل معه، ثم جاءت فاطمة فأدخلها، ثم جاء علي فأدخله، ثم قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[3][4].

فظاهر الحديث يبين مضمونه، فهذه الآية جاءت في كتاب الله تعالى وليست علماً مكنوناً أو سراً من أسرار القرآن، أو معنى باطنياً كما تقوله البكتاشية، إنما هو كما يقول ابن تيمية ﵀: "يتضمن أن النبي ﷺ دعا لأهل بيته المذكورين أن يذهب الله عنهم الرجس ويطهرهم تطهيراً، وغاية ذلك أن يكون دعاء لهم بأن يكونوا من المتقين الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم"[5].

كما أن ما نسبوه للنبي ﷺ من إخفائه لبعض العلوم المتعلقة بالوحدانية والقرآن قدح في رسول الله ﷺ وفي تبليغه الدعوة كما أنزلت إليه، كما أنه يشكك المسلم في الثوابت التي يركن إليها، ويفتح الباب على مصراعيه للزيادة في الدين بحجة أنه من العلم الذي أخفاه النبي ﷺ ووصل عن طريق الأئمة الاثنى عشر.

---

(1) Tarikat aliyya Bektasiyye, p, (24-25).

(٢) مرط مرحل: المرط، الكساء ويكون من صوف، وربما من خز أو غيره. والمرحل: ضرب من برود اليمن، سمي مرحلاً لأن عليه تصاوير رَحْل. ومرط مرحل: إزار خز فيه عَلَم. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٣١٩/٤)، لسان العرب (٢٧٨/١١).

(٣) سورة الأحزاب، الآية: (٣٣).

(٤) صحيح مسلم مع النووي، كتاب فضائل الصحابة ﭬ، باب فضائل أهل بيت النبي ﷺ (١٣٠/٧).

(٥) منهاج السنة النبوية (١٤/٥).

وقد رد علي بن أبي طالب ﷺ على هذه الفرية، فقد ثبت عنه في الصحيح عن أبي جحيفة ﷺ[1] قال: قلت لعلي ﷺ: هل عندكم شيء من الوحي إلا ما في كتاب الله؟ قال: لا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، ما أعلمه إلا فهماً يعطيه الله رجلاً في القرآن، وما في هذه الصحيفة، قلت: وما في الصحيفة؟ قال: العَقْل، وفكاك الأسير، وألاّ يقتل مسلم بكافر[2].

فأين البكتاشية من هذا الحديث؟، ولماذا لم يستشهدوا به؟، بل إن أحداً من الأئمة الذين زعموا لهم علماً باطناً لم يدع هذا العلم الباطن !! فأين هذا من قولهم "اللهم صل وسلم على السيد المعصوم .. العالم بالعلم المكتوم"[3].

* تؤمن البكتاشية بعقيدة الولاء والبراء ولكنها تحصر محيطها في علي وآل بيته رضوان الله عليهم جميعاً، فالولاء حب علي ﷺ، وحب أولاده وآل بيته والتعلق بهم ومن خالف ذلك لا يعد بكتاشياً أبداً.

والبراء هو بغض من لا يحب علياً ﷺ، والابتعاد عنهم، فكل من لا يعتقد أنه الأحق بالخلافة بعد النبي ﷺ، ومن لم يشجب المساويء التي فعلت في نسل علي ﷺ، وما جرى للحسين ﷺ في كربلاء تجب معارضتهم، والبعد عنهم من أهم المعتقدات البكتاشية. ومن أهم مهمات المشايخ تعليم المريد حب من يحب علياً ﷺ، ويغض من يبغضه؛ بحيث لا يبقى في القلب مكان لحب آخر[4].

لذا فالبكتاشية تلتزم في جميع شعائرها بما يظهر الحب والتقديس لآل البيت رضوان الله عليهم سواء من خلال العناصر المادية في البكتاشية ابتداءً من العمامة أو التاج وحتى التصميمات المعمارية للتكايا التي يجلسون فيها، أم من خلال

---

(١) وهب بن عبدالله السوائي، يقال له وهب الخير، مشهور بكنيته. مات سنة (٧٤هـ). انظر: طبقات ابن سعد (٦٣/٦)، أسد الغابة (٩٥/٥)، تهذيب التهذيب (١٠٦/٦).

(٢) صحيح البخاري مع الفتح، كتاب الجهاد والسير، باب فكاك الأسير، ح (٣٠٤٧)، (١٦٧/٦).

(٣) الورد البكتاشي في الرسالة الأحمدية، ص (٨٧).

(4) Bektasilik, p, (161).

الاعتقادات القلبية أو العملية.

فعلى سبيل المثال يلتزم البكتاشيون بالاحتفال بذكرى استشهاد الحسين ﷺ كما يمتنعون عن شرب الماء مدة عشرة أيام في شهر محرم بسبب حادثة كربلاء حيث يعتقدون أن الحسين ﷺ عندما حوصر أصابه الكرب والحزن من العطش، ولذا بدأ الحرب منهكاً فهزم وقتل[1].

وقد استعانت البكتاشية بأحاديث موضوعة تنبئ عن الجهل الفاضح بأحاديث النبي ﷺ، يهدفون من خلالها إلباس معتقداتهم الباطلة ثوب الحق والشريعة، فيغتر بهم الجاهل، ويصحح ما هم عليه.

ومن أمثلة ذلك:

"حب علي حسنة، كلما بقت هذه المحبة لن تضر السيئة"[2]، "حب علي يمحو الذنوب كما تمحو النار الهشيم"[3]، "علي فخر الإنسانية، ومن يشك في ذلك يكفر"، "علي بين الناس كسورة الإخلاص في القرآن"[4].[5].

ولما كان هذا الحب - لآل البيت ﷺ - حباً غالياً كان وسيلة لوقوعهم في الشرك؛ حيث نسبوا لهم من الأفعال ما لا يستطيعه إلا الله تعالى، مثل ما جاء في الصلاة والسلام على الحسن بن علي ﷺ حيث وصفوه بـ"كاشف الضر والبلوى والمحن ما ظهر منها وما بطن".

---

(١) المرجع نفسه، ص (١٦٣).

(٢) حكم بوضعه ابن تيمية ﷺ في منهاج السنة النبوية (٧٣/٥) قال المحقق: لم أجد هذا الحديث الموضوع.

(٣) ذكره ابن الجوزي في الموضوعات (٣٧٠/١) بلفظ: (حب علي بن أبي طالب يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب). وذكره أيضاً السيوطي في اللآلئ المصنوعة (٣٥٥/١). وقال الألباني في السلسلة الضعيفة والموضوعة: باطل ح (١٢٠٦) (٣٥٠/٣).

(٤) لم أقف عليهما.

(٥) انظر إلى مجموعة من الأحاديث الموضوعة في فضل علي ﷺ في كتاب:
Melamilik ve bektasilik, p, (41-42).

وعن علي بن الحسين ﷺ "كاشف الغمة، وولي النعمة، المبرء من كل شين، أكمل الشاكرين الحامدين".

وعن محمد بن علي ﷺ "العارف بأسرار المبدء والمعاد، ولكل قوم هاد".

وعن علي الهادي والحسن العسكري رحمهما الله "غوثي الورى، كاشفي البلوى والمحن".

وعن محمد المهدي المنتظر "صاحب الدعوة النبوية، والعصمة الفاطمية..، والغيبة الإلهية، كلمة الله، إمام السر والعلن، دافع الكرب والمحن، خليفة الرحمن"[1].

بل وصل بهم الغلو إلى الاستغاثة بغير الله تعالى من خلال الورد اليومي الذي يتلونه صباح مساء فقد جاء فيه:

"إلهي بحق ناد علياً. مظهر العجائب تجده عوناً لك في النوائب!! كل هم وغم سينجلي بنور عظمتك يا الله يا الله يا الله. وبنور نبوتك يا محمد يا محمد يا محمد، وبنور ولايتك يا علي يا علي يا علي. أدركني أدركني يا علي، يا علي يا أبا الحسن يا أبا الحسين يا أبا التراب حل مشكلة [ ]، شافع يوم الحساب اللهم بحق الحسين وجده وأبيه وأمه وأخيه وبنيه خلصني من كل هم وغم مما أنا فيه. ربنا تقبل منا بحق محمد وحيدر"[2].

ومن الانحرافات التي ترتبت على هذا الغلو تعطيل آيات الله تعالى عن مرادها وذلك بتفسيرها تفسيراً يتوافق مع مذهبهم في الأئمة، فها هي أعظم سور القرآن، وفاتحة الكتاب التي لا تصح صلاة المصلي ما لم يقرأها، تفقد معانيها لتتلبس معاني أخرى في العقيدة البكتاشية:

"بسم الله العلي العظيم هو الرحمن الرحيم [الحمد لله] الذي جعلنا من أمة

---

(١) انظر إلى هذه العبارات في الورد البكتاشي في الرسالة الأحمدية، ص (٨٤-٨٨).

(٢) الرسالة الأحمدية، ص (٩٠).

الحبيب وخليله محمد المصطفى، [رب العالمين] الذي صيرنا من ذريته ولـيين ووصيين علي المرتضى، وصلى على أم المؤمنين خديجة الكبرى وبنت الرسول فاطمة الزهراء.

[الرحمن الرحيم] الذي نور قلوبنا بمحبة الحسن المجتبى وبمودة الحسين المظلوم الشهيد بأرض كربلاء.

[مالك يوم الدين] الذي تملك علينا زين العابدين بالإيمان والهدى.

[إياك نعبد] عبادة تبلغنا الإقامة وصحبة محمد الباقر وجعفر الصادق وموسى الكاظم وعلي الرضى.

[وإياك نستعين] كما استعانك محمد التقي الجواد ومحمد النقي أهل المجد والعلا.

[إهدنا الصراط المستقيم] الذي هو صراط الإقامة بالمجد والهداية والعلا.

[صراط الذين أنعمت عليهم] الذي هو بمتابعة الحسن العسكري، وبمتابعة محمد المهدي صاحب العصر والزمان.

[غير المغضوب عليهم ولا الضالين] منكراً من أهل البدع والهوى"(1).

فأين هذا التفسير من تفسير أهل السنة والجماعة؟! لقد فقدت السورة معناها وفائدتها، بل وكيف تتنزل هذه السورة في أقوام لم يخلقوا حين نزلت؟!! سبحانك هذا بهتان عظيم.

ثم مما يعجب له الإنسان ما يذكره أحد مشايخ البكتاشية من أن ما تقدم من اعتقادات هي ما يعتقده أهل السنة والجماعة يقول: "إن أهل السنة جميعاً أقروا بمكانة وعلو شأن الإمام علي وذريته فنهلوا من فيض أئمة أهل البيت، ومدحهم الناس بكونهم تلاميذ لهم .. وعلى هذا فلا تفرقة بين أهل السنة والشيعة، فالكل

(1) Melamilik VE bektasilik, p, (52).

لدينا متساوون، فإن شئت فقل إن الكل أهل سنة والكل أتباع وأنصار لعلي ومتسبون إليه"[1].

فهذا نص مهم يحكيه البكتاشيون فمع ادعائهم أنهم من أهل السنة وأنهم متبعون لكتاب الله وسنة نبيه ﷺ. يجعلون الشيعة - الذين يعتقدون معتقداتهم - من أهل السنة، وأنه لا فرق بينهم.

ولاشك أن هذا إما أن يكون قول ساذج لا يعرف الدين الشيعي وحقيقته وبالتالي فلا يعي الفرق بينهما وهذا مستبعد في ظل أن المتحدث شيخ من مشايخهم، وإما أن يكون قول خبيث يريد أن يمرر هذه المعتقدات على مريديه فيقبلوا بها مع جهالتهم على أنها مذهب أهل السنة والجماعة، ولتجد الطريقة القبول بين الناس خاصة في ظل سرية ما يعتقده أصحاب هذه الطريقة وأخذ العهد منهم بعدم كشف الأسرار وهذا ما دفع البكتاشية للبقاء بعيداً عن المؤسسات السنية نظراً للاختلاف في المعتقدات والسلوك، وسعت لحماية نفسها من هجمات أهل السنة ولذا فقد انغلقت على نفسها، وأظهرت الموافقة لأهل السنة والجماعة.

ثالثاً: التناسخ

يؤمن البكتاشية بتناسخ الأرواح ويعبرون عنه "بانتقال الروح" وهم في هذه العقيدة يقولون: بإن الروح بعد أن تنفصل من جسد تحل في جسد آخر، وهي بذلك لا يمكن أن تبقى بدون جسد، كما أنها لا يمكن أن تبقى في الفضاء.

وتنحو البكتاشية منحى الفلاسفة في قضية الخلق فيرون "أن القوة الإلهية التي زُينت ودُعمت بكنه الإبداع ظهرت في مجال الرؤية كالعقل الكلي الذي أحاط بالكون فقد انبعث من هذه القوة الإلهية. ومنه نشأت النفس الكلية.

ومن جراء عملية التأثير المتبادل بين القوة المؤثرة والقوة المتأثرة نشأت

---

(1) Tarikat aliyya Bektasiyye, p, (10-11).

الطبقات السماوية، ومنها جاءت العناصر الأربعة الريح - الماء - النار - التراب. ومن هذه العناصر جاء المعدن، والنبات، والحيوان. فعملية الخلق تمت عن طريق النزول خطوة خطوة من أعلى إلى أسفل. وآخر كائن حي تم خلقه هو الإنسان. لذا؛ فإن الإنسان يريد أن يعلو ويصل إلى المرتبة والدرجة التي تتناسب مع المنشأ الإلهي الذي جاء منه. وهذه المرتبة لن تتحقق إلا إذا طهر الإنسان نفسه وتجرد من كل المساوئ والعيوب التي لا تلائم الروح العلية.

أما إذا لم يصل إلى هذه المرتبة فإن الروح بعد موت الجسد تنتقل إلى جسد آخر وبذلك يبقى الإنسان ويداوم على وجوده.

يقول الشاعر (جيدا موصلي):

لماذا نحن نموت؟!

فنحن نعرف أن أصلك الأول والآخر هكذا

فنحن نرحل ونأتي تارة إلى هذا الملك[1]

فهذه الأبيات تعني أن الأمر لا ينتهي بالموت؛ بل إن الإنسان يستمر يرحل ويأتي مرة أخرى في جسد آخر، كما يرى أن هذه المسألة هكذا منذ البداية.

وينظم الشاعر (دردلي) أبياتاً طويلة يذكر فيها مراحل انتقال الروح في الإنسان يقول:

قبل أن ترتدي قميص عناصرك

كنت أنا سلطاناً في حركة الفكر

وقبل أن تأتي إلى العالم الدنيوي

كنت أنا نوراً في أنوار القدر

ولقد أصبحت لا أختلف عن الروح السلطانية

وأصبحت متلائماً مع مناخ الجسد

(1) Bektasilik, p, (229).

ودخلت متطابقاً مع صفات العدم

وكنت بدون دار في مدار الخفاء

وكان ملك الملكوت قبل خلق الخلق

ولم يكن ثمة أحد يسجد لله

وكنت موجوداً قبل العرش والكرسي والقلم

وطفت مقاماً مقاماً وجئت إلى الدنيا

فوجدت نفسي في أحسن تقويم

وكنت على علم بالأسرار مع الحق(١)

هذه المنظومة تبين نظرة البكتاشية للإنسان ففي البداية ينظر له كنور موجود في كنه الله تعالى، ثم انفصل هذا النور، وأخذ شكلاً يتناسب مع حيز الوجود. ففي البداية كان الإنسان موجوداً كروح قبل أن تخلق السموات والعرش والكرسي، وقبل أن يعبد الله تعالى. ثم بنزوله إلى وجه الأرض يكون قد وصل إلى المرحلة الأخيرة وهبط من أعلى إلى أسفل.

إن هذا التكون والتشكل المنظوم في الأبيات والخروج إلى عالم الظهور إنما هو مسألة دور فهذه العودة تسقى وتمتد وتبدأ الروح من جديد بانتقالها.

ومن الرباعيات التي نظمت في هذه العقيدة ما قاله "نسيمي":

لقد وصلت مع منصور وانزويت إلى الدار

ولقد أصبحت عبداً مع يوسف حتى أنني بعت

ومع عيسى انجذبت إلى السماء في الشام رفعت إليها

وها أنا أيضاً آتي مع موسى من الطور(٢)

---

(١) المرجع السابق، ص (٢٣١).

(٢) المرجع السابق، ص (٢٣٠).

فهذه الرباعية تشير إلى ما تؤمن به البكتاشية من انتقال الروح من جسد إلى جسد آخر.

ولكن ألا تعتقد البكتاشية بطهارة الأنبياء من جميع المساوئ مما يؤدي بأرواحهم إلى الترقي والعودة إلى الذات الإلهية بدلاً من انتقال أرواحهم إلى أجساد أخرى ؟!!

تعتقد البكتاشية أن التناسخ ليس مقصوراً على إنسان آخر أو الذات الإلهية؛ بل من الممكن أن تتناسخ روح الإنسان فيما بين الطبقات السماوية التي تقترب من الله تعالى، كما أن التناسخ ممكن أن يهبط إلى الحيوان، كل ذلك بحسب درجة الرقي التي يصل إليها الإنسان قبل موته.

وأما من يصل إلى درجة الإنسان الكامل، فإنه يصل إلى الروح الإلهية، ويندمج معها وبذلك يكون قد وصل إلى الجنة، فما الجنة إلا هذه المرتبة.

مما تقدم يمكن القول: أن الإنسان موجود روحي، وقيمته الحقيقية توجد بكثرة في الروح. غير أن هذه الروح بمثابة موجود في تجدد وتطور دائم ومستمر يشتاق إلى كل ما هو إلهي. ولهذا السبب لا يقوم البكتاشيون باستخدام كلمة الموت كثيراً. ويقولون بدلاً منها تعبيرات واصطلاحات أخرى مثل:

(لقد أراح القلب)، (لقد قام بتغيير القلب) وتعبر (بالانتقال) بدلاً من كلمتي (الرحيل والهلاك).

كذلك ما يذكرونه خلف جنائز الموتى ينبئ عن هذه العقيدة، فالعبارات المذكورة تختلف باختلاف الشخص. فإذا مات إنسان كامل حسب اعتقادهم يقال: "لتكن البهجة والسعادة من نصيب هذه الروح الروان".

أما إذا رحل الإنسان الذي لم يصل بعد إلى المرتبة المأمولة فإنهم يقولون: "اللهم هون عليه فترته".

فالتعبير الأول (الروح الروان) يعني الروح التي سترتقي إلى مراتب ودرجات الكمال المعروفة. أما التعبير الآخر فهو دعاء بأن تلاقي الروح يسراً وهوناً في المراحل والمراتب التي ستدور فيها الروح بعد أن ترحل[1].

أما الجسد فتعتقد البكتاشية بفنائه يقول يونس أمره:

عندما يأتي أمر الله لا تبقى الروح في الجسد الذي جئنا به

وعندما تنفصل الروح عن الجسد لا تبقى الدماء في العروق

ويبلى لحمي وعظمي وتجف الدماء في الشرايين

فهلا ترى الموتى إن كان في كلامي كذب[2]

رابعاً: التنظيم في الطريقة البكتاشية

يقضي نظام الطريقة بالتسليم التام والطاعة العمياء لمشايخ الطريقة ويتدرج مشايخ الطريقة في عدة مراتب وهي[3]:

العاشق: هو الذي يحب الطريقة ويتعشق مبادئها وتسيطر عليه الروح البكتاشية، ويتذوق المعاني الصوفية للطريقة حتى تتكون لديه الرغبة في الانضمام للتكية البكتاشية، فيكثر من الحضور إليها والاستماع لمشايخها.

الطالب: هو الذي يعلن رغبته في الانتساب، فإذا خلصت نيته وظهرت عليه علامات الرضا والقبول ورضي عنه الشيخ أقيمت له حفلة خاصة يقدم فيها إقراره ويتلقى العهد ويطلق على هذا الاحتفال (الجهر بالإيمان).

المحب: هو الطالب الذي فاز بالدخول إلى سلك المتسبين إلى الطريقة، فيصبح من رجالها وله الحق في دخول حلقات الذكر والوعظ والإرشاد.

---

(١) المرجع السابق، ص (٢٣٥-٢٣٦).

(٢) المرجع نفسه، ص (٢١٨).

(٣) انظر: الرسالة الأحمدية، ص (٦٩-٧٠).

Bektasilik, p, (186-187).

الدرويش: هو المحب الذي يرقى إلى هذه الدرجة الرفيعة بعد أن خدم في التكية فترة زمنية، وتبين حُسن معرفته بأصول الطريقة وآدابها وأركانها، ويلم بالنظم البكتاشية، عندئذ يوضع له تاج فوق رأسه يطلق عليه تاج الدروشة.

درجة البابا: وهي درجة المشيخة، ولا يرقى إليها الدرويش إلا بعد فترة طويلة، يُحَصِّل فيها علم الطريقة ويتبحر فيه، ويتذوق معاني الرموز الصوفية، ويستطيع تفسير غوامضها وشرحها. ولا يمكن للدرويش الارتقاء إلى هذه الدرجة إلا بإجازة من الخليفة ويتم بذلك التصديق على هذه الدرجة، ومن ثم تلف عمامة فوق التاج (تاج الدروشة)، وهذه العمامة قد تكون خضراء، هذا إذا كان البابا من نسل النبي ﷺ، وإن لم يكن فإنها تكون بيضاء.

درجة الخلافة (الدده): وهذه الدرجة تمنح (للبابا) ولكن لا يمنحها إلا شيخ المشايخ، ومن يحصل على هذه المرتبة له الحق في حمل الأمانات المقدسة وهي الطوغ[1] والمصباح والمائدة، ويتم تعيينه شيخاً لإحدى التكايا الكبيرة مثل تكية مصر، وتكية علي سلطان وتكية أبدال موسى. وتلف على تاج الخلافة عمامة سوداء.

الدده بابا: شيخ مشايخ التكية البكتاشية العامة، ينتخب من بين الخلفاء، وله حق الإدارة، وتعيين المشايخ وإجراء طقوس التجريد[2] وهو بصفة عامة

---

(١) الطوغ: كلمة فارسية تعني ذيل الحصان، استخدمت في الدولة العثمانية بمعنى الشارة، وهي عبارة عن ذيل الحصان المركب على الرمح، ويصبغ باللون الأحمر، تحمل في الاحتفالات والحروب، يحملها جندي خاص يسمى حامل الشارة.
انظر: تاريخ مؤسسة شيوخ الإسلام (١٤١/١)، هـ (٢٦٨).

(٢) مرتبة التجريد: وهي للدرويش أو الأب الذي لم يتزوج فإذا رغب فيها فإنه يحلق له وفق عادة قواعدية، ثم تخرم أذنه اليمنى، ويعلق بها حلقة حديدية ومن ثم فلا يستطيع بعدها الزواج. إذ يعتبر قد نذر نفسه في سبيل علي ﷺ، تقام له مراسم محددة في أماكن محددة وهي تكية الحاج بكتاش ومقبرة بالم سلطان.
انظر:

Bektasilik, p, (187).

القوام على الطريقة المحافظ عليها وعلى أموالها والعامل على نشر التعاليم البكتاشية.

متى ما وصل الشيخ إلى مرتبة الإرشاد والتعليم، وكون له قاعدة عريضة من المريدين، فإنه لابد أن يبدأ بتعليم المريدين "الأبواب الأربعة" وهذه الأبواب تُكَوِّن الجانب العملي للطريقة، ولابد لمن يريد الانضمام إلى الطريقة من المرور بها.

وهذه الأبواب هي :

باب الشريعة - باب الطريقة - باب المعرفة - باب الحقيقة.

أولاً: باب الشريعة:

يطلق على هذا الباب في اللغة البكتاشية اسم "بل أوغلي" يعد هذا الباب بداية الطريقة ولا يراد بهذا الباب المفهوم الصحيح لكلمة الشريعة، أو ما يفهمه أهل السنة من هذا اللفظ. ولكن يراد بها القواعد الأساسية المكونة للدستور البكتاشي وهذه القواعد في حقيقتها تلفيق بين العقائد الإسلامية والقواعد العامة التي أسسها العلويون، ومخالفة صريحة للتشريع المنزل من عند الله تعالى.

فمثلاً الصلاة عند البكتاشية لا تؤدى كما يؤديها أهل السنة والجماعة، وإنما يحل محلها التوسل بعلي ﷺ ومشايخ الطرق الواصلين، على اعتبار أن الصلوات ليست إلا مظهراً شكلياً للدين، وأن الأصل هو جوهر العقيدة[1].

أما الصيام، فالبكتاشيون لا يصومون في شهر رمضان إلا ثلاثة أيام فقط، ويصومون الأيام التسعة الأولى من شهر محرم.

والخمر في الطريقة البكتاشية لا يعد أمراً محرماً، بل باعثاً على الفرح والبهجة والسرور، ومبعداً عن الحزن والسأم والكآبة. ويحرص عليه البكتاشيون حتى يتسنى لهم الاستمتاع بقليل من لذة الحياة ومتعتها.

(١) المنهج الصوفي للطريقة البكتاشية، ص (٢٢).

يقول شاعرهم:

أقـــدم أيهــا الزاهـــد واحـــترم الشـــراب

كـــن مســـلماً واتـــرك ذلـــك القيـــل والقـــال

إنـــه حـــلال لأهلـــه لا حـــرام علـــى أهلـــه

نحن نشربها فليس ثمـة ويـال لهـا يصيبنا[1]

ويقول آخر:

فلنكـــــن ســــيئين ولنحـــــدث جلبـــــة

ولتـــذهب أيهـــا الصـــوفي إلى حانـــة الخمـــر

ولنكـــــــن عبـــــــاداً ســـــــعداء[2]

ينشد البكتاشيون أشعارهم بمصاحبة الموسيقى ويرون في ذلـك ضـرورة اعتقادية. يستعملون آلات ضرب، وآلات نفخ وهناك أيضاً آلات وترية. رغبة في الاستمتاع بالحياة والإحساس بالسعادة والبهجة!!

ولا يقتصر الأمر على الشعر والموسيقى والخمر بل يصاحب ذلك الرقص حسب مقاييس معروفة يقوم فيها كبار الطريقة بذكر اسم (علي) ويعدون ذلـك ضرورة عقائدية وتسلية أيضاً. وتشارك النساء في هـذه الطقـوس والمراسـم الـتي تؤدى في التكايا بعد إغلاق أبوابها حفاظاً على سرية ما يحدث؛ إذ تعتبر البكتاشية التفريق بين الرجل والمرأة عادة ساقطة لا تعترف بها، فتسمح للمرأة بـالاختلاط مع الرجال والدخول إلى التكايا دون خمار، والجلوس بجوار الرجل[3].

وفي هذا الباب لابد للمريد من معرفة مؤسس الطريقة وإظهـار التبجيـل والحب والإجلال وإتباع طريقه. وأن يقر المبتـديء بالتثليـث الـذي تقـوم عليـه

(1) Bektasilik, p, (164).

(٢) المرجع نفسه، ص (٢٥٦).

(3) Buyuk Tarlkatlar, p, (38), Bektasilik, p, (257).
تاريخ الدولة العثمانية، د/ خليل، ص (٢٩٨).

الطريقة (الله - محمد - علي).

وبعد، فهذا الباب يظهر مدى الخلاف بين التشريع الإسلامي المتبع لدى أهل السنة والجماعة، والشريعة التي تدعيها البكتاشية، فلا خلاف عند من له أدنى درجة من العلم في تحريم الخمر والغناء واختلاط الرجال بالنساء فضلاً عن أن يصحب ذلك الشعر والرقص وإغلاق الأبواب، فهذه الأمور التي حرمها الله تعالى حفاظاً على سلامة المجتمع من الفساد يعدها البكتاشيون طريقاً للوصول، وأما السياج الذي أحاط الله به المجتمع، والقيود التي فرضها على المسلمين فيصفونها بالصلابة، والقسوة، والضغوط الثقيلة التي أقرتها الشريعة ويرون أنها لا يمكن أن تكون طريقاً للوصول[1].

ثانياً: باب الطريقة.

يطلق على هذا الباب (بول أوغلي) ويقصد به ابن الطريقة، وهو باب الدخول إلى الطريقة فمن دخل هذا الباب وأراد الانتساب إلى الطريقة لابد له أن يبحث عن مرشد يأخذ منه الطريقة وأسرارها، ويأخذ عليه العهد. وتعتقد البكتاشية أنه لا يمكن الوصول والفناء في الله ما لم يكن ذلك على يد مرشد كامل.

يقول الشاعر (محي الدين أبدال):

عندما لا يكون هناك طريق لمكان ما

وعندما لا يكون لك مرشد كامل

فلن تصل الطريق ولن تبلغ المنزلة

وعندما لا يكون هناك طريق من قلب لآخر

فلا يتسنى للشخص أن يمر من الأبواب المنخفضة[2]

---

(1) Bektasilik, p, (157).

(2) Bektasilik, p, (267).

أما الشاعر "خلوصي بابا" فنظم:

فلتأتي أيها القلب ولتكن عبداً للكاملين

ففي قلب الكاملين يتجلى الحق تعالى

فلتأتي ولتفتش وتجد المرشد الكامل

ولتجعل مرآتك صافية لكي تجد الرونق

فالإنسان الكامل هو الشفاء والدواء لألمك

فلتهيم روحك بكل صدق في طريقه[1]

يسمى المرشد (بابا) تعبيراً عن مدى الاحترام وقوة العلاقة بين المريد والمرشد، ويروون في ذلك (لولا المربي ما عرفت ربي)، ويطلقون على يديه (يد الولاية) ويعتقدون أن أعظم هؤلاء الحاج بكتاش، أما علي ﷺ فيطلقون عليه سلطان الولاية[2].

ما دام محمد المصطفى هو قائد الأنبياء وأعظمهم

فإن علي المرتضى هو سلطان الولاية ومرشدها[3]

يقوم البكتاشية بتنظيم حفل يسمى (طقس الإقرار) لكل من يريد الدخول في الطريقة، ومن يعترض على هذا الحفل لا يمكن أن يكون بكتاشياً، ينظم هذا الحفل بسرية، ولا يدخله إلا البكتاشيون. يقر فيه المريد بانتسابه إلى الطريقة وإيمانه بما آمنوا به، ويقدم إكباره وإجلاله لمشايخ الطريقة، ويقدم نذراً للتكية عبارة عن خروف يضحى به، ومن ثم تعد الموائد، ويحتسى الشراب، وتقرأ الصلوات وتنتهي الحفلة بأخذ الشيخ الإقرار من الطالب[4].

---

(١) المرجع نفسه، ص (٢٢٨).

(٢) المرجع نفسه، ص (١٥٩).

(٣) المرجع نفسه، ص (٩٣).

(٤) انظر تفصيل ما يحدث في طقس الإقرار في:

Bektasilik, p, (193-196).

جئـت ببـاب الحـق بالشـوق سـائلاً
مقـراً بـه محمـداً وحيـدراً
وطالبـاً بالسـر والفـيض منهمـا
ومـن الزهـراء وشـبير شـبرا

ثم يقرأ الشيخ آية البيعة:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[1].

ثم يختم الحفل بقول الطالب:

الحمـد لله أن صـرت عبـداً مخلصـاً لـرب العـلا
وبالحـب أسـلمت الحشـا خادمـاً لآل العبـاء
مـذهبي الحـق هـو مـذهب الصـادقين الأصـفياء
ومـلاذي هـو الحـاج بكتـاش قطـب الأوليـاء
تحزمـت بـإقراري يـا حـق في مجمـع الأتقيـاء
فكن دليلي يا مرتضى إلى مرشدي سيد الأنبياء[2]

وهكذا يعد المريد متنسباً للطريقة ومن ثم يبدأ بتعلم الآداب والواجبات البكتاشية حيث يكلف بتلاوة الأوراد والأدعية والأذكار البكتاشية المتضمنة لعقيدة البكتاشية من حب علي ﷺ والأئمة الاثنى عشر وكبار مشايخ الطريقة، والاستعانة بهم، والدعاء على من عاداهم.

وفي التكية يكلف بالخدمة مع الدراويش في إعداد الطعام وتجهيز المائدة وغسل الأواني أو خدمة الحديقة فإذا حذق فيها ترقى في الخدمة.

---

(١) سورة الفتح، الآية: (١٠).

(٢) الرسالة الأحمدية، ص (٧١-٧٢).

وكذلك يعلم الآداب البكتاشية:

١) آداب زيارة التكية:

على المريد قبل أن يذهب إلى التكية أن يستحم في بيته ويلبس أفخر ملابسه، ثم يذهب إلى التكية بعد أن يشتري شيئاً على قدر طاقته المالية، فإذا وصل قرأ البسملة والفاتحة ودخل برجله اليمنى دون أن يطأ العتبة المقدسة - لأنها مقام الدرويش - ثم يتجه إلى مشرب القهوة بأدب كامل وخشوع تام ويحي إخوانه ثم يجلس مجلساً يتناسب مع قِدَمه في التكية، والأقدمية تعتبر من يوم انتسابه للطريقة.

وعليه أثناء الزيارة عدم رفع الصوت، أو إحداث أصوات مزعجة. ويكون جلوسه على الركبتين. ولا يقصد مقابلة الشيخ إلا بعد الاستئذان من الدرويش المكلف بذلك.

٢) آداب زيارة الضريح:

وعلى المريد بعد الاستراحة أن يقصد إلى زيارة ولي الله المدفون في التكية وأن يسير مطأطيء الرأس في غاية من الخشوع.

فإذا استقبل الضريح قرأ:

بسم الله الرحمن الرحيم

السلام عليكم أيها الواصلون

يا من لهذه الدنيا تاركون

توفني مسلماً وألحقني بالصالحين

ثم يتقدم نحو الضريح ويقرأ عند الدخول من باب الضريح:

بسم الله الرحمن الرحيم

السلام عليك يا عاشقاً لله رب العالمين

السلام عليك يا فداء الروح يا سيد طريق الصالحين

السلام عليك يا مؤيد الشريعة والعهد المتين

السلام عليك يا تابع شرع محمد المصطفى الأمين

ثم يقرأ ماتيسر من القرآن ويختم بالفاتحة ويهدي ثواب ما قـرأه إلى أرواح المشايخ و الإخوان الراحلين ويخرج من الضريح بظهره[1].

٣) آداب زيارة الشيخ:

إذا صدر الإذن للمريد بالتشرف للقـاء الشـيخ، فعليـه أن يقـوم بصـحبة الدرويش المختص إلى حجرة الشيخ، فيخلع حذاءه، ويدخل مطـأطيء الـرأس، فإذا كان على بعد خطوات قليلة رفع رأسه وقرأ البسملة ثم يقول:

وجهـــك مشـــكاة وللهـــدى منـــارة

وجهـــك لصـــورة الحـــق إشـــارة

وجهـــك الحـــج والعمـــرة والزيـــارة

وجهـــك للطـــائعين قبلـــة الإمـــارة

وجهـــك القـــرآن المـــوجز العبـــارة

ثم يتقدم لتقبيل يدي الشيخ ثم يعود بظهره إلى الخلـف حتـى إذا أذن لـه الشيخ بالجلوس، جلس مراعياً أقدميته بينهم، ويتكلم بصـوت هـادئ ثـم يقـوم ويتراجع مولياً وجهه شطر الشيخ حتى الباب فينحني إجلالاً ويخرج إلى مشـرب القهوة فيجالس إخوانه إلى موعد الذكر[2]. يقوم الشيخ بإقامة الذكر فـيجلس في ركن خاص يصلي ويرتل آيات من القرآن متمثلاً مقام الإمام علـي ﷺ ويجلـس مريدوه في نصف دائرة ويقومون بإشعال اثنتي عشرة شمعة على هيئة مدرج رمزاً للأئمة الاثنى عشر[3].

---

(١) الرسالة الأحمدية، ص (٧٣-٧٤).

(٢) الرسالة الأحمدية، ص (٧٤-٧٥).

(٣) المنهج الصوفي، ص (٢٦).

فإذا انتهت الزيارة قام واستأذن وغادر التكية.

٤) آداب عامـة:

أ- عند الوقوف أمام الشيخ أو في حلقة الذكر يضع المريد إبهام القـدم اليمنى فوق إبهام القدم اليسرى.

ب- وضع اليدين على الصدر فوق السرة.

جـ- تقبيل يدي الشيخ في راحته.

د- إذا أراد البكتاشي مصافحة أخيه مد يده اليمنى رافعاً إبهامه إلى أعلى ويتقابل الإبهامان وتتم المصافحة المخصصة لكل شيء.

هـ- على المريد أن يقرأ الأدعية المخصصة لكل عمل[1].

الزي البكتاشي:

* التاج الحسيني: وهو عبارة عن قطعة من اللبد لها اثنـى عشـر ضـلعاً يلبسها من هو في درجة الدرويش.

* الحيدرية: عبارة عن صداري طويل حتى أعلى الركبة بدون أكمـام. يلبس فوق الجلباب الصوف.

* حجر بالهنك: يربط على البطن فوق الكمر.

* القنبرية: حجر يوضع على الكمر أيضاً(٢).

ثالثاً: باب المعرفـة:

هو مكان الدخول لطريق العلم، ولهـذا البـاب أهميـة بالغـة عنـدهم؛ إذ يتحقق للسالك فيه النجاة من الجهل، وأن يكون صاحب علم وفكر، ولهذا الباب ثلاث مراتب:

---

(١) انظر أدعية كل عمل بالتفصيل في كتـاب البكتاشـية، ص (٢٠١) ومـا بعـدها، ويبلـغ عـدد أدغية البكتاشية المعتمدة إحدى وعشرين دعاءً.

(٢) الرسالة الأحمدية، ص (٧٥-٧٦).

أ — عين اليقين:

وهي المعرفة بالرؤية والسماع لفهم الأحداث ومعرفتها، ولتعلم الحقيقة.

ب- علم اليقين:

وهو الفهم والمعرفة بطريق العلم واكتساب العلوم، والمقام هنا هو مقام تطبيق العلم الذي تم اكتسابه والاستفادة منه، ويقوم المرشد بتقويم العلوم التي تحصل عليها السالك وتقويم أعماله وأفكاره من خلال تطبيقه لهذه العلوم.

حـ- حق اليقين:

وهو الوصول للحقيقة ورؤية ومعرفة كل الأحداث وأسرار العالم والمخلوقات والكون وهنا يكون الشخص قد وصل إلى أعلى درجة، فيستطيع الحكم على ما يراه ويسمعه وتلك أعلى مراتب العلم(١).

رابعاً: باب الحقيقة:

في هذا الباب يصل السالك إلى فهم وإدراك كل أسرار العالم، ومفهوم الحياة وأهميتها وقيمة الإنسان، وهنا يكون السالك قد وصل إلى درجة الكمال، فتفتح له الأسرار، وترفع الأستار، التي تستره عن رؤية الحقائق، بعد أن يتجرد من الأنانية، وحب النفس، عند ذلك يصل إلى الوحدة، وهي مرتبة ظهور الله فيه.

وفي هذا الباب لا مكان للكلمات التي تظهر الفرقة والثنائية من (أنا وأنت)، فيختلط الجميع ويتم الوصول إلى الوحدة، عندئذ يطلق على الشخص إنسان كامل.

وقد تقدم الحديث عن معتقد البكتاشية في وحدة الوجود بشكل مفصل(٢).

---

(1) Bektasilik, p, (42-43).

(٢) انظر ص (٨٢) من الرسالة.

المبحث الثالث

علاقة الطريقة البكتاشية بالدولة العثمانية

قامت الدولة العثمانية كما اتضح سابقاً في محيط بلغ فيه المتصوفة مكانة كبيرة في أوساط الشعب، فكان أن توجه السلاطين إلى مشايخ الطرق؛ لتوفير قاعدة صلبة من المقاتلين الدراويش المتوافرين عند نشأة الدولة.

ومن ضمن هؤلاء شيوخ البكتاشية، وقد تميزت هذه الطريقة عما عداها باعتبار معسكر الإنكشارية تابعاً للبكتاشية مما كان له دور مهم في نشر البكتاشية في الدولة العثمانية، وتدعيم مكانتها.

ومع أن ما كتب في الوثائق من مقولات لا تستند على التاريخ، ولم تحظ بوثيقة قاطعة مؤيدة إلا أنها كانت عاملاً هاماً في نشر وتطور البكتاشية؛ إذ أخذت قوة وعوناً من الجيش الإنكشاري.

ومن تلك الروايات ما تذكره كتب المناقب البكتاشية من أن السلطان أورخان ﷺ قام بزيارة الحاج بكتاش ولي مع كتيبة من عساكر الإنكشارية ملتمساً منه الدعاء لهم، واختيار اسم لهم، وقد لبى الحاج طلبه[1].

وقد رد مؤرخو الدولة العثمانية ومن أقدمهم "عاشق باشا زاده" هذه الرواية وذكر أنها رواية باطلة من أساسها وليس لها سند تاريخي يؤيدها، ذلك أن بين تأسيس الجيش الإنكشاري - والذي تم في عهد مراد الأول ﷺ [2] - وبين الحاج بكتاش قرن من الزمان.

---

(١) وردت هذه القصة في الكثير من المؤلفات، انظر على سبيل المثال: تاريخ الدولة العثمانية لشكيب أرسلان، ص (٥٨)، الدولة العثمانية، علي الصلابي، ص (٥٥)، الرسالة الأحمدية، ص (٢١)، التصوف الشعبي في الأدب التركي، ص (١١٦).

(٢) تاريخ الدولة العثمانية، أوزتونا (٣٨٨/٢)، تاريخ الدولة العثمانية، د/ أحمد متولي، ص (٥٦).

وهناك رواية أخرى تذهب إلى أن السلطان العثماني أورخان ﷺ حصل على الدعاء والمباركة من التكية البكتاشية بسبب الصداقة الموجودة بينهما، والميل الكبير الذي يحمله لطريقتهم، وتذكر الراوية أنه وقف أمام قبر الحاج بكتاش للمباركة فنهض الشيخ وباركهم ودعا لهم[1].

ولعل الأقرب إلى الصواب أن المباركة والدعاء إن صح حدوثها كانت من شيخ التكية البكتاشية الموجود عند تأسيس الجيش الإنكشاري.

وما نشأت تلك الروايات التي يظهر بطلانها بالعقل إلا بسبب التقديس والتعظيم لمشايخ الطريقة، والغلو في اتباعهم حتى لو كان في ذلك مخالفة للعقل والشرع. وقد امتلأت كتب المناقب بمثل هذه الأمور، بل إنهم لا يعدون في الأمر منقبة إلا إذا خالفت العقل وبعدت عن التصديق.

ولكن فساد هذه الرواية لا يمنع ما يذكر فيها من أهمية الطريقة البكتاشية، فقد قام أورخان ﷺ ببناء تكايا وأضرحة كثيرة لرجال البكتاشية.

وعلى هذا يكون الشيخ بكتاش هو الأب الاسمي للإنكشارية، وهم ينظرون إليه باعتباره زعيماً دينياً لهم حتى أنهم أطلقوا على أنفسهم فيما بعد بكتاشيان.

وقد خصص الجيش الانكشاري شيخاً بكتاشياً لكل كتيبة يقيم فيها، يعلمهم آداب الطريقة وطقوسها[2].

استمرت رعاية السلاطين للطريقة البكتاشية ومشايخها فمثلاً:

* السلطان با يزيد ﷺ: أنشأ ضريحاً وتكية عظيمة للبكتاشية.

* السلطان مراد الثاني ﷺ: بنى القبة المدفون بها الحاج بكتاش ولي كما بنى مسجداً عظيماً للتكية.

---

(١) المنهج الصوفي للطريقة البكتاشية، ص (٤١).

(٢) التصوف الشعبي في الأدب التركي، ص (١١٦).

* السلطان سليمان القانوني ﷫: يعتبره رجال الطريقة البكتاشية واحداً منهم، حضر الصلاة على جثمان الشيخ جول بابا البكتاشـي، كمـا قـام بزيـارة لضريح الشيخ البكتاشي صاري صالتوق بابا المدفون في رومانية[1].

* السلطان سليم الأول: حينما أراد السلطان سليم الأول مهاجمة الدولة الصفوية الشيعية أعلن أمام الإنكشارية أنه بكتاشي الطريقـة، وقـام بثقـب أذنـه كعادة البكتاشيين المجردين، وعلق بها قرطاً خاصاً بالشيخ (بالم سلطان) المؤسـس الثاني للطريقة وكان يسعى مـن وراء ذلـك لكسـب ثقـة الإنكشـارية وإشـعال حماسهم في مواجهة الخطر الصفوي[2].

وفي المقابل استفادت البكتاشية من هذه الصلة حيث كانت في حماية الحكام و السياسيين من الطوائف الأخرى التي اتهمتهـا بالزندقـة والمـروق مـن الـدين، ويمكن أن يقال أن هناك ائتلافاً سياسياً دينياً بكتاشياً لوجود مصالح مشتركة بين الطرفين[3].

استمر نفوذ البكتاشية في الدولة العثمانية بين قوة وضعف.

حتى تعرضت البكتاشية لنكبة قوية من السلطان محمود الثاني[4] ﷫ عام (١٢٤٢هـ) حيث قتل ثلاثة من رؤسائهم نافذي الكلمة بينهم، بناءً على فتـوى شرعية.

وقد جاء في الفرمان الذي أصدره السلطان محمود الثاني ﷫:

"لقد قامت طائفة الإنكشارية بمخالفـة الشـريعة الشـريفة وتجـرأت علـى

(١) الرسالة الأحمدية، ص (٢١-٢٢).

(٢) حاضر العالم الإسلامي، شكيب أرسلان (٨٦/٢).

(٣) المنهج الصوفي للطريقة البكتاشية، ص (٤٢).

(٤) السلطان محمود الثاني هو السلطان (الثلاثون)، تولى عرش الدولة العثمانية خلال (١٢٢٣-١٢٥٥هـ)، من أهم أعماله: إلغاء الجيش الإنكشاري، توفي بداء السل، ودفن في استانبول. انظر: معجم الأنساب (٢٤٠/٢)، المنح الرحمانية، ص (٣٩٨)، تاريخ يلماز (٦٦٤/١).

استحلال المحرمات وترك الصلاة والصوم وتكفير حضرة الخلفاء الراشدين وتركوا الطريق المستقيم بسبب جهل البعض من ذوي الإيمان الضعيف وانحرفوا إلى طريق الضلال"[1].

واجتمعت معظم الطرق الصوفية المتوافرة في الدولة العثمانية إلى جانب الصدر الأعظم وشيخ الإسلام وكبار العلماء ورجال الشورى مع السلطان محمود الثاني ﷺ لمباحثة موضوع إغلاق التكايا البكتاشية، وافتتح الاجتماع شيخ الإسلام طاهر أفندي[2] بقوله: "ليس هناك ما يمكن أن نؤاخذ به حاجي بكتاش ولي وكل المشايخ العظام والكرام فجميعهم من أهل الله (!!)

ولكن ما رأيكم فيما قام به بعض الجهلاء باسم البكتاشية من أعمال ضد الشريعة وتطبيق المحرمات في الطريقة فاتبعوا الكفار واتبعوا هوى أنفسهم، واستحلوا المحرمات، واستخفوا بالعبادات"[3].

وفي الاجتماع تقرر هدم تكايا البكتاشية في عدة مناطق وتم نفي مشايخها إلى خارج إستنبول، وتقرر أيضاً بيع الخدم والحيوانات والحبوب ووضع قيمتها في بيت المال.

ويذكر أسعد أفندي المؤرخ الرسمي للسلطان محمود الثاني ﷺ "أن البكتاشية اتحدت مع الإنكشارية وقاموا بخيانة الدين والدولة.

ففيما يختص بخيانة الدين، فإنهم قاموا بنشر الإلحاد بين الشعب وسلكوا طرقاً غير مشروعة في الزوايا والتكايا، فشربوا الخمر، وسخروا بعقائد أهل السنة

(1) Osmanlilarda devlet – Tekke morasebe Tleri, p, (135).

(٢) هو المولى محمد طاهر بن عمر بن مصطفى الرومي، الشهير بـ (قاضي زادة)، ولد في استانبول عام (١١٦٤هـ). تولى منصب شيخ الإسلام عام (١٢٤١هـ) واستمر في ذلك حتى عزل منه بسبب كبر سنه في عام (١٢٤٩هـ)، ترك مجموعة من المؤلفات، توفي في عام (١٢٥٤هـ).

انظر: تاريخ مؤسسة شيوخ الإسلام (١٨٨/٢).

(3) Osmanlilarda, p, (140).

علانية مثل: أداء فرائض الصلاة، والصوم في شهر رمضان.

أما خيانتهم للدولة فتتمثل في تدخلهم في شؤون الدولة ومحاولات تغيير السلطة وتدخلها في نظام الضرائب في الدولة إلى جانب التمردات والثورات التي أثارتها بين المدنيين بغرض معارضة نظام الدولة"[1].

بعد أن أغلقت جميع تكايا البكتاشية حلت محلها الطرق الأخرى وخاصة النقشبندية، وقد بذل البكتاشيون جهوداً جبارة من أجل إعادة نشاطهم. حتى كان عهد السلطان عبدالمجيد[2] ﷺ فسمح لهم بفتح التكايا والزوايا البكتاشية.

وفي عهد السلطان عبدالعزيز[3] ﷺ فتح لهم أيضاً ثلاث تكايا، مما أدى إلى استمرارها.

ولما كان عهد السلطان عبدالحميد الثاني ﷺ كان يوجد في ذلك الوقت أربع عشرة تكية في إستانبول وست عشرة تكية في أدرنة[4].

فكان للطريقة وجودها الحاضر في الدولة العثمانية، وخاصة في ألبانيا حيث كانت لها قوة لا يستهان بها في تلك المنطقة؛ دفعت جمعية الاتحاد والترقي إلى استقطاب أعضاء لها من هذه الطريقة، بل وقام بعض من زعمائها بالانتماء إلى البكتاشية. وسيأتي تفصيل ذلك بإذن الله تعالى.

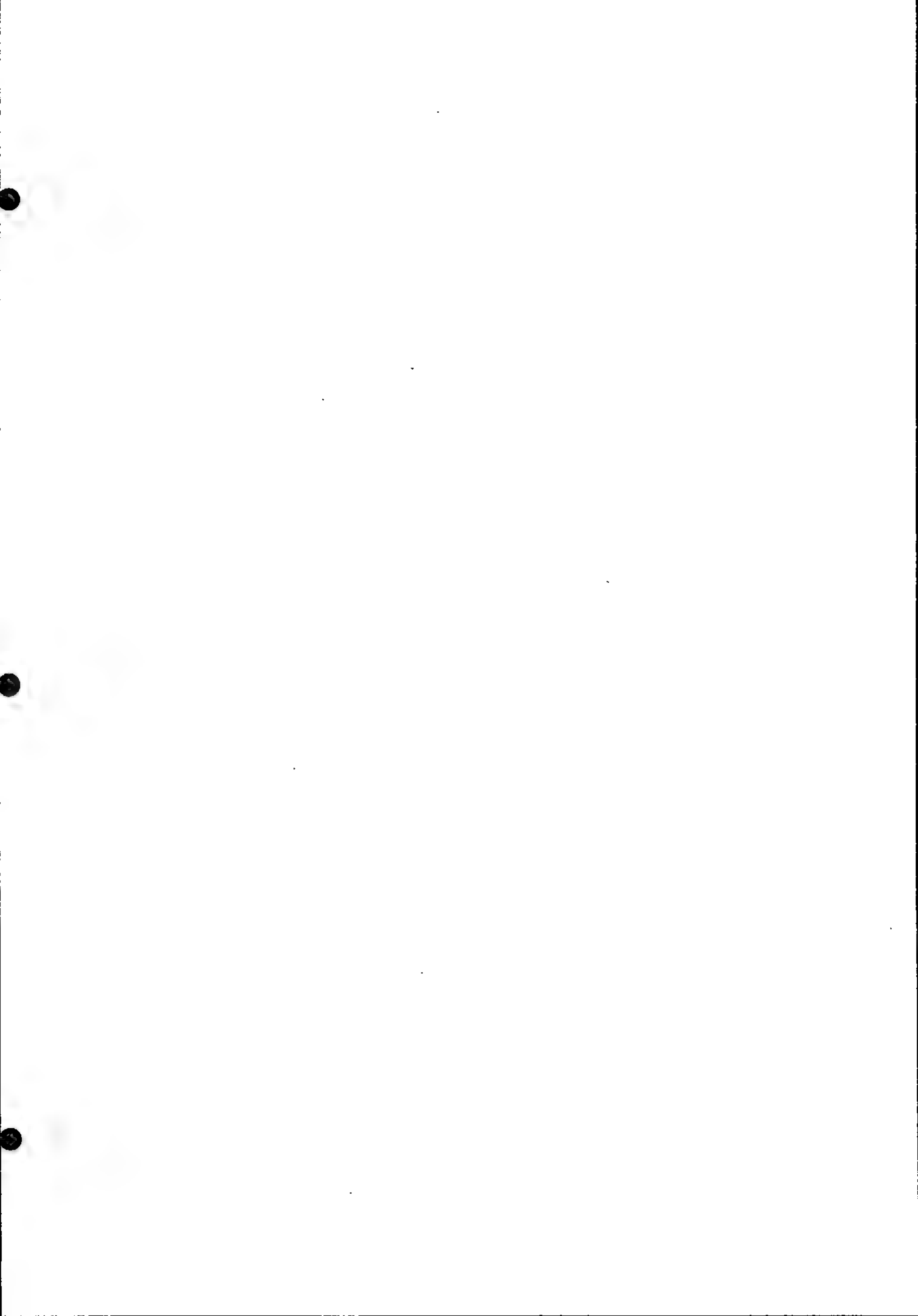
---

(١) المنهج الصوفي للطريقة البكتاشية، ص (٤٥) نقلاً من:
Rehacamuroglu, yenceri – bektasiyan, Istanbul, s, (31).

(٢) السلطان عبدالمجيد الأول بن محمود الثاني هو السلطان (الحادي والثلاثون) تولى الحكم خلال (١٢٥٥-١٢٧٧هـ)، حدثت في عهده تطورات في مجال المعارف، وفتحت المدارس المهنية، وتأسست خطوط البرق والسكك الحديدية، توفي بداء السل ودفن باستانبول.
انظر: معجم الأنساب (٢٤٠/٢)، المنح الرحمانية، ص (٤٥٥)، تاريخ يلماز (٢٤/٢).

(٣) السلطان عبدالعزيز بن محمود الثاني، هو السلطان (الثاني والثلاثون) تولى العرش خلال (١٢٧٧-١٢٩٣هـ) حيث تم خلعه ثم قتل في ذات العام.
انظر: معجم الأنساب (٢٤٠/٢)، المنح الرحمانية، ص (٥٣٠).

(٤) انظر المنهج الصوفي للطريقة البكتاشية، ص (٤٦).



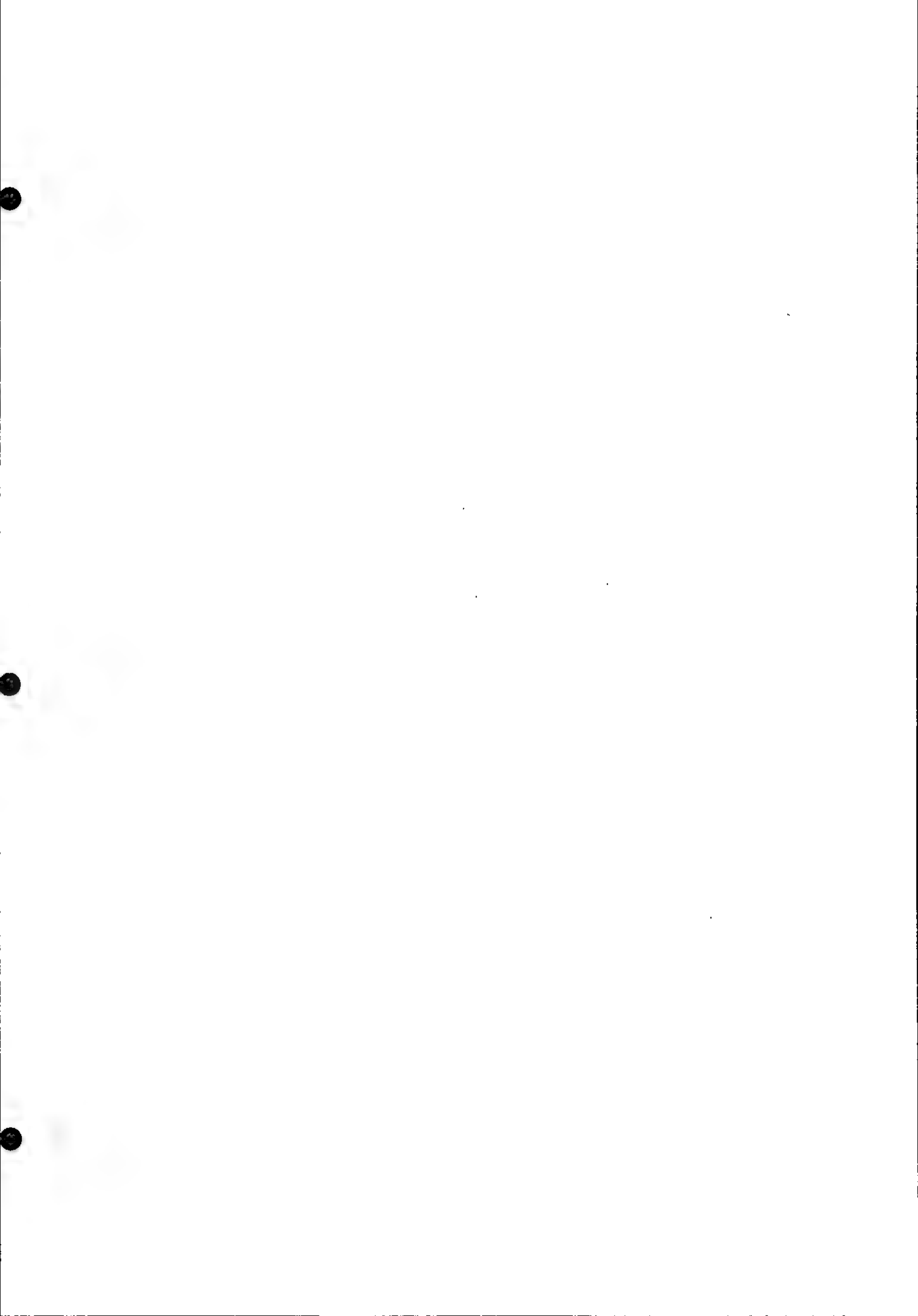
الفصل الثاني

الطريقة المولوية

المبحث الأول: نشأة الطريقة المولوية.

المبحث الثاني: العقائد التي تؤمن بها الطريقة المولوية.

المبحث الثالث: علاقة الطريقة المولوية بالدولة العثمانية.



المبحث الأول
نشأة الطريقة المولوية

المولوية طريقة صوفية ذائعة الصيت في تركيا منذ نشأتها إلى عهد إغلاق التكايا. تنسب هذه الطريقة إلى جلال الدين الرومي. وهو كما يقول عن نفسه: محمد بن محمد بن الحسين البلخي[(١)] لم يزد على هذا في التعريف بنفسه. بيد أن كثيراً من الموالين له يعودون بنسبه إلى أبي بكر الصديق ﷺ وأرضاه وهذه عادة ألفتها الصوفية إذ تنسب رجالاتها إلى الأئمة الأخيار لتغرير الجهال بقبول ما يدعون إليه.

ولد جلال الدين في بلخ سادس/ ربيع الأول عام (٦٠٤هـ)، فهو من أسرة بلخية من بلاد فارس. سُمي بالرومي لبقائه في بلاد الروم غالب عمره.

تصدى والده بهاء الدين للتعليم والوعظ فذاع صيته، وأقبل عليه الطلاب حتى لقب بـ"سلطان العلماء" قرر والده الارتحال من بلخ عام (٦١٦هـ).

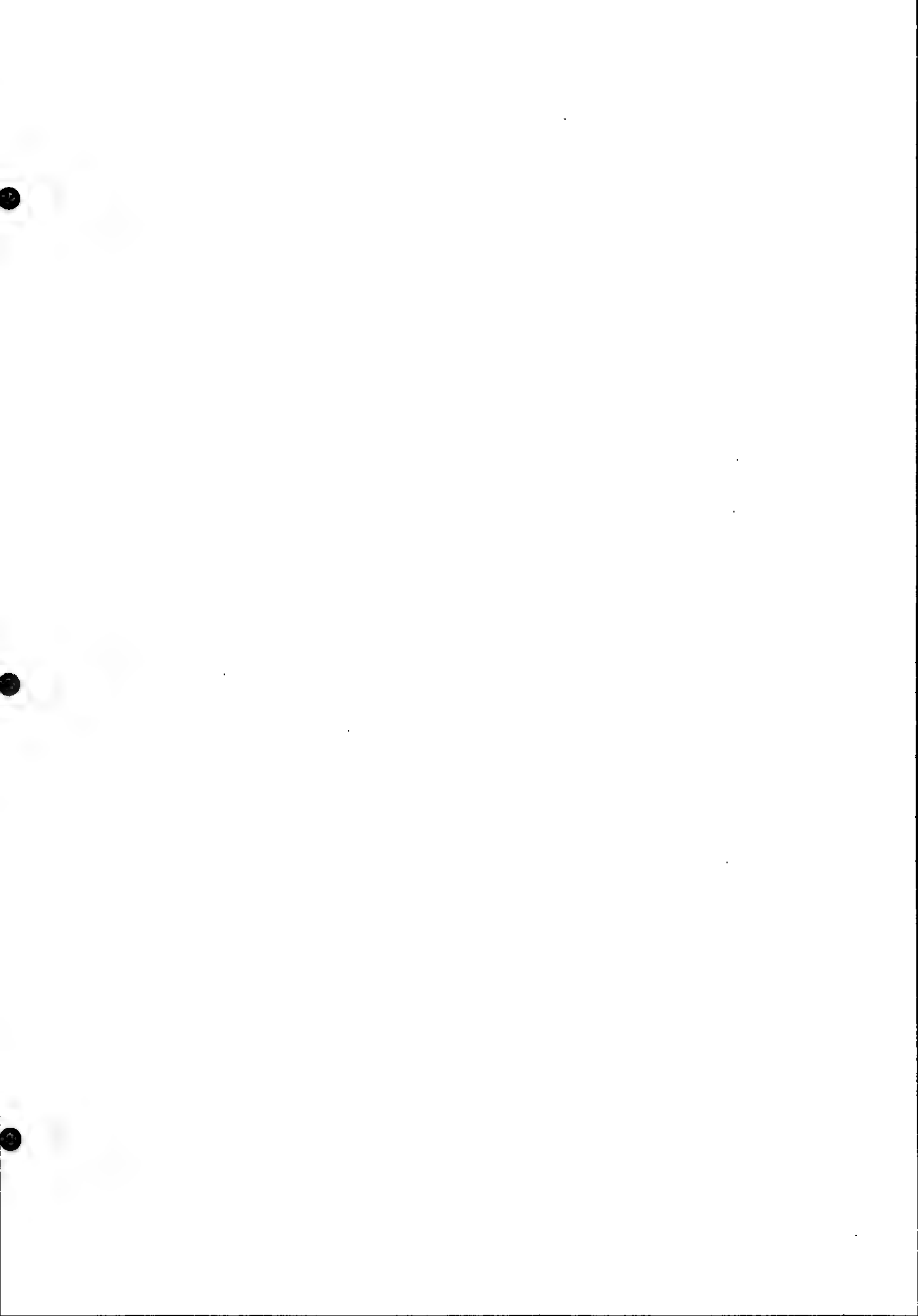
تذكر بعض المصادر أن سبب الارتحال هو النفور الذي وقع بين سلطان العلماء وملك خوارزم محمد قطب الدين، وترجع هذه المصادر النفور إلى غيرة الملك من مكانة الشيخ. وقيل: أن الفخر الرازي[(٢)] نفَّر السلطان منه لأنه كان يكره الصوفية[(٣)].

---

(١) انظر المقدمة التي سطرها للجزء الأول من كتابه المثنوي (٦٤/١) ترجمة إبراهيم شتا.

(٢) هو محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين البكري، أبو عبدالله، فخر الدين الرازي، إمام مفسر، كان أشعرياً فيلسوفاً، كان كثير التصانيف منها: مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، معالم أصول الدين، المطالب العالية، توفي سنة (٦٠٦هـ).
انظر: وفيات الأعيان (٢٤٨/٤)، الوافي بالوفيات (٢٤٨/٤)، طبقات السبكي (٣٣/٥).

(٣) فصول من المثنوي، عبدالوهاب عزام، ص (٩).



ومن الأسباب التي ذكرت: أنه فر من خوارزم مثله مثل كثير من الناس خوفاً من اجتياح التتار لتلك البلاد[1].

ويبدو هذا الرأي أرجح من سابقه خاصة إذا علمنا أن سقوط بلخ كان بعد ذلك بعام واحد فقط (٦١٧هـ). وأن وفاة الرازي كانت عام (٦٠٦هـ) أي قبل ارتحالهم بعشر سنوات. ومهما كانت الأسباب فقد ارتحل سلطان العلماء ومعه ابنه جلال الدين فتوجه تلقاء بغداد، ثم سار إلى الحجاز للحج، ثم دمشق وحلب، ثم توجه تلقاء بلاد الأناضول وجهة الكثير من الصوفية في ذلك الحين. فأقام فيها مدة حتى دعاه السلطان السلجوقي علاء الدين كيقباد إلى مدينة قونية حاضرة ملكه. فرحل إليها سنة (٦٢٣هـ) واستقر بها، وأقام في مدرسة التونيا معلماً حتى وفاته سنة (٦٢٨هـ).

خلف جلال الدين والده في الوعظ والتدريس وهو في سن الرابعة والعشرين بعد أن تتلمذ على يد والده بهاء الدين وبرهان الدين الترمذي[2] الذي صحبه جلال الدين تسع سنوات. تولى جلال الدين التدريس في أربع مدارس بقونية، وكثر طلابه واستمر على نهج والده في تدريس العلوم الدينية بضع عشرة سنة. حتى حدث له أمر غير وجهته وصرفه عن التدريس الا وهو لقاء شمس الدين التبريزي عام (٦٤٢هـ).

وهو محمد بن علي بن ملكدا التبريزي ينتهي نسبه إلى كيابزرك خليفة

---

(1) Buyuk tarikatlar, p, (55).
Turk Dusuncesi – Mevlevlik, Furuzan Tokin, sayiy . Culd 7. P, (23).

(٢) هو برهان الدين الترمذي، معلم جلال الدين في قونية، سكن قيصرية فلما اجتاحها المغول، اتحفوه بالمال، واستوزروا أحد مريديه واحترموه ولما مات بنوا على قبره بنية. يعتبر الملامية أعلى مراتب الحقائق، توفي عام (٦٤٢هـ).
انظر عنه: أخبار جلال الدين الرومي، ص (٨٢)، (١٣٣)، (١٥٤).

حسن الصباح شيخ الإسماعيلية[١]. ولد في تبريز[٢] وأخذ التصوف عن مشايخها[٣].

حوّل هذا اللقاء جلال الدين من معلم للعلوم الدينية إلى صوفي منقطع إلى نظم الشعر وسماع الموسيقى والدوران.

تأثر جلال الدين به تأثراً شديداً، جعل أشعاره تفيض بالحب والإجلال والمبالغة في تعظيم الشمس بل نسبت إليه أبياتاً يجعله فيها إلهاً له يقول:

شمسي وإلهي

عمري وبقائي منك

وصلت إلى الحق يا حق المؤدي لحقي[٤]

فأطلق اسم الإله والحق على التبريزي. وحاصل كلامه أنه يقول له: أنت إلهي الذي أوصلتني إلى الحق وأنت الحق الذي أديت حقي.

كان التبريزي ذا شخصية مسيطرة قوية، منع جلال الدين من قراءة كتب والده، كما حظر عليه مطالعة ديوان أبي الطيب المتنبي وكان مغرماً به[٥].

هجر جلال الدين دروسه، وانصرف عن طلابه، وأنس بالخلوة معه. فأثر

---

(١) الإسماعيلية: هم المنسوبون إلى إسماعيل، الابن الأكبر لجعفر الصادق، يعرف بإسماعيل الأعرج، توفي في حياة أبيه سنة (١٤٥هـ)، تفرعت هذه الطائفة من الشيعة الإمامية بعد وفاة جعفر عام (١٤٨هـ). وهم من غلاة الشيعة، ومن الحركات الباطنية، التي كانت حرباً على الإسلام والمسلمين.
انظر: الملل والنحل (١٦٧/١)، دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين، ص (٢٦٥)، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب (٣٨٣/١).

(٢) تبريز: تقع في الشمال الغربي من إيران بالقرب من الحدود التركية.
انظر: معجم البلدان (١٣/٢)، بلدان الخلافة الشرقية، ص (١٩٥).

(٣) فصول من المثنوي، ص (٩).

(٤) أخبار جلال الدين، ص (٣٢)، البهجة السنية، ص (٥).

(٥) مناقب الأفلاكي (١٩٨/٢-١٩٩).

ذلك على طلابه وأهل الشريعة بقونية ومنهم ابنه العلاء. وكثر القيل والقال حتى بلغ مسامع التبريزي من ذلك ما جعله يترك قونية عام (٦٤٣هـ) فاغتم لذلك جلال الدين وحزن عليه فتتبع أخباره حتى علم بوجوده في الشام فأرسل له ابنه سلطان ولد بهدايا نفيسة وأبيات من الشعر الفارسي:

أيها النور في الفؤاد تعال	غاية الوجد والمراد تعال
أنت تدري حياتنا بيديك	لا تضييق على العباد تعال
أيها العشق أيها المعشوق	حُلْ عن الصد والعناد تعال
أنت كالشمس إذا دنت ونات	يا قريباً على البعاد تعال[1]

رجع الشمس إلى قونية، وزوَّجه جلال الدين من ربيبته كيمياء، رجاء أن تهدأ الثورة عليهما، لكنهما عادا إلى الخلوة مرة أخرى.

وبينما كان الشمس في خلوة مع جلال الدين إذ بشخص يشير إليه خفية أن اخرج إليَّ؛ فلما خرج من الدار اجتمع عليه سبعة نفر حتى قتلوه، وألقوا بجثته في بئر. حتى أخرجه سلطان ولد مع مريدي والده من البئر ودفنوه في مدرسة جلال الدين عام (٦٤٥هـ)[2].

يرجح بعض الباحثين أن السبب في مقتل الشمس هو كشف أهل الفتوة وطلاب الشريعة عمالته للمغول وإضلاله لجلال الدين.

ذكر المؤرخ ميكائيل بيرام "أن الشمس التبريزي هو المؤسس للوثاق المؤكد بين الجلال والمغول، فليس من الصعب فهم العلاقة القديمة للشمس مع المغول وهو الذي دخل الأناضول مروراً بأرضروم[3]

(١) مناقب الأفلاكي (٢/٢٨٣، ٢٨٥).

(٢) المرجع نفسه (٢/٢٨٢-٢٨٣).

(٣) أرضروم: مدينة تركية تقع شرق الأناضول وإلى الجنوب الشرقي من طرابزون. يلفظها الأتراك (أرزروم).

انظر: بلدان الخلافة الشرقية، ص (١٤٩-١٥٠)، تاريخ الدولة العلية، ص (٢٨١)، هـ (٢).

وأرزنجان[1] وتلك عين الطريق التي سلكها المغول في استيلائهم عليها، فليس يبعد أنهم أرسلوا الشمس إلى قونية وهم بعد هناك. والذي يقوي هذا الأمر أنه جاء قونية قبل المغول بسنتين[2].

وممالأة جلال الدين للمغول ثابتة لا يمكن إنكارها، وهذا ما جعل المؤلف المولوي عبدالباقي كولبينارلي يحاول أن يعتذر عن ذلك بأن جلال الدين كان يقصد تحبيب المغول في الإسلام، وترغيبهم في دخوله[3].

وهذا رأيه في المغول الذين استباحوا العالم الإسلامي يقول في مؤلفه فيه ما فيه: " كان المغول يوم جاؤوا هذه البلاد عراة، مراكبهم الثيران، وأسلحتهم من خشب، أما اليوم فقد تعالوا، يملكون أعرق الخيول العربية، وخير الأسلحة لديهم..

قد أعانهم الله يوم كانوا في حالة من الضعف، يوم كانت قلوبهم منكسرة وأجسامهم هزلى، فتقبل الله تضرعاتهم وهم الآن قد استعلوا وقويت شوكتهم.

لم ينصرهم الله ويعلي أمرهم لقوتهم في أنفسهم، بل بعَون منه ما جعلهم الأعلين، وبتلك المعونة فليعلموا أنهم ضبطوا الدنيا. وإن كان الناس ضعفاء فالله تعالى يقهرهم"[4].

التقى جلال الدين بالقائد المغولي (بايجو) في قونية سنة (٦٥٤هـ)، ومن ثم توطدت العلاقات بينه وبين عساكر المغول، فكانوا يصادرون بيادر القمح

---

(١) أرزنجان: مدينة تركية تقع إلى الغرب من أرضروم يطلق عليها اليوم (أرزنكان). انظر: بلدان الخلافة الشرقية، ص (١٥٠).

(٢) أخي أورن وتأسيس الفتوة الأخوية، ص (٩٣). ترجمة أبو الفضل القونوي، ص (٨٢) من كتاب أخبار جلال الدين الرومي.

(٣) المولوية بعد مولانا، ص (٤٢١).

(٤) فيه ما فيه، ص (١٠٩-١١٠).

من الأهالي عدا ما كان لجلال الدين وقرابته ولمن كان على علاقة حسنة معه[1].

كما كان جلال الدين يخبر بتحركات المغول، وقرب وصولهم قبل أن يعرف ذلك أحد من السكان[2].

وهذا إن دل على شيء فعلى عمالته للمغول، وليست كرامة له كما يدعي ذلك مريدوه.

وفي عام (٦٥٩هـ) قام العلاء مع شيخ الفتوة بعصيان على المغول، تم إخماده بقطع أعناق جميع المشاركين. فلما قُتل العلاء وجيء بجثمانه إلى قونية أبى الوالد أن يصلي على ولده. لعده باغياً خارجاً على السلطان[3].

بعد مقتل الشمس اتخذ جلال الدين خليفة له هو صلاح الدين فريدون بن ماغنيان زركوب. كان أحد الصاغة الذين اجتذبهم جلال الدين إلى طريقته. كان أمياً لا يستطيع أن يقرأ فاتحة الكتاب من ذاكرته دون خطأ (!!!).

استمر صلاح الدين في خلافة جلال الدين عشر سنوات حتى وفاته عام (٦٥٧هـ). ومنه انتقلت الخلافة إلى حسام الدين جلبي. نصبه جلال الدين خليفة له وبقي معه عشر سنوات وضع فيها جلال الدين كتابه المثنوي وبانتهاء هذا الكتاب توفي جلال الدين عام (٦٧٢هـ).

اجتمع في جنازته القوم من كل ملة ودين، كان الحاخامات يقرؤون التوراة، والنصارى يقرؤون الإنجيل، وعزفت المزامير والنايات وآلات الرباب، ودفن في حديقة تكيته بمدينة قونية[4].

---

(١) مناقب الأفلاكي (٢/١١٤-١١٥).
(٢) المصدر نفسه (١/٦٥١).
(٣) ميكائيل بيرام، مرجع سابق، ص (١١١-١١٢).
(٤) مناقب الأفلاكي (٢/٢٩٨).

مؤلفــاته:

١- المثنــوي.

من أهم ما آلفه جلال الدين وهو منظومة صوفية، تحوي خمسة وعشـرين ألفاً و سبعمائة بيت في ستة أجزاء. سماه الرومي بالمثنوي.

والمثنوي: يعتمد في التقفية على توحيد القافية بين شطري كـل بيـت مـن أبيات المنظومة، فكل بيت من الأبيات تكون له قافيته المستقلة[١]. وهو ما يسمى في العربية المزدوج.

صدر جلال الدين كل جزء بمقدمة منثورة قصيرة، ذكـر في مقدمـة الجـزء الأول أنه نظم هذا الكتاب بدعوة من خليفته حسام الدين[٢].

بدأ جلال الدين ينظم المثنوي وحسام الدين يكتب، ثم يقرأ ما كتب على جلال الدين، وكلما أنهى جزءاً عاد فقرأه عليه، فيستدرك الأخطاء[٣].

تاريخ هذا النظم:

ذكر الناظم في الجزء الثاني أن نظم المثنوي قد تـأخر مـدة لغيـاب حسـام الدين، وأنه أستأنف النظم سنة (٦٦٢هـ)[٤]. وقد استمر في نظم الأجزاء الخمسة إلى وفاته سنة (٦٧٢هـ).

ألبس جلال الدين مثنويه حلل التقديس والتعظـيم حتـى جعلـه للقـرآن الكريم نداً وإليك ما قدم به كتابه يقول:

"هذا كتاب المثنوي، وهو أصل أصول الدين في كشـف أسـرار الوصـول واليقين، وهو فقه الله الأكبر، وشرع الله الأزهر، وبرهان الله الأظهر، مثل نـوره

---

(١) أخبار جلال الدين الرومي، ص (٣٥٩).

(٢) المثنوي (٣٤/١).

(٣) مناقب الأفلاكي (٣٣٠/٢).

(٤) المثنوي (٩/٢).

كمشكاة فيها مصباح .. يضل به كثيراً ويهدي بـه كـثيراً، وإنـه شـفاء الصـدور، وجـلاء الأحـزان وكشـاف القـرآن وسـعة الأرزاق وتطييـب الأخـلاق (!!)، بأيدي سفرة كرام بررة، يتمتعـون بـأن لا يمسـه إلا المطهـرون، تنزيـل مـن رب العالمين، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، والله يرصده ويرقبه وهو خير حافظاً وهو أرحم الراحمين، وله ألقاب أخر لقبه الله تعـالى بهـا واقتصـرنا علـى القليل، والقليل يدل على الكثير، والجرعة تدل على الغدير، والحفنة تـدل علـى البيدر الكبير"[1].

هذه العبارات تنبئ عن اعتقاد غرسه جلال الدين في نفوس مريديه وأتباعه إلى يومنا هذا، ألا وهو أن المثنوي وحي من الله إليه. وبهذا آمنت المولوية.

فمن أشهر شراح المثنوي بالتركية صاري عبدالله أفندي يقول: "نزل هـذا المثنوي الشريف من رب العالمين، ذي الجلال، دفعة واحدة في ليلة القدر إلى سماء القلب (!!)، ثم نطق به منجماً على قدر الحاجة، بواسطة جبريل العقل (!!)، وقد تنزل بطريق الفيض والإلهام"[2].

ولا عجب أن نسمع بعد ذلك من المولوي عبـدالغني النابلسـي[3] قولـه: "إنه وحي إلهامي، وكلام إلهي سامٍ، نزل به ملك الإلهام من حضـرة ذي الجـلال والإكرام، على قلب الوارث المحمدي" "ويضيـف" ولأنه منظوم بالوحي الإلهـامي، والترتيب الروحاني الصمداني، لا بالحظ النفساني، فهو منسوب إلى الإله تعـالى جمعاً، وتقسيماً، وتبويباً"[4].

(١) مقدمة الجزء الأول من مثنويه (١/٣٣-٣٤).

(٢) مخطوطة شرحه للمثنوي بخط يده، مكتبة يوسف آغا بقونية، رقم (٦٦٣٨)، تاريخها (١٠٤١هـ). نقلاً عن أخبار جلال الدين، ص (٣٦٦) هـ (١).

(٣) هو عبدالغني بن إسماعيل بن عبدالغني، الدمشقي، الحنفي ولد عام (١٠٥٠هـ) بدمشق. اتخذ التصوف عن سعيد البلخي، اتبع طريقة ابن عربي. له مؤلفات منها: إيضاح المقصود من معنى وحدة الوجود، الوجود الحق، شرح ديوان ابن الفارض.
انظر ترجمته: سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر (٣/٣٠)، الأعلام (٤/٣٢).

(٤) مخطوطة العقود اللؤلؤية في طريق السادة المولوية، جامعة اصطنبول نقلاً عن =

وقال عنه في نظم له:

بكتاب المثنوي طاب الوجود	وتوالى كل إنعام وجود
وبه الألباب منا فرحت	بعقود هي من أبهى العقود
فهو وحي الله في إلهامه	يخرج المطلق من كل القيود
وهو قرآن وفرقان لمن	عرف الله على رغم الحسود[1]

وهذا ما عبر عنه عبدالرحمن الجامي[2] صراحة فقال:

"إن المثنوي المعنوي المولوي هو القرآن في اللسان الفارسي. ماذا أقول في وصف هذا العظيم؟! لم يكن نبياً ولكنه أوتي الكتاب"[3].

ولم يكتف المولوية بهذه المزاعم، فقد زعم خليفة جلال الدين حسام الدين أنه رأى النبي ﷺ ذات ليلة في منامه يقرأ المثنوي ويمدح هذا الكتاب ويطريه أمام الصحابة ﷺ كما رأى النبي ﷺ في معية جلال الدين وهو يمدحه ويثني عليه[4].

فهل ما يحويه المثنوي يستحق الثناء والإطراء من رسول الله ﷺ ؟ !!!

المثنوي منظومة صوفية قرر فيها جلال الدين عقيدة وحدة الوجود وفي سبيل ذلك يستخدم القصص، والإسرائيليات، وما صح من الأحاديث وما لم يصح، ويورد آيات مقتبسة من القرآن الكريم يغلفها بالفكر الوجودي.

يقول الشيخ / محمد شاهين صاحب كتاب (نقد المثنوي):

= رحلة الإمام بدر الدين العيني إلى قونية، لأبي الفضل القونوي، ص (١٨).

(١) العقود اللؤلؤية في طريق السادة المولوية، للنابلسي، ص (١٧-١٨).

(٢) هو عبدالرحمن الجامي ابن نظام الدين أحمد بن شمس الدين الدشتي، من أصفهان نزح جده إلى جام، لازم عبيدالله أحرار وكان يرفع من شأنه، شرح الفصوص وله كتاب النفحات، توفي سنة (٨٩٨هـ).
انظر: الأنوار القدسية، ص (١٥٢)، جامع كرامات الأولياء (٢/١٢٩).

(٣) فصول من المثنوي، ص (١).

(٤) المولوية بعد مولانا، ص (٥٥).

"يجيء المثنوي إلى قصص كليلة ودمنة فيلبسها طربوش المولوية وثيابها، ثم لا يكتفي بذلك حتى يلبس فكرة وحدة الوجود ذلك الطربوش وتلك الثياب"[1].

وهذا ما اعترف به جلال الدين صراحة قال:

وكتابنا المثنوي هو حانوت الوحدة

وكل ما تراه غير الواحد فهو صنم[2]

كما ذكر الأفلاكي عن سلطان ولد قوله لوالده: "زماننا هذا ما أحسنه من زمان، كان المنكرون في الزمن الماضي، قد قتلوا الحلاج لقوله: أنا الحق .. وأحمد الله أنه لا يوجد اليوم من يعترض على أبيات سيدي التي يحوي كل بيت فيها على مثل أنا الحق، وسبحاني"[3].

ومنذ كتابة المثنوي من قبل جلال الدين بدأ مريدوه بحفظ المثنوي وتدريسه ويطلق على الواحد منهم (مثنوي خوان). وأنشئت في مختلف البلاد دور للمثنوي لتدريسه وقراءته على المريدين ثم تعطى الإجازات لمن تخرج فيها.

في دار المثنوي منصة خاصة يقوم الشيخ بشرح المثنوي وتفسيره وهو جالس عليها يقف القاريء عند قاعدة المنصة ويقرأ أربعة أو خمسة أبيات من المثنوي ثم يشرع الشيخ في شرحها، وبعد الفراغ من الشرح يقرأ الأبيات التي تعني "هكذا أمر مولانا الذي فتح أسرار العظمة الإلهية، فلا علم النجوم ولا الرمل ولا الرؤيا، فالله يعلم علم اليقين أنه الوحي من الله (!!) ثم يدعو ويقرأ الفاتحة"[4].

---

(١) نقد المثنوي، محمد شاهين، ص (٤٥-٤٦)، ترجمة أبو الفضل القونوي في أخبار جلال الدين، ص (٩).

(٢) المثنوي (٦/١٥١).

(٣) مناقب الأفلاكي (١/٦٩٦).

(٤) المولوية بعد مولانا، ص (٦٣٢).

أولت المولوية هذا الكتاب عظيم عنايتها، فظهرت له الشروح والترجمات بالتركية[1] والعربية[2]، كما انتقل هذا الاهتمام إلى المستشرقين، فترجم إلى اللغات الأجنبية، وقد اضطلع نيكلسون بترجمته كاملاً إلى اللغة الإنجليزية وطبع الأصل الفارسي معها.

٢-الديوان الكبير.

سماه جلال الدين ديوان شمس الدين التبريزي، قصائد متفرقة قصيرة، يغلب فيها فورة الشعر وخياله، ويكثر فيه الرمز، ويجود فيه التصوير، ويعني كذلك بالصنعة اللفظية. اختار لها وزناً خاصاً وقافية. جمع فيه نحو ستة وأربعين ألف بيت[3] تمت هذا الديوان ترجمة مختارات إلى اللغة الإنجليزية والألمانية بالإضافة لعدة ترجمات باللغة التركية[4].

٣- كتب نثرية تتناول مواعظه ونصائحه منها:

* **فيه ما فيه:** عبارة عن محادثات جرت بينه وبين الشخصيات السياسية المعاصرة له. مؤلف من ستة وسبعين فصلاً، جرت ترجمته إلى عدة لغات.

* **المجالس السبعة:** يتألف من سبع مواعظ باللغة الفارسية والعربية. يرجع تاريخه إلى ما قبل قدوم شمس الدين إلى قونية. ترجم إلى عدة لغات.

* **المكتوبات:** تحوي على (١٤٥) رسالة نثرية كتبها لقادة عصره، أو لأتباعه، تبحث في موضوعات شتى[5].

---

(١) انظر المرجع نفسه، ص (٢٢٦، ٢٤١). بلغت شروحه اثني عشر شرحاً، وثمان ترجمات، كما ذكر بعضه معاجم تخص المثنوي، وكذلك منتخبات مستقاة من المثنوي.

(٢) مقدمة المثنوي (٢٠/١).

(٣) فصول من المثنوي، ص (٢٤).

(4) Allah dostbariyazarlar, 7cild. P. (162)

(٥) انظر ذخائر الأقوال في مولانا جلال، ص (٨٧-٨٩).

خلفاء جلال الدين الرومي:

١- حسام الدين جلبي.

بعد موت جلال الدين اتفق مريدوه على تنصيب حسام الدين خليفته في حياته خليفة له بعد مماته.

وحسام الدين هو حسن بن محمد بن حسن المعروف بابن أخي ترك؛ لأن والده كان من الأخية الفتيان.

أرموي الأصل، هاجرت أسرته إلى قونية، وِلد بها سنة (٦٢٢هـ). كانت له مكانة كبيرة عند جلال الدين.

يشهد لذلك ما سطرته يداه في مقدمة المثنوي إذ يقول:

"سيدي وسندي ومعتمدي ومكان الروح من جسدي وذخيرة يومي وغدي، هو الشيخ قدوة العارفين، إمام الهدى واليقين، مغيث الورى (!!)، أمين القلوب والنهى، وديعة الله من خليقته، وصفوته في بريته، ووصاياه لنبيه (!!)، وحناياه عند صفيه، مفتاح خزائن العرش، وأمين كنوز الفرش، با يزيد الوقت، جنيد الزمان، صديق بن صديق بن صديق(!!) ﷺ وعنهم"[1].

من أهم الأحداث في أيامه بناء قبر جلال الدين أو بتعبير عبدالباقي: "أسس العاشقون كعبته"[2]، وبدأت الأوقاف توقف عليه، وعيَّن للمقبرة إماماً، وخصص لها مؤذنين وقراء المثنوي، وقراء الألحان والمنشدين.

وكان يشتغل بنفسه في قراءة المثنوي كل يوم جمعة بعد الصلاة.

ولما كان هو المسؤول عن جميع ما يرسل لجلال الدين ومريديه من أموال وثروات تدر عليهم من الهدايا والهبات والنذور والأوقاف في حياة جلال الدين، فقد استمر ذلك بعد وفاته. ومع ازدياد هذه الأوقاف بعد بناء المقبرة كان

---

(١) مقدمة المثنوي (١/٣٣-٣٤).

(٢) المولوية بعد مولانا، ص (٥٣).

حسام الدين يضطلع بتوزيع مال الوقف على عائلة جلال الدين ومريديه وخدام المقبرة.

كما كان يعنى بتنظيم وترتيب مآدب الضيافة بعد مجالس السماع.

توفي سنة (٦٨٣هـ) ودفن في الجهة الأمامية لقبر جلال الدين[1].

٣- سلطان ولد

ابن جلال الدين، ولد سنة (٦٢٣هـ) في مدينة لارنده. أمه هي جوهر خاتون السمرقندية.

يعد المؤسس الحقيقي لهذه الطريقة، فهو من قعد القواعد ونظم أصول الطريقة ناهجاً في ذلك نهج والده ومستناً بسنته. بدأ في إرسال الخلفاء إلى كل حدب وصوب؛ بغية نشر الطريقة واتساع رقعتها. كان نهازاً للفرص متزلفاً مداهناً مستفيداً من نفوذ وتأثير والده.

استغل موهبته في الشعر في مدح الأمراء وأصحاب المال والسلطان من أجل الحصول على أوقاف وأموال أو ترميم لمقبرة والده.

سار سلطان ولد على ما كان عليه والده من عمالة للمغول، فقد كان يمدحهم ويطريهم، من ذلك مقطوعة مدح بها الوالي العام للمغول من ثلاثة عشر بيتاً رديفها (لا تنسنا يا أميرنا). كما أن أمراء المغول أنفسهم كانوا يضطلعون بزيارته.

مؤلفاته:

أ- الديوان.

يتضمن الديوان طائفة من الأشعار على شكل القصيدة والترجيع والقطعة والرباعيات، كتبت في تسعة وعشرين وزناً، رتب الديوان بحسب الحروف

---

(١) انظر لمعرفة المزيد عنه المولوية بعد مولانا، ص (٥١-٥٨)، أخبار جلال الدين الرومي، ص (١٩٠-١٩٨).

الهجائية. يبلغ مجموع أبياته (١٢٧١٩) بيتاً.

وهو في ديوانه هذا مقلد لديوان والده، فكثير من الغزليات الواردة فيه هي نظائر لغزليات جلال الدين.

ب- ابتدانامه:

هو المثنوي الأول لسلطان ولد، يحوي على (٩٤٣٥) بيتاً من الشعر، و (١٦٣) عنواناً كبيراً، سماه سلطان ولد (مثنوي ولد).

كانت بغيته من الكتاب التنويه بذكر والده وسرد حكايات المتصوفة السابقين، وأحوال رفاقه من المريدين. كما دون فيه الأحداث والوقائع التي حصلت في عهد والده وكل ما يتعلق به.

في عام (١٢١٥هـ) قام المدعو (جلال همايي) بطبع الكتاب مضيفاً إليه كل ما يتصل بحياة سلطان ولد وآثاره، كما زود ببحوث تتناول جلال الدين وولده.

وكذا مقدمة تختص بفلسفة سلطان ولد وأفكاره، وتعرض للخصائص اللغوية والحكم والأمثال، كما اضطلع بترتيب فهرس يخص الأحداث التاريخية فضلاً عن الفهرس الذي يعقد على العناوين الواردة في الكتاب.

جـ- رباب نامه.

هو المثنوي الثاني لسلطان ولد، يتضمن (٨٠٩١) بيتاً من الشعر و (١٠٧) عنوان، فضلاً عن ديباجته. سمي بذلك لاستهلاله ببيت من الشعر معناه.

ألق السمع ملياً إلى بضع سنين من الحكم المعبرة التي تخص العشق وتنبعث من تأوه ونحيب الرباب الباكية.

لا توجد في رباب نامه أية معلومات تتصل بحياة جلال الدين.

د- انتهاء نامه.

هو المثنوي الثالث والأخير لسلطان ولد، تحوي نسخته على (٨٣١٣) بيتاً

ومائة وعشرين بحثاً، فضلاً عن ديباجته. يذكر فيه المؤلف سالكي سبيل الحقيقة بعدم اتباع سبيل النفس والشيطان والحرص على عصيانهما.

هـ - المعارف.

كتاب منثور جاء في ستة وخمسين فصلاً قصيراً، وليس ثمّ فرق يذكر بين الأفكار الواردة فيه وما جاء في المثنوي، حتى أنه يذكر الأبحاث بعينها في مواضع كثيرة من كتابه، ويوجد فيه بعض الوقائع والأحداث التاريخية[1].

٣- أولو عارف جلبي.

عارف هو ابن سلطان ولد وكلمة أولو تعني أمير في اللغة التركية. ولد سنة (٦٧٠هـ). مثل الطريقة بعد وفاة والده. أمضى حقبة مهمة من عمره في السياحة والترحال. كان موالياً للمغول كعادة والده وجده.

يروي الأفلاكي "كان جلبي مناصراً للمغول إبان حكم القرمانيين على قونية وكان القرمانيون يقولون له: نحن جيران لكم، نحب مولانا كذلك، فلماذا لا تريدنا وتريد المغول، وتنحاز إلى جانبهم ؟!

فقال جلبي: نحن كذلك دراويش، ننظر إلى مطلب الله ومراده فيمن يريد وننحاز إلى من يريد أن يعطي الله له الدولة، وإن الله لا يريدكم الآن بل يريدهم. !!![2]".

تميز عارف بولعه الشديد بالخمر والمداومة على شربها. حتى أنشد "أنا سكير، خائن غدار، أتجرع الخمر عياناً جهاراً، ولن أهجرها حتى لو ذهب عقلي وسلب لي، هكذا تكون رائحتي، وليكن ما يكون"[3].

ويقول أيضاً:

---

(١) انظر الفصل الثاني في كتاب المولوية بعد مولانا، أسهب فيه المؤلف عن عصر سلطان ولد، ص (٦١-٩٤).

(٢) مناقب الأفلاكي، نقلاً عن المولوية بعد مولانا، ص (١٢٧).

(٣) المولوية بعد مولانا، ص (١٣١).

"أيا ساقي العشق قدم خمرنا فلربما محت آلامنا وقضت عليها قضاءً مبرماً"(1).

اشتد مرض عارف عند موته فخاطب الأفلاكي قائلاً له:

"امكث أنت في المقبرة وتعهد خدمة المقبرة ولا تذهب إلى أي مكان، ثم قال: هلم فاجمع مناقب الأجداد والأسلاف ثم اكتبها، وإياك والتقصير والإهمال"(2).

توفي يوم الثلاثاء الثالث والعشرين من ذي الحجة سنة (٧١٠هـ)، ودفن في مقبرة جلال الدين من الجهة اليسرى من قبر والده.

تتابع بعد ذلك الجلبيون على مقام تكية قونية، بيد أن انتشار المولوية لم يكن حصراً عليهم فقد اضطلع عدد من الأشخاص بنشر المولوية من غير جلبية قونية من أبرز هؤلاء:

* ديوانه محمد جلبي

يعد ديوانه محمد جلبي أكثر الأشخاص الذين أسهموا في نشر المولوية وإذاعة صيتها بعد أولوعارف؛ حيث فتحت في عصره تكايا للمولوية في مناطق متعددة منها حلب ومصر والجزائر واللاذقية وغيرها.

تولى منصب المشيخة في قره حصار(3) مدة طويلة بعد وفاة والده. كان قلندري المشرب حلق شعره وحواجبه ولحيته وشاربه.

اصطبغ بالصبغة الشيعية، ومال إلى الطريقة البكتاشية، فقد كان زواراً للحاج بكتاش. ذهب إلى قونية في أربعين من مريديه ثم توجه بهم إلى تكية الحاج

---

(1) المولوية بعد مولانا، ص (١٤٠).

(2) مناقب الأفلاكي (٥٦٧/٢).

(3) قره حصار: يوجد بضعة أماكن في تركيا باسم قره حصار أي القلعة السوداء. ويقصد بها هنا بلدة أفيون قره حصار القريبة من أنقرة وسميت بذلك لكثرة ما يزرع فيها من الأفيون. انظر: بلدان الخلافة الشرقية، ص (١٨٥).

بكتاش وأخذ معه أربعين بكتاشياً ثم اتجه نحو العراق وزار النجف وكربلاء وأئمة أهل البيت ثم ذهب إلى خراسان ومال إليه قلندرية إيران ثم عاد إلى بغداد مرة أخرى ومنها إلى حلب ثم إلى قونية حيث زار قبر جلال الدين ثم عاد إلى تكيته في قرة حصار.

وبعد مدة طاف بإقليم منتشه ومنه إلى مصر ثم إلى الشام وزار قبر ابن عربي. ثم قدم إلى إستانبول وأسس فيها تكية غلطه(١) ثم إلى بورصة(٢) ومنها إلى كوتاهية(٣) ثم عاد إلى قره حصار.

يذكر ثاقب دده أنه قد استدعي إلى إستانبول بأمر من الحكومة بغية التحري عن أحواله، لكنه لم يلق جزاءاً قط بل وجد احتراماً وتوقيراً !! (٤).

وإن صح ذلك فلا بد أن السلطة أرادت التحري عنه بسبب كثرة الملتفين حوله من المريدين فلما تبين لهم عدم خطورته على السلطة وأنه لا علاقة له بالسياسة وجد الاحترام الذي يجده كل الصوفية في ظل الدولة العثمانية.

ومع أن مذهبه قلندري ومدمن للخمر إلا أن ذلك لم يمنع الناس من الالتفاف حوله، وقد يعود ذلك إلى ما يقذفه المشايخ في نفوس أتباعهم أن هؤلاء أهل تضرع ورجاء وولاية من الله وأن هناك حكمة خافية على الناس وراء هذه المخالفات الشرعية.

ولذا فلا عجب إذاً أن نسمع عبدالباقي المولوي يسوّغ شربه للخمر بقوله:

---

(١) غلطه: حي من أحياء إستانبول.
انظر: تاريخ الدولة العلية، ص (١٦٣).

(٢) بورصة: مدينة في الشمال الغربي من تركيا. ظلت عاصمة للدولة العثمانية من عام (١٣٢٧م-١٣٦١م) ودفن فيها ستة من سلاطين آل عثمان.
انظر: بلدان الخلافة الشرقية، ص (١٨٩).

(٣) كوتاهية: مدينة تركية تقع غرب الأناضول إلى الجنوب من باليقيصر واسكي شهر.
انظر: بلدان الخلافة، ص (١٨٦)، تاريخ الدولة العلية، ص (٢٦٩) هـ (٣).

(٤) المولوية بعد مولانا، ص (١٦٨-١٩٠).

"أما إدمانه الخمر في رأينا فقد تمخض عن العشق الذي كان يشعر به تجاه الطبيعة، وانبثق من الوجد الذي استلهمه من السلوك المادي تجاه عقيدة وحدة الوجود !!"[1].

***يوسف سنيه جاك**

هو سنان الدين يوسف سنيه جاك. عين شيخاً على التكية المولوية بأدرنه[2] وبسبب خلاف على الوقف انتقل إلى إستانبول وعاش فيها حتى وفاته سنة (٩٥٣هـ).

كان مغالياً في عقيدة وحدة الوجود، متمسكاً بالعقائد الحروفية[3]، قلندري المشرب تربى على يديه مجموعة من الشعراء الذين أسهموا في نشر المولوية بأشعارهم وترحالهم إلى مواطن شتى. كان يمارس السماع عازفاً للعود. طاف مدناً كثيرة منها مكة، المدينة النبوية، مصر، حلب، الشام خلفه على تكيته أحد مريديه وهو الشاعر شوري[4].

بعد حقبة من الزمن تضاءل النفوذ المعنوي للجلبيين بسبب تفشي حالة الطمع والمنافسة بين ظهراني سلالة جلال الدين. تمخض عن ذلك نشوء طائفة

---

(١) المصدر السابق، ص (١٨٥).

(٢) أدرنه: مدينة تركية في الجانب الأوربي، تبعد عن إستانبول (١٢٥كم) إلى الجهة الغربية الشمالية، اتخذها العثمانيون عاصمة لهم منذ عام (١٣٦١م) إلى عام (١٤٥٣م) الذي فتحت فيه القسطنطينية.
انظر: تاريخ الدولة العلية العثمانية، ص (١٢٩-١٣٠).

(٣) الحروفية: طريقة باطنية تعتمد على أسرار الحروف، أسسها فضل الله الحروفي، تستند على ربط الحروف بالأعداد. تعد من الزنادقة؛ إذ يقولون بترك الصلاة وإباحة المحرمات. أخذت بالانتشار في الأناضول مطلع القرن الخامس عشر قوبلت باضطهاد عنيف من الدولة العثمانية بعد مؤامرتهم ضد بايزيد الثاني، ثم انصهرت في البكتاشية.
انظر عنها: تاريخ الدولة العثمانية، خليل اينالجيك، ص (٢٩١-٢٩٢)، المنهج الصوفي للطريقة البكتاشية، ص (١١)، هـ (٢).
Osmanli, p, (201).

(٤) انظر عنه بشيء من التفصيل. المولوية بعد مولانا، ص (١٩٤-٢٠٠).

من الشيوخ في التكايا الأخرى كانت لها النفوذ الأقوى من هنا أطلقت كلمة (مولوي) على المندرجين في سلك الطريقة. ولقب (جلبي) على الرئيس في المنظمات المالية للطريقة.

كان الجلبيون يضطلعون بتعيين شيوخ التكايا الأخرى، ويمنحون شهادة الإجازة لمن يريد أن يكون شيخاً.

أوجب الجلبيون انتقال المقام دائماً من الأب إلى الابن، وتم تقعيد نفس المبدأ تلقائياً في التكايا الأخرى. وقد أدى هذا التنافر والخلاف إلى أن تفقد الطريقة الكثير من هيبتها ونفوذها. ومع ذلك استمر وجودها في مناطق متعددة كان النصيب الأوفر من انتشارها في مناطق الأناضول وقد استمر وجودها حتى بعد إعلان إغلاق التكايا بسبب الدعم الذي تمتعت به في ظل الدولة العثمانية.

وسيأتي الحديث عن ذلك مفصلاً في المبحث الثالث بإذن الله تعالى.

المبحث الثاني

العقائد التي تؤمن بها الطريقة المولوية

أولاً: الإيمان بعقيدة الحلول والاتحاد ووحدة الوجود:

آمن جلال الدين الرومي بعقيدة وحدة الوجـود وضـمَّنها مـا كتـب مـن منظوم ومنثور. ومن ثم رسَّخ هذه العقيدة في قلوب مريديه ومن اعتنق طريقته، وعلى ذلك سارت جموع المولوية؛ إذ أن تعظيمهم (لمولاهم) وتعظيم كتابه المثنوي المدبج أساساً من أجل إقرار هذه العقيدة زرع في نفوسهم الإيمان بها.

وأقوال جلال الدين في تقرير هذه العقيدة أكثر مـن أن تحصـى مـا بـين منظـوم ومنثور؛ لذا فسأكتفي بما يؤكد إيمانه بهذه العقيدة.

ففي كتابه المثنوي (حانوت الوحدة) كما أطلق عليـه أقـوال متعـددة مـن ذلك:

"لقد سُل سيف (لا) في سبيل قتل ما سوى الحق

فانظر ماذا تبقى من بعد (لا) لقد تبقى (إلا الله)

ومضى كل ما سواه فلتهنأ أيها العشق العظيم يا مهلك الشرك

بل إنه هو نفسه الذي يبقى أولاً وأخيراً.

ولا تعتبر الشرك إلا من نظرة الأحول"[1].

ويقول أيضاً:

"إن هذه الإثنينية من أوصاف رؤية الأحول

وإلا فإن الأول آخر والآخر أول"[2]

ومن أقواله كذلك:

---

(١) المثنوي (٥/٩٩).

(٢) المرجع نفسه (٦/٩٧).

"إن نبض العاشق ليقفز متزايداً بلا أدب، فيضع نفسه في كفة واحدة مع الملك فليس هناك من هو أقل أدباً منه في العالم

لكن ليس في الحقيقة من هو أكثر منه تأدباً"[1].

وقد أشاد جلال الدين الرومي بالحلاج وقوله (أنا الحق) وبأبي يزيد البسطامي لإشهاره هذه العقيدة، وعد ذلك من شدة الإيمان وكماله.

فمن أقواله في أبي يزيد:

"ولقد أعطى با يزيد جملة الإيمان حقه، وليكن الثناء الجم على مثل هذا الأسد الفريد.

فلو أن قطرة من إيمانه قد مضت إلى البحر، لغرق البحر في قطرته هذه"[2].

ويقول عنه أيضاً:

"كان عند أبي يزيد اللب المدرك لتلك النكات، فجعلها كحلقة ذهبية في أذنه وجاء منه أبو يزيد إلى المزيد، وبلغ المنتهي في الطريق غاية المنتهى"[3].

أما عن الحلاج فقال:

"لقد كانت (أنا الحق) نوراً بين شفتي المنصور.

وكانت أنا الله من شفتي فرعون زوراً وبهتاناً"[4].

ويتألم على المصير الذي ناله فيقول:

"وعندما يكون القلم في يد غادر، يكون المنصور بلا شك فوق المشنقة"[5].

---

(١) المثنوي (٣/٣١٥).

(٢) المرجع السابق (٥/٣٥١).

(٣) المرجع نفسه (٢/١٩٦).

(٤) المرجع نفسه (٢/٤٩).

(٥) المرجع نفسه (٢/١٢٩).

ومع التصريح الذي لا مواربة فيه في إظهار هذه العقيدة، يرى الرومي أنه لم يظهرها بالشكل الكافي، وذلك خوفاً من زوال الروح لو تم إفشاء السر.

يقول: "إن المنسلخ عن الذات فانٍ في الله وآمن، وهو ساكن إلى الأبد في الأمن. لقد صارت صورته فانية وصار هو مرآة، ولا يبدو في المرآة إلا صورة وجه الغير. وإذا رأيت وجهاً قبيحاً فهو وجهك، وإن رأيت عيسى بن مريم فهو أنت أيضاً. وحين وصل الكلام إلى هذا الحد انغلقت الشفاه.

وعندما وصل القلم إلى هذا المجال تحطم.

فاصمت حتى وإن عنت لك الفصاحة. وكن خائفاً على وقتك.

واخفه كأنه الكنز ولا تقم بإفشاء سره. والخوف على الروح من الزوال إنما يكمن في الارتحال عن طرف سطح الغيب"[1] .

وكما دبج الرومي هذه العقيدة في منظومة دبجها في منثوره، ففي كتابه (فيه ما فيه) يقول: "يظن الناس أن قول (أنا الحق) دعوى كبيرة، والحال أن قول أنا عبد، هو الادعاء الكبير. إن قول: أنا الحق تواضع كبير، لأن القائل: أنا عبدالله قد أثبت وُجُوْدَين، وجود نفسه، ووجود خالقه، بيد أن القائل: أنا الحق قد أعدم نفسه وذهب بها في الهواء.

يقول أنا الحق، ويعني: أنا معدوم، وهو الوجود، ولا وجودِ لشيء غير الله، ويقول: أنا عدم محض لست شيئاً أصلاً. والتواضع في هذا الكلام كثير، فلأجل هذا لا يفهمه الناس، وفي هذا الموضع يغدو أحدهم - حسبة لله - عبدالله !!

أما عبوديته فظاهرة: يعبدالله لأجل الله ولكنه يرى نفسه أيضاً، يرى صنيعه ويرى الله كذلك، لم ينغمس في الماء ولم يغرق فيه"[2] .

---

(١) المرجع السابق (٢٢٢/٤-٢٢٣).

(٢) فيه ما فيه، ص (٣٧).

ويتابع في موضع آخر قائلاً:

"وهذا القول هو الغاية القصوى في التواضع، والنهاية في العبودية !!، يعني (أن الله) هو الموجود فقط، فمن الادعاء والتعالي أن تقول:

أنت الله وأنا العبد، فبقولك هذا تثبت وجودك، وهذه ثنائية، وكذلك إن قلت: هو الله فإن الثنائية لازمة لهذا القول أيضاً، لأن (أنا) إن لم تكن، فلا يمكن أن توجد (هو).

فبناء على ما تقدم فمقولة: أنا الحق، قد قالها الله لأنه لمن يكن هناك موجود غيره، قد فني الحلاج، أما ذاك الكلام فهو كلام الله !!"[1].

ومما جاء فيه أيضاً قوله:

"لا معبود إلا الله عقد العامة، أما عقد الخاصة فيبين بقولهم: لا موجود إلا الله"[2].

ولقد كان لهذه العقيدة تأثيرها على الرومي والمولوية من بعده في نظرتهم للأديان الأخرى. يقول في مثنويه:

"وإذا نظرت في الزجاجة فإنك تضل، ففي الزجاجة توجد الأعداد والإثنينية وإذا نظرت إلى النور تنجو من الاثنينية وأعداد الجسد المتناهي المحدود.

ويا لب الوجود، إن الخلاف بين المؤمن والمجوسي واليهودي نتيجة لاختلاف وجهات النظر"[3].

ومن آثارها أيضاً لدى المولوية سجودهم لكبرائهم من المشايخ مقلدين في هذا الأمر مولاهم الرومي الذي يرى الله في كل شيء.

---

(١) المرجع نفسه، ص (١٦٧).
(٢) المرجع نفسه، ص (٣٢٦).
(٣) المثنوي (١٢٣/٣).

وقد اعترفت المولوية بهذا، وورد ذلك في مصادرهم أيضاً، فقد ذكر الأفلاكي أن سلطان ولد عندما ذهب للبحث عن الشمس في الشام ووجده "جعل مولانا الشمس يقبل سلطان ولد .. وسأله عن حضرة مولانا، فأبلغه سلام أبيه وتقدم إليه بسجدة أبيه كما ينبغي !!"[(١)].

وعندما عاد إلى قونية سجد له جلال الدين بنفسه يذكر ذلك الأفلاكي فيقول: "فلما التقى الشمس بمولانا سجدا لبعضهما سجدات مقدسة !!!!"[(٢)].

وهذا حفيده أولو عارف خرت أمه ساجدة له وقالت:

"إني لا أنزله منزلة الولد، إنه شيخي، وهو عندي بمنزلة مولانا"[(٣)].

وقد فسر جلال الدين حقيقة هذا السجود بما يتناسب مع عقيدة وحدة الوجود التي آمن بها وحمل المولوية على الإيمان بها.

فلما أنكر عليه أحد الفقهاء هذا الفعل وقال: ما ينبغي أن يُسجد لمخلوق. قال: لِمَ لا أسجد وأقدم نفسي فداءً لمن أنقذني من حيلة الشيطان ويسر لي طريق حريتي ووهب لي الحياة من جديد (!!).

ثم ذكر الأفلاكي قصة مؤداها أن السجود لمن وصفهم، هو سجود في الحقيقة لله عزوجل (!!)[(٤)].

وبنفس هذا المنطق يرد أولو عارف على من أنكر عليه السجود فيقول: "إن سجودك لنا ليس بصحيح ولو فعلته حقاً لكان هو الكفر بعينه؛ لأنك ترانا أناساً مثلك، فنظرتك هذه نظرة شيطان، ورأيك كذلك رأي شيطان..

---

(١) مناقب الأفلاكي (٢/٢٧٧).

(٢) المرجع السابق (٢/٢٧٩).

(٣) المولوية بعد مولانا، ص (١٥٠).

(٤) مناقب الأفلاكي (٢/٧٥).

أما عدم سجود بعضنا لبعض فإنه الكفر بعينه؛ لأن الإعراض عن الله وتقليد مذهب الشيطان ما هو إلا صنيع العميان، وإن أصدقاءنا يتبعون أمر الله (اسجدوا لأدم) من الأزل حتى أبد الآبدين"[1].

وقد استمرت المولوية على هذا فتراهم يخرون سجداً عند عتبة قبر جلال الدين يقول الشاعر المولوي شاهدي:

إذا كنت أيها الفؤاد تريد إكمال نقصك

فاسجد على عتبة مولانا[2]

ويصف جلبنارلي المقبرة وما يحدث عندها من السجدات وسكب العبرات فيقول: "وإذا ما دلفت صوب الأمام جهة اليمين ألفيت باباً فضياً يحجب جزءاً من الباب الموجود تحت الأرض، وهو الموضع الأصلي المدفون فيه مولانا، وبإزاء هذا الباب سلم ذو درابزين أعلاه مغطى بالفضة.

ويأتي عشاق مولانا إلى هذا المكان وهم خاشعون (!!) ويخرون سجداً على هذه العتبة مقبلين إياها، .. ويروي العاشقون درجه وسلمه بالدموع المنهلة من يدري كم من دمع العاشقين انهمر فوق هذه العتبة ثم توارت في التراب[3] وهو يذكر ذلك لا يجد أدنى غضاضة في هذا الأمر بل يرى أن المولوية بذلك تلهم الإنسانية يقول:

"المولوية هي السجود في ذات الإنسان للإنسانية جمعاء، ووجودها هو الله وهي شاهدة ظهور الله لأولئك الموجودين، لا ترى تمييزاً بين الدين والمذهب[4].

وفي موضع آخر يقول:

(١) المولوية بعد مولانا، ص (١٣٩).

(٢) المرجع نفسه، ص (٢١٤).

(٣) المرجع السابق، ص (٥٤٩).

(٤) المرجع نفسه، ص (٣٨٦).

"فمولانا إنسان وهو ابن إنسان ومولانا إنسان يدرك كنه الأديان جميعاً بيد أنه يتسنم ذروة تعلو فوق الأديان، فقد كان يسجد للإنسان، وكان مؤسساً ومقعداً لدين العشق والإنسانية"[1].

مما سبق يظهر إيمان جلال الدين الرومي بعقيدة وحدة الوجود والمولوية من بعده ساروا على ما آمن به.

ثانياً: السماع والذكر

يعتمد الذكر لدى المولوية على اللف والدوران، ومن هنا سمى الأوربيون أصحاب هذه الطريقة الدراويش الدوارة أو الراقصة [2].

يصاحب الذكر عند المولوية سماع الموسيقى بمختلف أدواتها المتوفرة في زمن السماع ولكن يظل للناي خصوصيته لدى المولوية، إذ كانت بدايتها بالناي والرباب والقدوم فقط ثم استخدموا كافة الآلات بل كانت تكية غالاطه تستخدم البيانو.

وعن بداية السماع في الطريقة يذكر الأفلاكي عن سلطان ولد قوله:

"كان أبي في شبابه كثير الزهد فاضلاً ورعاً، لم يحضر سماعاً قط، وإنما حضه عليه جدتي من قِبل أمي (كيرا خاتون). وكان أبي في بادئ الأمر يحرك يديه في السماع. فلما جاء مولانا شمس الدين علمه الدوران"[3].

تسمى شعيرة اللف والدوران عند المولوية (مقابلة)؛ وذلك لأنهم يقفون على شكل حلقة يقابل بعضهم بعضاً أمام مقام الشيخ.

تقام هذه الشعيرة في قاعة السماع وهي تحوي في الأعم الأغلب على المقبرة، وعلى حافتها بناء متسع يخصص للمتفرجين. توجد حجرة المطرب التي

---

(١) المرجع نفسه، ص (٤٩).

(٢) الموسوعة العربية الميسرة (٢/٢٦٢).

(٣) مناقب الأفلاكي (٢/٢٦٣).

يصعد إليها بسلم في الجزء العلوي لحجرة السماع.

يصف فريدون سبهلسالر في أقدم مصدر تاريخي في هذا الصدد السماع في بداية عهد المولوية بقوله:

"كان هناك قفز في أثناء السماع وارتطام القدم وفتح الذراع، وكان السماع يتم بمعانقة أحدهم للآخر. وكان هناك حث وتحريض للناس على ممارسة السماع. ثم يفسر هذه الأفعال بقوله:

ففي القفز اشتياق واتصال بالعالم العلوي السماوي، وفي خبط الأرض تكون العوالم المتوهمة كلها تحت القدم ما سوى وجود الله وحده !! وفتح الذراع هو الرغبة في بلوغ النشوة الصوفية بسبب الوصال المعنوي وبلوغ الدرجة العالية في التضحية بالنفس. أما معانقة أحدهم الآخر فهو رؤية للجمال، وتحريض الناس على السماع هو بذل الجهد والسعي لانتشار وذيوع الرحمة والفيوضات الإلهية، أما تقدم التحية لشخص آخر فهو دليل على مشاهدة صفة من الصفات الإلهية في هذا الشخص !! "[1]

يؤكد ذلك ما حكاه الأفلاكي: كان مولانا حينما يبلغ ذروة الذوق في سماعه يمسك القوالين، ويرقص ضارباً قدميه بالأرض ويقول: اللهم صل على محمد وآل محمد[2].

رفع جلال الدين من شأن السماع في الطريقة حتى صار علماً عليها، ويكفي في ذلك أنه افتتح مثنويه بذكر الناي يقول:

استمع للناي كيف يقص حكايته، إنه يشكو آلام الفراق[3].

---

(١) رسالة في مناقب مولانا ومناقب العارفين، ص (٩٣-٩٤) ذكرها عبدالباقي في مؤلفه المولوية بعد مولانا، ص (٥٩٨-٥٩٩).

(٢) مناقب الأفلاكي (٦٣٣/١).

(٣) المثنوي (٢٢/١).

بل وأطلق على صوت الرباب، صوت صرير باب الجنة !! [(١)]

فلا عجب إذن أن تتمسك المولوية بهذا السماع وتقيمه منذ ذلك العهد وحتى وقتنا الحاضر.

يقيم المولوية شعيرة اللف والدوران في ليلة مولد النبي ﷺ، وفي ليلة الجمعة الأولى من شهر رجب، وفي ليلة السابع والعشرين من شهر رجب - ليلة الإسراء والمعراج في زعمهم وفي ليلة النصف من شعبان وفي ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان - ليلة القدر - وفي ليالي عيد الأضحى وعيد الفطر ويوم عرفة كما كان هذا الذكر يعقد عقب صلاة الظهر نهاراً، وصلاة العشاء ليلاً.

وكانت لكل تكية أيام أخرى للذكر. كان للتكية الأم (تكية قونية) يوم الجمعة[(٢)].

أوراد المولوية:

لايوجد لدى المولوية أوراد معينة يذكرونها أثناء السماع. وذلك بسبب شغفهم بكتاب المثنوي فهو الذكر المحبوب الذي طغى على الأدعية والأذكار.

يذكر عبدالباقي جلبنارلي:

"لم يكن مولانا رجلاً مقيداً بقيد معين، أو بقراءة في وقت محدد بصورة منتظمة مرتبة أما الأوراد الثابتة فهي بعض الأدعية المسموعة من مولانا و الألفاظ المقتبسة من أوراد المنتسبين إلى الطرق الصوفية الأخرى، ونشأت هذه الأوراد من ضروب الثناء والمدائح التي أضافها أكابر المولوية وأقطابهم، ثم رتبت ونسقت بعد مولانا بوقت طويل"[(٣)].

هذا النص يبرز بجلاء عدم اهتمام جلال الدين بالذكر الذي يقال أثناء

---

(١) مناقب الأفلاكي (٧١٥/١).

(٢) المولوية بعد مولانا، ص (٥٨٦).

(٣) المولوية بعد مولانا، ص (٦٥٣).

السماع أو بعمل أوراد وأدعية، وإنما كان اهتمامه مركزاً على السماع فقط.

وفي هذا إشارة مهمة إلى أن الغاية من السماع هو إشباع شهوة فقط وليس للذكر والعبادة كما يزعمون.

اقتبست الطريقة المولوية في أورادها من أوراد الطريقة النقشبندية والطريقة الرفاعية وغيرهما من الطرق الأخرى.

وثمة آيات قرآنية متفرقة في الأوراد المولوية، منها: آية الكرسي، وسورة يس، وسورة الليل، والضحى، والتين والبينة والزلزلة والكوثر والكافرون والفاتحة، والآيات الخمس الأولى من سورة البقرة.

كما تذكر في بعض الأوراد أسماء النبي ﷺ، وقد تظهر في بعض الأوراد ميول شيعية كذكر الاثنى عشر إماماً محل الخلفاء الراشدين. ويلحق بها ذكر (ناد علياً) الموجود لدى الطريقة البكتاشية[1].

شعيرة عين الجمع[2]:

كلمة الجمع عند المولوية - كما عند غيرها من الصوفية - تعني:

أن كل الوجود مظهر للوجود المطلق، ومعرفة كون الوجود المطلق واحداً ظاهراً للعيان من خلال تلك المظاهر.

فالسالك في أول الأمر يرى سائر الأشياء من صنع الله .. وفي النهاية يبلغ الحقيقة من جهة أنه ليس ثمة شيء آخر سوى الذات ويكون الوجود عنده هو الله، وكل موجود هو مظهر له.

تعقد شعيرة عين الجمع دائماً في الليل، وتخصص لها حجرة مستطيلة واسعة، يجهز المشرف على هذه الشعيرة الحجرة بأن يبسط مقام أحمر اللون مخصص للشيخ قبالة الباب تماماً، ويضع ثمانية عشر شمعداناً، تسعة تلو تسعة في

(١) المرجع نفسه، ص (٦٥٤).

(٢) المولوية بعد مولانا، ص (٦٤٣-٦٤٥).

صفين قبالة أماكن الجلوس، ويؤكل الطعام عند المساء، وتقام الصلاة، ثم يتم الذهاب إلى حجرة (عين الجمع) ثم يدخل المريدون إلى أماكنهم وهم وقوف واضعين إبهام القدم اليمنى في إبهام اليسرى، وفي النهاية يأتي الشيخ وهو مطأطيء الرأس محيياً، فيطأطيء المريدون رؤسهم محيين. بعدها يجلس الشيخ على مقامه ويولي وجهه شطر المريدين الذين يغشون على الأرض في معيته متضرعين بالدعاء وهم للأرض مقبلون، ثم تحتسى القهوة، ثم تقدم مقطوعة موسيقية بالناي ثم تبدأ تلاوة الشعيرة الدينية. أما ممارسو السماع فإنهم يمارسونه في ساحة واسعة تقع بين الشموع. وبعد انتهاء الشعيرة يلهج الشيخ بدعاء (عين الجمع).

بعد الدعاء يجلس الجميع جلسة القرفصاء، ثم ينهضون للمجلس الرسمي حيث يشرعون في السمر والمنادمة، ويؤتى بالفاكهة والشراب، ويبدأ المطرب بالترنم بأنغام عذبة، وتنشد الطقوس الدينية والتراتيل المقدسة، ويستمر الأمر إلى الصباح. فإذا أُذن لصلاة الفجر يقول الشيخ: الفاتحة. يخرجون بعدها من قاعة السماع إلى المسجد.

تعقد هذه الشعيرة من أجل المرشد أو عقب وفاة شخص ما ومن أجل النشوة الصوفية ومجالس المنادمة والمسامرة بصورة مباشرة.

يتسنى للمحب المشاركة في أداء هذه الشعيرة، لكن عليه تقديم نفقات المطبخ والفاكهة والقهوة، ويتسنى له عقدها شريطة تقديم الهدايا للشيخ ودراويش الطريقة.

وقد بدأ ظهور التأليف الموسيقي عند المولوية منذ القرن السادس عشر بثلاثة أعمال مجهولة المؤلف تعرف باسم (بسته قديم) أي ألحان قديمة. كان يتم عزفها في (آيين المولوية) بواسطة عناصر ثلاثة: المنشد والعازف والدوّار. وفي القرنين الثامن عشر والتاسع عشر كانت الموسيقى المولوية في ذروة تقدمها ولاسيما بتشجيع السلاطين آنذاك. ففي مقابل ثلاثة عشر طقساً (آيين) هي مجموع

ما تم تلحينه خلال الحقبة السابقة على ذلك التاريخ. يجري تلحين اثنين وأربعين طقساً دفعة واحدة خلال القرن التاسع عشر.

ثالثاً: النزعة العلوية في الطريقة المولوية[1]:

انقسمت المولوية على نفسها من ناحية المشرب والمذهب إلى شعبتين اثنتين: شعبة شمس وشعبة سلطان ولد.

تأثر الشمسيون بالقلندرية فظهر فيهم حلق اللحية والشعر والحاجبين والشوارب ولبس الصوف الأسود والأبيض، وإدمان الخمر والمسكرات، يلبسون قلنسوة من اللباد، أعلاها منفرج مبسوط، وهم يطوفون ويتجولون في حالة مجتمعة مؤتلفة بالأعلام والرايات والطبول، كما يزعمون أنهم صاروا عبيداً لعلي والحسن والحسين ﷺ.

وقد بدأ هذا الاتجاه في الطريقة المولوية في عهد أولوعارف جلبي الذي كان مناقضاً للشريعة فقد مهد السبيل للنزعة العلوية. وقد ظهر هذا الأمر أيضاً لدى أمير عابد جلبي ثم ديوانه محمد جلبي ويوسف سينه جاك وطائفة من المولوية من هؤلاء أحد شعراء المولوية ويدعى (شاهدي) تنم أشعاره عن تأثره بهذا المذهب يقول:

"أنا أحب علياً، وهذا العشق شعارنا، وهذا هو شغلنا ومبعث قوتنا، ولتسمل أعين من يكون عدواً لنا".

ومنهم محمد جلبي يستهل شعره بقوله:

أنت يا علي روح في جسد الدنيا بأسرها

وأنت بالحسن يا علي شمس وقمر السماء

وفمك يا علي سر خفي عارف بدقائق الأشياء

وأنت قائد وملك الرجال وأسد الله

---

(١) انظر: المولوية بعد مولانا، ص (٣٤٤-٣٧٤) باختصار.

ويقول في شعر آخر له:

قل السماع واجهر بتولى وتبرأ كثيراً

ولتكن روضة مدحك شمعاً ظاهراً بجلاء

وليكن سيف ذي الفقار دائماً في عنق يزيد

فأنت ملك الرجال وأسد الله أيها القائد علي

ومن هؤلاء الذين تأثروا بالمذهب العلوي صادق دده أحد دراويش ديوانه محمد جلبي يقول إبان زيارته للإمام الرضا: "نحن الصقور الظافرون نحب الرجل صاحب العدالة وأصبحنا قلندرية من أجل الرسول ﷺ وأولاده، ومحونا صور الأغيار الحاسدين من صحيفة الفؤاد، وهوينا في أثر سلطان القلندرية.

ولأجل هذا طلق علي ﷺ الدنيا من أجل الله وآل البيت، ونحن قلندرية في طريق حيدر، نمشي حفاة الأقدام حاسري الرأس في كل حدب وصوب بألم فراق أولاد النبي ﷺ.

في صدورنا جراح غائرة بسبب عشق الاثنى عشر، وأصبحنا قلندرية من أجل هؤلاء الأئمة المعصومين.

إننا نحن قلندرية نبكي متأوهين دائماً.

وتبللت أعيننا بالدموع المدماة، ونحن شعراء نمدح حيدر ونطريه من بين سائر المتصوفة أجمعين، فسر أيها الصادق في طريق الحسن والحسين، فنحن قلندرية موفون بالعهد لأحمد وحيدر".

كما أن هناك بعض المولوية الذين يحيون ذكرى مقتل الحسين ﷺ إذ كانوا يطبخون العاشوراء، ويجتمعون في الجبانة التي دفن فيها (سينة جاك)، ويعقدون مجالس السماع، ويعمدون في النهاية إلى حلق رؤوس طائفة كبيرة ويجعلونهم يشقون رؤوسهم وصدورهم بالموسى في سبيل عشق الإمام الحسين وتشوقاً إلى الإمام الرضا. أما غير المحلقين فهم يعيشون في مناحة.

وكذلك كان ديوانه محمد جلبي يطبخ العاشوراء في مرجل كبير في التكية الموجودة في (قرة حصار) ويهديها إلى مقبرة الإمام الرضا.

وممن تأثر بهذه النزعة الشيخ غالب دده فقد أظهر في أشعاره ما يوافق المذهب الشيعي من تقديم علي ﷺ على غيره من الخلفاء الراشدين، وأن النبي ﷺ قد أوصى لعلي بالخلافة من بعده، كما يشيد كذلك بالأئمة الاثنى عشر.

من أشعاره:

إن الله هو الذي خلق الخلفاء الأربعة ومنح كل واحد منهم شرفاً لا يحصى عدداً

ولكن حضرة المرتضى ولي الله وهذا هو المقصود من آخر بيت في الرباعي

ويقول في موضع آخر:

أيها السلطان من كنت مولاه فهذا علي مولاه

فقمر علي موجود في شمس جمال أحمد

فاعلم من يكون الراضي والمرتضى

إنه والله علي ثم بالله علي

ومن أشعاره التي تؤكد هذا المشرب:

لا تحسبن أننا غواة النفوس معقودو اللسان

فنحن مصطفون وتراب قدم آل العباء

وهبنا رأسنا لما أقررناه، وللعهود أقوياء

ونحن عبيد لسلطان الولاية علويون

أليس الاثنا عشر إماماً أبراج العالمين

أليس كل واحد منهم رأس الشمس وتاج القمر

إننـــا أعـــداء ألـــداء لأعـــوان يزيـــد
نلعنـــه بإيمـــان روحنـــا وفؤادنـــا

وفي الأزمنة المتأخرة كان الشيخ نظيف شيخ التكية المولوية في بشكتاش[1] وكذلك ولده حسين فخر الدين دده من الموغلين في العلوية.

يقول الشيخ نظيف:

أصـبح محمـد مدينـة العلـوم	وبـاب السـلام هـو مركـز هـذه المدينـة[2]
وصـار أحمـد وعلـي همـا رمـز الأسـرار	وهذا هو المقصود من حكمة السبع المثاني

وله أيضاً:

أيـا مصباح مسجد الدنيا وإمـام الأوليـاء	يـا منيـة كـل مـراد لا فتـى إلا الهُمـام
يـا خلعـة مـن كنـت مـولاه فعلـي مـولاه	فاقتـد بـه فإنـه سلطان ولايـة الإنس والجـان
لا سبيل إلى مدحك فـاي بيان يفصح عن حالك	لأجل تبجيل ذاتك وشانك أنزل الله (هل أتـى)

ومن أشعاره كذلك:

أنـا مولـوي أحمـد حيـدري	ويكفـيني إلـه واحـد ونـبي واحـد وولـي واحـد
لا إلـه هـو الله العلـي المنجلـي	لا نـبي إلا محمـد لا فتـى إلا علـي[3]
أهل الحقيقة أمتي وخالقي هو الله ربي	ومـذهبي طريـق المحبـة وشـرط إيمـاني هـو الفنـاء

---

(١) بشكتاش: حي من أحياء إستانبول الأوربية على مضيق البسفور. فيه قصر يلديز. انظر: تاريخ الدولة العلية، ص (٢٣٨)، هـ (٢).

(٢) يشير إلى الحديث الموضوع " أنا مدينة العلم وعلي بابها " ذكره ابن الجوزي في الموضوعات وتكلم على طرقه وألفاظه وبين أنها موضوعة (١/٣٤٩-٣٥٥) وتابعه السيوطي في اللآلىء (١/٣٢٨-٣٣٦)، والشوكاني في الفوائد المجموعة، ص (٣٤٨-٣٤٩). والألباني في ضعيف الجامع الصغير، ح (١٣٢٢) ص (١٩١).

(٣) يشير إلى الحديث الموضوع (لاسيف إلا ذوالفقار ولا فتى إلا علي) وصفه بالوضع وتكلم على الكذابين من رواته كل من ابن الجوزي في الموضوعات (١/٣٨١-٣٨٢) والسيوطي في اللآليء المصنوعة (١/٣٦٤-٣٦٥)، وابن عراق الكناني في تنزيه الشريعة (١/٣٨٥)، وابن العجلوني في كشف الخفاء (٢/٣٦٣-٣٦٤).

أنا عبد لآل العباء وحيدري	يا نظيف لقد ضحيت بالروح والرأس في هذا الطريق
بحق الله يكون الجود الأكمل لهذا السلطان	أوحى الله الكتاب المنزل لأحمد المختار

ويمضي الشاعر فيذكر أن كلمة (سلطان) تعني أتم وأكمل وجود وسخاء لعلي ﷺ.

ويقصد من قوله (لا نبي إلا محمد) أن سائر الأنبياء أجمعين هم ظهور لمحمد ﷺ ومحمد ﷺ هو مظهر الكمال المتباين لكل الأنبياء.

ويقول لمن يريد الانتساب لهذا الطريق أنه صعب وعسير، وإذا قلت إنك سوف لا تعرف أحداً إلا الله فهل يمكن أن تكون راضياً ؟!!

هذه الأقوال عرضته للذم والهجاء حتى من المولوية أنفسهم الذين لا يتمذهبون بالمذهب العلوي.

ومن الجلبية المتأخرين عبدالواحد جلبي فلقد كان موغلاً في العلوية راكباً متن الشطط فيها، اشتهر بهذا الأمر، انتسب إلى البكتاشية فانخرط كثير من شيوخ المتصوفة في البكتاشية مقتدين به ومتبعين سبيله، ومن ثم كان ذهاب شيوخ البكتاشية إلى تكية جلال الدين، وكانت مراسلات عبدالواحد مع شيوخ البكتاشية تؤكد هذا التوجه.

وهكذا يظهر بجلاء تام أن النزعة العلوية قد دخلت لدى المولوية الذين يعتبرون أنفسهم فرعاً لطريقة شمس الدين، وهذا إفراط حل بالطريقة لم يكن موجوداً في عصر جلال الدين الرومي.

رابعاً: التنظيم في الطريقة المولوية[1]:

المولوية مثلها مثل سائر الطرق الصوفية لها مراتب ودرجات تحافظ من خلالها على الطقوس والشعائر الدينية للطريقة، أولى هذه المراتب:

---

(١) انظر فصل المراتب والدرجات عند المولوية في كتاب المولوية بعد مولانا، ص (٦١٣-٦٣٠).

١- المحب (الدرويش)

المحب هو المنتسب للطريقة، ويكون هذا الانتساب بالدخول إلى حضرة الشيخ ويقبل يده ويجلس أمامه حيث يضع رأس المحب على ركبته، ثم يلبسه القلنسوة ويكبر عليها وهو يقرأ الفاتحة، ثم يقرأ كلاهما الفاتحة، ثم يقبلان أيادي بعضهما البعض في نفس الوقت. ومن ثم يطلق عليه لقب (المبتدئ الجديد) ثم يُسَلَّم إلى أحد المشايخ الموجودين في التكية لتربيته وتلقينه آداب الطريقة.

على المحب قضاء فترة المكابدة والمعاناة، تبدأ بإقراره بقضاء هذه المدة ورضاه عن تقديم نفسه للطريقة. فإذا تم ذلك فإنه يدخل من باب المطبخ ويمكث ثلاثة أيام في (مقام السقاء) يكون خلالها جالساً منكس الرأس يشاهد خدمات المريدين ولا يتحدث ولا يذهب إلى أي مكان ولا يقرأ شيئاً. بعد هذه المدة يؤتى به إلى (الشيخ الوقاد) الذي يكلفه بأعمال مدة ثمانية عشر يوماً بعد قضاء هذه الأيام يخلع ثيابه ويرتدي ثياب الدرويش ويُسمى هذا التقليد (التعرية أو التجريد من الثياب).

بعد ذلك يُسَلَّم السالك إلى الوقاد ويطلق عليه (مريد المطبخ) يكلف بعدة مهمات فهو ينظف كل ما حوله، ويحضر الحطب ويضطلع بمختلف الخدمات التي تلقى على كاهله. يبدأ بعد ذلك بالانضمام إلى مجالس الذكر مع استمرار الخدمة التي تستمر في الطريقة المولوية إلى ألف يوم ويوم.

بعد انتهاء فترة المكابدة والمعاناة، يصبح الدرويش صانع الشربات ومريد المطبخ وبعد أسبوع يرتدي السالك لباس الدرويش ثم يجلس في (مقام السقاء) ويجهز شمعداناً ذا اثنين وسبعين أو ستة وثلاثين أو ثمانية عشر ذراعاً، ثم يثبت شمعة على كل ذراع ويأتي به إلى ساحة الطقوس ثم يشعل الشموع.

وفي المساء يكون الذهاب إلى ساحة الطقوس والشعائر الدينية، ويطهو الطعام ثم يدخل المريد الساحة، ثم تُصنع شربات الدرويش الجديد، وتشرب مع الطعام. عقب الطعام يلتقي المريد وشيخ الطريقة والطباخ مع الشيخ وبعد ذلك

يحيي المريد الشيوخ الموجودين في حين يقوم أثناء ذلك إنشاد الدعاء على لسان شيخ الطريقة يقول:

"ليكن هذا وقتاً شريفاً مفتتحاً بالخير، دفع الله عنا الشرور وليقبل الدراويش تحية أخينا ولتزدد راحته في مسكن المولوية ولتكثر لحظات الصفاء، ولنتفوه بلحظة حضرة مولانا وسر شمس تبريزي وكرم الإمام علي".

وما يلبث سائر الشيوخ في معية المريد أن يطأطئوا رؤوسهم محيين متأوهين آهة طويلة قائلين (هو).

بعدها يذهب الدرويش الجديد إلى خادم الضريح لمقابلته ثم يذهب للمطبخ ويحضر إلى مقام السقاء، حينئذ يفتح له مقام جديد يسمى (مقام سلطان ولد) ثم يذهب للشيخ الطباخ الذي يقول للدرويش:

"كن ثابتاً في طريقك ثم يشرع جاهراً بنفس الدعاء السابق".

ثم يقول مع الدرويش والمشرف على الذكر (هو). بعدها يظل الدرويش في حجرته ثلاثة أيام بعدها يذهب المشايخ وهم يحملون الهدايا لزيارته والمباركة له.

وبعد ثلاثة أيام يلقن البيعة من الشيخ بأن يجلس الدرويش أمام الشيخ وهو يجثو على ركبته، ثم يلمس كلاهما ركبة الآخر، ويمسك الشيخ باليد اليمنى للدرويش، وتكون أصابع الإبهام ملتصقة مع بعضها البعض طولاً، والأصابع الأخرى ممسكة باليد محيطة بها. يشرح له الشيخ أثناء ذلك حال أولئك الصحابة الذين بايعوا النبي ﷺ في الحديبية ثم يتلوا قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [1].

(١) سورة الفتح، الآية: (١٠).

ثم يقص بعض شعيرات من شاربه ووسط حاجبه، ويلبسه خرقته الرسمية على ظهره مكبراً ويقول له:

(انتهت فترة مكابدتك ومعاناتك، ولسوف تدخل الآن حجرة التعبد والزهادة) بعدها يظل الدرويش ثمانية عشر يوماً لا يخرج خارج التكية أبداً. ثم يتم التكبير على قلنسوة الدرويش وتصبح القلنسوة ملكاً له. على إثر ذلك يتم تعليم الدرويش الذكر والأوراد من قبل الطباخ.

بهذه الصورة يحق للدرويش لقب (صاحب الحجرة)، ويسمى كذلك شيخاً أو دده وله الحق في الإقامة في نفس التكية أو الذهاب إلى تكية أخرى.

فإذا ما أقام في نفس التكية فإنه يعقد مجالس المنادمة والمسامرة مع الدراويش الجدد، وينشغل بتربية المحبين وتدريس المثنوي، ويعلم الموسيقى. وله قدر من المال بحسب واردات التكية ينفقه على حاجاته الضرورية.

٢- الشيخ.

تأتي المشيخة في المرتبة الثانية بعد الدروشة، يعيَّن الشيوخ في التكايا بصفتهم قراء للمثنوي ولا يتدخلون في مهمة التربية التي يعهد بها إلى شيخ الطريقة في قونية أو رئيس الطهاة في التكايا الأخرى.

لإثبات المشيخة لابد لجلبي قونية من إرسال (رسالة المشيخة) إلى الشيوخ.

٣- الخليفة.

يعد منصب الخليفة منصباً روحياً معنوياً، يضطلع الخليفة بمنح الخلافة إلى من يستحق من دراويش المولوية أو شيوخها أو حتى من أحد كبرائها ووجهائها كما يضطلع الخليفة بتمثيل الطريقة مباشرة، كان يرسل به إلى أي مكان، وكان يتم إرساله في افتتاح التكايا وإلى المواضع التي يجب أن يكون حرياً بالقبول فيها.

خدمات المطبخ.

يعد المطبخ المكان المقدس في التكية المولوية، تقام فيه ثمان عشرة خدمة هي:

١- الشيخ الوقاد.

٢- الشيخ الخليفة.

٣- المشرف على الذكر الخارجي.

٤- غسال الثياب.

٥- منظف المتوضأ.

٦- صانع الشربات.

٧- منظف الأطباق.

٨- منظف الصوان.

٩- المتسوق.

١٠- مجهز المائدة.

١١- المشرف على الذكر الداخلي.

١٢- وقاد القنديل الداخلي.

١٣- المحمص.

١٤- متعهد الفراش.

١٥- وقاد القنديل الخارجي.

١٦- الكناس.

١٧- وقاد السراج.

١٨- الخادم المكلف بمهمة ما..

إن أعظم الخدمات هي خدمة تنظيف المراحيض والمتوضأ لأنها تكسر غرور النفس الإنسانية تمنح هذه الخدمة إلى مريد المطبخ، ومن هو على وشك الانتهاء من فترة المكابدة والمعاناة.

وإذا كان المريدون الموجودون في المطبخ أقل من ثمانية عشر مريداً فإن

مريداً واحداً هو الذي يكلف بأداء جملة من الخـدمات، أمـا إذا كـانوا أكثـر مـن ثمانية عشر فإنه يقدم حينئذ رفيق واحد لكل صاحب خدمة.

إلى جانب هؤلاء يوجد في التكية خادم الضريح وهذا لا قبل له بأن يكون متزوجاً، ولهذا كان يتم اختياره من أسن وأعجز الشيوخ عمراً، كما كـان هنـاك شيوخ يضطلعون بحرفة البواب وهم تحت إمرة خادم الضريح. ولما كانت التكايا المولوية تتميز بوجود محلة للموسيقى فإن عازف الناي وضاربي الطبلة يعدون من أركان المولوية. أما قائد العزف على الطبلة وقائد عزف الناي فهمـا المضـطلعان بتربية وتنشئة عازفي الناي في قاعات الطقوس الدينية.

المبحث الثالث

علاقة الطريقة المولوية بالدولة العثمانية

حينما بدأت إمارة بني عثمان بالنشوء والتكون، نشأت في منطقة تبعد عن منبع الطريقة المولوية (قونية). وفي المقابل لم تسع الطريقة للدخول في إمـارة بـني عثمان الناشئة ويرجع د/ أوجاق ذلك إلى:

"سيطرة الأخية وأبدال الروم على إمارة بني عثمان، فالمولوية لم يجـدوا في تلك البيئة ما يجذبهم إليها قط. أضف إلى ذلك أن أسلوب الحيـاة القاسـية الـتي ليس فيها إلا الحرب والضرب على طول الحدود لم يَرُق لهم. ومن الطبيعي أننا لو أضفنا إلى ذلك ما كان من تنافس بين تنظيمات الأخية وبين جلال الدين الرومي وأتباعه امتد منذ عهد الرومي نفسه لأدركنا جيداً لماذا أحجم أتباع المولويـة عـن دخول إمارة حدود تسيطر عليها تنظيمات الأخية وأبدال الروم"[1].

ولما بدأت الإمارة الناشئة تكبر وتتسع ودخـل ضـمن رعاياهـا كـثير مـن المولوية لم يحفل حكام دولة آل عثمان في هذه العصور المبكرة بالطريقة، كما أنهم في نفس الوقت لم يمسوها بسوء لبعد هذه الطريقة عن الثورات الدينية والسياسية التي كانت تقوم ضد الدولة العثمانيـة، فلم يكن للطريقة دور إيجابي أو سلبي مهم يذكر لهم في مضمار الحياة السياسية حتى عصر السلطان سليم الثالث[2] ﷺ.

---

(١) الدولة العثمانية تاريخ وحضارة (٢/١٧٢-١٧٣) بحث بعنوان الحالـة الدينيـة والفكريـة فـي الدولة العثمانية له.

(٢) سليم الثالث بن مصطفى الثالث، وهو السلطان العثماني (الثامن والعشـرون) تـولى الحكـم خلال الفترة (١٢٠٣-١٢٢٢هـ) أبعد عن الحكم نتيجة ثورة (قباقجي) ضد النظـام العسـكري الجديد، قتل في أحداث واقعة بيرقدار عام (١٢٢٣هـ).

انظر: معجم الأنساب (٢/٢٤٠)، المـنح الرحمانيـة، ص (٣٦٣)، الدولـة العثمانيـة، يلمـاز (١/٦٤٣).

إلا أن هذا لم يمنع الحكام العثمانيين من إغداق الهبات والعطايا على شيوخ الطريقة كما هو ديدنهم مع جميع الطرق الأخرى.

تذكر المصادر أن أول علاقة تأسست بين رجال الدولة العثمانية والمولويين ترجع إلى السنوات الأخير لعهد السلطان مراد الأول ﷺ؛ حيث أمر علي باشا ابن خليل خير الدين باشا الصدر الأعظم بتشيد تكية للمولوية عام (١٣٨٧م/ ٧٨٨-٧٨٩هـ)[١].

* وفي عهد السلطان مراد الثاني ﷺ تأسست تكية أدرنة وأطلق عليها تكية أدرنة المرادية، ووضع رسمياً هذه الطريقة تحت توجيه ودعم السلطة المركزية[٢].

* وفي عهد الفاتح ﷺ أنشئت أول تكية للطريقة في إستانبول، كما قام السلطان بترميم قلعة قونية والضريح وملحقاته وربط بعض الأوقاف للضريح[٣].

* في حين قام با يزيد الثاني ﷺ بتجديد ضريح جلال الدين وعمل الزينات الداخلية له. وأرسل قماشاً فاخراً ليكون غطاء لصندوق الضريح[٤].

كما أنشئت في عهده تكية الطريقة في غالاطه، أنشأها إسكندر باشا أحد رجال الدولة في عهده[٥].

* وسار السلطان القانوني ﷺ على طريقة من قبله فأنشأ جامعاً ذا منارتين جعله تابعاً لتكية قونية كما أقام سماع خانة شمال القبة الخضراء الملاصقة للمسجد ثم أضاف إليها مطبخاً وفرناً ومخزناً للطعام وغرفاً للدراويش[٦].

كذلك فقد أعلى منزلة الجلبي في التشريفات العثمانية حتى جعلها تعادل

---

(1) Mevleviligin, p, (327).

(٢) الدولة العثمانية تاريخ وحضارة (١٨١/٢).

(3) Mevleviligin son yazyili, p, (74).

(٤) المولوية بعد مولانا، ص (٢٤٩).

(5) Mevleviligin son yazyili, p, (35, 79).

(٦) المرجع نفسه، ص (٢٩)، (٥٠).

منزل الوزراء. ونبه والي قونية ألا يرد رجاءً يتقدم به الجلبي.

* ولما كان عهد أحمد الأول وسليم الثاني[1] رحمهما الله كانت الطريقة المولوية هي الطريقة السائدة في إستانبول. فقد كان نفوذها في القصر يلفت الانتباه.

استمرت العطايا والهبات من السلاطين حتى تربع على عرش السلطنة سليم الثالث.

* يعتبر عصر السلطان سليم الثالث ﷺ العصر الذهبي للطريقة المولوية ففي عهده بلغت الطريقة شأناً لم تبلغه من قبل. بدأت منذ ذلك الحين تظهر شخصياتها ورموزها البارزة، بل إن السلطان نفسه قد انتسب إلى هذه الطريقة فقد كان مولوياً، يقرأ المثنوي وينفخ في الناي و يعزف بالألحان المولوية ويزور التكايا المولوية بإستانبول كما كان يدعى لحضور طقوس المولوية. عمل أوقافاً خاصة من أجل شرح المثنوي في جوامع السلاطين بإستانبول[2].

ترجم له عبدالباقي دده كتاب الأفلاكي (مناقب العارفين) وأعجب به السلطان. كما قدم له من تأليفه كتاب (تدقيق وتحقيق) وهو خاص بالنظرية الموسيقية التي لها (١٣٦) مقاماً و (٢١) قاعدة انتهى من تأليفه عام (١٧٩٥م/ ١٢٠٩-١٢١٠هـ).

اتخذ السلطان أحمد أغا المولوي نديماً له في القصر، تربى أحمد المولوي على يد أهم أساتذة الموسيقى في عصره وهو عبدالرحيم دده شيخ تكية يني قابي كان أحمد أغا يلحن بمقامات متعددة ينشدها في حضور السلطان دفع تأثير ألحانه

---

(١) سليم الثاني بن سليمان القانوني، تولى عرش السلطنة بعد وفاة والده عام (٩٧٤هـ)، بدأ في عهده عصر الضعف إلا أن وجود الصدر الأعظم محمد باشا صوقولي حافظ على هيبة الدولة، فتحت في عهده جزيرة قبرص، توفي عام (٩٨٢هـ).
انظر: المنح الرحمانية، ص١٨٥)، تاريخ الدولة العلية، فريد بك، ص (٢٥٣).

(2) Mevleviligin, p, (56).

السلطان سليم الثالث ﷺ إلى ابتكار مقام جديد يدعى (سوزي دلارا) وأصبح لهذا المقام أهميته في تكية يني قابي[١].

وقد انعكس ذلك بطبيعة الحال على الطريقة نفسها فأصبحت التكية المولوية بمثابة مؤسسة من مؤسسات الدولة يصدر السلطان القرارات والفرمانات التي تقضي بالإنفاق من خزينة الدولة على احتياجات المولوية.

وقد أسهم انتساب السلطان لها من شهرتها فبدأت تنتشر بين الأمراء والباشوات ورجال الدولة مما جعلها تحظى بدعم سياسي ومادي قوي.

ذكر المؤرخ أحمد جودت ﷺ:

"أن السلطان سليم كان محباً للمولوية ومصداقاً للقول: (الناس على دين ملوكهم) فإن غالبية الشعب كانوا يحبون المولوية وكذلك كبار رجال الدولة كان توجههم إلى الطريقة مهما كانت مناصبهم واتجاهاتهم"[٢].

وبالتالي أخذت الطريقة في عهده أرفع المناصب والدرجات وتم ترميم التكايا و الإكثار من أوقافها ومنح مشايخها الكثير من العطايا والهبات. فعلى سبيل المثال في عام (١٨٠٠م/ ١٢١٤-١٢١٥هـ) مُنح ناصر عبدالباقي دده عطية سلطانية قيمتها ألف قرش[٣].

وفيه استقبل السلطان صاحب الطريقة محمد دده وفي معيته إسماعيل حمامي دده، ومنح كليهما مائة وثلاثين قرشاً.

---

(١) المولوية بعد مولانا، ص (٣٩١).

(2) Mevleviligin, p, (89).

(٣) القرش: عملة عثمانية فضية، ضربت بوزن مائة درهم، وفي عهد السلطان أحمد الثالث كانت بوزن (١٨) درهماً، ثم طرأ عليها انخفاض مستمر ففي عهد مصطفى الثالث وزنت (٦.٢٥) درهماً، وفي عام (١٣٣٢هـ) وحد السلطان محمد رشاد المسكوكات النقدية، وجعل وحدة العملة هي (القرش) وأصبح يساوي (٤٠ بارة) من النيكل.
انظر: تاريخ مؤسسة شيخ الإسلام (٣٧٢/٢) هـ (٣٢).

وفي نفس العام قدم السلطان إحساناً قدره تسعمائة قرش إلى شيخ آماسيا بغية إصلاح وتعمير التكية[1].

كما اضطلع السلطان بتعمير تكية بشكتاش وأثث حجرات محلة الشيخ باثنى عشر مقعدًا[2].

كذلك قام بترميم تكية غاليبولي[3] عام (١٨٠٥م/ ١٢١٩-١٢٢٠هـ) وأرسلت جميع المستلزمات من إستانبول.

يرجع الباحثون هذا الاهتمام في هذا الوقت بالذات إلى ما كان ينتظر الطريقة البكتاشية من إلغاء فقد كان لابد من ملء الفراغ الذي ستخلفه البكتاشية، فقد بدأت الدولة تفكر في موضوع الإصلاحات وكان الجيش أول الاهتمامات ولما كان الجيش مرتبطاً بالبكتاشية كانت الرغبة في تقوية الطرق الأخرى مثل المولوية. من هنا انتهجت الدولة تدعيم منصب الجلبية من الناحية السياسية وذلك بإقامة علاقات حميمة مع الجلبيين. ومن الناحية الاقتصادية إذ تكاثرت الأوقاف والعطايا والهبات.

في عهده تولى مشيخة الطريقة على تكية غالاطه الشيخ غالب دده الذي كان أحد الأصدقاء المقربين من السلطان، فأمر السلطان ببناء التكية من جديد، كما قام الكثير من رجال الدولة بإضافة الكثير من الخيرات إلى هذه التكية. حتى أصبحت إحدى المراكز الثقافية الرئيسة التي ناصرت حركة التغيير التي سعى إليها السلطان[4]. وقد بنيت للسلطان في هذه التكية مضيفة يظل بها ساعات طويلة يستمع فيها إلى المثنوي بعد آداء صلاة الجمعة.

---

(١) المولوية بعد مولانا، ص (٤٠٦).

(2) Mevleviligin, p, (340).

(٣) غاليبولي: مدينة تركية تقع في آخر مضيق الدردنيل في الجانب الأوربي.
انظر: تاريخ الدولة العلية، ص (١٢٦)، هـ (١).

(٤) المرجع السابق، ص (٣٤٠).

في حين أحدثت أم السلطان شرح المثنوي في التكية[1]. كل هذا الإحسان قابله الشيخ غالب دده بدعمه ومعاونته لرغبة السلطان سليم الثالث في التغيير، ذلك أن السلطان سليم الثالث عاصر مطلع القرن التاسع عشر في هذه الفترة بدأت فلسفة الدولة بالتغيير، فحركة المعاصرة تركت طابعها في تلك الآونة، هذه الحركة أزالت النفوذ السياسي لعائلات الشيوخ فبدأت تستعيد ما أخذته عائلات الشيوخ والأعيان من السلطات المحلية. فقد شعرت الدولة بأن المساعدات المادية والمعنوية تنهمر على الطرق من كل النواحي مما أكسبها قوة مادية ومعنوية خشيت الدولة على نفسها منها إذ كانت كل طريقة تبدو وكأنها دولة داخل دولة وخاصة المولوية، فأمر السلطان سليم الثالث بفرض قيود على من يمدون أيديهم إلى وصايا الوقف الذي يخص المشيخة وزوايا وتكايا المولوية. كما جدد حقوق الامتيازات المملوكة لهؤلاء إذا كانت تخصهم[2].

هذا التدخل من الدولة في شؤون الوقف الخاص بالطريقة المولوية عارضه بشدة شيخ تكية قونية محمد جلبي بل دخل في حركة تمرد وعصيان ضد هذا النظام الجديد، ورغم أنه كان الرأس المدبر لهذا العصيان فإن السلطان سليم لم يقف ضد المولوية، بل لم يعط الفرصة لمعاملة محمد جلبي معاملة سيئة وبقي في منصبه ولم يستطع أحد المساس به[3].

وتذكر الوثائق أن مساعدات الدولة ما زالت مستمرة في عهده مثل الزيوت والطعام والشموع بالرغم من سوء الخلاف[4]. وهذا لاشك عائد إلى كون السلطان سليم الثالث مولوياً وبسبب قوة نفوذ التكية المولوية بقونية آنذاك.

---

(١) المرجع نفسه، ص (٣٣٣-٣٣٤).
(٢) انظر عن حركة التجديد في عصر السلطان سليم الثالث، المرجع السابق، ص (٣٢٩-٣٣٢).
(٣) المولوية بعد مولانا، ص (٢٨١).
(4) Mevleviligin son yazyili, p, (58).

*** السلطان محمود الثاني:**

تربى السلطان محمود الثاني ﷬ في كنف عمه السلطان سليم الثالث ﷬، وتلقى دروس الموسيقى على يديه وتأثر به في حبه للمولوية. كما تأثر السلطان محمود ﷬ بأحد المنتسبين إلى تكية يني قابي وهو حمامي زاده إسماعيل دده حيث قرّب السلطان من الطريقة المولوية وحببها إليه. كان السلطان يدعوه للقصر دائماً، ويذهب بنفسه كل يوم أربعاء للاستماع إليه وهو ما دفع شيخ التكية إلى تقديم عريضة للسلطان يطلب فيها ترميم التكية فوافق وأنفق في سبيل ذلك (٤٠,٠٠٠) قرش وافتتحت بمراسم رسمية عُدَّ عهده عهد الموسيقى التركية الكلاسيكية بسبب هذا الرجل لإدخاله ألحان جديدة على الموسيقى المولوية التي كانت تعزف في التكايا[1].

ومما زادها قوة ومنعة وقوف الطريقة المولوية إلى جانب السلطان في سياسته فمنذ اعتلاء السلطان للعرش العثماني عام (١٨٠٨م/ ١٢٢٣هـ) خاض حركات التغيير السياسي والاجتماعي من أجل بناء الدولة من جديد ومن ضمن التغيير الذي يهدف إليه القضاء على الإنكشارية وتأسيس جيش جديد على النظام الأوروبي.

أراد السلطان أن يأخذ بجانبه مشايخ الطرق الصوفية أثناء قيامه بهذه التغيرات والتجديدات ليمنع بذلك أي معارضة من الشعب إزاء تغييراته.

شارك مشايخ المولوية في القضاء على الإنكشارية مؤيدين بذلك رغبة السلطان فقد شارك كل من (علي أفندي) شيخ تكية قاسم باشا و (قدرة الله داده) شيخ تكية غالاطة المولوية[2].

كما استطاع محمد سعيد همدم جلبي شيخ تكية قونية أن ينال مكافأة

---

(١) المرجع نفسه، ص (٣٤٤).

(٢) المرجع السابق، ص (٣٤٢).

السلطان نتيجة موافقته لسياسته وعدم الاعتراض عليه المتمثلة في ترميم التكايا وتخصيص معاش شهري يقدر بألف وخمسمائة قرش من واردات قونية للمشايخ المولوية الذين ينحدرون من نسل جلال الدين، وخصص رواتب أخرى لبقية المشايخ في إستانبول وهو إجراء لم يكن متبعاً قبل ذلك[1].

في هذه الفترة زادت قيمة الطريقة وقدرها، خاصة بعد أن ملأت الفراغ الذي خلفته البكتاشية، إذ انتقلت مسؤوليتها عن الجيش إلى الطريقة المولوية وأطلق اسم المراشي على الشيخ الذي يمثل الطريقة في الجيش[2].

وبذلك أصبحت الطريقة أكثر رواجاً بين أركان القصر وبين الطبقة العليا من رجال الدولة، ولهذا فقد كان السلاطين في الفترة الأخيرة إما مولويين أو نقشبنديين.

قويت شوكة الطريقة بانتساب رجل من رجال الدولة لها ألا وهو محمد سعيد حالت أفندي[3]، صاحب ختم السلطان محمود الثاني ﷺ. دخل الطريقة بواسطة الشيخ علي نطقي دده شيخ تكية يني قابي. أطلق عليه المولوية لقب (كتخدا[4] المولوية)، منح الإجازة المولوية عام (١٨١٨م/ ١٢٣٣-١٢٣٤هـ) من محمد سعيد همدم جلبي. كان يذهب إلى تكية غالاطه ويتسامر مع شيخها غالب دده مما مكن التكية من الحصول على مساعدات كثيرة في عهده.

تم على يديه ترميم تكية فرمان وتجديد بناء السماع خانه وغرف الدراويش والمطبخ. كما تم ترميم تكية كوتاهية ويني قابي.

---

(١) المرجع نفسه، ص (٣٤٣-٣٤٤).

(٢) المرجع نفسه، ص (٣٤٢).

(٣) انظر ما يتعلق بحياته وجهوده في خدمة المولوية:
المولوية بعد مولانا، ص (٣٩٢-٣٩٧)، والمرجع السابق في الصفحات التالية: (٩٢-٩٥)، (٣٤٣-٣٤٤)، (٣٤٨-٣٥٠).

(٤) كتخدا: كلمة فارسية مركبة من (كت – خدا) وتعني رئيس البيت. ولها استخدامات كثيرة في الإدارة العثمانية. وتعني بشكل عام (معتمد) (نائب) (مشرف).
انظر: المنجد (مادة كتخ) ص (٦٧٢).

استطاع من خلال نفوذه في القصر أن يعيِّن (قدرة الله دده) شيخاً لتكية غالاطه. ثم بنى مبنى من طابقين على يمين باب التكية وضع فيها مكتبة أوقف عليها كتباً كثيرة. وعين للمكتبة أميناً وشخصاً مختصاً بالدعاء في التكية. أوقف لها مزارع وأراضي كثيرة، كلها تقع في أرض اليونان وذلك للإنفاق على أمين المكتبة والموظفين وساكني التكية. وحينما تقدم محمد سعيد همدم جلبي بعريضة للسلطان يطلب فيها ترميم القبة الخضراء لقبر جلال الدين عين السلطان حالت أفندي مشرفاً على العمل. فقام بدوره بتعيين دده مصطفى أغا وهو من محبي المولوية أميناً على البناء فأخذ ما يكفيه من البناءين والنقاشين من إستانبول وذهب بهم إلى قونية وتعهد والي كوتاهية بتوفير قطع القاشاني وتم عمل الترميمات في (١٨١٧م/ ١٢٣٢-١٢٣٣هـ).

وعلى الرغم من مكانته في القصر إلا أنه عزل من منصبه بفرمان من السلطان بسبب معارضته القضاء على الإنكشارية، فنفي إلى بورصة ثم إلى قونية بناء على طلبه وفيها قتل عام (١٨٢٣م/ ١٢٣٨-١٢٣٩هـ) ودفن جسده جوار ضريح جلال الدين ودفن رأسه في إستانبول في تكية غالاطة.

وعلى الرغم من ذلك لم يتأثر السلطان محمود بما حدث فلا زالت عطاياه وهباته مغدقة على التكايا المولوية جميعها.

* استمر عطاء السلطان للمولوية حتى وفاته واعتلاء السلطان عبدالمجيد ﷺ العرش عام (١٨٣٩م/ ١٢٥٤-١٢٥٥هـ).

تربى السلطان عبدالمجيد ﷺ علي يد والده السلطان محمود الثاني ﷺ فنشأ مثله محباً للمولوية، متعوداً على زيارة تكاياها وإكرام مشايخها، لذا لم يرفض طلباً قط لمشايخ تكية قونية.

سار السلطان عبدالمجيد ﷺ على نهج والده في مساندة المولوية ضد البكتاشية التي لا زال لها نفوذ قوي في صفوف الإنكشارية رغم القضاء عليهم.

ففي السنوات الأولى من جلوسه على العرش افتتح مكتبين باسم (دار المثنوي) لتعليم ونشر المثنوي، يسمح لأي شخص يرغب في التعلم بهما، إلى جانب تعليم اللغة الفارسية (لغة المثنوي الأصلية)، وقد تخرَّج من تلك الدار أشخاص كثيرون مشهورون أمثال المؤرخ أحمد جودت باشا و خوجه حسام الدين، ومصطفى وصي خليفة[1].

اعتنى السلطان بمشايخ الطريقة فمسح ديونهم، وزاد مخصصاتهم القديمة وربط المعاشات الجديدة لهم، وتم تخصيص هذه المعاشات للورثة بعد وفاة هؤلاء المشايخ، كذلك تم ترميم وتجديد منازل بعض هؤلاء المشايخ.

ولا ريب أن لشيخ قونية النصيب الأكبر من العناية والاهتمام، فما أن جلس السلطان على العرش حتى أمر بصرف راتب شهري يقدر بألف قرش لسعيد همدم جلبي شيخ قونية، أضف إلى ذلك أنه قام بتعيين أصهار همدم جلبي في منصب القائمقام حسب رغبته وبناءً على طلبه.

وحينما قام جلبي بزيارة السلطان في إستانبول أكرمه السلطان وأكرم مفيدبك الذي ضيَّف الشيخ في منزله فزاد في راتبه ومنحه رتبة عالية.

وتحملت نظارة المالية في عهده كامل تكاليف ترميم منزل همدم جلبي[2].

امتد عطاء السلطان إلى تكايا المولوية جميعها.

استمرت العطايا والهبات حتى وفاة السلطان عام (١٨٦٠م/ ١٢٧٦-١٢٧٧هـ).

* تولى السلطان عبدالعزيز ﷬ بعد أخيه السلطان عبدالمجيد ﷬ عام (١٨٦١م/ ١٢٧٧-١٢٧٨هـ) وخلال السنوات الأولى من جلوسه على العرش العثماني تم تأسيس (مجلس مشايخ الطرق الصوفية) تزعم رئاسته عند افتتاحه

(١) المرجع نفسه، ص (٣٥٧).

(٢) المرجع السابق، ص (٦٥-٦٦)، (٣٥٤).

عثمان صلاح الدين دده وظل في منصبه عشر سنوات ما بين عامي (١٨٦٨-١٨٧٨م) (١٢٨٤-١٢٨٥هـ / ١٢٩٥-١٢٩٦هـ).

تابع السلطان عبدالعزيز ﷺ من قبله من السلاطين في تدعيم الطريقة المولوية فقد منح العطايا والهدايا وكان لشيخ قونية المزيد من الرعاية والاهتمام. فقد خصص السلطان للجلبية المنحدرون من نسله العطايا والهبات.

ولما تقدم شيخ قونية صدر الدين جلبي بالتماس للقصر من أجل ترميم التكية وافق السلطان وتم انفاق سبعمائة ألف قرش لترميم المطبخ والقبة الخضراء و النافورة وبقية الملحقات. وأضاف إليها سبيل مياه.

كما قام السلطان بتحميل مهمة ترميم تكية يني قابي لوالي مصر الخديوي إسماعيل فتم إنشاء غرف للدراويش أما السماع خانه فشهدت ترميمات شاملة.

أما تكية قيسرى فقد خصص السلطان لشيخها أحمد رمزي معاشاً شهرياً. وفي عهده تأسست التكية المولوية بصامسون[١] توالت النعم والعطايا من السلطان حتى عزله ومقتله عام (١٨٧٦م/ ١٢٩٣هـ)[٢].

* عندما تولى السلطان عبدالحميد الثاني ﷺ السلطنة العثمانية عام (١٨٧٦م/ ١٢٩٣هـ)، أقام السلطان مع مشايخ المولوية علاقات طيبة فخلال تولي السلطان للحكم جلس على مشيخة التكية بقونية ثلاثة جلبيين هم، صدر الدين محمود جلبي ومصطفى صفوت وعبدالواحد جلبي إلا أن هذه العلاقة ساءت حينما تولى عبدالواحد جلبي في آخر أحد عشر عاماً لحكم السلطان بسبب معارضة عبدالواحد لسياسة السلطان ومهاجمته[٣].

برز في عهده الشيخ عثمان صلاح الدين شيخ تكية يني قابي وعُدَ في ذلك

---

(١) صامسون أو سمسون مدينة تركية في شمال شرق البلاد على البحر الأسود.
انظر: تاريخ الدولة العلية، ص (١٤٠) هـ (٣).

(٢) انظر جهود السلطان عبدالعزيز للمولوية، المرجع السابق، ص (٣٦١-٣٦٢).

(3) Mevleviligin, p, (363).

الحين أنشط شخصية سياسية صوفية، بسبب اجتماع أركان الدولة في تكيته فوجوده في هذه التجمعات السياسية جعلته يعيش أحداث عصره السياسية ويتفاعل معها.

وقد كان لهذا الشيخ مكانة خاصة لدى السلطان وترجع المصادر هذا الأمر إلى دور الشيخ في جلوس السلطان على العرش العثماني إذ كانت المحاورات حول تنصيب السلطان تتم في تكيته، ولما كانت مراسم البيعة تأخر شيخ الإسلام خير الله أفندي[1] في إصدار الفتوى. فخشى الشيخ عثمان فقال: أليس إجماع الأمة فتوى؟! وبذلك ضمن الشيخ بيعة الحاضرين وأعجب السلطان من فراسته فقبّل يده.

إلا أن هذه العلاقة لم تستمر فيما بعد على هذا النهج فقد صدرت إرادة سلطانية تقضي بإلغاء دروس المثنوي التي كان يدرسها الشيخ في القصر. بحجة أنه تقدم في العمر وتم تحديد إقامته في تكيته للاشتغال بالذكر والعبادة.

كما قرر السلطان إلغاء الراتب الشهري الذي كان يحصل عليه من القصر.

بعد وفاته خلفه على التكية ابنه جلال الدين محمد وكانت له اهتمامات سياسية أيضاً مثل والده مما جعل السلطان يجري عليه ما أجراه على والده من قبل فضلاً عن مراقبته للتكية بواسطة جواسيس يكتبون له تقارير بصفة مستمرة وسيق شيخها للتحقيق[2].

وترجع المصادر السبب في تخوف السلطان من المولوية إلى مواقف شيخ

(١) حسن خير الله بن حمد الله بن عثمان بن قاسم باشا، مشهور بالإمام السلطاني، يلقب بالحافظ، ولد في مدينة استانبول عام (١٢٥٠هـ) تولى منصب شيخ الإسلام مرتين. تم نفيه إلى الطائف عام (١٢٩٧هـ) وبقي مقيماً هناك حتى وفاته عام (١٣١٦هـ).
انظر: تاريخ مؤسسة شيوخ الإسلام (٢/٢٤٤-٢٦٥).

(٢) انظر بالتفصيل عن دوره في جلوس السلطان على العرش، المولوية بعد مولانا، ص (٤٢٨)،

قونية عبدالواحد جلبي المعارضة لسياسة السلطان. وكذلك تخوفه من ولي العهد محمد رشاد لأنه كان مولوياً. فخشى السلطان من تطور العلاقة بين عبدالواحد ومحمد رشاد.

ويضيف (محمد ضيا) سبباً آخر وهو انضمام بعض شخصيات الدولة في إستانبول إلى جمعية الاتحاد والترقي وأن اجتماعات هؤلاء كانت تنظم في التكية المولوية وأن الجريدة التي كان يصدرها هذا التشكيل كانت تأتي إلى التكية وتقرأ هناك ومع ما ذكر فقد تأثر السلطان بموت جلال الدين محمد وأمر بصرف ألفي قرش مصاريف للجنازة[1].

وبالرغم من حالة الضيق التي تشهدها علاقة السلطان بمشايخ المولوية في قونية وإستانبول إلا أن إكرامه للتكايا الأخرى ظل مستمراً.

* ولما اعتلى السلطان محمد رشاد[2] ﷺ عرش الدولة العثمانية، كان ذلك بمثابة حدث ميمون للمولوية؛ نظراً لانتسابه إلى هذه الطريقة.

في عهده دخل رجال المولوية المجتمع السياسي، فقد كان ولد جلبي عضواً عن قونية في أول برلمان لمجلس الأمة التركي، كما شغل كذلك عضوية البرلمان عن ولايتي يوزجات[3] وقسطموني[4] بضع سنين[5].

---

(1) Mevleviligin, p, (372-373).

(٢) السلطان محمد رشاد (الخامس)، هو السلطان العثماني (الخامس والثلاثون) اعتلى العرش بعد خلع السلطا عبدالحميد الثاني، حكم خلال (١٣٢٧-١٣٣٦هـ) في عهده تولى حزب الاتحاد والترقي مقاليد السلطة. ودخلت الدولة الحرب العالمية الأولى توفي باستانبول.
انظر: معجم الأنساب (٢/٢٤٠)، تاريخ الدولة العثمانية، يلماز (٢/٢٠٣-٢٣٢).

(٣) يوزجات: مدينة تقع في وسط تركيا شرق أنقرة.
انظر: أطلس العالم، ص (٦٨).

(٤) قسطموني: شمال الأناضول على بعد نحو مئة كم عن البحر الأسود.
انظر: تاريخ الدولة العلية، ص (١٣٩)، هـ (٣).

(٥) المولوية بعد مولانا، ص (٤٢٩).

احترقت في عهده تكية المولوية في بهارية فأعيد بناؤها مرة ثانية وقدم السلطان بنفسه إلى حفل الافتتاح المهيب.

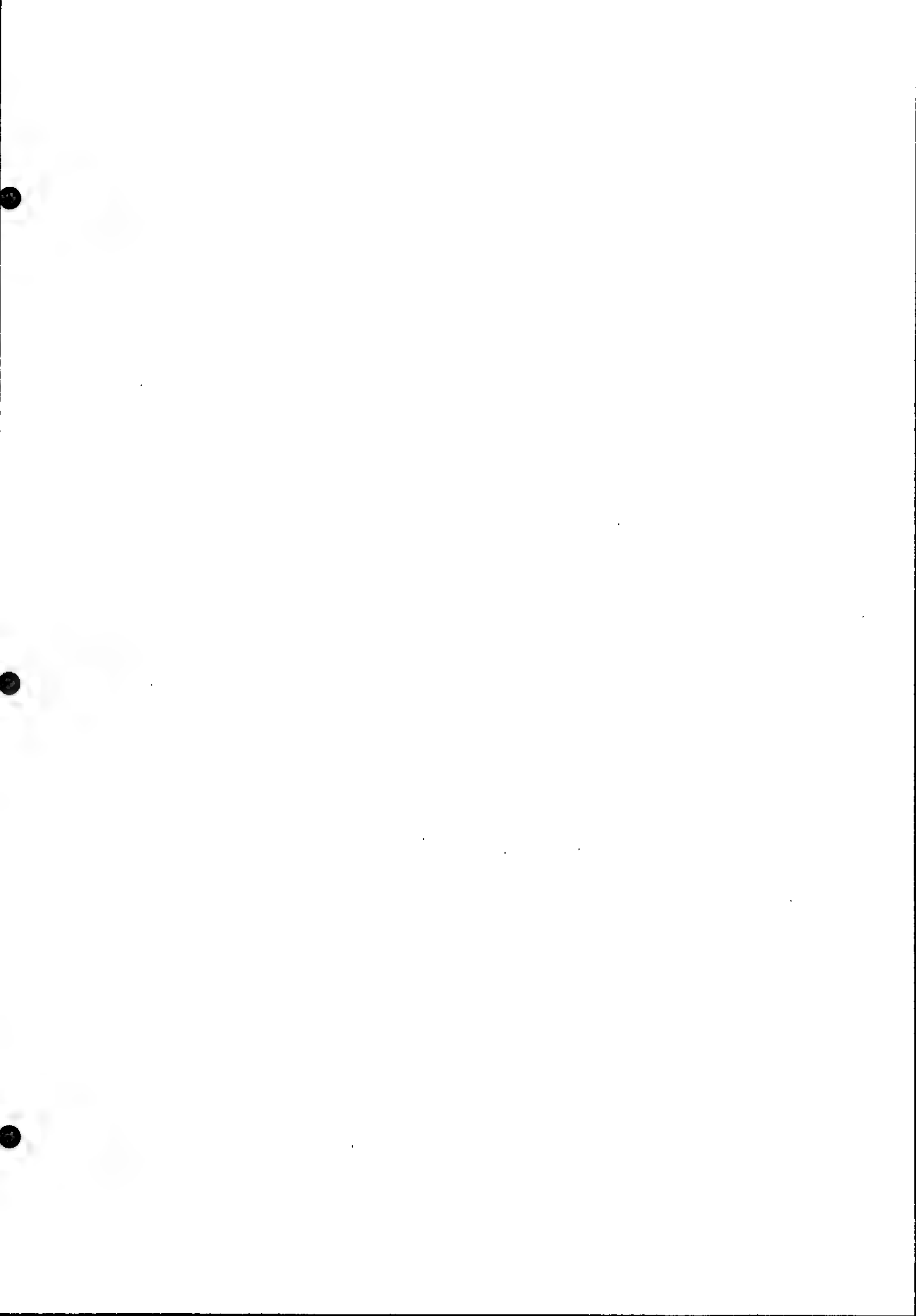
كما حظيت تكية قونية بعملية ترميم واسعة.

استمر وجود الطريقة المولوية بهذه القوة إلى عام إغلاق التكايا (١٩٢٤م/ ١٣٤٢-١٣٤٣هـ) فانتقل مقام الجلبية إلى حلب حيث قام شيخ تكية حلب محمد بكر جلبي بتأسيسه هناك. وتم التصديق على هذه المؤسسة من قبل حكومة الحاكم الفرنسي في سوريا (!!)، استمر الوضع على هذه الحال حتى عام (١٩٤٤م/ ١٣٦٣هـ) إذ تم إغلاق التكايا في سوريا أيضا[1].

ومع ذلك استمر وجود الطريقة على أرض الواقع وفي أوساط الشعب خاصة في قونية، فلا زال قبر جلال الدين يزار، ولا زالت احتفالاتهم تقام على أنغام الرباب والناي والآلات الموسيقية الحديثة.

---

(1) Mevleviligin, p, (319).



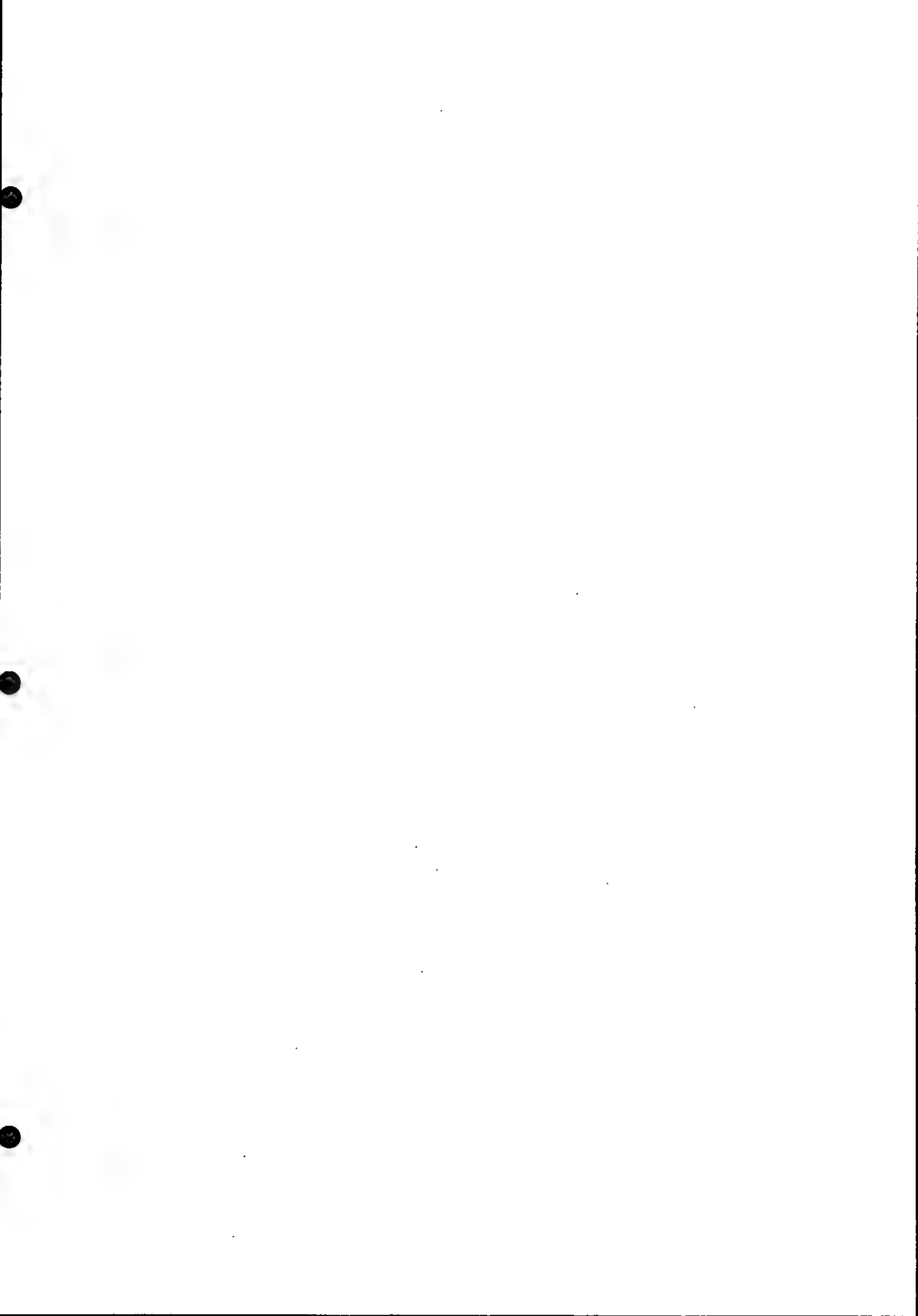
الفصل الثالث

الطريقة النقشبندية

المبحث الأول: نشأة الطريقة النقشبندية.

المبحث الثاني: العقائد التي تؤمن بها الطريقة النقشبندية.

المبحث الثالث: علاقة الطريقة النقشبندية بالدولة العثمانية.



المبحث الأول
نشأة الطريقة النقشبندية

النقشبندية طريقة صوفية انتسبت إلى رجل يدعى محمد بهاء الدين البخاري ولفظ نقشبند مصطلح فارسي مركب من كلمتين:

(نقش) و (بند)، وكان يطلق اسم نقشبند على الرسام والنقاش الذي يعمل الوشي والنمنمة على الأقمشة في اللهجة التركية القديمة[1].

يقول صاحب الأنوار القدسية معرفاً:

"تسمى نقشبندية أي منسوبة إلى نقشبند ومعناه: ربط النقش، وهو صورة الكمال الحقيقي بقلب المريد.. ويكون للذكر في قلب المريد تأثير بليغ. فكان يقال لذلك التأثير نقش وذلك الذكر بند أي ربط. والنقش هو صورة الطابع إذا طُبع به على شمع ونحوه وربطه بقاؤه من غير محو"[2].

أما السبب في إطلاق هذا اللفظ على هذه الطريقة فهو بحسب ما يذكره زعماء الطريقة أنهم يسعون إلى نقش محبة الله في قلوبهم بالذكر المتواصل والسلوك المأثور من مشايخهم.

ويذكر محمد الكردي من كبار مشايخ هذه الطريقة أن محمد نقشبند كان يذكر الله بالقلب إلى أن انتقش وظهر لفظ الجلالة على ظاهر قلبه[3].

وعليه فالطريقة تصل بالعبد إلى مقام نقش اسم الجلالة على القلب بالنور الإلهي[4].

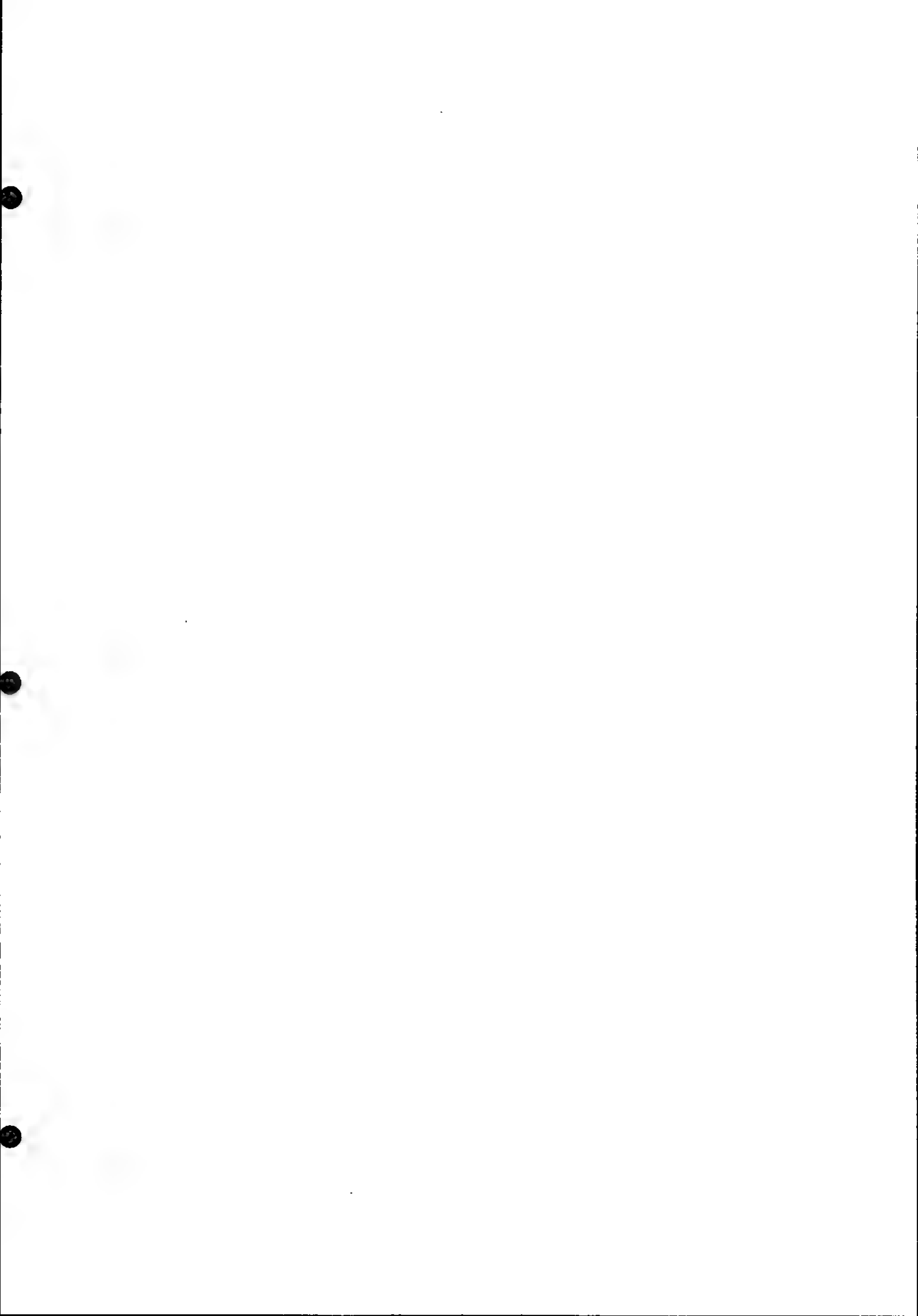
---

(١) النقشبندية بين ماضيها وحاضرها، ص (٩).

(٢) الأنوار القدسية في مناقب السادة النقشبندية للسهنوتي، ص (٦).

(٣) تنوير القلوب في معاملة علام الغيوب، ص (٥٠٨).

(٤) بحار الولاية المحمدية في مناقب أعلام الصوفية، جودة المهدي، ص (٥٥٣).



ويبالغ بعض خلفاء النقشبندية فيدعون: أن رسول الله ﷺ وضع كفه الشريف على قلب الشيخ وهو في حال المراقبة فصار نقشاً[1].

في حين أن بعض المصادر تذكر أن هذه القصة حدثت له مع الشيخ عبدالقادر الجيلاني فحينما كان يطلب المدد من روحانية الأموات قام عبدالقادر بوضع يده على صدر بهاء الدين فخرج نور كتب كلمة (الله) فقال عبدالقادر:

يا ماسك نقش العالمين، أمسك نقشي، ليطلقوا عليك نقشبندي "[2].

*** مؤسس الطريقة[3]:**

تنسب الطريقة إلى محمد بن محمد بن محمد بهاء الدين الشاه نقشبند الأويسي البخاري. ولد عام (٧١٧هـ) في قصر العارفان وهي قرية بالقرب من بخارى.

حينما بلغ الثامنة عشرة ذهب إلى سماس لخدمة المرشد الشيخ محمد بابا السماسي[4] وبعد وفاته ذهب إلى سمرقند وصار يتردد على المشايخ والأقطاب، ثم عاد إلى بخارى واتصل بالسيد أمير كُلال[5] بناء على توصية من شيخه الأول.

وبالإضافة إلى هؤلاء فقد صحب عدداً من شيوخ بخارى. فكان له من شيوخ الترك نصيب في التربية الروحية التي تلقاها.

---

(١) تنوير القلوب، ص (٥٠٨).

(2) Turkdusuncesi, p, (15).

(٣) انظر ترجمته في المصادر التالية: الأنوار القدسية، ص (١٢٦). خلاصة كتاب المواهب السرمدية في مناقب السادة النقشبندية لمحمد الكردي، (٥٢)، جامع كرامات الأولياء (١٩٦/١)، بحار الولاية المحمدية، ص (٥٤٥)، الطبقات الصغرى للمناوي (٢٣٨/٤).

(٤) هو محمد بابا السماسي ولد وتوفي بسماس، اشتغل بالعلوم العقلية والنقلية، بشر بظهور بهاء الدين نقشبند. كانت وفاته عام (٧٥٥هـ).
انظر: الأنوار القدسية، ص(١٢٣)، خلاصة المواهب، (٥١).

(٥) هو أمير كلال ولد وتوفى بسوخار، صحب السماسي وتعلم منه الطريقة ولازمه عشرين سنة وجعله خليفة له إلى أن توفى في عام (٧٧٢هـ).
انظر: الأنوار القدسية، ص (١٢٣)، خلاصة المواهب، ص (٥٢).

وعن بدايته في هذا الطريق يقول:

مبتدأ يقظتي أني كنت جالساً مع صاحب لي في خلوة، فبينما أنا ملتفت إليه أكلمه إذ سمعت قائلاً يقول لي: أما آن لك أن تعرض عن الكل وتتوجه إلى حضرتنا. فحصل لي من سماع ذلك حال عظيم فاغتسلت وصليت ركعتين.

ويقول أيضاً: قيل لي في بداية الجذبة كيف تدخل في هذا الطريق؟ فقلت: على أن يكون كل ما أقوله وأريده (!!)

فقيل لي: كل ما نحن نقوله يجب أن يُفعل.

فقلت: لا أطلق ذلك، بل إن كان كل ما أقوله يصير أضع قدمي في هذا الطريق وإلا فلا.

وتكرر ذلك مرتين ثم تركوني ونفسي خمسة عشر يوماً ثم قيل لي:

إن الذي تريده يكون. فقلت: أريد طريقة كل من دخلها تشرف بمقام الوصول"[1].

ومع أهمية هذا النص في معرفة أصل هذه الطريقة ومنشأها إلا أنه يثير الدهشة والاستغراب.

فمن هؤلاء الذين تحدث إليهم بهاء الدين؟!!

ومن هؤلاء الذين اشترط عليهم هذه الطريقة ؟!!

ألا ينسف هذا النص دعواهم في أن طريقتهم مأخوذة من النبي ﷺ عن طريق أبي بكر ﷺ ؟

وأن هذه الطريقة تابعة للكتاب والسنة إذ هما متوافران بين أيدي المسلمين ولا حاجة في أخذها بهذه الطريقة؟!!

ويغلب على الظن أن النقشبنديين إنما أوردوها في مناقبهم بسبب قوله

(١) الأنوار القدسية، ص (١٢٧).

"أريد طريقة كل من دخلها تشرف بالوصول" واعتبروا ذلك مدحاً يرغب في دخول الطريقة وتعظيم سوادها.

نال بهاء الدين النصيب الأوفر من التعظيم لدى النقشبندية، وكيلت له المدائح التي لم تذكر لغيره من مشايخهم.

يقول عنه السنهوتي: "الغوث الأعظم بحر من العرفان لا ساحل له، نسجت أمواج أمواه العلوم الربانية حلله، وفاض على العالمين بحر بره؛ فأروى بأرواح أمده جميع الكون بحره وبره.

ويتابع هذا التعظيم إلى أن يقول:

والشمس وضحاها، والأرض وما طحاها (!!) لم يدع نفساً إلا بأنفاسه القدسية زكاها، ولا نار همة إلا بأسراره المحمدية أذكاها، ولا ظلمة جهل إلا بأنواره البهائية أخفاها ارتضع ثدي التصرفات الغوثية وهو في المهد صبيا، وتضلع من رحيق مختوم العلوم الختمية بأكواب الإرثية فلو لم تختم النبوة لكان نبياً !!"[1]

وإن تعجب مما كتبت يداه وجرى به قلمه من التعظيم الفاضح، والكذب الواضح، فعجب من أن ترجمة هذا الرجل لم ترد في كتب الثقات من المؤرخين والباحثين "فلا يخفى أن مشاهير الرجال من سائر طبقات البشر على اختلاف ألسنتهم ولغاتهم ومعتقداتهم وثقافاتهم، قد وردت أسماؤهم في كتب التراجم والأنساب والتواريخ..

فمن الغريب أن يضيق تاريخ البشر عن استيعاب مناقب هذا الرجل الذي بذل النقشبنديون ما عندهم من طاقات وجهود في الحديث عن عظمته وجلالة قدره"[2].

ثم إننا إذا نظرنا إلى ما سطرته أيدي النقشبندية عن حياته رأينا أن

(١) الأنوار القدسية، ص (١٢٦).

(٢) النقشبندية بين ماضيها وحاضرها، ص (٢٠٢).

شخصيته تبدو بعيدة عن مفهوم الدين الصحيح. فقد ذكروا عنه قوله:

"أمرني – أي شيخه – بخدمة كلاب هذه الحضرة بالصدق والخضوع، وأن أطلب منهم الإمداد !! وقال لي: إنك ستصل إلى كلب منهم تنال بخدمته سعادة عظيمة. فاغتنمت نعمة هذه الخدمة ولم آل جهداً بأدائها حسب إشارته، ورغبة ببشارته. حتى وصلت إلى كلب، فحصل لي من لقائه أعظم حال، فوقفت بين يديه واستولى عليّ بكاء شديد فاستلقى في الحال على ظهره، ورفع قوائمه الأربع نحو السماء، فسمعت له صوتاً حزيناً وتأوهاً وحنيناً؛ فرفعت يدي تواضعاً وانكساراً وجعلت أقول آمين حتى سكت وانقلب"[1].

ومما كتبوه عنه قوله:

"خرجت يوماً من تلك الأيام إلى بعض الجهات فوجدت حرباء قد استغرقت في رؤية جمال الشمس فاعتراني من مشاهدتها وجد وخطر لي أن أطلب الشفاعة منها (!!) وهي في هذا المقام فوقفت على أتم هيئة من الأدب والاحترام ورفعت يدي فرجعت من استغراقها واستلقت على ظهرها وتوجهت إلى السماء وأنا أقول آمين"[2].

فهاتان القصتان – إن صحتا – تدلان على فساد معتقده وبعده عن الإسلام فهو يقف من الكلب موقف الاحترام والاستمداد !! ويطلب من الحرباء الشفاعة !!

في دين مَنْ صح هذا الاعتقاد ؟! بل وفي دين مَنْ يصح الإمداد من الأموات ؟!!

فمما لا يدركه العقل الصحيح ما يدعيه بهاء الدين من أنه تعلم وتربى من روحانية عبدالخالق الغجدواني[3] المتوفى سنة سبع عشرة وستمائة من الهجرة، إذ

---

(١) الأنوار القدسية، ص (١٣٠).

(٢) المرجع السابق، نفس الصفحة.

(٣) هو عبدالخالق بن عبدالحميد الغجدواني، أحد أكابر أئمة النقشبندية، أخذ عن =

بينهما خمس وسائط حيث يزعم أنه زار قبره فقيل له:

أصغ بسمعك فإن حضرة الشيخ الكبير يريد أن يتلو عليك ما ليس لك عنه غنى في سلوك طريق الحق.

فسألتهم أن أسلم عليه فأزاحوا ذلك الستر فسلمت عليه فبدأ يتكلم على ما يتعلق بأحوال السلوك أوله ووسطه ومنتهاه.

ثم قال: وكل ما تكلم به حضرة الشيخ مر عليّ وظهرت لي نتيجة كل أمر في وقته.

وبعدها يعقب السنهوتي:

"وبهذا يتبين لك من أنه قدس سره!! كان أويسياً ربته روحانية سيدنا عبدالخالق قدس الله سرهما"[1].

ومع ما تقدم من انحرافات عقدية، تمتلئ ترجمته بالكرامات التي لا يصدق العقل حدوثها.

ولكن الأمر الأهم من كل ما تقدم أن ترجمته قد خلت تماماً من أي كلمة عن الرابطة أو ختم الخواجكان أو السلسلة.

فكيف تنسب له طريقة لم يتحدث هو عن أهم عقائدها؟!

توفي بهاء الدين ليلة الاثنين ثالث شهر ربيع الأول سنة إحدى وتسعين وسبعمائة، وعمره أربع وسبعون سنة، ودفن في بستانه في الموضع الذي أمر به.

بنى أتباعه على قبره قبة عظيمة ودحوا البستان وجعلوه مسجداً فسيحاً، وأجرى عليه الملوك أوقافاً جمة وبالغوا بالاعتناء به وترفيع شأنه.

= يوسف الهمداني، وغجدوان قرية على ستة فراسخ من بخارى، أول من اشتغل بالذكر الخفي في الطريقة، وواضع مباني الطريقة.

انظر: الأنوار القدسية، ص (١١١)، جامع كرامات الأولياء (١١٩/٢)، خلاصة المواهب، ص (٤١).

(١) الأنوار القدسية، ص (١٢٨-١٢٩).

ويحج الناس إليه حتى من أبعد أنحاء الصين، أما في بخارى فقد كانت العادة أن يتوجه الناس كل أسبوع [1].

وهكذا لم يكتف النقشبندية بتعظيمه حياً حتى أشركوه مع الله ميتاً، فالاستغاثة فيما لا يقدر عليه إلا الله نوع من أنواع العبادات التي لا تصرف إلا لله تعالى، فصرف شيء منها إلى حي أو قبر ميت شرك أكبر.

ولم تقف كرامات بهاء الدين عند أتباعه ومريديه حتى وفاته، بل زعموا حصولها في قبره، يذكر ذلك السنهوتي فيقول:

" لما دفن حضرة الشيخ فتح من جهة وجهه المبارك له طاقة إلى الجنة فدخلت عليه حوريتان وسلمتا عليه وقالتا له: نحن منذ خلقنا أكرم الكرماء لك ننتظر خدمتك (!!)

فقال: إني عاهدت الله تعالى الا ألتفت إلى شيء من الأشياء ما لم أتشرف برؤيته التي بلا كيف ولا مثال، وأشفع بجميع من اتصل بي وسمع مني القول الحق وعمل به "[2].

هذا النص يحمل دلالة خطيرة عن هذه الطريقة، فأصحابها لا يتورعون عن الكذب في سبيل استقطاب أكبر عدد من السذج الذين يصدقون تلك الأقوال، فيطمعون في شفاعة من لا يلتفت إلى الحوريات !!

ثم إن من العقائد الثابتة لدى أهل السنة والجماعة رؤية المؤمنين لله تعالى بعد دخولهم الجنة وإحلال الرضوان عليهم.

قال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[3] فلا تنظر إلى الله تعالى إلا بعد أن تكون تلك الوجوه قد تنضرت من الفرح بالنعيم ودخول الجنة.

---

(١) الموسوعة الإسلامية الميسرة (١٢٢٣/٢).

(٢) الأنوار القدسية، ص (١٤٢).

(٣) سورة القيامة، الآية: (٢٢-٢٣).

فهذا اشتراط ليس في محله ومخالف للدين والعقيدة التي يدّعون إتباعها والتزامهم بها.

فهذه القصة يظهر بطلانها عقلاً، ولا أعلم أين عقلاء النقشبندية من هذا ؟ أم أن تعظيم المشايخ يغلب على ما يكذبه العقل لديهم !!

وبعد وفاة بهاء الدين نقشبند كان لمريديه دور في نشر هذه الطريقة وتقويتها وإخراجها من بخارى، وقد انتشرت تبعاً لذلك في مناطق متعددة. فقد نشأت هذه الطريقة في القرن الثامن الهجري، ثم دخلت الهند في القرن العاشر، وانتشرت فيها، ثم دخلت بلاد الشام والعراق في القرن الثالث عشر، ثم دخلت مصر في القران الرابع عشر الهجري.

وقد أسهم تعظيم المشايخ وإحاطتهم بهالة من النفوذ المعنوي في جذب الكثير من الناس إلى هذه الطريقة.

ففي الهند قويت الطريقة وتمادى نفوذها بانتساب أحمد بن عبدالأحد الفاروقي السرهندي الملقب عند النقشبندية بالإمام الرباني ومجدد الألف الثاني. يمثل السرهندي الحلقة الثالثة والعشرين من السلسلة النقشبندية. ولد عام (٩٧١هـ) بسرهند يقول عنه صاحب الأنوار:

" درة إكليل الأولياء العارفين، وغرة جبين الأصفياء الغر المحجلين، كنز فضائل السلف والخلف، وجامع فرقان المحامد والمكارم والشرف، طور التجليات الذاتية وسدرة منتهى العلوم الأحدية، ومنهل معارف الوراثة المحمدية ومظهر إرشاد الحقائق الأحمدية،.. الذي تشرف العصر بوجوده، وتبسم ثغر الدهر عن جود سعوده، المرشد الكامل المكمل "(١).

ومع الإطناب الذي حظيت به ترجمته لم أجد فيها ما يدل على حُسن اعتقاده وجميل اتباعه لأمر الله ورسوله ﷺ، مما يؤكد أن غلو النقشبندية في

(١) الأنوار القدسية، ص (١٧٩).

مشايخهم أعظم لديهم من رؤية الحق، وهل هم متبعون أم مبتدعون؟!

وها هي أقواله التي سطرها النقشبنديون بأيديهم

"قال قدس الله سره !!: كثيراً ما كان يعرج بي فوق العرش المجيد.. واعلم أني كلما أريد العروج تيسر لي، وربما يقع من غير ما قصد[١]".

ويزعمون له التصرف في الكون، فيذكرون من كراماته أنه كان يقول للمطر: (انهمر في مكان ما، وتوقف في مكان آخر). فكان ينهمر في ذلك المكان، ويقف في المكان الآخر[٢] .

ومن أقواله: "بشرني الحق تعالى بأن من صليت على جنازته غفر له!! ومن وضع في قبره تراب من قبري لا يعذب !! "[٣].

ولم تقف ادعاءاته عند هذا الحد؛ بل زعم أن النبي ﷺ بشره بأمور يقول:

"بشرني رسول الله ﷺ بأنك من المجتهدين في علم الكلام، ويغفر الله بشفاعتك لألوف يوم القيامة، وكتب لي خط الإرشاد بيده الشريفة، وقال لم أكتب لأحد قبلك مثله"[٤].

وينسب لنفسه علم السموات وأنه تعلم ذلك من علي ﷺ يقول:

"جاءتني روحانية أمير المؤمنين علي ﷺ فقالت: إني بُعثت إليك لأعلمك علم السموات"[٥].

فهذه الأقوال وأمثالها كثير مما تمتلئ به كتب النقشبندية تنم عن دين

---

(١) الأنوار القدسية، ص (١٨٢)، المكتوبات، ص (٨).

(٢) المرجع نفسه، ص (١٨٣).

Deryadan Damlalar, p, (259).

(٣) الأنوار القدسية، ص (١٨٢).

(٤) الأنوار القدسية، ص (١٨٢).

(٥) المكتوبات، ص (١٢)، الأنوار القدسية، ص (١٨٣).

منحرف وفكر سقيم وتطاول على الله تعالى، وافتراء على رسول الله ﷺ، وعلى صحابته ﷺ.

وليس العجب من قائلها إذ يريد لنفسه مكانة وتعظيماً بين الدراويش والسذج من أتباعه ولكن العجب ممن يصدق هذا الزعم فيجعل من هذا الرجل الإمام الرباني ومجدد الألف الثاني !!

فما يدعيه لم يكن لرسول الله ﷺ؛ إذ لم يدع رسول الله ﷺ أن له علم السموات، ولا يملك الشفاعة للألوف إلا أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى، ولم يعرج به فوق العرش، بأبي هو وأمي ﷺ.

كما لم تكن تلك الادعاءات لأبي بكر الصديق ﷺ الذي يزعمون أنه أصل هذه الطريقة فهل يعتقدون أنهم خير منه ؟!!

ويظهر لي أن السبب وراء انتشار هذه الطريقة في بلاد كالهند يعود إلى ما تحمله هذه الطريقة من تأثر كبير بالديانات الهندية السابقة كالبراهمية والبوذية في كثير من معالمها، كما أن تلك الأمم من الناس هم الأقرب إلى تصديق الخرافات والاعتقاد بالمكذوبات، فإذا ادعى النقشبنديون مثل هذه الأمور لم يكن ذلك بالأمر المستقبح عند أمم لم تتشرب الدين الحق والتوحيد الصحيح ولا تزال تحمل الكثير من موروثات الأديان السابقة التي تعتقد في العظماء إمكانية الاتصال بالسموات وأرواح الموتى وغير ذلك.

ويؤكد فريد الهاشمي الذي ولد ونشأ في أسرة تتمتع بالزعامة لقطاع كبير من هذه الطائفة على أثر الموروثات الهندية في هذه الطريقة فيقول:

"إن هذه الأفكار الدخيلة، وأنماطاً أخرى من أمثالها إنما تسربت إلى الطريقة النقشبندية في عهد أحمد الفاروقي وخلفائه، فتحولت هذه الطريقة إلى دين مستقل برسومها وطقوسها وآدابها وأركانها، خاصة بحكم كون هؤلاء الرجال من عناصر هندية مجبولة على التقليد بسبب صلتهم الدائمة مع البراهمة والسيخ والبوذيين في

الهند. وهي ساحة نائية عن قلب بلاد الإسلام. وأن الإسلام إنما انتشر في تلك المناطق عن طريق الوفود من رجال التجارة و السياحة الذين لم يكونوا أصلاً من أهل العلم والاختصاص في الدعوة والإرشاد؛ ولم تكتمل فيهم الكفاءة في توجيه المشركين إلى الدين الحنيف بالوجه الصحيح "[1].

استخلف أحمد الفاروقي ابنه محمداً المعصوم على الطريقة المولود سنة سبع بعد الألف من الهجرة النبوية؛ فأصبح بذلك الحلقة الرابعة والعشرين من سلسلة النقشبندية.

لا يختلف ما جاء في ترجمته عما جاء عن والده من ادعاءات ما أنزل الله بها من سلطان؛ إذ زعم أن الكعبة تعانقه وتقبله باشتياق !!، وأنه حينما فرغ من طواف الزيارة جاءه ملك بكتاب قبول الحج من رب العالمين.

وأنه حينما جاء إلى المدينة ووقف تلقاء قبر النبي ﷺ خرج النبي ﷺ من الحجرة المطهرة وعانقه وجعل له لحوق خاص بالنبي ﷺ.

ثم قال: " جرى بيني وبين النبي ﷺ من المعاملات ما لو أشرت إلى بعض منها لقطع مني البلعوم وذبح الحلقوم " !!! [2]

إلى غير ذلك من الأكاذيب التي أضرب صفحاً عنها؛ إذ ما سبق دل على المراد.

لم يضف إلى الطريقة شيئاً سوى الحديث عن القيومية جاء فيها بتفسير مبهم غامض، جعل هذا المفهوم مهملاً حتى لرجال هذه الطريقة؛ إذ لم يرد لها ذكر في كتب النقشبندية إلا ما جاء في ترجمته من تعريف لها.

يقول: " القيوم في هذا العالم، خليفة الله تعالى ونائب منابه؛ والأقطاب والأوتاد والأبدال والأفراد مندرجون تحت ظلاله "[3].

---

(١) النقشبندية بين ماضيها وحاضرها فريد الهاشمي، ص (٢٣٠).

(٢) الأنوار القدسية، ص (١٩٦).

(٣) المرجع نفسه، ص (١٩٣).

جاء في كراماته تحويل الورق إلى ذهب وفضة وما أشبه[1] مما يبرهن على أنه كان يتعاطى السحر والشعوذة. وذلك ليس ببعيد عن شيوخ الهند.

خلفه على الطريقة ابنه محمد سيف الدين بن محمد المعصوم الفاروقي[2]، وعليه يعد الحلقة الخامسة والعشرين من سلسلتهم.

ولد عام (١٠٥٥هـ) بسرهند، ومات بها عام (١٠٩٥هـ).

تربع على عرش الطريقة بعد والده، لم ينسب إليه أي تطور وازدهار في الطريقة.

وهكذا تغذت الطريقة النقشبندية بالعقائد المحلية في ديار الهند ونمت على قاعدة من تعاليمها مدة مائتين وخمسين عاماً منذ عهد السرهندي حتى وجدت من يقفز بها إلى الساحة العراقية وهو خالد البغدادي الذي يعد من أبرز رجال هذه الطريقة على امتداد تاريخها.

هو أبو البهاء، ضياء الدين خالد بن أحمد بن الحسين الشهرزوري البغدادي. ولد عام (١١٩٢هـ) في (قره طاغ) على مقربة من مدينة السليمانية العراقية. ومات بالطاعون في دمشق عام (١٢٤٢هـ).

نشأ وتربى ودرس في بغداد، حتى اشتغل بالتدريس في بغداد والسليمانية. واستمر كذلك إلى أن جاء إلى السليمانية رجل هندي يدعى مرزا رحيم الله بك من خلفاء غلام علي عبدالله الدهلوي[3]، فاجتمع به وعرض عليه اشتياقه إلى مرشد يسلك عنده الطريق. فقال له:

"إن لي شيخاً كاملاً مرشداً عالماً عاملاً عارفاً بمنازل السائرين إلى ملك الملوك خبيراً بدقائق الإرشاد والسلوك، نقشبندي الطريقة، محمدي الأخلاق، علماً

---

(١) النقشبندية بين ماضيها وحاضرها، ص (٢٣٢) .

(٢) انظر: ترجمته في: خلاصة المواهب، ص (٨١)، الأنوار القدسية، ص (٢٠٠).

(٣) انظر ترجمته في المراجع نفسها، ص (٨٦)، ص (٢١٠) على الترتيب.

في علم الحقيقة. فسر معي حتى نرحل إلى خدمته في جهان آباد، وقد سمعت منه إشارة بوصول مثلك ثَمّ إلى المراد"[1].

وافق خالد على ذلك، ورحل إلى الهند حتى وصل مدينة دلهي عاصمة الهند عام (١٢٢٤هـ) بعد مسيرة سنة كاملة، ومكث فيها مدة عام كامل، وعاد بعد ذلك إلى السليمانية عام (١٢٢٦هـ) واشتهر أمره، وانتشر صيته، وأقبل عليه الأعيان، وتفاقم عدد مريديه حتى وصلت شهرته إلى مسامع السلطان العثماني.

استغل خالد البغدادي هذه الشهرة وكثرة المريدين في التمكين للطريقة النقشبندية، ونشرها في الدولة العثمانية.

وسيأتي مزيد بيان عن ذلك في المبحث الثالث بإذن الله تعالى.

---

(١) الأنوار القدسية، ص (٢٢٦).

المبحث الثاني
العقائد التي تؤمن بها الطريقة النقشبندية

يزعم النقشبنديون أن طريقتهم هي طريقة الصحابة الكرام ﷺ على أصلها لم يزيدوا فيها ولم ينقصوا منها.

وهي عبارة عن دوام العبودية ظاهراً وباطناً بكمال التزام السنة السنية، والعزيمة العظيمة وتمام اجتناب البدعة والرخصة في جميع الحركات والسكنات مع دوام الحضور مع الله تعالى[1].

ويروون عن شيخهم بهاء الدين قوله: "المعرض عن طريقتنا على خطر من دينه"[2].

وقوله: "طريقتنا أقرب الطرق إلى الله تعالى"[3].

وتجاوز ذلك الخاني وزعم "أن من تتبع أحاديث النبي ﷺ، وعرف أخباره، وأحواله، وعلم أقواله وأفعاله؛ تبين له أن هذه الطريقة هي التي اختارها ﷺ بعد البعثة وبعث أمته على هذه الحالة وتبعه أكابر الصحابة، ﷺ"[4].

ويعتقد النقشبنديون أن لطريقتهم "أصلان أصيلان من أعطيهما أعطي كل شيء: كمال اتباع النبي ﷺ، ومحبة الشيخ الكامل"[5].

فهل الطريقة النقشبندية كما يعتقد هؤلاء؟

للإجابة على ذلك لابد من الوقوف على عقائد هذه الطريقة ووزنها بميزان

---

(١) البهجة السنية في آداب الطريقة العلية الخالدية النقشبندية، ص (١٦)، خلاصة المواهب، ص (٦)، الأنوار القدسية، ص (٣).

(٢) البهجة السنية، ص (١٣)، الأنوار القدسية، ص (٤).

(٣) خلاصة المواهب، ص (٤).

(٤) البهجة السنية، ص (١٦).

(٥) الأنوار، ص (٣).

الشرع، الكتاب والسنة، ومن ثَمّ سيتضح إن كانت تلك الطريقة هي طريقة النبي ﷺ وطريقة أصحابه ﷺ بلا زيادة ولا نقصان، أم أنها ستكون أبعد ما يكون عن طريقة النبي ﷺ وصحابته الكرام ﷺ.

***ألقاب الطريقة:**

لما زعم النقشبنديون أن طريقتهم هي الطريق الحق الذي كان عليه النبي ﷺ وصحابته ﷺ كان عليهم أن يجدوا لطريقتهم ألقاباً يلقبونها بها، إذ نقشبند الذي ينتسبون إليه يبتعد عن زمن النبوة بقرون عديدة فقالوا:

إن طريقتهم من حضرة الصديق ﷺ إلى أبي يزيد البسطامي تسمى صديقية.

ومنه إلى حضرة رئيس الخواجكان عبدالخالق الغجدواني تسمى طيفورية.

ومنه إلى بهاء الدين البخاري تسمى خواجكانية.

ومنه إلى عبيدالله الأحرار[1] تسمى نقشبندية.

ومنه إلى أحمد الفاروقي السرهندي تسمى أحرارية ونقشبندية.

ومنه إلى حبيب الله جان جانان المظهر[2] تسمى مجددية - نسبة إلى مجدد الألف الثاني -

ومنه إلى خالد البغدادي تسمى مجددية ومظهرية.

ثم وقع الاصطلاح بين إخوان الطريقة والفلاح على تسميتها منه خالدية

---

(١) هو عبيدالله الأحرار ابن محمود بن شهاب الدين الشاشي السمرقندي، من رؤساء هذه الطريقة، يمتاز بعلاقاته مع ملوك عصره، توفي بسمرقند عام (٨٩٥هـ).
انظر: ترجمته في الأنوار القدسية، ص (١٥٧-١٧٥)، خلاصة المواهب، ص (٦٨).

(٢) هو شمس الدين حبيب الله جان جانان مظهر، ولد عام (١١١٣هـ)، أخذ الطريقة من شيخه نور محمد البدواني، يمثل الحلقة السابعة من السلسة، هندي الأصل، قتل في دلهي عام (١١٩٥هـ).
انظر: الأنوار القدسية، (٢٠٢-٢١٠)، خلاصة المواهب (٨٣).

إلى أن تتصل من محض فضل الله وكرمه وجزيل إحسانه ونعمه على حسب ما بُشر وبَشر به بعض مشايخ هذه السلسلة بالكشف الصحيح بحضرة المهدي صاحب الزمان وعليه الرضوان[1].

*** عقائد الطريقة النقشبندية:**

أولاً: الإيمان بعقيدة الحلول والاتحاد ووحدة الوجود.

آمنت الطريقة النقشبندية بعقيدة وحدة الوجود، ومع مخالفة هذه العقيدة ومناقضتها للدين الحق من الكتاب والسنة فقد وردت عبارات على ألسنة كبار مشايخ هذه الطريقة تؤكد إيمانهم بهذه العقيدة. وأما من لم يستطع التصريح بها اكتفى بتصحيح قول من قال بها على اعتقاد أنها من كشفه أو أنها عبارات صدرت منه في حال سكره لا يلام عليها. وهذا إيمان بها وإن كان بصورة مواربة.

ولنبدأ بمن تنتسب إليه هذه الطريقة

*** بهاء الدين نقشبند:**

- سئل يوماً عن معنى قول الصوفية: الصوفي غير مخلوق؛ فأجاب: بأن للصوفي بعض الأوقات حالاً لا يكون فيها هو[2].

أي لا يكون مخلوقاً بل إلهاً.

- ومن أقواله: نفي الوجود وعدم رؤية النفس في هذا الطريق هو رأس مال دولة القبول والوصول[3].

- ومن أقواله أيضاً: إن التعلق بالسوى حجاب عظيم للسالك ثم أنشد

إن التعلق بالسوى أقوى حجاب والتخلص منه فاتحة الوصول

يقول أحد مريديه: فخطر ببالي ساعتئذ أن التعلق بالإيمان والإسلام أيضاً كذلك.

---

(١) الأنوار القدسية، ص (٦-٧)، البهجة السنية، ص (٢١)، الطريقة النقشبندية وأعلامها، ص (١١).

(٢) الأنوار القدسية، ص (١٣٢).

(٣) المرجع نفسه، ص (١٣).

فالتفت بالحال إليّ وتبسم ثم قال:

أما سمعت قول الحلاج قدس الله سره وروحه:

كفرت بدين الله والكفر واجب ... لدي وعند المسلمين قبيح[1]

وهذا قول خطير يتضمن الثناء على الحلاج وهو من قال بهذه العقيدة وقتل من أجلها، والاستشهاد بقوله الذي يحمل الكفر بدين الله ويعتبره أمراً واجباً. فالسياق يقتضي إقراره بذلك لاستشهاده بهذه الأبيات ومن أقواله الصريحة في هذا الشأن:

"إن العبد بعد الفناء المطلق الذي هو فناء الذات وفناء الصفات، يُخلع عليه الوجود الحقاني !! حتى يتصف في ذلك الوجود بالأوصاف الإلهية، ويتخلق بالأخلاق الربانية"[2].

- ومن أقواله كذلك: "إن لي اثنين وعشرين سنة وأنا على قدم الحكيم الترمذي[3]، فإنه كان لا صفة له. وأنا الآن لا صفة لي عرف ذلك من عرف"[4].

يقول صاحب بحار الولاية المحمدية معلقاً:

لقد فنيت صفاته في صفات مولاه فناءً محا منه كل شوائب الأنية حتى صار ربانياً بمعنى الكلمة، مصطنعاً للحق، ومجتبى للمولى لا يرى في الوجود إلا مولاه وذلك قطب رحى الولاية[5] .

---

(١) الأنوار القدسية، ص (١٣٤).

(٢) البهجة السنية، ص (٩٣).

(٣) هو محمد بن علي الحكيم الترمذي، أبو عبدالله من كبار مشايخ خراسان، من مصنفاته علل الشريعة، وختم الأولياء، قام عليه معاصروه وكفروه وأخرجوه إلى بلخ. توفي عام (٢٥٥هـ).

انظر: طبقات الصوفية، ص (٢١٧)، حلية الأولياء (٢٣٣/١٠)، جامع كرامات الأولياء (١٣٧/١).

(٤) الأنوار القدسية، ص (١٣١).

(٥) بحار الولاية المحمدية، ص (٥٥٠).

• وسئل عن قوله تعالى: "يا أيها الذين آمنوا" فقال: أشار أن المؤمن ينبغي أن ينفي وجوده الطبيعي ويثبت معبوده الحقيقي في كل طرفة عين[1].

• وقال: نفي الوجود أقرب عندنا. لكنه لا يحصل إلا بترك الاختيار ورؤية قصور الأعمال[2].

ومن بعده تبعه مريدوه في هذا الاعتقاد فهذا علاء الدين العطار تولى مشيخة الطريقة من بعده يقول:

• "التواضع للخلق لا يجوز إلا إذا نظرت إليهم بأنهم مظاهر للحق تبارك وتعالى فيكون التواضع حينئذ إلى الظاهر بهم لا إليهم"[3].

* ومن كبار رجال الطريقة عبيدالله أحرار قام بتأويل آي القرآن الكريم حتى تتوافق مع هذا المعتقد الفاسد.

• فعن قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[4] قال:

"كمال الحمد أن يحمده العبد ويعرف أنه لا حامد إلا هو تعالى، وأنه هو عدم محض لا رسم له ولا اسم ولا فعل؛ وإنما يبتهج سروراً بكونه تعالى جعله مظهراً لصفاته"[5].

• وفي قوله تعالى: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾[6] قال: "المراد بالملك قلب السالك فإنه إذا تجلى الحق تعالى على قلبه بالتجلي القهري يمحو منه الغير والسوى؛ فلا يبقى فيه إلا هو، فلا جرم يسمع من هذا القلب لمن الملك اليوم لله الواحد القهار، وسبحاني ما أعظم شأني، وأنا الحق، وهل في الدارين

---

(١) الطبقات الصغرى للمناوي (٢٣٩/٤).
(٢) المرجع نفسه (٢٣٩/٤).
(٣) الأنوار القدسية، ص (١٤٧).
(٤) سورة الفاتحة، الآية: (٢).
(٥) الأنوار القدسية، ص (١٦١).
(٦) سورة غافر، الآية: (١٦).

غيري، ونحو ذلك من هذا المقام"[1].

• وأما الكوثر الذي أعطاه الله تعالى نبيه ﷺ في قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾[2] فله معنى آخر عند الأحرار يقول: أي أعطيناك شهود الأحدية في الكثرة[3].

أي أن الله تعالى قد أعطى نبيه ﷺ مشاهدة وحدة الوجود مع كثرة المخلوقات؛ إذ هي في الحقيقة مظاهر لوجود الله وليس لها وجود خاص بها.

فما أعظمها من فرية على الله تعالى وعلى رسوله ﷺ ! إذ ينسب لرسول الله ﷺ الإيمان بهذه العقيدة المخالفة لكل ما جاء به، والمناقضة لكل عمل قام به من الدعوة إلى الله تعالى ومجاهدة الكفار والمنافقين واليهود، فلم يداهنهم النبي ﷺ باعتبارهم مظاهر الوجود الحق، كما تفعل الصوفية من مداهنة أعداء المسلمين وإعانتهم على أهل الإسلام.

• وقوله: "الذات - أي الذات الإلهية - لا تنكشف إلا في تجلي الصفات، أي لا تظهر إلا في مظهر"[4].

* ومن أكابر أئمة النقشبندية أحمد الفاروقي السرهندي، كان من القائلين بهذه الوحدة، وله رسالة في تحقيق مراتب الوجود. ومن أقواله الدالة على ذلك:

• قوله: معتقد الفقير - يعني نفسه - من الصغر كان مشرب أهل التوحيد، يعني توحيد الوجود"[5].

• وقوله: "اعلم أن العناية الإلهية جذبتني جذب المرادين أولاً، ثم يسرت لي طي منازل السلوك ثانياً، فوجدت الله سبحانه أولاً عين الأشياء كما قاله

---

(١) الأنوار القدسية، ص (١٦٢).

(٢) سورة الكوثر، الآية: (١).

(٣) الأنوار القدسية، ص (١٦٢).

(٤) المرجع نفسه، ص (١٦٣).

(٥) المكتوبات، لأحمد السرهندي (٤١/١).

أرباب التوحيد الوجودي، ثم وجدت الله في الأشياء من غير حلول ولا سريان، ثم وجدته سبحانه معها بمعية ذاتية، ثم رأيته بعدها، ثم قبلها، ثم رأيته سبحانه وما رأيت شيئاً"[1].

- وقوله: "لما أخرجت إلى الصحو، وشرُفت بالبقاء؛ أخذت تظهر العلوم الغريبة، والمعارف غير المتعارفة، وتفاض على التواتر والتوالي، وكل ما بينوه في مسألة وحدة الوجود وقالوا به شرُفت به في أوائل الحال، وتيسر شهود الوحدة في الكثرة"[2].

- وقوله: "اعلم أن مشايخ الطريقة قدس الله أسرارهم ثلاث طوائف ... والطائفة الثالثة: قائلون بوحدة الوجود، يعني أن في الخارج موجوداً واحداً فقط، وهو ذات الحق سبحانه ..، ويقولون باتصاف الذات الواحدة في كل مرتبة بأحكام لائقة بتلك المرتبة ويثبتون للذات – الإلهية – التلذذ والتألم ..، وهؤلاء الطائفة وإن كانوا واصلين كاملين على تفاوت درجات الوصول والكمال، ولكن كلامهم دل الخلق على طريق الضلالة والإلحاد، وأفضاهم إلى الزندقة"[3].

وكان ابنه محمد المعصوم من المؤمنين بهذه العقيدة، وعباراته في رسالته السبع الأسرار تؤكد ذلك، فمما جاء فيها: "ولما كانت الأذكار والمجاهدات موافقة للشريعة !! يظهر فيها آثارها فيتصفى قلبه ويصير مظهر الأسرار ومنبع الأنوار فتتجلى فيه عكوس أسماء الحق وصفاته، فيتخيل له ذات المحبوب – أي الله تعالى – .. ولم يبق له شعور بأن يفرق بين الظل [ذاته] والأصل [ذات الله] لكثرة الشوق والذوق وتصل غلبة هذا التخيل إلى حد يرتفع عن بصيرته تشخص ذاته،

---

(١) خلاصة المواهب، ص (٧٤).
(٢) المكتوبات (١٣/١).
(٣) المرجع نفسه، ص (١٣٩/١).

بل تشخص جميع الموجودات ويجري على لسانه من غير اختيار (!!) نداء أنا الحق وسبحاني..

ولما كان صاحب هذه الأحوال فانياً وغائباً عن ذاته وصفاته لا يكون محلاً للطعن والرد بل هو معدود في زمرة أولياء الله تعالى"[1].

ينبع هذا النص عن اعتقاد المعصوم بهذه العقيدة، واعتبار من تحصل عليها من زمرة أولياء الله، ومحاولة الدفاع عنهم والتسويغ لقولهم بأنه من غلبة الشوق والذوق؛ لذا فلا يحق لأهل السنة الرد عليهم أو الطعن فيهم.

ولا ريب أن عدم التصدي لهؤلاء وتركهم على اعتبار أنهم سكارى إشاعة للكفر وهدم للعقيدة؛ إذ هذا الفناء هو ما يسعون للحصول عليه، وأما ما يدَّعونه من السكر فهو لا يتأتى مع الأذكار والمجاهدات الموافقة للشريعة كما يزعم؛ إذ لو كان كذلك لكان الصحابة والتابعون ﷺ أولى الناس به، ومع ذلك لم يحصل لهم شيء من هذا؛ وإنما هي - إن صح حدوثها - من تسلط الشياطين عليهم وتلاعبهم بهم ومساندتهم في نشر الكفر بين المسلمين.

ومن أقواله أيضاً: "وكمال فناء النفس أن السالك يجد صفات الكمال في حالة الفناء ملحقة بالأصل - أي صفات الله - أي لا يرى ذاته إلا العدم .. فحينئذ لا يبقى للعارف عين ولا أثر"[2].

ويضيف قائلاً: "يرى السالك وجوده ذائباً ولا يبقى له اسم ولا رسم، ويتحقق زوال العين (!!) فتفنى ذاته وصفاته ويصير لا شيئاً محضاً حتى لا يرى ذاته مصداقاً للفظ أنا .. ويرى السالك اتحاد وجود الممكن - الإنسان - بوجود الواجب - وهو الله - وذلك لغلبة نسبة التوحيد وقوة ظهور الوحدة على بصيرته"[3].

---

(١) رسالة السبع الأسرار، ص (٤٥-٤٦).
(٢) المرجع السابق، ص (٥٨).
(٣) المرجع نفسه، ص (٦٣).

* ومن أكابر مشايخ النقشبندية عبدالرحمن الجامي له كتاب اللوائح ذكر فيه ما يشير إلى إيمانه بهذه العقيدة يقول:

"أنت .. يا من أنت الشخص الذي لا يستطيع رؤية الاتجاه الصحيح المقدس. أنت يا من لا تستطيع أن ترى في حين أنه يُرى في كل شيء. أنا وأنت لسنا مختلفين .. فالحق هو الأساس فهو نفسه العاشق والمعشوق والحاب والمحبوب"[1].

* ومن دعاة النقشبندية المعاصرين: محمد أمين الكردي[2]، ذكر في كتابه "تنوير القلوب" معنى لا إله إلا الله: أي لا معبود ولا مقصود ولا موجود إلا الله؛ فهذه ثلاثة معان: الأولى للمبتدئ، والثانية للمتوسط، والثالثة للمنتهي"[3].

فالمنتهي في الطريقة والواصل لدى النقشبندية هو المعتقد بوحدة الوجود وأنه لا موجود إلا الله.

ومما أنشده في كتابه:

الله قل وذر الوجود وما حوى	إن كنت مرتاداً بلوغ كمال
فالكل دون الله إن حققته	عدم على التفصيل والإجمال
والعارفون فنوا به لم يشهدوا	شيئاً سوى المتكبر المتعال
ورأوا سواه على الحقيقة هالكا	في الحال والماضي والاستقبال[4]

---

(1) Islam tarihi, p, (174).

(٢) هو محمد أمين الكردي، شيخ الطريقة النقشبندية في مصر في عصره، ولد بمدينة إربل بالعراق، انتقل إلى مصر وتولى مشيخة الإرشاد فيها، توفي عام (١٣٣٢هـ)، ودفن بقرافة المجاورين.

انظر: خلاصة المواهب السرمدية، ص (١١٠)، مقدمة كتابه تنوير القلوب بقلم نجله نجم الدين أمين الكردي، ص (٥-٤٤).

(٣) تنوير القلوب، ص (٤٨٦).

(٤) المرجع نفسه، ص (٤٨٢).

* ومن علماء النقشبندية المعاصرين إمداد الله المكي[1] وهو من المصرحين بوحدة الوجود، من أقواله:

- "القول بوحدة الوجود حق وصواب"[2].
- "التفريق بين العبد والمعبود هو الشرك عينه، .. العبد قبل وجوده كان هو الرب باطناً والرب هو العبد ظاهراً"[3].

وبهذه النقول عن أكابر النقشبندية قديماً وحديثاً يتجلى اعتقادهم بوحدة الوجود وإن اختلفت عباراتهم بين التصريح والتلميح، إلا أنه يجمعها الإيمان بوحدة الوجود.

***ثانياً: الرابطة**

هي عبارة عن استمداد المريد من روحانية شيخه الكامل الفاني في الله بكثرة رعاية صورته ليتأدب، ويستفيض منه في الغيبة كالحضور. ويتم له باستحضاره الحضور والنور وينزجر بسببها عن سفاسف الأمور[4].

ومعنى ذلك أن يطلب المريد المدد من شيخه في حال حضوره، ومن روحانيته في حال غيبته، على أن يكون هذا الشيخ من الواصلين الكاملين الفانين في الله تعالى حسب عرفهم. وهذا المدد يكون بدوام الذكر لصورته، حيث يجعلها المريد بين عينيه، فلا يغفل عنها أبداً.

---

(١) هو إمداد الله بن محمد أمين النانوتي التهانوي، شيخ مشايخ طائفة الديوبندية المنتسبة إلى الطريقة النقشبندية، ولد عام (١٢٣٣هـ)، تعلم بدلهي، يلقب بسيد الطائفة، انتقل إلى مكة عام (١٢٧٦هـ)، له مؤلفات منها: شمائم إمدادية، الفتاوى الإمدادية، توفي بمكة عام (١٣١٧هـ).
انظر: الديوبندية، للسيد طالب عبدالرحمن، ص (٢٩).

(٢) المرجع نفسه، نفس الصفحة.

(٣) المرجع السابق، ص (٣٢).

(٤) رسالة تبصرة الفاضلين عن أصول الواصلين، سليمان زهدي، ص (٦٤). ضمن مجموعة الرسائل على أصول الخالدية.

*** نشأتها:**

تعد الرابطة من أهم أركان الطريقة النقشبندية، إلا أن نشأتها لم تكن متوافقة مع نشأة الطريقة؛ لذا فإن أقوال بهاء الدين نقشبند تخلو من الإشارة إليها.

وتذكر المصادر أن أول من تحدث بها عبيدالله أحرار، فقد جاء في ترجمته ذكر لها، يقول: في قوله تعالى: ﴿وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾[1] المعية إما حسية، وهي: مصاحبتهم ومجالستهم، فمن داوم على ذلك نور الله قلبه..

وإما معنوية، وهي: أن يكون متوجهاً لروحانياتهم، رابطاً قلبه بهم، بحيث يكون مستحضراً لهم غيبة وحضوراً، فإنه إذا أحكم هذا الارتباط القلبي انعكس عليه جميع أسرارهم، والمراد .. أن الطالب ينبغي أن يربط قلبه بالصادق وهو من تنزه عن الغير والسوى"[2].

ومع تحدث عبيدالله عنها إلا أنها لم تكن ذات شأن في الطريقة، حتى جاء خالد البغدادي فجعل منها أصلاً من أصول طريقته يقول عنها:

"إنها أصل عظيم من أصول طريقتنا العلية النقشبندية؛ بل أعظم أسباب الوصول بعد التمسك بالكتاب العزيز وسنة الرسول ﷺ"[3].

وقد نسبها النقشبندية إلى أبي بكر الصديق ﷺ كعادتهم في تجويز ما ابتدعوه، يقول سليمان الخالدي: "واعلم أن معاشر النقشبندية متفقون على أن الرابطة أصل من أصول طريقتهم المنتسبة إلى الصديق الأكبر ﷺ"[4].

---

(١) سورة التوبة، الآية: (١١٩).
(٢) الأنوار القدسية، ص (١٦٢).
(٣) تبصرة الفاضلين، ص (٦٣).
(٤) المرجع نفسه، ص (٦٤).

*** أدلتهم على صحة الرابطة:**

زعم النقشبنديون أن الرابطة أمر ثابت بالكتاب والسنة والإجماع، واستدلوا على ذلك بأدلة:

أولاً: من القرآن الكريم:

١] قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾[(١)]

والشاهد: أن الكينونة معهم ظاهراً أو صورةً ومعنى. والكينونة المعنوية هي الرابطة. ومنه قول عبيد الله أحرار السابق ذكره.

٢] قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ ﴾[(٢)]

الشاهد: الوسيلة كل ما يتوسل به إلى المقصود. وأقرب الوسائل إلى الله تعالى النبي ﷺ ونوائبه من الأولياء !! والرابطة وسيلة لوصول أحوالهم[(٣)].

٣] قوله تعالى: ﴿ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ ﴾[(٤)]

الشاهد: إن الإتباع يقتضي رؤية المتبوع حساً أو تخيله معنى، وهو غرضنا من الرابطة وإلا فلا يعد اتباعاً[(٥)].

ثانياً: من السنة المطهرة

ما رواه النقشبنديون أن أبا بكر الصديق ﷺ شكا إلى النبي ﷺ عدم انفكاكه ﷺ عنه حتى في الخلاء[(٦)].

---

(١) سورة التوبة، الآية: (١١٩).

(٢) سورة المائدة، الآية: (٣٥).

(٣) تبصرة الفاضلين، ص (٧٢).

(٤) سورة آل عمران، الآية: (٣١).

(٥) البهجة السنية، ص (٧١).

(٦) تبصرة الفاضلين، ص (٧٣). البهجة السنية، ص (٧١).

ثالثاً: الإجماع

يزعم النقشبندية أنهم جماعة كثيرة وفيرة وأنهم من أهل السنة والجماعة ومقرون بالرابطة قولاً وفعلاً وإيجاباً واستحباباً والنبي ﷺ يقول: " لا تجتمع أمتي على ضلالة "[1][2].

*** آداب الرابطة[3]:**

أولاً: أن يبايع المريد شيخاً فانياً في الله.

ثانياً: أن يكون المريد طاهراً من الحدث الأكبر والأصغر.

ثالثاً: أن يكون الباب مغلقاً.

رابعاً: أن يغمض المريد عينه أثناء الرابطة.

خامساً: أن يراقب أنفاسه في كل شهيق وزفير.

سادساً: الاّ يتحرك من مكانه.

سابعاً: أن يستحضر صورة شيخه بين عينيه.

ثامناً: أن يعتقد المريد أن كمالات الشيخ لا تفارق روحانيته، وأن روحانيته ليست مقيدة بمكان دون آخر، وأن يعتقد أن تصرفات روحانية الشيخ من تصرفات الحق تعالى.

تاسعاً: أن يداوم على الرابطة في جميع الأوقات ولا يفارقها أصلاً.

---

(١) رواه الترمذي في سننه، كتاب الفتن، باب ما جاء في لزوم الجماعة ح (٢١٦٧)، (٤٦٦/٤) بنص " أن الله لا يجمع أمتي على ضلالة " قال الترمذي : هذا حديث غريب من هذا الوجه، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٢١٨/٥) بلفظ: " لن تجتمع أمتي على ضلالة " قال: رواه الطبراني بإسنادين رجال أحدهما ثقات رجال الصحيح، خلا مرزوق مولى آل طلحة وهو ثقة. ورواه الحاكم في مستدركه (١١٦/١) مرتين وقال في الثانية " إبراهيم العدني هذا قد عدله عبدالرزاق وأثنى عليه " وتابعه الذهبي.

(٢) تبصرة القاضلين، ص (٧٣).

(٣) البهجة السنية، ص (٦٧)، الطريقة النقشبندية بين ماضيها وحاضرها، ص (٥٩).

وقد شدد النقشبنديون على اعتقادها، وزعموا أنـه لا يجحـد هـذا الأمـر إلا من كتب الله على جبهته الخسـران، واتسـم بالمقـت والحرمـان، أولئـك هـم الأخسرون أعمالاً الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً[1].

ومن هذا الباب فرضت الطريقة على كل من أنكر الرابطة عقوبة تتمثل في قطع الفيوضات عنه، وزوال البركة منه، وانقطاع مدد المشايخ عنه.

وبعد هذا البيان عن حقيقة الرابطة لدى الطريقة النقشبندية، يتأكد لنا بُعد هذه الطريقة عن منهج الله تعالى ومنهج رسـوله ﷺ، وكـذب مـا ادعـوه مـن أن طريقتهم هي أقرب الطرق إلى الله، وأنها لا تزيد ولا تنقص عن طريقة الصحابة رضوان الله عليهم، فهذه من البدع التي استحدثها هؤلاء، فلم يسبقهم إليها أحد، ولم يقل بها أحد من السلف والخلف.

فقد ورد في تعريف الرابطة ثلاث نقاط لاتتم الرابطـة إلا بهـا وهـي: أن يستمد المريد من روحانية شيخه، وأن هذا الشيخ لابد أن يكون فانياً في الله تعالى، وأن يستحضر صورة شيخه في حال غيبته في ذهنه.

هذه النقاط تشير إلى حقيقة هذه البدعة والغايـة منهـا، فـبين أيـدينا سـنة النبي ﷺ، وهدي النبي ﷺ في تعلـيم أصـحابه بعيـد عـن فعـل هـؤلاء فمـا كـان الصحابة ﷺ يستمدون شيئاً من روحانيته، ولا أمرهم النبي ﷺ بذلك ولم يعـرف لديهم مثل هذه الألفاظ؛ بل كان النبي ﷺ يعلمهم بقوله وبفعله، يعلمهم في كـل مكان، في البيت وفي المسجد وفي السوق..

لم يشترط عليهم النبي ﷺ ما يشترطه هؤلاء من تغميض الأعين، ومراقبـة النَفَس، وإغلاق الباب، وعدم التحرك من المكان..

إلى آخر هذه الشروط التي تظهر منها رائحة الرياضات البوذيـة، وتمـارين

---

(١) تنوير القلوب، ص (٤٨٨).

اليوغا الهندية التي كان لها تأثيرها في الطريقة النقشبندية بحكم المواطن التي اشتهرت فيها الطريقة، وقد سبق أن تبين أن هذه البدعة جاء بها خالد البغدادي من الهند موطن هذه الديانات.

أما في غيبة النبي ﷺ حال حياته كان الصحابة رضوان الله عليهم يرجعون إلى الكتاب، فإن لم يجدوا فيه فإلى سنته ﷺ، وإلا اجتهدوا في ذلك الأمر، فإما أن يقرهم عليه النبي ﷺ، وإما أن يعلمهم إن أخطأوا.

وليس هذا فحسب، بل كان النبي ﷺ يشاورهم في الأمر، ويأخذ بمشورتهم إن ظهر صوابها كحفر الخندق، والموضع الذي نزله النبي ﷺ في غزوة بدر، والخروج من المدينة لمقابلة المشركين في غزوة أحد .. وغيرها كثير.

فتربية النبي ﷺ لأصحابه تقوم على المشورة والأخذ برأي الآخرين وإعمال عقولهم وتحميلهم همَّ الإسلام والعمل له.

أما هذه الرابطة فإنها داعية إلى تعلق القلب بالشيخ وهو نوع عبودية لهذا المخلوق، حيث تسعى إلى تربية المريد على التبعية المطلقة، وإلا فما معنى استحضار صورة الشيخ حال غيبته؟!!

فأين هذا من هدي النبي ﷺ وهدي صحابته ﷺ ومن تبعهم بإحسان؟!!

فإذا تبين أن هذه الرابطة ليست من هدي النبي ﷺ ولا من هدي من أمرنا بالاقتداء بهم ولم يقل بها أحد من العلماء المعتبرين لا من السلف ولا من الخلف؛ تبين أنها من الأمور المبتدعة في الدين. قال ﷺ: "من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد"(١) وقال أيضاً: "وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة"(٢).

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه: كتاب الصلح، باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود، ح (٢٦٩٧)، (٣٠١/٥)، والإمام مسلم في صحيحه في كتاب الأقضية: باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور (١٦/١٢).

(٢) رواه الإمام الترمذي في سننه: كتاب العلم، باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدعة،=

وقد بين الشيخ صديق بن حسن القنوجي[1] حكم الرابطة في جوابه على سؤال ورد إليه من السيد نعمان بن المفسر محمود الآلوسي مفتي بغداد. قال: "ومما كتبه إلينا صاحب الترجمة هذه ما نصه:

ما يقول مولانا الأمير السيد النحرير النوّاب ... في حكم الرابطة المستعملة عند أصحاب الطريقة النقشبندية. وهل لها أصل قوي من الكتاب والسنة، أم هي اختراع واجتهاد من بعض ذوي الألباب؟ فإن كان لها أصل، فما ذلك عند أرباب العقد والحل، وإن لم يكن لها دليل، فهل في ذلك شرك أصغر وتضليل؟ لأنها كما هو المشهور: تصوير المريد شيخه الغائب وكأنه في الحضور، وكلما ذكر الله تصوّر صورة شيخه في سويداه، أم ليس في ذلك بأس لدى الأكابر؟ حيث قال بها جمع من الأواخر؛ ... فأميطوا عنا غبار الشك والترديد بأبين جواب، وميزوا الخطأ عن الصواب، .. جعلكم الله للسلفيين وكافة الموحدين حصناً حصيناً، وأنا لكم وسائر العلماء مزيد الثواب آمين. سنة (١٢٩٨هـ) . شعبان".

فأجبته: أما مسألة الرابطة، فلا يخفى على شريف علمكم أنها من البدع المنكرة.

وقد أفاد الشيخ العلامة محمد إسماعيل الشهيد الدهلوي في كتابه الصراط المستقيم بالفارسية: أن هذه الرابطة من الشرك بمكان لا يخفى على من له أدنى إلمام بعلوم الكتاب والسنة.

وأقول: مالنا ولقلبنا، وربطه بالشيخ كائناً من كان، وإنما تربط قلوب العباد

= ح (٢٦٧٦)، (٥/٤٤)، والإمام أبو داود في كتاب السنة، باب لزوم السنة، رقم (٤٦٠٧) (٥/١٤) وقال الترمذي: حديث حسن صحيح. صححه الألباني في صحيح الجامع الصغير رقم (٢٥٤٩)، (١/٤٩٩).

(١) هو محمد صديق بن حسن بن علي القنوجي، من علماء الهند السلفيين، ولد عام (١٢٤٨هـ)، له مؤلفات كثيرة منها: فتح البيان في مقاصد القرآن، قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر، توفي عام (١٣٠٧هـ).
انظر ترجمته الذاتية في كتابه التاج المكلل ص (٥٤٦)، الأعلام (٦/١٦٧).

إلى بارئها. ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾[1] وبالجملة، هذه المسألة وإن فاه بها جمع من المشائخ قديماً وحديثاً، فهي من البدع بلا مرية، وحكمها حكم سائر البدع وسائر الأشياء التي أحدثها الصوفية من غير أساس على دليل من كتاب وسنة. ويكفي في رد مثل هذه البدعة قوله ﷺ المستفيض المشهور: كل أمر ليس عليه أمرنا فهو رد[2]. وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار[3]..."[4] فإذا تبين حكمها بقول هؤلاء العلماء، تبين أن ما استدلوا به من الآيات ليس فيه دلالة على ما أرادوا، بل قام عليهم الدليل من خلال ما استدلوا به؛ إذ لا نجد في تفاسير المفسرين كلمة تدل على هذه الرابطة أو تشير إليها من قريب أو بعيد. وهذا يبين بكل وضوح مبلغهم من العلم وأن حرصهم ليس على بيان الحق والاستدلال له. بل إثبات الرابطة وجعلها شكلاً من أشكال العبادة فيفسرون الآيات بما يريدون، يخدعون بذلك البسطاء من أتباعهم أنهم على الحق!! وأنهم موافقون للكتاب والسنة !! يؤكد ذلك أنهم لا يكلفون أنفسهم بالبحث عن معاني الآيات في التفاسير المعتبرة، أو الرجوع لأقوال أهل العلم في معنى الآية، وهي متوافرة، ولله الحمد والمنة.

أ- الرد على ما استدلوا به من آيات:

الدليل الأول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾[5].

هذه الآية وردت في ثنايا الآيات التي تحدثت عن غزوة تبوك، وتوبة الله

---

(١) سورة الرعد، الآية: (٢٨).

(٢) صحيح البخاري مع الفتح بلفظ: (من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد). كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب إذا اجتهد العامل فأخطأ، الباب (٢٠)، (٣١٧/١٣).

(٣) تفرد بهذه الزيادة النسائي (١٨٩/٢)، وإسناده صحيح صححه الألباني في صحيح الجامع الصغير رقم (١٣٥٣)، (٢٨٧/١).

(٤) التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول، صديق القنوجي، ص (٥٢١-٥٢٢).

(٥) سورة التوبة، الآية: (١١٩).

تعالى على الثلاثة الذين تخلفوا عن رسول الله ﷺ.

قال تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾.

يقول الإمام ابن جرير الطبري رحمه الله في تفسير هذه الآية:

"وكونوا في الدنيا من أهل ولاية الله وطاعته، تكونوا في الآخرة مع الصادقين في الجنة، يعني مع من صدق الله الإيمان به، فحقق قوله بفعله ولم يكن من أهل النفاق فيه الذين يكذب قيلهم فعلهم. ومعنى الكلام: وكونوا مع الصادقين في الآخرة باتقاء الله في الدنيا"[(١)].

ومن علماء التفسير المعول عليهم في هذا الفن الحافظ إسماعيل بن كثير رحمه الله؛ قال في تفسير الآية: "أي اصدقوا والزموا الصدق تكونوا من أهله وتنجو من المهالك، ويجعل لكم فرجاً من أموركم ومخرجاً"[(٢)].

ومن المفسرين المعتمدين في الدولة العثمانية فخر الدين الرازي قال في تفسير الآية:

"وكونوا مع الصادقين يعني مع الرسول ﷺ وأصحابه في الغزاوات؛ ولا تكونوا متخلفين عنها وجالسين مع المنافقين في البيوت"[(٣)].

ومن مشاهير علماء الترك في فن التفسير العلامة أبو السعود العمادي[(٤)] رحمه الله

---

(١) جامع البيان (٦٢/١١).

(٢) تفسير القرآن العظيم (٤٣٨/٢).

(٣) مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، للرازي (٥١٧/٤).

(٤) هو محمد بن محمد بن مصطفى العمادي، شيخ الإسلام، العلامة، فقيه، أصولي، مفسر، أديب، قمة زمانه في الفتوى، صاحب التفسير المشهور، هو الذي نظم قوانين البلاد في عهد السلطان سليمان القانوني، توفي عام (٩٨٢هـ).

انظر: العقد المنظوم، ص (٤٣٩)، الكواكب السائرة (٣٥/٣)، شذرات الذهب (٣٩٨/٨)، البدر الطالع (٢٦١/١).

قال في تفسير الآية:

"﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ خطاب عام يندرج فيه التائبون اندراجاً أولياً. وقيل لمن تخلف عليه من الطلقاء عن غزوة تبوك خاصة.

﴿ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ﴾ في كل ما تأتون وما تذرون فيدخل فيه المعاملة مع رسول الله ﷺ في أمر المغازي دخولاً أولياً.

﴿ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ في إيمانهم وعهودهم، أو في دين الله نية وقولاً وعملاً؛ أو في كل شأن من الشؤون"[1].

هذه أقوال مجموعة من المفسرين المعتبرين تثبت أنه لا دلالة في هذه الآية على الرابطة ولو بأدنى إشارة بخلاف أقوال النقشبنديين الذين استفرغوا جهودهم في إثبات علاقة هذه الآية بالرابطة المزعومة.

الدليل الثاني: قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓا۟ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ ﴾[2].

قال الإمام الطبري رحمه الله في تفسير هذه الآية:

" ﴿ وَٱبْتَغُوٓا۟ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ ﴾ أي: واطلبوا القربة إليه بالعمل بما يرضيه، والوسيلة، هي: الفعلية من قول القائل توسلت إلى فلان بمعنى تقربت إليه، .. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل"[3].

وبهذا قال البيضاوي[4] رحمه الله؛ جاء في تفسير الآية:

---

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي (٦١٦/٢).

(٢) سورة المائدة، الآية: (٣٥).

(٣) جامع البيان في تأويل آي القرآن (٢٢٦/٦).

(٤) هو عبدالله بن عمر بن محمد البيضاوي الشيرازي، ولي قضاءها مدة، له عدة مؤلفات منها: منهاج الوصول. وطوالع الأنوار في علم الكلام. وغيرها كثير. توفي عام (٦٨٥هـ).
انظر: الطبقات الكبرى للسبكي (١٥٧/٨)، شذرات الذهب (٣٩٢/٥)، الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير (١٣٧٨/٢).

"أي ما تتوسلون إلى قرابة والزلفى منه من فعل الطاعات وترك المعاصي، من وسل إلى كذا، إذا تقرب إليه"[1].

ويمثل هذا المعنى فسرها الحافظ ابن كثير ﷺ فقال:

"يقول تعالى آمراً عباده المؤمنين بتقواه .. ﴿وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾ أي تقربوا إليه بطاعته والعمل بما يرضيه .. وهذا الذي قاله الأئمة لا خلاف بين المفسرين فيه"[2].

وهذا المحكي عن إجماع المفسرين على هذا القول يغنينا عن تتبع أقوال المفسرين.

فالوسيلة إذا بحسب أقوال المفسرين هي التقرب إلى الله تعالى، وبينوا أن التقرب يكون بالعمل بما يرضي الله تعالى من فعل الأوامر وترك النواهي. أما قول النقشبندية في الاستدلال "وأقرب الوسائل إلى الله النبي ﷺ ونوابه من الأولياء".

فأقول: إن النبي ﷺ يكون أقرب الوسائل إلى الله تعالى بطاعته، واتباع ما جاء به، فإذا حقق الإنسان المتابعة للنبي ﷺ فقد حقق التقرب إلى الله تعالى.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ في هذا الموضوع:

"والوسيلة التي أمرنا الله أن نبتغيها إليه هي التقرب إلى الله بطاعته، وهذا يدخل فيه كل ما أمرنا الله به ورسوله ﷺ.

وهذه الوسيلة لا طريق لنا إليها إلا باتباع النبي ﷺ بالإيمان به وطاعته، وهذا التوسل به فرض على كل أحد"[3].

أما قولهم (ونوابه من الأولياء) فلا نوائب للنبي ﷺ في الدين، ذلك أن الله

---

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي (١٤٨/٢).
(٢) تفسير القرآن العظيم (٦٠/٢).
(٣) مجموع الفتاوى (٢٤٧/١).

تعالى قد أكمل لنا الدين في حياة النبي ﷺ قال تعالى:

﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًاۚ﴾(١)

وما توفي النبي ﷺ إلا وقد أكمل بيان الدين، وأخبر الأمة بكل ما يقيمها إلى قيام الساعة، وكل من جاء بعده إنما هو ملزم بهدي محمد ﷺ يتبعه فيه ولا يحيد عنه.

وأولياء الله حقاً هم المتبعون لهدي النبي ﷺ، والمقتفون أثره، لا يبتدعون في الدين، قال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾(٢)، ولا يعد هؤلاء نوائب للنبي ﷺ فضلاً عن مشايخ النقشبندية فهؤلاء ابتدعوا في الدين ما لم ينزل به الله تعالى سلطاناً، وحملوا الناس على الإيمان ببدعتهم واعتقادها.

فأمثال هؤلاء هل يصح أن يكونوا من أقرب الوسائل إلى الله ؟ !!

الدليل الثالث: قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾(٣)

قولهم: إن الاتباع يقتضي رؤية المتبوع حساً أو تخيله معنىً وإلا فلا يعد اتباعاً، قول مردود وهو قول لم يسبق إليه أحد. فلم يرد عن أحد من أهل السنة والجماعة اشتراط هذا الشرط للاتباع. إنما اتباع النبي ﷺ يكون باتباع سيرته وأقواله وأفعاله، فمن علم ذلك وعمل به فقد حقق الاتباع للنبي ﷺ. ولو كان ما اشترطوه صحيحاً، لما خلا كلام العلماء من ذلك، بل ولكان من الأمور المعلومة من الدين بالضرورة؛ ذلك أن دين المسلم لا يستقيم له إلا باتباع النبي ﷺ، ولجاء الأمر إلينا بتخيل النبي ﷺ، إذ السواد الأعظم من أمته لم يره ﷺ، فما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

---

(١) سورة المائدة، الآية: (٣).

(٢) سورة يونس، الآية: (٦٢-٦٣).

(٣) سورة آل عمران، الآية: (٣١).

إن خلو القرآن الكريم وخلو أحاديث النبي ﷺ وأقوال الصحابة والتابعين من هذا الأمر مع حرصهم الشديد على متابعة النبي ﷺ لأعظم دليل على فساد هذا القول.

ب- أما ما استدلوا به من حديث نسبوه إلى أبي بكر الصديق ﷺ، وهو أنه شكا إلى النبي ﷺ عدم انفكاكه عنه حتى في الخلاء.

فهذا الحديث لم أقف عليه في كتب السنة المعتبرة أو كتب الموضوعات، والجواب عليه:

أولاً: كان ينبغي على من احتج به من النقشبندية أن يبين من خرّجه من الأئمة ومن صححه، وإلا فما كل منقول صحيح والاستدلال بغير الصحيح لا يصح.

ثانياً: إن صح هذا عن أبي بكر الصديق ﷺ فليس فيه ما يستند عليه هؤلاء في موضوع الرابطة؛ لأن أبا بكر ﷺ شكا إلى النبي ﷺ وتذمّر منه فتبين أنه لا يصح فضلاً عن أن يكون أمراً واجباً كما تعتقده النقشبندية. إضافة إلى هذا فإن هذا القول لم يحمل أي إشارة توضح حكم النبي ﷺ في ذلك سواء بالإقرار أم لا، حتى نعتد ونعمل به. فشكواه ﷺ - لو صحت - ليست تشريعاً نأخذ به فيما ليس عليه نص من الكتاب أو السنة الصحيحة، فكيف وهي تبطل ما زعموا أنها تدل عليه.

جـ- أما الإجماع الذي حكوه أن معاشر النقشبندية جماعة كثيرة مقرة على هذا الأمر فهذا إجماع مردود ذلك أن المخالفين للطريقة النقشبندية من أهل السنة والجماعة الذين لم يقروا بهذه الرابطة أضعاف أضعاف رجال هذه الطريقة.

ثم إن الأمر في حقيقته ليس بالنظر إلى عدد من أجمعوا على أمر بالنسبة إلى من خالفهم. وإنما بالنظر إلى ذات الأمر فإن كان موافقاً لما جاء في الكتاب والسنة

كان هو الحق ولو كان المتمسك به واحداً. وما كان مخالفاً لما جاء فيهما كان باطلاً ولو تمسك به السواد الأعظم من الناس.

فالأمر بلزوم الجماعة: أي ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه ﷺ وأرضاهم.

قال عبدالله بن مسعود ﷺ: "الجماعة ما وافق الحق وإن كنت وحدك".

قال نعيم بن حماد ﷺ: يعني إذا فسدت الجماعة فعليك بما كانت عليه الجماعة قبل أن تفسد، وإن كنت وحدك فإنك أنت الجماعة حينئذ[1].

قال أبو شامة الشافعي[2] ﷺ: "وحيث جاء الأمر بلزوم الجماعة فالمراد به لزوم الحق واتباعه وإن كان المتمسك بالحق قليلاً والمخالف كثيراً، لأن الحق الذي كانت عليه الجماعة الأولى من عهد النبي ﷺ وأصحابه ﷺ ولا نظر إلى كثرة أهل الباطل"[3].

وبعد، فهذه الأقوال التي تقدمت تؤكد أن الأدلة التي أوردها النقشبندية لا يصح أن يستند عليها في مثل هذه البدعة التي لا أصل لها من الكتاب والسنة. وهذا ما اعترف به شقيق خالد البغدادي محمد أسعد صاحب زاده؛ إذ يقول لما أحس بضعف أدلتهم: "إنه لا يجب علينا الاستدلال على الرابطة الشريفة بدليل لأن دليل من قلدناه من العلماء العالمين والأولياء العارفين كان واف بالمقصود!!"

ويقول أيضاً: "حتى لو افترضنا بأن عمل الرابطة الشريفة لا دليل عليه، وإنما استعملناه لما حصل لنا من الفائدة بالتجربة، فالإنكار علينا من أي وجه، وما دليله ؟"[4].

---

(١) الباعث على إنكار البدع والحوادث، لأبي شامة الشافعي، ص (٣٠).

(٢) هو عبدالرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم، أبو شامة المقدسي النحوي المقرئ، ولد عام (٥٩٦هـ) بدمشق، له عناية بالحديث، وأتقن الفقه، وبرع في العربية، ولي مشيخة دار الحديث الأشرفية، توفي عام (٦٦٥هـ).
انظر: العبر (٣١٣/٣)، تذكرة الحفاظ (١٤٦٠/٤)، بغية الوعاه (٧٧/٢)، الشذرات (٣١٨/٥).

(٣) الباعث على إنكار البدع والحوادث، ص (٢٩-٣٠).

(٤) حقائق خطيرة عن الطريقة النقشبندية، ص (١٢٨).

ولم تكتف النقشبندية في طلب المدد من الأحياء، بل تعدى ذلك إلى الأموات، فمما نقله الخاني عن مشايخ النقشبندية:

"ينبغي أن يُعلم أن سلوك هذه الطريقة العلية مربوط بالرابطة بالشيخ المقتدى به ومحبته .. فنظره شاف للأمراض القلبية، وتوجهه رافع للعلل المعنوية..

فينصبغ المريد برابطة المحبة بالشيخ .. ويستوي في هذا الطريق في إفادتها الأحياء والأموات وفي استفادتها الشيوخ والصبيان"[1].

ثم يبين كيفية الاستمداد من الأموات فيقول:

"أن يجرد المريد نفسه من العلائق العنصرية، ويطلق باطنه عن القيودات الطبيعية، ويعري قلبه عن العلوم والنقوش والخواطر الكونية، ثم يتصور روحانية ذلك الميت نوراً، ويحفظ ذلك النور في قلبه حتى يحصل فيه فيض من فيوضات ذلك الميت.

أما إن كانت الرابطة عند قبر ميت فلابد أن يسلم على صاحب ذلك القبر ثم يقف في طرف اليمين قريباً من رجله، ويضع يده اليمنى على اليسرى فوق سرته ويطرق رأسه على صدره ثم يقرأ سورة الفاتحة مرة، وسورة الإخلاص إحدى عشرة مرة، وآية الكرسي مرة. ويهب ثوابها لذلك الميت. ثم يجلس عنده ويتوجه إلى روحانية ذلك الميت في القبر بطريق الاستفاضة"[2].

وترى النقشبندية جواز الاستمداد من روحانية الأموات، ولو كانوا على مسافات بعيدة ومهما كان موقعه؛ إذ الرابطة بدون توجه إلى القبر كافية في حصول المدد.

كما يعتقد النقشبنديون أن الاستمداد من الأموات أفضل درجة من الاستمداد من الأحياء يقول السنهوتي:

---

(١) البهجة السنية للخاني، ص (٦٥).
(٢) المرجع نفسه، ص (٦٦).

"إن هذه النسبة الروحانية عند العارفين بالله تعالى أقوى اتصالاً من الجسمانية؛ إذ هي من علامة كرامة الحق لعبده، فإن من اصطنعه لنفسه تعالى أذن لروحانية أحد أحبابه بتربيته كما وقع لأكابر أهل الله"[1].

ويستدل النقشبندية على ذلك بما نسبوه للنبي ﷺ أنه قال:

"إذا تحيرتم في الأمور فاستعينوا من أهل القبور"[2][3].

وقد رد الخاني على من أنكر ذلك بقوله:

"وادعى بعضهم أن الميت إذا انتقل إلى دار الآخرة لم يبق له التفات إلى الدنيا، و هذا القائل خطؤه أشد من خطأ مدّعي الكمال في نفسه؛ لأنه يفهم من قوله إنكار تصرف الأولياء بعد موتهم، نعوذ بالله من ذلك، وكأنه غفل عما هو متفق عليه بين أهل الطريق"[4].

ولاشك أن طلب المدد من الأموات الذين لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً من الأمور الشركية، فالاعتقاد بأنهم يملكون نفعاً أو دفع ضر عن الإنسان، وأن لهم التفات إلى الدنيا، جهل وضلال وانحراف عقدي كبير؛ إذ الاستعانة نوع من أنواع العبادة، فلا يستعان إلا بالله فيما لا يقدر عليه إلا الله، بيده الخير كله، يملك النفع والضر؛ أما غيره من المخلوقات فلا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً حتى يملكه لغيره. ويستعان بالحي لكن في حدود ما يقدر على فعله. أما الميت والغائب فإنه لا يستعان بهما ولا يطلب منهما شيء.

أما الحديث الذي استدلوا به "فهذا الحديث كذب مفترى على النبي ﷺ بإجماع العارفين بحديثه، لم يروه أحد من العلماء بذلك، ولا يوجد في شيء من

---

(١) الأنوار القدسية، ص (٧).

(٢) حديث مكذوب مفترى على رسول الله ﷺ حكم بوضعه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في مجموع الفتاوى (٣٥٦/١)، والإمام ابن القيم رحمه الله في إغاثة اللهفان، ص (٢٢٠).

(٣) البهجة السنية، ص (٦٧).

(٤) المرجع نفسه، ص (٦٩).

كتب الحديث المعتمدة"[1].

وأما ما يزعمونه من ظهور الميت لهم، وحصول المدد والفيض منه، أو أنه علمهم بأصول الطريقة كما يزعمون ذلك لأكابرهم ويسمونه أويسي، فهذا من إضلال الشياطين لهم وتلاعب الجن بهم.

يقول شيخ الإسلام ﷺ: "ما من أحد يعتاد دعاء الميت والاستغاثة به .. إلا وقد بلغه من ذلك ما كان من أسباب ضلاله؛ كما أن الذين يدعونهم في مغيبهم ويستغيثون بهم فيرون من يكون في صورتهم أو يظنون أنه في صورتهم ويقول: أنا فلان، ويكلمهم ويقضي بعض حوائجهم، فإنهم يظنون أن الميت المستغاث به هو الذي كلمهم وقضى مطلوبهم وإنما هو من الجن والشياطين"[2].

ثالثاً: مباني الطريقة النقشبندية

يقول محمد أمين الكردي:

"ومبنى هذه الطريقة العلية على العمل بإحدى عشرة كلمة فارسية، ثمانية منها مأثورة عن حضرة الشيخ عبدالخالق الغجدواني .. وبعدها ثلاث من الشيخ الأكبر السيد محمد بهاء الدين نقشبند"[3].

وهذا النص يحمل دلالة مهمة جداً؛ إذ هو يهدم كل دعوى تنسب هذه الطريقة إلى كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ، أو أن هذه الطريقة منسوبة إلى أبي بكر الصديق ﷺ.

فبإقرار أئمتهم يذكرون أن مباني طريقتهم أنشأها عبدالخالق الغجدواني، وأنها كانت ثمانية ثم أضيفت إليها ثلاثة أخرى.

كما يعترفون بأنها كلمات فارسية وهذا ما ينبئ عن البلاد التي نشأت فيها

---

(١) مجموع الفتاوى (٣٥٦/١).
(٢) مجموع الفتاوى (١٧٤/١).
(٣) تنوير القلوب، ص (٤٧٨).

هذه الطريقة، وأنها بعيدة عن اللسان العربي الذي نزل به القرآن الكريم وتحدث به النبي ﷺ وصحابته رضوان الله عليهم.

يقول الخاني: "ولما كانت هذه الطريقة الشريفة قد ظهرت في بلاد ما وراء النهر واشتهرت فيها، وكان أعزة أهل تلك البلاد يتكلمون الفارسية جرى أكثر تلك المصطلحات على لسانهم بتلك اللغة"[1].

وقد احتفظ النقشبنديون في مؤلفاتهم بلغة هذه المباني الفارسية من باب التبرك !!! وهي كما ذكروها على النحو التالي[2]:

الأولى: هوش دردم.

ومعناه: حفظ النَّفَس عن الغفلة عند دخوله وخروجه وما بينهما؛ ليكون قلبه حاضراً مع الله تعالى في جميع الأنفاس.

الثانية: نظر برقدم.

ومعناه: أن السالك يجب عليه ألا ينظر في حال مشيه إلا إلى قدميه ولا في حال قعوده إلا بين يديه.

الثالثة: سفر دروطن.

ومعناه: سفر السالك من عالم الخلق إلى جناب الحق سبحانه وتعالى.

ويصيغها الكردي بعبارة أقل وطأة، وأكثر تقبلاً وإن أدت ما هو مفهوم من عبارة الخاني يقول:

"الانتقال من الصفات البشرية الخسيسة إلى الصفات الملكية الفاضلة".

الرابعة: خلوة دار انجمن.

ومعناه الخلوة في الجلوة والخلوة نوعان:

---

(١) البهجة السنية، ص (٨٠).

(٢) انظر: البهجة السنية، ص (٨٠-٨٦)، تنوير القلوب (٤٧٨-٤٧٩)، الأنوار القدسية، ص (١١٢-١١٨)، رسالة السبع الأسرار، ص (٩٧)، السر السادس: في بيان الألفاظ المصطلحة للطريقة النقشبندية.

١- الخلوة في الظاهر: وهي اختلاء السالك في بيت خالٍ عن الناس وقعوده فيه ليحصل له الاطلاع في عالم الملكوت، والشهود في عالم الجبروت.

٢- الخلوة في الباطن: وهي كون الباطن في مشاهدة أسرار الحق، والظاهر في معاملة الخلق؛ بحيث لا تشغله معاملة الظاهر عن مشاهدة الباطن.

الخامسة: ياد كرد.

ومعناه: تكرار الذكر مع الدوام سواء كان بالقلب واللسان، وسواء كان اسم الذات [الله] أو النفي والإثبات [لا إله إلا الله].

السادسة: بَازْكَشْتْ.

فمعناه: رجوع الذاكر في النفي والإثبات بعد إطلاق نَفَسه إلى المناجاة بكلمة "إلهي أنت مقصودي ورضاك مطلوبي". ويضيف إليها المعصومي.

"تركت الدنيا والآخرة لأجلك، أعطني محبتك ومعرفتك والوصول في حضرتك". فتخيل هذه الكلمة يورث في قلب الذاكر سر التوحيد الحقيقي!! حتى يفنى عن نظره وجود جميع الخلق، ويظهر له وجود الواحد المطلق في المظاهر!! وبذلك يحصل له الوصول بالذكر إلى المذكور، عزوجل.

السابعة: نِكَاهْدَاشت

معناه: أن يحفظ المريد قلبه من الخواطر ولو لحظة.

أما الخاني فيجعل هذا الأمر متعلقاً بالذكر. فيقول: "ينبغي للذاكر أن يحفظ قلبه على ملاحظة معنى النفي والإثبات عند الذكر؛ لئلا تدخل فيه الخواطر .. وإلا فلا تحصل فيه نتيجة الذكر التي هي حضور القلب بالمذكور"

ثم يقول: وهو أمر عظيم عند الصوفية؛ لأن من قدر على ذلك فقد تصوف .. لأنه عرف حقيقة قلبه ومن عرفها فقد عرف ربه !!

الثامنة: ياد داشت.

معناه: التوجه الصرف المجرد من الألفاظ إلى مشاهدة أنوار الذات الأحدية، والحق أنه لا يستقيم إلا بعد الفناء التام والبقاء السابغ.

أما الثلاثة التي أضافها بهاء الدين نقشبند فهي:

التاسعة: الوقوف الزماني.

ومعناه: أنه ينبغي للسالك بعد مضي كل ساعتين أو ثلاث أن يلتفت إلى حال نفسه كيف كان؟ فإن كان حاله الحضور مع الله، شكر الله على هذا التوفيق، وإن كان حاله الغفلة استغفر منها وأناب ورجع إلى الحضور التام.

العاشرة: الوقوف العددي.

ومعناه: المحافظة على عدد الوتر في الذكر بالنفي والإثبات.

الحادية عشرة: الوقوف القلبي.

معناه: حضور القلب مع الحق على وجه لا يبقى للقلب مقصود غير الحق، ولا ذهول عن معنى الذكر.

تنطق هذه المباني بما يعتقدهُ النقشبنديون من عقيدة وحدة الوجود. فحفظ النَّفَس، ومراقبة القلب، والنظر إلى الأقدام حال المشي، وما بين يديه حال القعود، كل ذلك تمرينات ورياضات نفسية مستقاة من الديانات الهندية والبوذية. تهدف إلى ترويض المريد على الخضوع والخنوع والذلة والمسكنة، فيصبح بذلك طوع شيخه فيما يأمره وينهاه، ويبعده بذلك عن الوعي والإدراك، موحياً له أن الفناء في الشيخ مقدمة الفناء في الله الذي هو أسمى ما يتمناه المريد ويسعى إليه؛ فإذا تمكن الشيخ منه، وترقى في الطريقة علّمه شيخه طلب الفناء في الله وذلك عن طريق هذه المباني وتطبيقها.

وبعد

فأين هذه الكلمات ومعانيها من القرآن والسنة ؟!

بل وأين تطبيقها من منهج النبي ﷺ مع صحابته ﷺ ؟

فالله تعالى أمرنا بالذكر ونهانا عن الغفلة في مواطن كثيرة، ولكنه تعالى شأنه لم يأمرنا بهذه الرياضات التي ألزمت بها النقشبندية أتباعها؛ ذلك أنها رياضات تبعث على الخضوع والذلة التي لا يقوم بها المجتمع، ولا تتحقق بها الخلافة، تحطم المقدرات والكفاءات وهذا ما ينهى عنه الإسلام، فقد كان حال النبي ﷺ وصحابته ﷺ حال رفعة وعزة، عبّاد عاملون، فتحوا البلاد وقادوا الجيوش، أقاموا الدين ونصحوا للأمة .. ومع ذلك كانوا من الذاكرين الله كثيراً.

وصدق الله إذ يقول:

﴿أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾﴾[1].

رابعاً: الذكر عند النقشبندية

للذكر أهمية خاصة عند النقشبندية؛ إذ هو الطريق الموصل إلى الفناء في الله وتحقيق الوحدة. صرح بذلك مشايخهم مقالاً؛ وصرحت به طريقة ذكرهم حالاً. يقول شيخهم محمد بارسا[2]:

"إن حقيقة الذكر عبارة عن تجليه سبحانه لذاته بذاته في عين العبد"[3].

ونقل صاحب تنوير القلوب قول الخراز[4]:

"إذا أراد الله أن يوالي عبداً من عبيده فتح عليه باب ذكره. فإذا استلذ

---

(١) سورة الملك، الآية: (٢٢).

(٢) هو محمد بن محمد بن محمود الحافظي البخاري، من خلفاء بهاء الدين نقشبند، سمي بارسا وهو بمعنى المتعبد، ذكروا له كرامات، توفي بالمدينة بعد أداء الحج عام (٨٢٢هـ)، له تآليف منها منطق الطير وفصل الخطاب.
انظر: الشقائق النعمانية، ص (١٥٥)، الأنوار القدسية (١٤٢-١٤٤).

(٣) الأنوار القدسية، ص (١٦٧).

(٤) هو أبو سعيد الخراز، أحمد بن عيسى، من أهل بغداد، من أئمة القوم وجلة مشايخهم. قيل إنه أول من تكلم في الفناء والبقاء. مات عام (٢٧٩هـ).
انظر: طبقات الصوفية، ص (٢٢٨)، حلية الأولياء (٢٤٦/١٠).

الذكر فتح عليه باب القرب. ثم رفعه إلى مجالس الأنس. ثم جعله على كرسي التوحيد. ثم رفع عنه الحجاب وأدخله دار الفردانية وكشف له حجاب الجلال والعظمة. وإذا وقع بصره على الجلال والعظمة بقي بلا هو (!!) فحينئذ يصير العبد زمناً فانياً.

ثم أنشد الكردي

وبعد الفناء في الله كن كيفما تشاء فعلمك لا جهل وفعلك لا وزر[1]

وعن طريقة الذكر قالوا:

"إنها تورث في قلب الذاكر سر التوحيد (!!) حتي يفنى عن نظره وجود جميع الخلق ويظهر له وجود الواحد المطلق في المظاهر"[2].

*** أفضل الذكر عند النقشبندية:**

اعتمد النقشبندية في ذكرهم الذكر الخفي [القلبي] وهو:

ملاحظة مسمى ذلك اللفظ المجرد عن الحروف والأصوات فلا يلهي الذاكر عنه شيء.

بقلب فاذكر الله خفياً عن الخلق بلا حرف وقال

وهذا الذكر أفضل كل ذكر بهذا قد جرى قول الرجال[3]

وقد علل الكردي هذا الاختيار بقوله: "لأن القلب محل نظر الله، وموضع الإيمان، ومعدن الأسرار ومنبع الأنوار، وبصلاحه يصلح الجسد كله، وبفساده يفسد الجسد كله"(٤).

أما نتيجة الذكر القلبي فهي: "الذهول عن وجود البشرية والخواطر الكونية

---

(١) تنوير القلوب، ص (٤٨١).
(٢) خلاصة المواهب السرمدية، ص (٩٠).
(٣) تنوير القلوب، ص (٤٨٠).
(٤) المرجع نفسه، ص (٤٨٠).

والاستهلاك في الجذبة الإلهية الذاتية" (١).

ثم إن الذكر القلبي ينقسم إلى قسمين:

الأول: باسم الذات وهو (الله).

والثاني: بالنفي والإثبات (لا إله إلا الله).

مستدلين على الأول بقوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾[٢].

وقال تعالى: ﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ﴾[٣].

*** أدلتهم على الذكر الخفي:**

١- قوله تعالى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾[٤].

٢- قوله تعالى: ﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ﴾[٥].

*** آداب الذكر:**

سن مشايخ النقشبندية لأتباعهم آداباً ما أنزل الله بها من سلطان، تأثروا فيها بما ورثوه سابقاً من معتقدات آبائهم وأجدادهم فمن هذه الآداب:

أولاً: تغميض العينين وإلصاق الشفة بالشفة واللسان بسقف الحلق لكمال الخشوع وقطع الخواطر التي يوجبها النظر.

ثانياً: الجلوس متوركاً عكس تورك الصلاة.

ثالثاً: الاستغفار خمساً، أو خمس عشرة، أو خمساً وعشرين مرة وهو الأكمل.

رابعاً: قراءة الفاتحة مرة، والإخلاص ثلاث مرات وإهداؤها إلى روح نبينا محمد ﷺ وإلى أرواح جميع مشايخ النقشبندية.

---

(١) تنوير القلوب، ص (٤٨٦).
(٢) سورة الأنعام، الآية: (٩١).
(٣) سورة طه، الآية: (١٤).
(٤) سورة الأعراف، الآية: (٥٥).
(٥) سورة الأعراف، الآية: (٢٠٥).

خامساً: رابطة القبر وهي عبارة عن ملاحظة الموت بأن تتصور نفسك كأنك مت وغسلت وكفنت وصلي عليك وحملت إلى القبر، ووضعت فيه وانصرف عنك الأهل.

سادساً: رابطة الشيخ وهي مقابلة قلب المريد بقلب شيخه، وحفظ صورته في الخيال ولو في غيبته وملاحظة أن قلب الشيخ كالميزاب ينزل الفيض من بحره المحيط إلى قلب المريد المرابط واستمداد البركة منه لأنه الواسطة إلى التوصل.

سابعاً: أن يجمع جميع حواسه البدنية ويقطع عنها جميع الشواغل والخطرات القلبية ويتوجه إلى الله ثم يقول: "إلهي أنت مقصودي ورضاك مطلوبي" ثلاثاً ثم يذكر اسم الذات بالقلب.

ثامناً: انتظار وارد الذكر عند الانتهاء يسيراً قبل أن يفتح عينيه وإذا عرضت غيبة أو جذبة فليحذر أن يقطعها[1].

***كيفية الذكر:**

يقوم الذكر عند النقشبندية على أساس اللطائف وأول تلك اللطائف، القلب. وهو تحت الثدي الأيسر بقدر إصبعين مائلاً إلى الجنب على شكل الصنوبر. وهي تحت قدم آدم عليه السلام، ونوره أصفر. فإذا خرج نور تلك اللطيفة من حذاء كتفه وعلا، أو حصل فيه اختلاج، أو حركة قوية فيلقن بلطيفة الروح وهي تحت الثدي الأيمن بإصبعين مائلاً إلى الصدر، وهي تحت قدم نوح وإبراهيم عليهما السلام، ونورها أحمر. فالذكر في الروح والوقوف في القلب. فإذا وقعت الحركة فيها واشتعلت، فيلقن بلطيفة السر، وهي فوق الثدي الأيسر بإصبعين مائلاً إلى الصدر، وهي تحت قدم موسى عليه السلام، ونورها أبيض. ويكون الذكر فيها، والوقوف في القلب، فإذا اشتعلت أيضاً فيلقن بلطيفة الخفي، وهي فوق الثدي الأيمن بإصبعين مائلاً إلى الصدر، وهي تحت قدم عيسى عليه السلام،

(١) انظرها في تنوير القلوب، ص (٤٨٢-٤٨٤)، البهجة السنية، ص (٧٣-٧٧).

ونورها أسود. فإذا اشتعلت أيضاً فليلقن بلطيفة الأخفى. وهي في وسط الصدر؛ تحت قدم محمد ﷺ، ونورها أخضر فليشتغل بها"[1].

فإذا تعلم المريد الاشتغال بهذه اللطائف يبدأ بالذكر فيلصق الذاكر اللسان بسقف الحلق بعد تغميض العينين ثم يحبس النَفَس بعد أخذه في الجوف ويبتدئ بأخذ كلمة (لا) بالتخيل من تحت السرة ويمدها في وسط اللطائف على الأخفى حتى ينتهي إلى لطيفة النفس الناطقة وهي في البطن الأول من الدماغ ويقال لها رئيس. ويبتدئ بعدها بأخذ همزة (إله) من الدماغ بالتخيل وينزل بها إلى الكتف الأيمن ويجرها إلى لطيفة الروح. ويبتدئ بعدها بأخذ همزة (إلا الله) بالتخيل حتى وسط الصدر حتى ينتهي إلى القلب فيضرب بالتخيل بلفظ الجلالة بقوة النَفَس على سويداء القلب حتى يظهر أثرها وحرارتها في سائر الجسد بحيث يحرق جميع الأجزاء الفاسدة في البدن بتلك الحرارة، فيتنور ما فيه من الأجزاء الصالحة بنور الجلالة.

ثم يطلق النَفَس عند الاحتياج إليه واقفاً على الوتر من ثلاث أو خمس أو سبع إلى إحدى وعشرين مرة. ثم يقول عند إطلاق النَفَس بقلبه: إلهي أنت مقصودي ورضاك مطلوبي. فإذا استراح بإطلاق النَفَس يشرع في أخذ نَفَس آخر و يحبسه ويفعل به كما فعل بالنَفَس الأول. لكن يراعي بين كل نَفَسين استمرار ذلك التخيل [2].

إن المتأمل في هذه العبارات ليقف مشدوهاً من جرأة رجال هذه الطريقة على دين الله تعالى إذ يلصق به ما ليس منه، فما مصدر هذه الأقاويل؟!

لاشك أنها مستقاة من عقائد وفلسفات قديمة لأوائل رجال هذه الطريقة لم يتخلصوا منها وظلت عالقة في نفوسهم، فصاغوا هذه الطريقة ليلصقوا ما شاؤوا

---

(١) رسالة السبع الأسرار، ص (٣٠)، تنوير القلوب، ص (٤٨٥).

(٢) تنوير القلوب، ص (٤٨٥-٤٨٦)، رسالة السبع الأسرار، ص (٣٦) السر الثاني في لطائف عالم الأمر والخلق.

من دينهم السابق ببعض تهليلات وتحميدات وصلوات على النبي ﷺ ثم قالوا: هذه طريقة الصحابة ﷺ لم نزد فيها ولم ننقص منها !!!

وأنها أقرب الطرق إلى الله تعالى، ومن أعرض عنها كان على خطر من دينه !!

ومن الأذكار التي تقيمها النقشبندية الأختام ومن أشهرها ختم الخواجكان.

الخواجة: كلمة فارسية تعني الشيخ، وتجمع على خواجكان. والختم هو الذكر فالمعنى: ذكر المشايخ.

والحكمة من تسمية الختم كذلك، أن السادات كانوا إذا اجتمع المريدون عندهم وأحب الشيخ الانصراف ختم مجلسه بهذه الأذكار.

ويعلل النقشبنديون لجوءهم إلى هذا النوع من الذكر أن من قرأ الختم قضيت له الحاجات، وحصلت له المرادات، ودفعت عنه البليات، ورفعت له الدرجات، وظهرت له التجليات.

أما وقت الختم فعند طلوع الشمس، وبعد صلاة المغرب.

شروطه:

أولاً: ألاّ يحضر فيه أجنبي ليس منتسباً للطريقة.

ثانياً: أن يغلق الباب أثناء الختم.

***آداب الختم:**

تغميض العينين من أول الختم إلى آخره، الاستغفار خمساً وعشرين مرة أوله، الجلوس متوركاً عكس تورك الصلاة، رابطة الشيخ، الخشوع والحضور، الطهارة.

يستند الختم على أركان:

قراءة الفاتحة سبع مرات، ثم الصلاة على النبي ﷺ مائة مرة، ثم قراءة سورة الشرح تسعاً وسبعين مرة، ثم قراءة سورة الإخلاص ألف مرة وواحدة، ثم قراءة الفاتحة سبع مرات، ثم الصلاة على النبي ﷺ مائة مرة، ثم يدعو الشيخ

ويهدي الختم إلى أرواح مشايخ الطريقة. ثم يقرأ أحد الحاضرين ما تيسر له من القرآن الكريم.

لم يتفق مشايخ النقشبندية على هذا الختم، بل كلما جاء شيخ له مكانته في الطريقة استبدل ببعض كلماته كلمات أخرى. وهذا ينبع عن الشخصية التي تميز بها مشايخ هذه الطريقة وهي التكالب على الشهرة، واستغلال نفوذهم في ترك ما يُنسب إليهم قروناً طويلة فيخلد ذلك ذكراهم.

فمحمد بهاء الدين نقشبند استبدل بسورة الشرح والإخلاص قوله يا خفي الألطاف أدركني بلطفك الخفي خمسمائة مرة.

واستبدل أحمد الفاروقي السرهندي الحوقلة بها خمسمائة مرة. أما الشيخ محمد الباقي[1] فاستبدل قول: يا باقي أنت الباقي بها خمسمائة مرة[2].

هذه هي حقيقة الذكر عند الطريقة النقشبندية، والأصل فيه الذكر الخفي وهذا الأصل يتضمن مخالفة ظاهرة للكتاب والسنة الصحيحة.

ولا أدل على ذلك مما سطرته أيدي هؤلاء من أن هذا الذكر وضعه عبدالخالق الغجدواني بأمر من الخضر عليه السلام - حسب زعمهم -.

فقد ذكر السنهوتي في ترجمته ما نصه:

"وعلّمه - أي الخضر - الذكر الخفي وهو أنه أمره أن ينغمس في الماء ويذكر بقلبه لا إله إلا الله ففعل كما أمره وداوم عليه فحصل له الفتح العظيم والجذبة القيومية .. فكان قدس الله سره أول من اشتغل بالذكر الخفي في

---

(١) هو محمد الباقي، ولد في كابل، قدم إلى الهند وتعلم بها، أخذ الطريقة عن محمد الخواجكي السمرقندي، وجهه مرشداً للطالبين في الهند وهو أول من أدخل الطريقة إليها توفي في مدينة دلهي عام (١٠١٤هـ).
انظر ترجمته في: الأنوار القدسية، ص (١٧٨).

(٢) تنوير القلوب، ص (٤٩٣).

هذه الطريقة "[1].

وقد علق النقشبنديون على الغوص في الماء بقولهم:

"ولعل الأمر بغوص الماء لحفظ النَفَس والاحتياط في حبسه "[2].

ولاشك في أن هذه الرواية من المكذوبات التي نسبت إلى الخضر عليه السلام وما أكثرها عند الصوفية، رغم أنه لم يرد في حياة الخضر شيء يعتمد عليه قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

"وكثير منهم رأى من ظن أنه نبي أو رجل صالح أو الخضر وكان شيطاناً "[3].

ولو سلمنا – جدلاً – أن الخضر موجود فعلاً وأمرهم بذلك فهل له حق الطاعة ؟!!

لقد أرسل الله إلينا محمداً ﷺ وأكمل لنا به الدين، فلسنا في حاجة إلى الخضر ولا إلى غيره في ابتداع ما لم يأمرنا به النبي ﷺ ولو كان الخضر على قيد الحياة لما وسعه إلا اتباع ما جاء به النبي ﷺ كما قال النبي ﷺ:

"لو أن موسى كان حياً ما وسعه إلا أن يتبعني "[4] فمحمد ﷺ خاتم النبيين،

---

(١) الأنوار القدسية، ص (١١٢).

(٢) البهجة السنية، ص (٧٨).

(٣) مجموع الفتاوى (١٧٢/١).

(٤) رواه الإمام أحمد في مسنده (٣٨٧/٣)، والدارمي في سننه رقم (٤٤١) (٩٥/١)، باب ما يتقي من تفسير حديث النبي ﷺ. قال الهيثمي: رواه أحمد وأبو يعلى والبزار وفيه مجالد ابن سعيد ضعفه أحمد ويحيى بن شعبة وغيرهما. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (١٧٤/١)، قال بن حجر في التقريب: ليس بالقوي، ص (٩٢٠)، وقال في الفتح بعد أن ذكر طرق الحديث: هذه جميع طرق هذا الحديث وهي وإن لم يكن فيها ما يحتج به لكن مجموعها يقتضي أن لها أصلاً.

انظر: كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: (بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ)، (٥٢٥/١٣).

ودينه خاتم التشريعات، فلا تشريع بعده. إنما نقف حيث وقف النبي ﷺ، ونعبد الله تعالى بما شرع.

ولا شك أن الأذكار والأدعية، من أفضل العبادات، والعبادات مبناها على التوقيف والاتباع لا على الهوى والابتداع، وما سنه النبي ﷺ من الأدعية والأذكار هي أفضل الدعاء والذكر، أما اختراع الأوراد والأذكار والصلوات فقد نهى عنها الشرع؛ ذلك أن كل عبادة يشترط لقبولها شرطان الإخلاص لله تعالى، والاتباع لأمر النبي ﷺ. وهدي نبينا أحب إلينا من هدي غيره من رجال هذه الطريقة. فأذكاره، وأدعيته، وآدابه ﷺ موثقة بأقلام العلماء، ومتواترة عبر القرون. ليس فيها شيء مما يعتقده النقشبنديون وينسبونه للنبي ﷺ من الرابطة أو الاجتماعات المغلقة أو تغميض العينين ... الخ.

وحاشاه ﷺ أن يتعبد الله بما هو مخالف لما أنزله عليه وأما ما يحمله هذا الذكر من الخرافات عقدية بعيدة عن منهج الله تعالى فسيأتي عليها الرد مفصلاً بإذن الله.

خامساً: تقديس المشايخ.

لكي تضمن أي طريقة من الطرق الصوفية استمرار وجودها، وفرض نفوذها على قطاع عريض من الناس لابد أن تصنع لمشايخها هالة من التعظيم والتقديس حتى يظل الناس لهم خاضعين ذليلين لا يملكون لأنفسهم حولاً ولا قوة.

وهذه الهالة لا يمكن أن تكون لهؤلاء المشايخ إلا من خلال المريدين الذين يثيرون حولهم الأساطير، والمعجزات المكذوبة، ويهيلون عليهم المدائح بلا ميزان.

ومن هذه الطرق الطريقة النقشبندية، التي سخرت مريديها لنشر الطريقة وذلك ببث المزاعم المكذوبة عن مشايخهم. وإضفاء العبارات المبجلة، والإطراء المبالغ فيه، ولعل لإمام طريقتهم بهاء الدين نقشبند الحظ الأوفر من ذلك فهو في

زعمهم "غوث الخليقة، العالم الرباني، والهيكل الصمداني، معدن الأسرار الصديقية، ومركز دائرة المعارف البسطامية، من بدايته النهاية، ونهايته ليس لها غاية، بهاء الحق والحقيقة والدين"(1).

أما محمد المعصوم فيصفه بما لا يوصف به إلا الله تعالى فقال عنه:

"قيوم هذا الزمان، .. هادي الأنام، سيدي وملاذي .. أنفاسه هي الشفاء الأتم لجلاء الكروب !!"(2).

وقد يستخدمون في مدحهم ألفاظاً من القرآن الكريم، يقول السنهوتي في مدح أحد مشايخهم: "كان تلو والده كالشمس وضحاها والقمر إذا تلاها"(3).

وقال عن آخر "والنجم إذا هوى ما ضل صاحبه وما غوى"(4).

ولم يقف الأمر عند الإطراء والمدح؛ بل نسبوا إليهم أعمالاً لم تنسب للنبي ﷺ وصحابته من بعده رضوان الله عليهم ولا تصح نسبتها إلا إلى الله تعالى وهي:

أولاً: ادعاؤهم علم الغيب.

يدعي النقشبندية أن مشايخهم يعلمون الغيب، وأنه لا يخفى عليهم شيء، حتى إنهم ليعلمون ما يحدث لمن ينتسب إليهم مهما بعدت بينهم المسافات، ويعلمون ما في النفوس من الكلمات.

ومن هؤلاء المشايخ رأس الطريقة عندهم بهاء الدين نقشبند فقد نسبوا إليه الكثير من القصص التي يدعي من خلالها علمه بالغيب أذكر منها على سبيل المثال:

---

(1) وصف الخاني لإمام الطريقة في كتابه البهجة السنية، ص (٩٧).
(2) مقدمة كتاب السبع الأسرار لمحمد المعصوم، ص (٣).
(3) الأنوار القدسية، ص (١٧٨).
(4) المرجع نفسه، ص (١٧٨).

قال الشيخ علاء الدين العطار: كان قدس الله سره في بخارى، وكان المولى عارف أحد أعز أحبابه في خوارزم فكان يتكلم يوماً على صفة البصر مع أصحابه، فقال في أثناء كلامه: الآن خرج المولى عارف من خوارزم إلى جهة السراي ووصل إلى الموضع الفلاني من طريق السراي، ثم بعد لحظة قال: خطر في بال المولى عارف ألا يذهب إلى السراي، وها هو قد رجع إلى جهة خوارزم، فقيد أصحابه هذه القصة بتاريخها، فبعد مدة قدم المولى عارف إلى بخارى فأخبروه بما قاله الشيخ، فقال لهم: هذا هو الذي وقع لي بعينه، فتعجب أصحابه غاية العجب.

وحاصر عسكر مدينة بخارى فهرعوا إلى الشيخ فقال لهم: نتضرع إلى الله الليلة وننظر ما يفعل رب العزة جل جلاله، فلما طلع الفجر أخبرهم بأني بُشرت بانجلاء البلاء بعد ستة أيام فبشروا أميركم. فكان كما قال.

ووصله خبر موت أخ لأحد أصحابه فقال: كيف هذا الخبر وهو حي وهذه رائحته تفوح ؟! بل أجد رائحته قريبة جداً، فما تم كلامه إلا وقد وصل الأخ من بخارى، فحصل للحاضرين حال عظيم[1].

أما عبيد الله الأحرار فقد ذكروا عنه.

"وأما كشفه عن المغيبات، وإخباره عن الخفيات مما أفرده العلماء بالتأليف فهو أجل من أن يحصر أو يحصى فالعمر يستقصر دونه ولا يستقصى"[2].

ويزعم أحمد الفاروقي زعماً باطلاً فيقول:

"أطلعني الله على أسماء من يدخلون في سلسلتنا إلى يوم القيامة"[3].

ويذكرون عن حبيب الله جان جانان مظهر قال له أحد مريديه: أدع الله في

---

(١) انظر المذكور وغيره كثير في ترجمة بهاء الدين نقشبند في الأنوار القدسية، ص (١٣٧-١٤٢)، جامع كرامات الأولياء (١/١٩٦).

(٢) الأنوار القدسية، ص (١٦٨).

(٣) المرجع نفسه، ص (١٨٢).

خلاص أخي فقد حُبس فقال له:

أخوك ما هو محبوس، وإنما صدر منه مخاصمة وخلي عنه وقد كتب إليك كتاباً يصل إليك فكان كما أخبر بلا تفاوت[1].

وعدّوا من كرامات خالد البغدادي أنه أخبر قبل موته بأيام أنه يتوفى ليلة الجمعة فكان كما قال[2].

هذه بعض الأمثلة، وما امتلأت به كتب المناقب أكثر من أي يحصى، لكن ما تقدم دل على المراد.

ثانياً: التصرف في الأمور الكونية.

يعتقد النقشبنديون أن لمشايخ الطريقة تصرفات عجيبة غريبة كصرف الهمة للأمر المهم وظهوره موافقاً همتهم، وكذلك صرف الهمة لسلب الأمراض ولإفاضة توفيق التوبة للعاصي، والتصرف في قلوب الخلائق، ودفع الآفات النازلة وغير ذلك.

روى السنهوتي في ترجمة بهاء الدين ما يؤكد هذا الاعتقاد؛ إذ نسبوا إليه الإماتة والإحياء.

فعندما سأل أحد مريدي بهاء الدين شيخه إلى أي حد تنتهي العبودية؟ قال: فقلت له: تنتهي إلى درجة إذا قال صاحبها لأحد مت مات في الحال.

ثم وقع لي أن قلت له: مت. فمات حالاً. واستمر من وقت الضحى إلى نصف النهار وقد تغير من الحر. فألقي إليّ قل له يا محمد: حي. فقلت له ذلك ثلاث مرات. فأخذت تسري به الحياة شيئاً فشيئاً وأنا أنظر إليه حتى عاد إلى حاله الأول"[3].

---

(١) المرجع السابق، ص (٢٠٤).

(٢) المرجع نفسه، ص (٢٥٨).

(٣) الأنوار القدسية، ص (١٣٧)، جامع كرامات الأولياء (١/١٩٩).

وعن الملا عبدالرحمن الجامي قالوا:

"له كرامات وافرة، وكشف كالشمس السافرة منها: إحياء الموتى وتدمير الأعداء والإخبار بالمغيبات"[1].

وذكر الشعراني عنه كرامة في إحياء الموتى !! وهي: أنه جلس في زمن الربيع على شاطئ نهر ملآن وإذا بقنفذة ميتة قد أقبلت على وجه الماء فأخذها مولانا الجامي ومسح بيده ظهرها. فظهر أثر الحياة فيها، ثم لما توجهنا جهة المدينة أقبلت تسعى خلفنا"[2].

ولما مرض الشيخ محمد الزاهد السمرقندي جاءه مريد له فقال: إني قد فديتك بنفسي. فقال له: لا تفعل. فإن المتعلقين بك كثيرون وأنت رجل شاب. فقال: ما جئتك مستشيراً في هذا الأمر بل قررته في نفسي وصممت عليه وجئت وقد قبل الله مني ذلك!!.

وفي اليوم الثاني انتقل مرض الشيخ بعينه إلى المريد وتوفي به[3].

ولم يقف تصرفهم في أمر الأرض بل وصل إلى السماء حسب زعمهم.

فأخبروا عن أحمد الفاروقي أنه نظر مرة إلى السماء وهي تمطر فقال لها: أقلعي إلى وقت كذا فحبس المطر إلى ذلك الوقت[4].

ومن خلفاء محمد المعصوم المولى موسى النكرهاري ادعوا أن الله خصه بالتصرف في حياته و بعد مماته، ومن ذلك أن من لدغته حية يقرأ على محل لدغتها اسمه الشريف !! فيشفى من بركته وذلك جار إلى يومنا هذا[5].

ومن أحفاده الشيخ محمد الزبير احتضر أحد أصحابه وكان ذا عيال كثيرين

---

(١) الأنوار القدسية، ص (١٥٣).

(٢) جامع كرامات الأولياء (٢/٢٥٤).

(٣) الأنوار القدسية، ص (١٧٧).

(٤) المرجع نفسه، ص (١٨٣).

(٥) المرجع نفسه، ص (١٩٧).

وصبية صغار فلما عاده غلبت عليه الرحمة فأخذ المحتضر إلى صدره فشفي وعاش سنين ثم توفي يوم وفاة الشيخ، لأنه كان قيم حياته. !!!

ومن مشايخهم أيضاً عبدالله الدهلوي ذكروا أن من أعظم كراماته تصرفه في باطن المريدين، وإلقاء الفيوضات والأسرار في صدورهم، وأما تصرفاته وكشوفاته وحل المشكلات وقضاء الحاجات فإنها كثيرة جداً طالما بها فرجت كرب، وحلت عقد!!

ومن التصرفات التي ذكرت عنه:

أنه وضع يده على مريض فبرأ، ونظر إلى سفينة فتوقفت، وتغير خاطره على والي دلهي فعزل حالاً، ونظر إلى برهمي مجوسي فأسلم[1].

ليس كل ما تقدم هو ما ذكر عن مشايخ النقشبندية في تصرفهم، بل ما ترك أكثر مما ذكر وإنما أردت إقامة الحجة عليهم بما نسب إليهم من هذه الدعوى التي سيأتي الرد عليها في حينه بإذن الله تعالى.

ثالثاً: إغاثة الملهوف.

يعتقد المتسبون للطريقة النقشبندية أن لمشايخهم القدرة على إغاثة اللهفان، وتفريج الكربات، وقضاء الحاجات. فتوجهوا إليهم بالاستغاثة من دون الله تعالى. مثل ذلك ما كتب في كرامات أحمد الفاروقي من أن أحد مريديه قصد زيارته من بلاد بعيدة فوصل سهرند ليلاً وبات عند أحد المنكرين فسأله عن سبب زيارته فأخبره فجعل يطعن في الشيخ. فلما رأى الرجل ذلك خاف وصار يستغيث به قدس سره ويقول: يا سيدي إني جئت لطلب الحق وهذا يصدني عنه. فلما كان وقت الفجر إذا بصاحب البيت قد مات ليلاً. فأسرع الرجل إلى الشيخ ليطلعه على الأمر، فنظر إليه الشيخ وقال ما مضى في الليل لا يذكر في النهار[2].

---

(١) المرجع السابق، ص (٢١٦-٢١٧).

(٢) المرجع نفسه، ص (١٨٣).

وأرسل أحد مريديه إلى بلاد بنكاله وأعطاه نعله المباركة (!!) فقضى بها الحوائج وشفى بها المرضى[1].

أما ابنه محمد المعصوم كان يوصف بين مريديه؛ بالقيوم والغوث الذي يستغيث به الناس.

سقط أحد مريديه عن فرسه في الصحراء، فقال: "فاستغثت بحضرة القيوم، فحضر بنفسه وأنقذني".

وأشرف أحد أتباعه على الغرق فاستغاث به فحضر وأنقذه.

واستغاث به آخر في سفينة كادت تغرق فمد الشيخ يده وهو في منزله وبين أصحابه فانتشلها، ورأى أصحابه أن كمه صارت مبللة بعد أن مدها في الهواء.

وجاء سيل عظيم على قرية ففزع أهلها إليه فخرج وجلس في مكان طغيان الماء. وقال للماء: إن كان لك قوة فاحملني. فتراجع السيل[2].

ومن أنجاله عبيدالله بن محمد المعصوم؛ تعرض لأحد أحبابه ثعبان عظيم فاستغاث به فرآه قد حضر عنده وقتل ذلك الثعبان[3].

وأتت امرأة إلى نور محمد البدواني فقالت: يا سيدي إن الجن قد اختطفت ابنتي وقد عملت لردها أعمالاً كثيرة فما نفعت فأغثني. ففكر ساعة ثم قال: تجيء ابنتك في الوقت الفلاني. فجاءت في ذلك الوقت. فسألوها عن ذلك فقالت: كنت في الصحراء فإذا أنا بشيخ أخذ بيدي وأوصلني إلى هنا[4].

وكان لعبدالله الدهلوي سقاء مرض مرضاً شديداً حتى قارب النزع، فحمله أحد أصدقائه وأتى به إليه وقت السَحَر فتوجه إليه فشفي[5].

---

(١) المرجع السابق، ص (١٩١).

(٢) انظر ما ذكر عن المعصوم في ترجمته في الأنوار القدسية، ص (١٩٥).

(٣) الأنوار القدسية، ص (١٩٩)

(٤) المرجع نفسه، ص (٢٠٢).

(٥) المرجع نفسه، ص (٢١٧).

وتمتلئ كتب المناقب بوصف مشايخهم (بغوث الأولياء، ومستغاث الطالبين، والغوث الأعظم، وملاذنا) إلى غيرها من العبارات التي توحي باستغاثة المريد بشيخه في هذه الطريقة. ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل حتى بعد وفاة الشيخ يتبرك بقبره ويستغاث به وعبارتهم في ذلك مشهورة (وقبره ظاهر يستغاث به).

المبحث الثالث

علاقة الطريقة النقشبندية بالدولة العثمانية

دخلت الطريقة النقشبندية إلى الدولة العثمانية في وقت متأخر نسبياً. ولعل ذلك عائد إلى تأخر نشأتها؛ إذ كان بهاء الدين نقشبند معاصراً لمراد الأول العثماني ﷺ؛ وللعلاقة القائمة بين النقشبنديين وتيمورلنك، فقد انتسب تيمور إلى بهاء الدين ووصل حد الاهتمام والرعاية لدرجة المصاهرة والقرابة، كما كان كثير من الأمراء التيموريين يرجعون لاستشارة الشيخ عبيدالله أحرار في الأمور والقضايا المهمة[1].

ومن هذا الباب رجح بعض الباحثين القول بأن:

النقشبنديون لم يمكنهم التعرف على العثمانيين إلا بعد موقعة أنقرة في عهد يلدريم الصاعقة؛ إذ كان جيش تيمور يضم مشايخ ومريدين من الطريقة النقشبندية. إلا أن هذه الطريقة بدأت تتغلغل في صفوف المجتمع العثماني منذ أواخر عهد السلطان محمد الفاتح ﷺ، بتشجيع من السلطان العثماني بسبب الخطر الشيعي الذي اشتد على الدولة العثمانية، حيث سعت الدولة إلى الوقوف وبشدة أمام هذا الخطر الذي يهدف إلى تقسيم الأناضول. فكان من الوسائل التي اتخذوها، تدعيم قوة مشايخ الطرق غير الشيعية ليكونوا بمثابة الدرع الواقي من الخطر الشيعي.

وقد ورد في موسوعة اسطنبول:

"أن السلطان محمد الفاتح ﷺ اهتم بالنقشبنديين الذين كانوا يومئذ خارج مملكته، وتولى حمايتهم، وقام بدعوة بعض مشاهيرهم أمثال عبدالرحمن الجامي، وعبيدالله أحرار، ليتمكن بذلك من الوقوف أمام تهديدات

---

(1) Osmanlilarda devlet – Tekke., p, (40-41).

الشيعة الإيرانيين"[1].

وتضيف بعض المصادر أن السلطان محمد الفاتح ﷺ ذهب حتى سمرقند لينتسب بالشيخ عبدالله الإلهي وعبيدالله أحرار. وأن المكاتبات والمراسلات دارت بشكل سري بين السلطان والأحرار. وقويت العلاقة بينهما لدرجة طلب المساعدة المتبادلة بين الاثنين[2].

أما عبدالرحمن الجامي فقد دعاه الفاتح إلى زيارة إستانبول، ولما لم يتمكن أرسل له رسالة يطلب منه أن يكون ممثلاً للطريقة في الدولة العثمانية وذلك لما اشتهر عنه من شدته ضد الشيعة. وقد ألف الجامي للسلطان رسالة أسماها (رسالة الوجود) عن عقيدة وحدة الوجود إلا أن السلطان توفي قبل أن تصل إليه الرسالة وفي عهد بايزيد بن الفاتح ﷺ:

وجه له السلطان دعوة أخرى لزيارة إستانبول إلا أن انتشار مرض الطاعون آنذاك حال دون ذلك. غير أنه ألف كتاباً أسماه (سلسلة الذهب) باسم السلطان. كما كانت الدولة العثمانية ترسل له كل عام ألف عملة ذهبية. هذا إلى جانب إرسال خمسة آلاف أقجة[3] عثمانية لمشايخ التكية النقشبندية الموجودة في بخارى[4].

ومع ما ذكر فإن الوجود الفعلي للطريقة كان في عهد بايزيد بن الفاتح ﷺ على يد (عبدالله الإلهي) أحد خلفاء عبيدالله أحرار ولد في سيماونة

---

(١) الطريقة النقشبندية بين ماضيها وحاضرها، ص (٣٠).

(2) Osmanlilarda, p, (41).

(٣) الأقجة: كلمة مغولية الأصل تعني القطعة البيضاء، تعد من أقدم الفئات النقدية العثمانية، أول من سكها علاء الدين أخو السلطان أورخان وكانت تساوي (٣/١) درهم فضية،تعرضت للعديد من التغيرات حسب الظروف الاقتصادية وقد قدرت أجزاؤها بأربعين جزءاً يسمى واحدها (قرش).
انظر: تاريخ مؤسسة شيوخ الإسلام (٤٢٧/١) هـ (٨).

(٤) المرجع السابق، ص (٤٠، ٤٥).

من ولاية كرميان ببلاد الأناضول قال عنه صاحب الشقائق النعمانية:

"وحصّل عنده - أي عند الأحرار - الطريقة، وتشرف بتلقين الشيخ ثم ذهب بإشارة منه إلى بخارى واعتكف عند قبر بهاء الدين وتربى من روحانيته (!!) ثم عاد إلى سمرقند وصحب عبيدالله أحرار مرة أخرى ثم أشار إليه بالذهاب إلى بلاد الروم فمر في طريقه بهرات وصحب عبدالرحمن الجامي ثم وصل إلى الروم سكن في (سماو) ونشر الطريقة حتى اشتهر حاله في الآفاق وبلغ صيته مدينة القسطنطينية، فانتقل إليها بعد وفاة محمد الفاتح ﷺ فاجتمع عليه الأكابر والأعيان حتى مال إلى الإرتحال.

فاستدعاه الأمير أحمد بك الأورنوسي وكان من محبيه إلى ولاية روم ايلي المسمى (بوارطار يكيجة سي) فقبل واجتمع عليه الطلاب وظل بها إلى أن مات سنة (٨٩٦هـ) ودفن هناك"[١].

يشير هذا النص إشارة مهمة إلى نشاطه في الدعوة إلى هذه الطريقة وكثرة أسفاره وترحاله بعد أن يهيء للطريقة قدماً راسخة في الموضع الذي يحل فيه وبعدها يستخلف فيها من يقوم مقامه على أن يرحل هو إلى موطن آخر مستغلاً ذيوع صيته بين العامة، وجهلهم بحقيقة الدعوة التي ينشرها.

أما الشخص الثاني الذي ساعد على انتشار النقشبندية في الأناضول هو أحمد البخاري، وهو زميل ورفيق لعبدالله الإلهي قدم معه إلى طاشقند، وتلقى معه النسبة من عبيدالله أحرار، لكن يبدو أن الأحرار قد أخضعه لأوامر الإلهي حينما وجههما لنشر الطريقة. فلما عزم الإلهي على السفر إلى المناطق الغربية من الدولة العثمانية لنشر الطريقة استخلفه في اسطنبول وظل ملازماً له إلى أن توفي الإلهي فقام مقامه في الإرشاد.

أمر السلطان بايزيد الثاني ﷺ ببناء تكية له باسمه جوار جامع الفاتح،

(١) الشقائق النعمانية، ص (١٥٢).

ولما ضاقت بعدد المريدين أمر السلطان بإنشاء مسجد وعدة غرف ملحقة بالتكية.

ثم تبعتها تكية ثانية بالقرب من إيوان سراي عام (٩١٢هـ). ثم أعقبها بزاوية خارج أدرنه قابي[1]. هذه التكايا الثلاث تعرف باسمه وقد أدت دوراً كبيراً في نشر الطريقة عيَّن أحمد البخاري خلفاء له يقومون مقامه، ففي منطقة ايكرى وما حولها عين الخليفة الحامدي[2]، وفي بورصة وما حولها عيَّن لمعي جلبي[3]. وفي تكية أدرنة عين صهره محمود جلبي[4].

توفي أحمد البخاري عام (٩٢٢هـ) عن عمر يناهز الثالثة والسبعين ودفن قرب تكيته وقبره يزار ويتبرك به (!!!).

وقد ترك البخاري وراءه مريدين كُثر اشتغل قسم منهم بالتدريس والتأليف، وجلس آخرون في مجالس الوعظ والإرشاد. وانصرف البعض إلى بناء التكايا لنشر الطريقة.

ومن خلفاء عبدالله الإلهي: مصلح الدين الطويل.

أصله من كرة النحاس من ولاية قسطموني، أخذ الطريقة من الإلهي وداوم على خدمته حتى توفي. كان صاحب نفوذ قوي في القصر العثماني لدرجة

---

(1) Osmanlilarda, p, (53-55).

(٢) هو بيري خليفة حامدي، أرسله أمير البخاري إلى الأناضول للإرشاد فذهب إلى إسبارطه، سميت تكيته دار الشفاء، استمر بها إلى وفاته، اختلف في وفاته بين عام (٩٦٠-٩٦٢هـ).
انظر: دور الطريقة النقشبندية في نشر الدعوة الإسلامية في تركيا، رسالة ماجستير غير منشورة، أحمد بلاطه، ص (٦٧).

(٣) هو محمود بن عثمان بورصلي، أحد خلفاء أمير البخاري، تلقى علومه في إستانبول، ترجم كتب الجامي إلى اللغة التركية، له مؤلفات جمة حتى سمي (جامع روم) له علاقات جيدة مع السلاطين العثمانيين، أهدى للسطان سليم والقانوني بعضاً من مؤلفاته.
انظر عنه: رسالة أحمد بلاطه نقلا عن:
Ialhi, Abkullah, Ibrahim Efendi.nr, 420. Vr. Ib-16 la.

(٤) هو محمود جلبي الخليفة الأول في تكيته في منطقة الفاتح، أرشد بعد شيخه ستة عشر عاماً، أسس تكية جديدة في أدرنة توفي في إستانبول عام (٩٣٨هـ).
المرجع نفسه، ص (٦٥).

تجعل القصر يلبي كل مطالبه بشكل فوري. استطاع أن يحبب الطريقة إلى السلطان بايزيد الثاني رحمه الله.

كتب له رسالة يذكر فيها نبذاً عن أحوال العرش والكرسي، وفي آخرها تحدث عن ظلم تعرض له أهالي كرة النحاس فرفع السلطان ذلك[١].

بعد وفاة الإلهي اتجه إلى بورصة وظل بها إلى أن مات.

ومنهم أيضاً: عابد شلبي.

من نسل جلال الدين الرومي. لازم خدمة الإلهي، وحصل طريقة التصوف. بذل جهوداً في التأليف بين النقشبندية والمولوية. بنى مسجداً عند بيته وحجرات للمريدين، مات ودفن بمسجده[٢].

أسهم عبدالله الإلهي وخلفاؤه هؤلاء في تقوية النقشبندية في بلاد الأناضول بمباركة السلاطين العثمانيين فانتشرت وكثر أتباعها وبرز من بينهم مشايخ ذوو نفوذ و تأثير، من هؤلاء بابا نعمة الله بن محمود النخجواني، ولد وتعلم في تبريز، اشتهر بمؤلفاته التي كتبها لترغيب الناس في الطريقة منها:

الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية وهو تفسير في التصوف، وله حاشية على تفسير البيضاوي، وحاشية على فصوص الحكم، وكتاب عن وحدة الوجود اسمه رسالة. له خطوات مهمة في نشر الطريقة. سكن مدينة آق شهر توفي سنة (٩٢٠هـ)[٣].

الطريقة في عهد سليمان القانوني رحمه الله:

زاد نشاط الطريقة في هذا العهد بسبب الدعم المقدم لهم من السلطان الذي كان يهدف إلى الإفادة منهم ضد نشاط وفاعلية الشيعة.

---

(١) الشقائق النعمانية، ص (٢١٧-٢١٨).

(٢) المرجع نفسه، ص (٢١٨).

(3) Osmanlilarda, p, (58).

ومن أبرز المشايخ آنذاك حيدر بابا خدم عبيدالله أحرار وهو صغير ثم صحب أصحابه ثم أتى بلاد الروم واعتقده أهلها. بنى له السلطان مسجداً في القسطنطينية توطن بجواره حتى وفاته عام (٩٥٧هـ)[1].

كما اتخذ القانوني ﷺ لولده معلماً من مشايخ النقشبندية يدعى مصلح الدين مصطفى أفندي ولكن بعد مقتل الأمير مصطفى قرر الشيخ العزلة والخلوة. اشتهر بأشعاره الصوفية، وله شروح لبعض المؤلفات توفي عام (٩٦٩هـ).

ومن إحسانه إلى مشايخهم عفوه عن الشيخ عبدالرحمن أفندي الذي كان معلماً للأمير أورخان بن بايزيد الثاني هرب بعد مقتله حتى عفى عنه القانوني ﷺ وعينه قاضياً على قافلة للحج، توفي عام (٩٧٤هـ).

وفي عام (٩٨٠هـ) دعا السلطان أبا سعيد بن صنع الله أفندي إلى إستانبول ووظفه بتلقين الطريقة للشعب.

وفي عهده استطاع الوزير رستم باشا استصدار فرمان من السلطان بهدم موقع (طام فيلي) وأمر ببناء مسجد وزاوية للطريقة، ثم ازداد توسع تلك الزاوية بجهود الشيخ محمود أفندي الذي كان له تأثير كبير على الوزير لدرجة أن جعله الوزير أباً معنوياً له وأطلق عليه لقب (بابا أفندي)[2].

أما في عهد السلطان مراد الرابع[3] ﷺ فقد اشتهر الشيخ محمود الأورومي. ولد في أوروميا، وبها نشأ إلى أن استولى عليها الصفويون فهاجر إلى ديار بكر[4] وأنشأ تكيته فيها وبدأ بالإرشاد، التف حوله عدد كبير من المريدين.

---

(١) الشقائق النعمانية، ص (٣١٩).

(2) Osmanlilarda, p, (55-57).

(٣) السلطان مراد الرابع، وهو السلطان العثماني (السابع عشر) تولى حكم السلطنة خلال الفترة (١٠٣٢-١٠٤٩هـ) منع في عهده شرب القهوة والخمر والتبغ، أعدم كل مخالف لقوانين الدولة، اشتهر بحملته على بغداد، توفي في استانبول عام (١٠٤٩هـ).
انظر: معجم الأنساب (٢٣٩/٢)، تاريخ يلماز (٤٦٨/١).

(٤) ديار بكر: هي ولاية كبيرة من الولايات التركية وتقع في الجنوب الشرقي من تركيا في شمال سوريا. انظر: تاريخ الدولة العثمانية، محمد فريد بك، ص (٦٦).

اهتم به السلطان وقربه. سافر إلى حلب لتقديم الهدايا للسلطان وهو في طريقه إلى بغداد إلا أن السلطان بعد عودته من بغداد غضب منه وأعدمه في عام (١٠٤٨هـ)"[١].

استمر مشايخ الطريقة في التعاقب على الزوايا النقشبندية والدعوة إلى الطريقة بين رعايا الدولة العثمانية. ومع ما سبق فإن هذه الطريقة لم يكن لها نشاط سياسي على ساحة الدولة العثمانية. حتى دخلت تحت اسم المجددية إلى إسطنبول بدلالة رجل مشلول الساقين اسمه مراد بن علي بن داود الأزبكي؛ كان من خلفاء معصوم الفاروقي. وعلى الرغم من إعاقته منذ الطفولة فقد قام برحلات طويلة طاف فيها أهم العواصم الإسلامية. أسس له تكية على ضفاف الخليج بإسطنبول كانت بمثابة منبع أو بداية للطريقة المجددية في الدولة العثمانية. مات في إسطنبول عام (١٧٢٠م/ ١١٣٢-١١٣٣)[٢].

*** الخالدية:**

اشتهر خالد البغدادي بعد عودته من الهند بصورة غير معهودة، وذهب صيته إلى أقصى بقاع الدولة العثمانية مما أثار الشكوك حوله في نفس الخليفة العثماني محمود الثاني؛ لأن أتباع خالد البغدادي كانوا يسعون بحماس شديد لنشر طريقتهم في جميع أنحاء الدولة العثمانية، حتى مدينة إسطنبول عاصمة الدولة.

ذكر أحد المؤرخين العثمانين ما تعريبه:

"منذ خمسة أشهر مضت، ورد إلى إسطنبول بعض خلفاء الشيخ خالد المتوطن في الشام، وانتشروا في مساجد إسطنبول وجوامعها، وبثوا الدعوة إلى طريقتهم، فانتسب إليهم جماعة من أكابر إسطنبول وعلمائها، ونالوا شهرة في بلاد العرب والترك وصاروا يسمون دعاتهم الخلفاء؛ فأذاعوا هذه الطريقة، وسعوا سعياً حثيثاً في ترويجها وكسب المريدين لها.

---

(١) دور الطريقة النقشبندية، ص (٦٩).

(٢) المرجع السابق، ص (٣١).

وهي وإن كانت لا ضرر منها في الظاهر، فالأولى ألا يـترك المجـال لتكـثير سواد الصوفية و إقرارهم على هذا. والواجب يقتضي مراعاة الأحوال الموجودة والمعهودة في الإسلام.

وعلى هذا نُفي من إسطنبول مشاهير الطريقة وأعوانهم في ٢١/ رمضان/ سنة (١٢٣٤هـ) ليلاً. إلى سيواس.

وفي اليوم التالي نفي من مشاهيرهم علي أفندي أُرْكُبِي إلى مدينـة أنقـرة. وصالح أفندي، و أحمد أفندي إلى سيواس. ثم أُرسل خليفة الشيخ خالد وأعوانه إلى أنحاء السليمانية على ألا يعودوا إلى إسطنبول[1].

هذه التطورات دفعت بالسلطان محمـود الثـاني ﷺ إلى إصـدار الأوامـر بالبحث والتحقيق مع خالد البغدادي فقام بهذه المهمـة والـي بغـداد داود باشـا وأعرب في التقرير الذي أعده "أن خالداً لا قصد له إلا إحياء السنة السنية، وأنه مشغول بإرشاد مريديه، غير ساع بذلك إلى تحقيق أي مصلحة له. وأنه بعيد كـل البعد عن الشؤون السياسية" وتعهد الوالي في آخر التقرير "أن خالداً لن يتـدخل في أي شيء من شؤون الدولة أبداً"[2].

بعد أن أطمأنت الدولة إلى ولاء خالد للسلطنة أرادت الاستفادة منه في مواجهة المخاطر المحدقة بالسلطنة داخلياً وخارجياً. فمن مصلحة الدولـة في ظـل هـذه الظـروف اسـتغلال نفـوذه وتجنيـد أتباعـه المنتشـرين في أنحـاء الدولـة، واستخدامهم بجانب قوات الدولة.

لهذا لم تدخر السلطة وسعاً في تأييد خالد، والدعاية له، والقيام بنشر صيته سراً وعلناً؛ وذلك لكسب تأييده بمقابلة المثل في إخماد الثورات التي انفجـرت في

---

(١) الطريقة النقشبندية نقلاً عن: تاريخ لطفي (٢٨٧/١). مكتبة السليمانية، خزانة الحاج محمود أفندي رقم (٤٧٥٥).

(٢) المرجع السابق، ص (٢٥١).

المناطق الكردية والعربية يومئذ؛ ولتوفير الأمن والهدوء في ربوع البلاد.

هذا الموقف الذي قامت على أساسه العلاقات بين السلطة العثمانية وبين خالد البغدادي، يعتبر العامل الأساسي لانتشار الطريقة في صفوف الترك والأكراد عبر المرحلة الأخيرة من العهد العثماني.

بعد موت خالد البغدادي حظيت الأسرة الخانية بشهرة بالغة بسبب حلول خليفته محمد بن عبدالله الخاني محله. كان محمد الخاني ناجحاً في قيادة أتباع خالد. مارس سياسة حكيمة معهم. لذلك استمرت الطريقة في نشاطها وحيويتها على الرغم من المشاكل التي تحيط بالدولة آنذاك.

وقد استطاع ولاة السلطة العثمانية على المنطقة الشامية الاستفادة من شهرته في ضبط الرعية، وتوفير الأمن في المنطقة؛ لأنه كان نافذ الكلمة. وفي مقابلة هذا، كانوا يبالغون في إجلاله مما زاد في نفوذه وجاهه.

يضاف إلى ذلك ما كان يلاقيه من دعم مادي قوامه ألف وخمسمائة ليرة ذهبية من خزانة الدولة سنوياً. وذلك بواسطة والي سوريا موسى صفوتي باشا الذي سافر معه حاجاً ورئيساً لجماهير حجاج الأتراك عام (١٨٤٦م/ ١٢٦٢هـ). وعندما زار الخاني إسطنبول عام (١٨٥٣م/ ١٢٦٩-١٢٧٠هـ) استقبله جمع من أركان الدولة استقبالاً فخماً، وأقام الخاني في قصر موسى صفوتي باشا أربعة أشهر ضيفاً معظماً عنده.

مات محمد الخاني عام (١٨٦٢م/ ١٢٧٨-١٢٧٩هـ) وما تزال الطريقة تحتفظ بقوتها وشهرتها. ثم خلفه من بعده ابنه محمد ومن بعده حفيده عبدالمجيد إلا أن الطريقة في عهدهما قد خسرت الكثير من شهرتها بسبب ما يحدث آنذاك من حركات فكرية وعقدية و سياسية باسم اليقظة والوعي والنهضة الحديثة. وقد أدى ذلك إلى اختفاء الطريقة من الساحة الشامية، إلا في بعض البقاع الشمالية الآهلة بالأكراد. وانحصرت نشاطات الطريقة في نطاق الساحة التي يسكنها

الأتراك والأكراد فحسب. وهي الأراضي التركية في الوقت الحاضر ويعود الفضل في نجاح هذه الطريقة في الأراضي التركية إلى شيوخ الطريقة؛ إذ كانوا يبذلون جهوداً بالغة في نشر هذه الطريقة وقد تميز من هؤلاء رجلان نتيجة سعيهما المتواصل ودعاياتهما المغرية وأسلوبهما في التعامل مع الناس.

أحدهما: الشيخ طه بن أحمد بن صالح النهري الهكاري الكيلاني.

من خلفاء خالد البغدادي، امتاز بتسليط هيبته على الناس، والتمكن منهم، والمعرفة بطرق تسخيرهم؛ لذا فقد كان ولاة المنطقة وأعيانها ينظرون إليه بعين التوقير والإجلال لما رأوا طاعة جميع العشائر الكردية له. وقد أكسبه ذلك قوة سياسية في المنطقة إلى جانب مركزه المرموق عند السلطان العثماني. وقد كان في ذات الوقت يمثل أكبر جماعة من النقشبنديين في المنطقة الكردية الشمالية من الدولة العثمانية.

خلفه على الطريقة ابنه عبيدالله إلا أنه لم يكن كوالده فجانب الحكمة في تعامله مع السلطة العثمانية؛ حيث عارض سياسة السلطان عبدالحميد الثاني رحمه الله ضد موقفه المتهاون من الأكراد. كما لجأ إلى استخدام العنف ضد العشيرة المسيحية الآشورية بسبب رفضها اعتناق الإسلام، فدهمهم بجيش قوامه عشرون ألفاً، ثم دخل الأراضي الإيرانية زحفاً يتحدى بذلك السلطتين الإيرانية والعثمانية، فدهمته القوات العثمانية، فألقى القبض عليه وعلى ابنه عبدالقادر عام (١٨٨١م/ ١٢٩٨هـ). فصدر الفرمان السلطاني بنفيهما إلى مكة. فمات عبيدالله في منفاه بعد أن قضى هناك سبع سنين. وذلك عام (١٨٨٨م/ ١٣٠٥-١٣٠٦هـ).

ثم خلفه بعد ذلك ابنه عبدالقادر، كان من أعضاء مجلس الأعيان في البرلمان العثماني، قام بتأسيس جمعية كردية عام (١٩٠٨م/ ١٣٢٦هـ) مقرها إسطنبول ولها عدة فروع في المنطقة الكردية، كما تقلد منصب رياسة مجلس

الشـورى في حكومـة دامـاد فريـد باشـا، عـامي (١٩١٩-١٩٢٠م) (١٣٣٧-١٣٣٨هـ/ ١٣٣٨-١٣٣٩هـ) من عهد السلطان وحيدالدين.

ثبتت علاقته بعدة ثورات قامت ضد السلطة العثمانية كان هـدفها إقامـة دولة كردية جنـوب شـرق المملكـة العثمانيـة. فاعتقـل هـو وابنـه محمـد بتهمـة اشتراكهما مع الثوار الأكراد النقشبنديين. ثـم نفـذ حكـم الإعـدام فيهمـا عـام (١٩٢٥م/ ١٣٤٣-١٣٤٤هـ) بمدينة ديار بكر.

ورغم حصول هذه النكبات على مشايخ الطريقة إلا أنها لم تهتز في قلوب الأتباع والمريدين والسبب في ذلك جهود أسـرتين مـن أتبـاع الشـيخ طـه وهمـا الأسرة الأرواسية والأسرة الكفروية في نشر الطريقة النقشبندية وقد وقع بينهمـا تنافر وصراع بسبب المنافسة على استغلال شهرة الشيخ طه، واشتد الصراع حتى وصل إلى حدود السخرية والسب والتكفير.

والغريب أن تلك التطورات لم تُجْدِ بأي سلبية على الطريقـة، ولم تخفـف شيئاً من سرعة انتشارها ورسوخها. وهكذا سادت العقائد النقشبندية وترسخت في نفوس الأكراد بالمنطقة الشرقية.

وثانيهما: أحمد ضياء الدين الكُمُوشْخَانَوي.

من الطبقة الثانية بعد خالد البغدادي. صحب الشيخ عبـدالفتاح العقـريّ أحد خلفاء خالد الذي أقام في إسطنبول لنشر الطريقة. والتقى بالشيخ أحمد بـن سليمان الأروادي في إسطنبول وهو من خلفاء خالد أيضاً أجاز الكموشـخانوي بالخلافة غلبت جهوده في نشر الطريقة على غيره من المشايخ؛ لأنه كان أعلمهـم باللغة العربية وأنجحهم في التعامل والتفاهم مع خاصة المجتمع. كان نافذ الكلمة عند رجال الدولة والسياسة في عهد السلطان عبدالحميد الثاني.

له تصـنيفات في الحـديث والتصـوف والأخـلاق. تـوفي عـام (١٨٩٣م/ ١٣١٠-١٣١١هـ). والدولة العثمانية مغلوبة على أمرها حتى انـدلعت الحـرب

العالمية الأولى. فحصدت ما لا يحصى من الأرواح.

ومن مشاهير شيوخ الطريقة في المنطقة الغربية أيضاً في أواخر الحكم العثماني الشيخ أسعد الأربلي. حظي بشهرة واسعة في إسطنبول. نفاه السلطان عبدالحميد الثاني ﷺ إلى موطنه الأول إربل شمال العراق؛ لمعارضته سياسته وتطاوله على شخصية السلطان. كما كان موالياً لجمعية شبان الأتراك التي شنت حرباً ضارية على السلطان عبدالحميد ﷺ وسياسته.

أقام في منفاه عشر سنين ثم أفرج عنه عام (١٩١٤م/ ١٣٣٢هـ). فباع جميع أملاكه في إربل واشترى بثمنها قصراً في إسطنبول. ثم صار من أعضاء مجلس مشايخ الصوفية وتولى رئاسته، ثم استقال من وظيفته عام (١٩١٥م/ ١٣٣٣هـ).

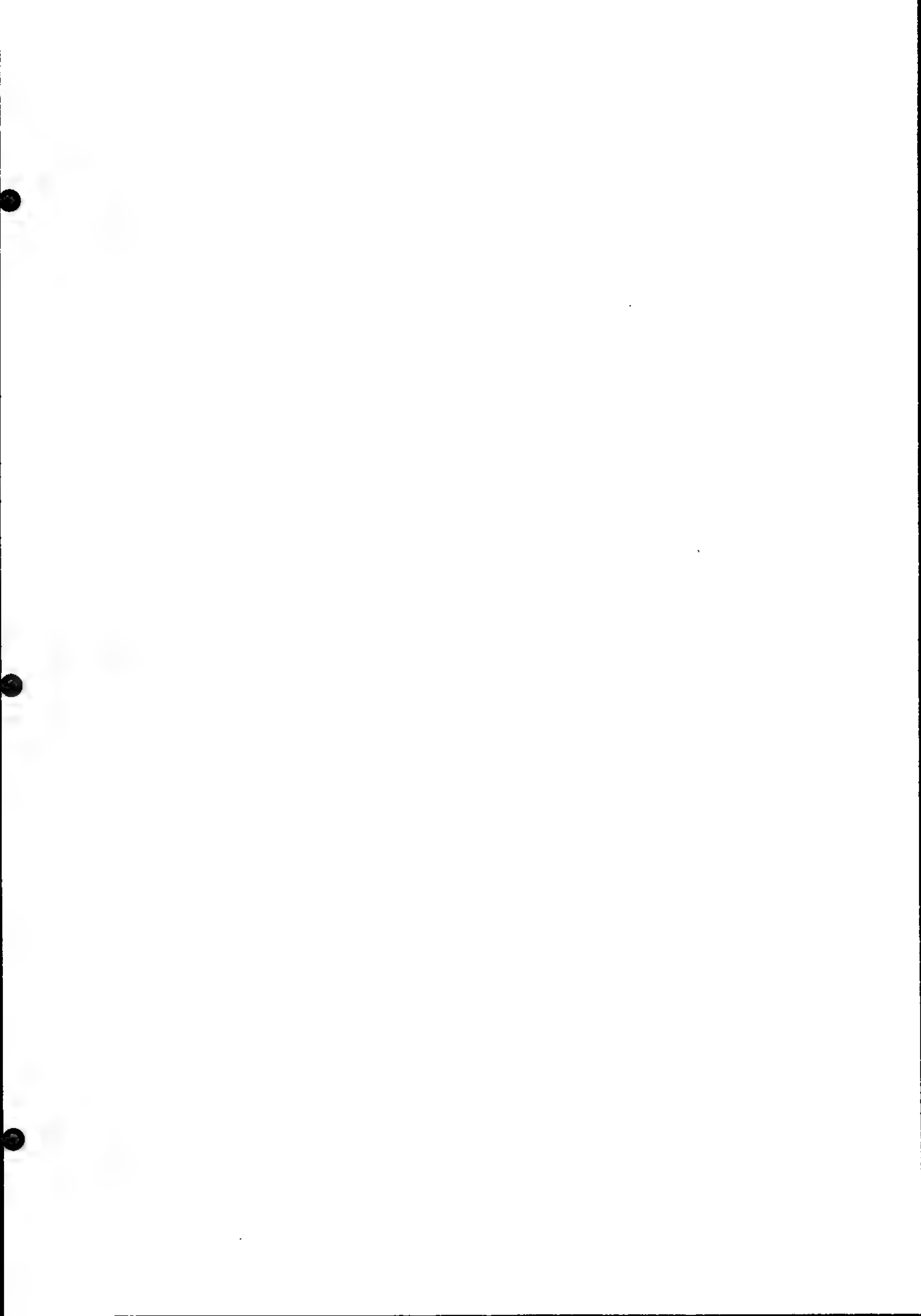
استخلف الشيخ أسعد شخصاً اسمه يكتا أفندي، يرجع إليه أتباعه في الوعظ والاستفتاء، وقد زكّاه الأربلي في عدد من رسائله إلى مريديه. إلا أن من اشتهر بالنيابة عنه محمود سامي رمضان أوغلو. وقد أجازه الأربلي بالخلافة.

قام خليفته ببذل جهود في سبيل تحسين سمعة شيخه لدى الناس الذين كانوا يبغضونه بسبب معارضته للسلطان عبدالحميد ﷺ.

وما زالت الطريقة تواصل مسيرها وانتشارها في تركيا بكل نشاط وحيوية في العهد الجمهوري وإلى الوقت الحاضر[1].

---

(١) انظر هذه الأحداث في الطريقة النقشبندية، ص (٢٧٩-٢٩٤) باختصار.



الباب الثاني

آثار التصوف في تركيا إبان العصر العثماني

وفيه خمسة فصول:

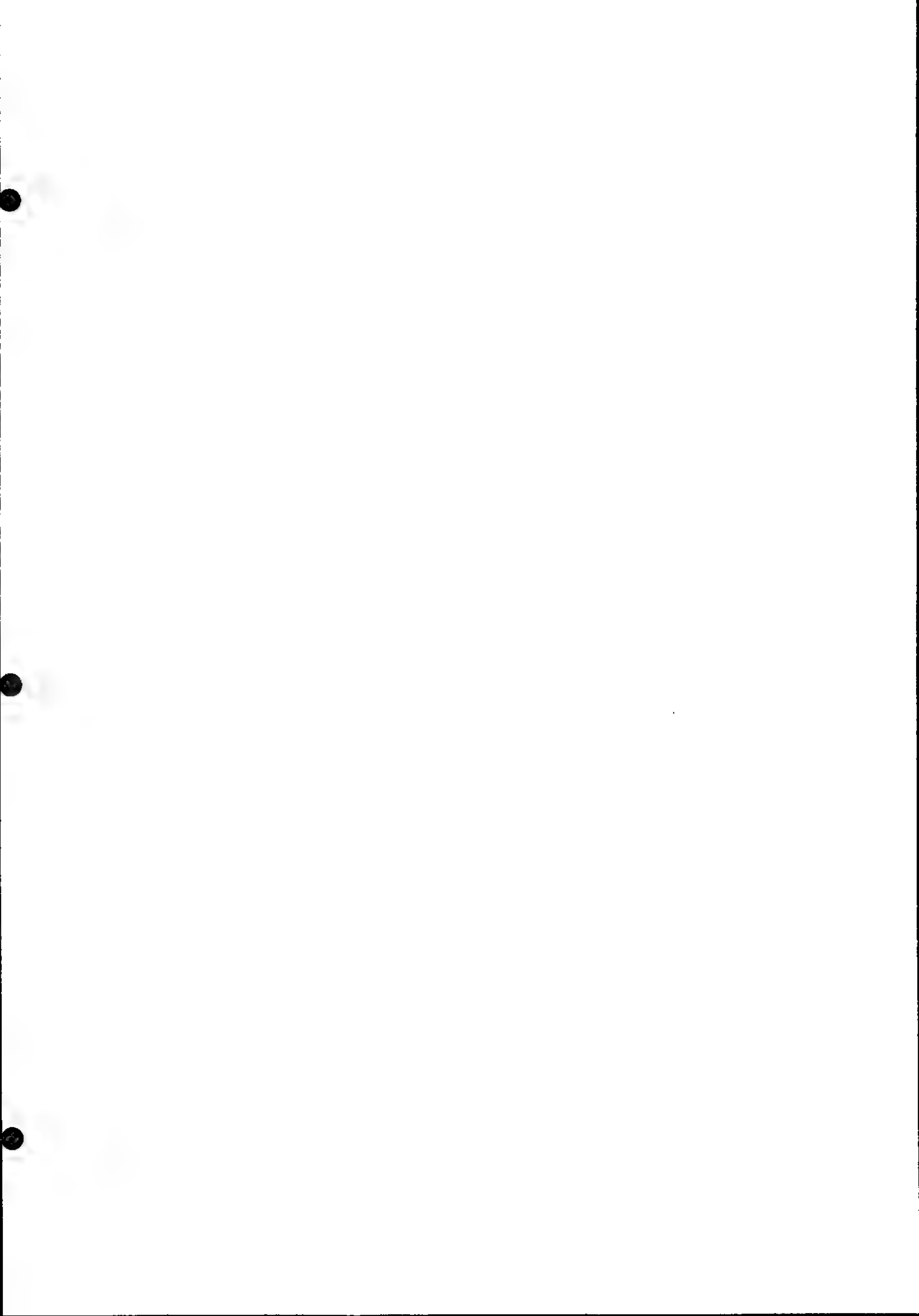
الفصل الأول: الآثار العقدية والشرعية.

الفصل الثاني: الآثار العلمية.

الفصل الثالث: الآثار الاقتصادية.

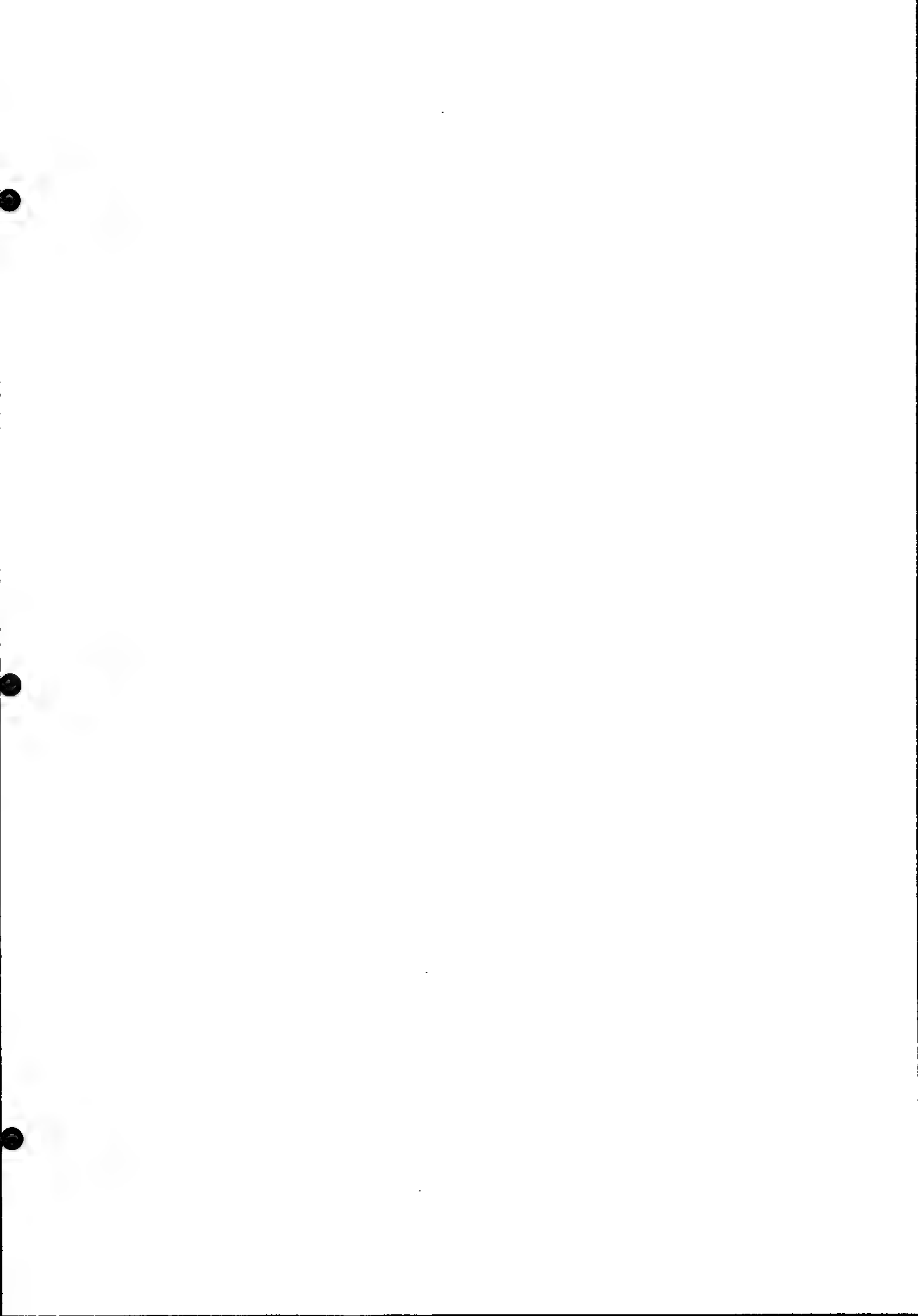
الفصل الرابع: الآثار الاجتماعية.

الفصل الخامس: الأثر السياسي.



الفصل الأول

الآثار العقدية والشرعية



الآثار العقدية والشرعية

اتسعت دائرة الطرق الصوفية في جميع أنحاء الدولة العثمانية مستندة على حب السلاطين لها وتشجيعهم إياها. وقد خلف هذا الانتشار والنفوذ آثاراً عميقة في جسد الدولة العثمانية.

ومن أهم هذه الآثار: الآثار العقدية والشرعية؛ إذ هما البوابة الرئيسة لكل انحراف، ذلك أن من سار على هدي كتاب الله تعالى وسنة النبي ﷺ لا يمكن أن يضل أو يشقى، وأما من خالف وانتكس أعقبه الله تعالى وبالاً في جميع أموره العلمية والاقتصادية والاجتماعية .. إلخ

ولما كانت الصوفية في نهجها انحرافًا عن منهج الله تعالى وسنة نبيه ﷺ تعددت الآثار العقدية لهذا الانحراف ومن أهمها:

أ- إشاعة فكر وحدة الوجود:

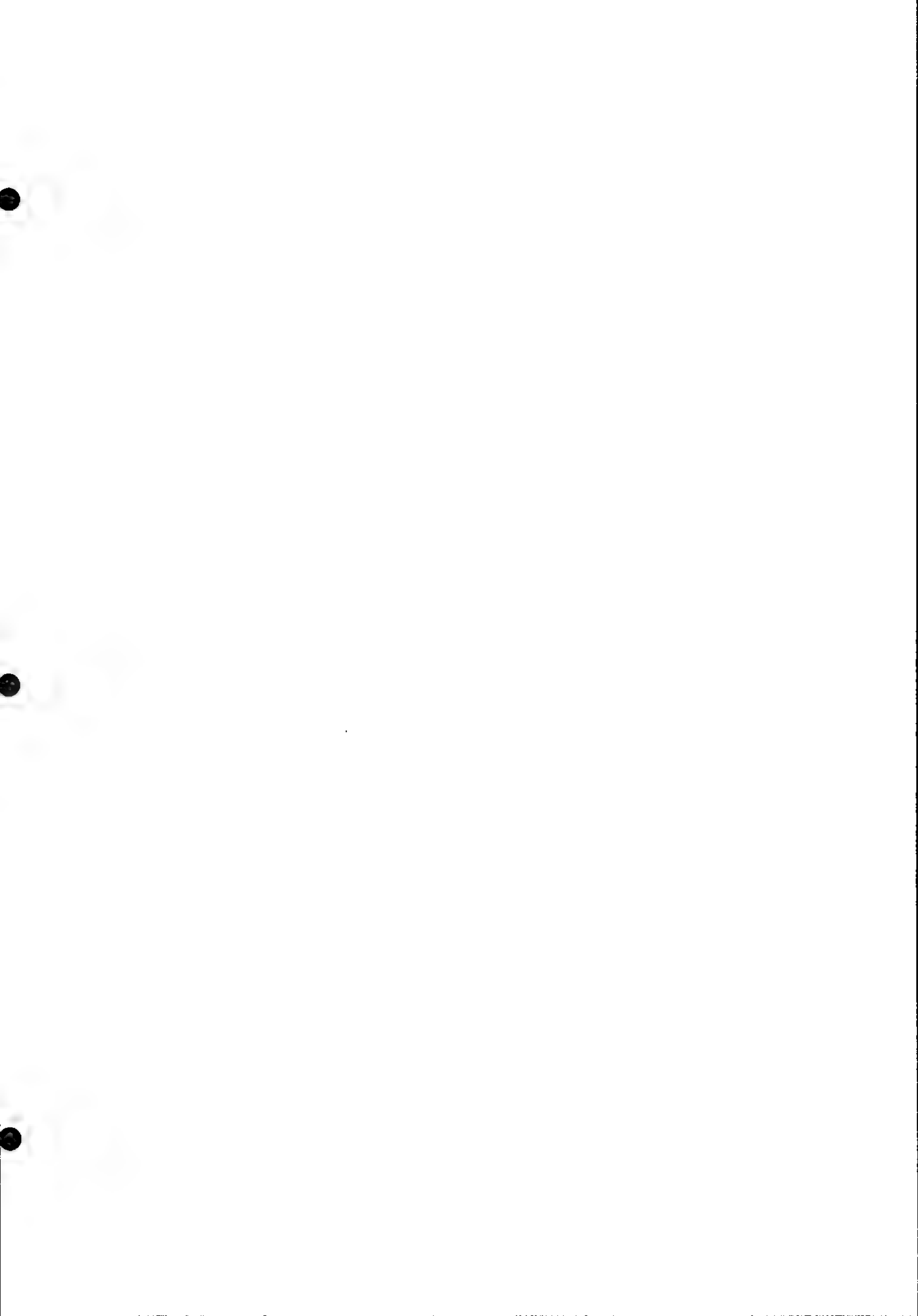
اعتنقت الطرق الصوفية في تلك الديار عقيدة وحدة الوجود وفيما تقدم من البحث تبين اعتقاد الطرق ذائعة الصيت بهذه العقيدة مما يغني عن التكرار.

"ففي المجتمع العثماني لم تتخذ أي جبهة ضد فكر وحدة الوجود؛ نظراً لأن جلال الدين الرومي كان من المنادين بها؛ بل إن أول شيخ للإسلام عند العثمانين المولى محمد الفناري كان يؤمن بنفس الفكر، لذا كانت فكرة وحدة الوجود تأخذ جبهة قوية في الدولة العثمانية حتى إنها قامت بعزل شيخ الإسلام جيوي زاده محمد أفندي عندما خرج ضد هذا الفكر واتخذ جبهة ضد الرومي وابن عربي. ففكر ابن عربي كان موجوداً؛ نظراً لتبني الطرق الصوفية هذا الفكر فاستمرار الطرق يعني استمرار هذا الفكر"[1].

فكيف يكون الحال إذا أيدها العلماء وناصرها الرؤساء؟! وهكذا عمت

---

(1) Osmanli, p, (216).



هذه العقيدة وطمت ولم يكن الحال في الأناضول رمزاً وتلميحاً، بل كان إعلاناً وتصريحاً.

تذكر د/ هدى درويش.

"أن معتنقي الطرق الصوفية تأثروا بنظرية وحدة الوجود واعتنقوها، خاصة وحدة الوجود عند محي الدين بن عربي، وقد كتبت شروح ومناقب وكرامات في حق محي الدين باللغات العربية والفارسية والتركية"[1].

ومن فهم حقيقة اعتقادهم حكم بكفر من اعتقد هذه العقيدة عالماً بها. ذلك أن المراد من هذه العقيدة: "أن الله سبحانه وتعالى حقيقة كل موجود". تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

ولهذا فرّعوا على هذه المقالة الملعونة فروعاً كفرية منها:

تصويب عبدة الأوثان، ومنها تخطئة الأنبياء في الإنكار عليهم. ومنها عدم صحة لا إله إلا الله؛ لأن الاستثناء يستلزم التعدد ولا تعدد"[2].

ويبين شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله حقيقة هذا المذهب فيقول:

"ومذهبهم الذي هم عليه أن الوجود واحد ويسمون أهل وحدة الوجود، ويدعون التحقيق والعرفان، وهم يجعلون وجود الخالق عين وجود المخلوقات.

حتى قال: إن كفرهم أعظم من كفر اليهود والنصارى.. فإنهم من جنس القرامطة[3]

(١) دور التصوف في انتشار الإسلام، ص (١٠٠).

(٢) الصوارم الحداد، ص (١٠٩).

(٣) القرامطة: هي حركة إسماعيلية تنسب إلى رجل من الكوفة يقال له: حمدان بن قرمط. أسسوا لهم دولة في البحرين بقيادة أبي سعيد الجنابي، أكثروا القتل والسلب في المسلمين، دخلوا مكة عام (٣١٧هـ)، فقتلوا الحجيج، ونزعوا الحجر الأسود ولم يردوه إلا في عام (٣٣٩هـ). ضعف أمرهم وانتهت دولتهم عام (٤٧٠هـ).

انظر: الفرق بين الفرق، ص (٢١٩)، البداية والنهاية (١١/١٦٠-١٦١)، دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين، ص (٢٨٨).

الباطنية[1] الإسماعيلية .. وإن قولهم يتضمن الكفر بجميع الكتب والرسل"[2].

ويوضح ذلك في موضع آخر فيقول:

"هؤلاء الملاحدة الذين يزعمون أنه عين وجود الكائنات أكفر من اليهود والنصارى من وجهين:

من جهة أن أولئك قالوا: إن الرب يتحد بعبده الذي قربه واصطفاه بعد أن لم يكونا متحدين، وهؤلاء يقولون ما زال العبد هو الرب وغيره من المخلوقات ليس غيره.

(والثاني) من جهة أن أولئك خصوا ذلك بمن عظموه كالمسيح، وهؤلاء جعلوا ذلك سارياً في الكلاب والخنازير والقذر والأوساخ. وإذا كان الله تعالى قال: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾[3]، فكيف بمن قال: إن الله هو الكفار، والمنافقون، والصبيان، والمجانين، والأنتان، وكل شيء.

وإذا كان الله قد رد قول اليهود والنصارى ﴿نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾[4] وقال لهم: ﴿قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ﴾[5] فكيف بمن يزعم أن اليهود والنصارى هم أعيان وجود الرب الخالق، ليسوا غيره ولا سواه، ولا

---

(١) الباطنية: لقب عام تنطوي تحته طوائف عديدة تلتقي جميعها في تأويل النصوص الظاهرة وإثبات معان باطنة لها، وتلجأ إلى الرموز والإشارات في تفسير النصوص وإخراجها عن معانيها الظاهرة، مستهدفين بذلك هدم الدين وإبطال شعائره وأحكامه العملية. لزمهم هذا اللقب لحكمهم بأن لكل ظاهر باطناً، ولكل تنزيل تأويلاً.
انظر: الفرق بين الفرق، ص (٢١٣-٢٣٣)، الملل والنحل (١٩٢/١)، دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين، ص (٢٦٥).

(٢) مجموع الفتاوى (١٢٤/٢-١٣٠).

(٣) سورة المائدة، جزء من آية: (١٧).

(٤) سورة المائدة، جزء من آية: (١٨).

(٥) سورة المائدة، جزء من آية: (١٨).

يتصور أن يعذب إلا نفسه، وإن كل ناطق في الكون فهو عين السامع، وإن الناكح عين المنكوح"[1].

ويتبين حقيقة المذهب يتبين أن الاشتغال بإبطال هذه المقالة لا يحتاج إليه من عرف سورة من كتاب الله تعالى؛ لأن القرآن كله مصرح بخلافها، فهذه فاتحة الكتاب قد اشتملت على أكثر من عشرة أدلة مبطلة لهذه المقالة؛ لأن الله قد أثبت فيها حامداً ومحموداً، ورباً ومربوباً، وراحماً ومرحوماً، ومالكاً ومملوكاً، وعابداً ومعبوداً، مستعيناً ومستعاناً به، وهادياً ومهدياً، ومنعِماً ومنعَماً عليه، وغاضباً ومغضوباً عليه، وضالاً ومضلاً له[2].

ولما تبين لعلماء الأمة الناصحين فساد هذا المذهب صدحوا بالحق وكفروا ابن عربي ومن قال بمقولته تلك.

وقال الإمام الذهبي رحمه الله في ترجمته لابن عربي:

"فإن الذكي إذا تأمل في تلك الأقوال والنظائر والأشباه، فهو أحد رجلين إما من الاتحادية في الباطن؛ وإما من المؤمنين بالله الذين يعدون أن أهل هذه النحلة من أكفر الكفرة"[3].

ومن هؤلاء شرف الدين عيسى الزواوي المالكي[4] رحمه الله قال عن مصنف ابن عربي الفصوص: "هذا ضد لما أنزله الله عزوجل في كتبه المنزلة، وضد أقوال الأنبياء المرسلة، فهو افتراء على الله، وافتراء على رسوله ﷺ" ثم قال: "وما تضمنه هذا التصنيف من الهذيان والكفر والبهتان، فكله تلبيس وضلال وتحريف وتبديل، ومن صدق بذلك أو اعتقد صحته، كان كافراً ملحداً صاداً عن سبيل الله، مخالفاً

---

(١) مجموع الفتاوى (١٧٢/٢-١٧٣).
(٢) الصوارم الحداد، ص (١١٢).
(٣) ميزان الاعتدال (٦٥٩/٣-٦٦٠).
(٤) هو عيسى بن مسعود بن المنصور الزواوي المالكي فقيه، عالم، إليه انتهت رياسة الفتوى في مذهب مالك بالديار الشامية والمصرية، توفي بالقاهرة عام (٧٤٣هـ).
انظر: الديباج المذهب، ص (١٨٢-١٨٤).

لملة رسول الله ﷺ، ملحداً في آيات الله، مبدلاً لكلمات الله، فإن أظهر ذلك وناظر عليه، كان كافراً يستتاب، فإن تاب وإلا قتل، و عجل الله بروحه إلى الهاوية، وإن أخفى ذلك وأسره كان زنديقاً، فيقتل متى ظهر عليه ولا تقبل توبته إن تاب "[١].

وعن مصنفاته يقول أبو زرعة أحمد بن الحافظ العراقي[٢] رحمه الله:

" لاشك في اشتمال الفصوص المشهورة على الكفر الصريح الذي لا يشك فيه، وكذلك فتوحاته المكية، فإن صح صدور ذلك عنه، واستمر عليه إلى وفاته، فهو كافر مخلد في النار بلا شك "[٣].

وقد عد الإمام برهان الدين البقاعي[٤] رحمه الله عدداً من أسماء العلماء الصادقين الذين قالوا بكفر ابن عربي وابن الفارض.

ثم قال: " فقد صارت نسبة العلماء له - أي لابن الفارض - إلى الكفر متواترة تواتراً معنوياً. وقد علم بهذا عذر من كفّره، لو لم يكن له سند غير هذا، فكيف وقد تأيد هذا بما في كلامه وكلام ابن عربي من الطامات التي منها منابذة العقل والشرع "[٥].

وقد حكم شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عليهم وعلى من انتسب إليهم بقوله:

---

(١) جزء فيه عقيدة ابن عربي وحياته وما قاله المؤرخون والعلماء فيه، تقي الدين الفاسي، ص (٣٦-٣٧).

(٢) هو أحمد بن عبدالرحيم بن الحسين، الإمام الحافظ، الفقيه، المصنف، من مصنفاته: تحرير الفتاوى، الحاوي، المنهاج. توفي عام (٨٢٦هـ).
انظر: طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (٧٦٢/٤)، شذرات الذهب (١٧٣/٧)، البدر الطالع (٧٢/١).

(٣) جزء فيه عقيدة ابن عربي، ص (٥٩-٦٠).

(٤) هو إبراهيم بن عمر بن حسن، برهان الدين البقاعي الشافعي، المحدث، المفسر، العلامة، المؤرخ، له تصانيف منها: المناسبات القرآنية، عنوان الزمان بتراجم الشيوخ والأقران. توفي عام (٨٨٥هـ).
انظر: الضوء اللامع (١٠١/١-١١١)، شذرات الذهب (٣٣٩/٧)، البدر الطالع (١٩/١).

(٥) تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي، ص (١٩١-١٩٥).

"رؤوسهم هم أئمة كفر يجب قتلهم، ولا تقبل توبة أحد منهم، إذا أخذ قبل التوبة، فإنه من أعظم الزنادقة، الذين يظهرون الإسلام، و يبطنون الكفر، وهم الذين يفهمون قولهم، ومخالفتهم لدين المسلمين، ويجب عقوبة كل من انتسب إليهم، أو ذب عنهم، أو أثنى عليهم، أو عظم كتبهم، أو عرف بمساعدتهم ومعاونتهم، أو كره الكلام فيهم، أو أخذ يعتذر لهم؛ بل تجب عقوبة كل من عرف حالهم، ولم يعاون على القيام عليهم، فإن القيام على هؤلاء من أعظم الواجبات؛ لأنهم أفسدوا العقول والأديان، على خلق من المشايخ والعلماء والملوك والأمراء، وهم يسعون في الأرض فساداً، ويصدون عن سبيل الله، فضررهم في الدين أعظم من ضرر من يفسد على المسلمين دينهم"[1].

فهذا الحكم الشديد من شيخ الإسلام ﷺ عليهم وعلى من عاونهم، دليل على الكفر الصريح لمعتقد هذه العقيدة؛ وقد استمر علماء الإسلام في تكفير مُعْتَقِد ذلك.

يقول الشيخ محمود عبدالرؤوف القاسم:

"وحدة الوجود كفر مبين، ومعتقدها كافر مبين، كافر حسب الشريعة، وكافر حسب الحقيقة الحقة التي هي الشريعة الإسلامية، له في الدنيا عقوبة المرتد عن الإسلام، وله في الآخرة عذاب أليم، والصوفي الحق هو الذي يبطن وحدة الوجود، ويظهر التمسك بالشريعة، وهو منافق حقاً، بل هو شر أنواع النفاق، وليكن مطمئناً أن مقامه الحقيقي هو في الدرك الأسفل من النار إن لم يتداركه الله برحمته"[2].

ويقول د/ صابر طعيمة:

"الإيمان بوحدة الوجود يعتبر كفراً بواحاً لا يحتاج إلى تبرير ولا إلى

---

(١) مجموع الفتاوى (٢، ١٣١-١٣٢).

(٢) الكشف عن حقيقة الصوفية، ص (٧١٠-٧١١).

تأويل"[1].

ويقول أيضاً: "هل بقي أدنى شك أو حاجة إلى دليل لكي يعرف الناس جميعاً أن ابن عربي ومن على شاكلته أو على طريق منهجه وعقيدته في وحدة الوجود هم أكثر من كفار وأكفر من الكفار وأبعد ما يكونون عن نقاء الفطر السليمة وضوابط العقول المستنيرة"[2].

فإذا عُلم ذلك تبين أن الطرق الصوفية باعتناقها هذه العقيدة سعت إلى نشر الكفر بين أتباعها خاصة بين الخواص والمشايخ منهم ممن وصل عندهم إلى المنزلة التي يباح لها بهذا الكفر، أما العوام فقد سعوا لنشر الشرك بينهم بمظاهر متعددة كما سيأتي.

ب- نشر الشرك في المجتمع:

الراصد لأحوال الصوفية يلحظ بوضوح انتشار الشرك بينهم بجميع أنواعه: شرك في الربوبية، وشرك في الألوهية، وشرك في الأسماء والصفات.

وقد تعددت مظاهر الشرك داخل الدولة العثمانية ومنها:

أولاً: تعظيم الأموات

أ- الاستغاثة بالأموات والاستمداد منهم.

يعتقد الصوفية في أوليائهم الأموات أنهم يتصرفون في الكون، وقد أدى بهم هذا الاعتقاد إلى اعتقاد حصول النفع ودفع الضُّر منهم، فتوجهوا إليهم بالدعاء والاستغاثة طالبين منهم تفريج الكربات، وقضاء الحاجات، وتيسير المتعسرات.

يُعبر عن هذا الولي في الدولة العثمانية بـ(الميت الذي لايموت) ويطلقون عليه مصطلح (ولي قلت) وهو مصطلح شائع يطلق على شخص يعتقدون أنه

---

(١) الصوفية معتقداً ومسلكاً، ص (٢٤٣).

(٢) المرجع نفسه، ص (٢٣٦).

مجهز بقوة وقدرة خارقة للعادة، قريب من الله تعالى، يمكنه المساعدة سواء في حياته أو بعد مماته. وعليه فيتم تقديس هذا الشخص.

و(للقلت) شروط لابد أن تتوفر لديه أو أحدها:

١- وجود ضريح أو مزار تم بناؤه باسم الولي، يحتفظ فيه بمتعلقاته كعمامته وجبّته ومسبحته.

٢- أن يكون هذا الضريح مكاناً يعتقده العامة، فيذهبون إليه، وينذرون له النذور، و يذبحون القرابين عنده ويزورونه لهذا الهدف.

٣- وجود بعض الكلمات المتعلقة بالولي التي تحمل ماهية الدعاء كالأوراد والأحزاب مثلاً [1].

وبحسب توافر هذه الشروط فكثير من مشايخ الطرق يعتقد فيهم العثمانيون ذلك ومن هؤلاء: شيخ الطريقة الخلوتية عزيز محمود خداي، إذ يتوافد على قبره كل يوم آلاف الزوار لزيارته، ويتسابق الناس في خدمة ضريحة، وينتظرون ليل نهار حتى يصيبهم الدور لينالوا شرف خدمته؛ وبذلك يحصلون على شفاعته بعد الموت.!! [2]

بل قد يسعى المريدون في إشاعة ذلك عن شيخهم فهذا أبو الهدى الصيادي شيخ الطريقة الرفاعية في عهد السلطان عبدالحميد الثاني رحمه الله، وصاحب الكلمة المسموعة لديه يحث الناس على الإشراك بالله فيقول: 'إن من ضاق حاله لمهمة أو لحاجة أو عسر عليه مقصد أو كان عليه دين أو كان في سجن أو بغى عليه ظالم فليتوضأ ويصلي لله ركعتين ويصلي على النبي ﷺ مائة مرة ويكون ذلك العمل في بيت خالٍ (!!) ويقرأ الفاتحة للنبي ﷺ وآله وأصحابه أجمعين، ويتوجه قائماً للشرق لبر البصرة لفلاة أم عبيدة محل مرقد حضرة الغوث

(1) Islam-turk tasarrufurda veli, p, (6).
(2) Tarikatlerin, p, (186).

الحسيني سيدي السيد أحمد[1] وينادي بالاعتقاد والانكسار.

يا غوث الخلق، يا أبا المدد، يا غوث الثقلين، يا مبرد النار، يا مبدل السموم، يا معنى عناية الحي القيوم، يا مبريء الجروح، يا باب الله المفتوح، يا مقوم كل أعوج، يا صاحب التصرف في الحياة والممات .. أغثني، وتوجه لجدك خير الأنام، وقوموا بقضاء حاجتي، فقد حارت فكرتي وقطعت وسيلتي وقلت حيلتي.

أدركني يا أحمد الأولياء، يا بهجة الأتقياء، يا مجيب الداعي، يا نِعم المُرَاعي يا أحمد الرفاعي، أغثني أغثني أغثني، ويذكر حاجته ويخطو ثلاث خطوات لجهة الشرق وفي كل خطوة يقول:

يا أحمد الأولياء رضي الله عنك أغثني، ويقرأ الفاتحة .. فإنها تُقضى بعون الله تعالى بلا شك"[2].

أما الكاتب الثاني للسلطان عبدالحميد ﷺ وهو عبدالقادر أفندي فله في مدح الرفاعي قصيدة كلها تدعو إلى هذا الشرك يقول:

شيخ الورى ابن أبي رفاعة أحمد	الجم المناقب من سلالة أحمد
غوث الخليقة والغياث المرتجى	بعد النبي لخطبها المتلدد
فيا لله من غوث جليل	متى ناديته في الحال يوجد
تداركني أبا العليا بلطف	فإني من نوالك صرت أحسد
وأدرك مسرعاً واردد حسودي	وجرد سيفك العضب المهند
وكيف لا تجير أبا هموم	يؤمل منك أن يحمى وينجد

---

(١) هو أحمد بن علي بن يحيى الرفاعي، مؤسس الطريقة الرفاعية وتسمى الأحمدية، والبطائحية، ولد بالعراق وتفقه وتصوف فانضم إليه خلق كثير، مغربي الأصل مات سنة (٥٧٨هـ).

انظر: سير أعلام النبلاء (٧٧/٢١)، شذرات الذهب (٢٥٩/٤).

(٢) قلادة الجواهر، ص (٢٤١-٢٤٢).

ملاذ الكل في الدنيا حماه ولا أحد من الأعتاب يطرد[1]

هذه النصوص شواهد واضحة على الشرك الصريح، وطلب العون والمدد من غير الله تعالى مما يصرف المسلم عن ملة الإسلام إذ الاستغاثة بغير الله تعالى فيما لا يقدر عليه إلا الله شرك أكبر مخرج من الملة فضلاً عن أن يكون المستغاث به ميتاً لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً. بل هو بحاجة إلى الله تعالى.

إضافة إلى أن الدعاء عبادة لا تصرف إلا لله تعالى فكيف بهذا وهو يصرفها لشيخه الرفاعي.

وقد استغل الصيادي نفوذه على السلطان عبدالحميد ﷺ في نشر هذه الطريقة وما تحمله من الشركيات لتزاحم نفوذ الطرق الشركية الأخرى.

وفيما تقدم في الباب الأول دليل على أنه لا يمكن أن تخلو طريقة صوفية من الاستغاثة بمشايخ الطرق الأموات والتوسل إليهم والالتجاء بهم حتى انتشر الشرك بين الناس مما ألحق الضرر بالدولة العثمانية. وقد حمّل الشيخ محمود شكري الألوسي ﷺ أبا الهدى الصيادي مسؤولية نشر الفساد في الدين والدولة العثمانية وذلك لنشره الشرك بين الناس من الاستغاثة بالرفاعي وغيره وبأهل البيت، وحمل الناس على هذا الاعتقاد حتى قيل أنه لقن السلطان نفسه مبادئ الطريقة الرفاعية[2].

ولما كانت الدولة العثمانية تتبنى هذه الطرق وتؤيدها وتسخر لها الإمكانات والأوقاف؛ فقد أسهمت في ترسيخ الاعتقاد في المقبور وأنه جالب للنفع، دافع للضر، وقد وقع خلفاؤها خاصة المتأخرين منهم تحت تأثير شيوخ الطرق البدعية بسبب الضعف الذي أصاب الدولة، فانصرفت قلوبهم لغير الله وانهزمت نفوسهم، وانحرفت عقيدتهم، واتجهت إلى طلب النفع من

(١) مظاهر الانحرافات العقدية (٧٤١/٢)، نقلاً عن الكنز المطلسم للصيادي.

(٢) غاية الأماني (١/٢٣٠-٢٣١).

غير الله.

يذكر (أوليا جلبي) في رحلته أثناء مرور السلطان سليم الأول بـ(يني شهر) في (بورصه) زار ضريح أمير البخاري لكي يطلب المدد من روحانيته (!!)، و أثناء الزيارة سمع صدى صوت يقول له: يا سليم، أدخلوا مصر إن شاء الله آمنين .. فدخل سليم مصر آمناً مسالماً وانتصر فيها. (!!)[1]

وأصدق مثال على ذلك الرسالة التي وجدت حول قبر النبي ﷺ من الخليفة العثماني سليم الثالث يتضرع فيها إلى الرسول ﷺ من دون الله وفيها: "من عبيدك السلطان سليم، وبعد: يا رسول الله، قد نالنا الضّر، ونزل بنا من المكروه، ما لا نقدر على دفعه، واستولى عباد الصلبان على عباد الرحمن، نسألك النصر عليهم، والعون عليهم، وأن تكسرهم عنا"[2].

وقد عمّ هذا الأمر أقطار الدولة العثمانية، وطبق الأرض شرقاً وغرباً، ويمناً وشاماً، بحيث لا تجد بلدة من بلاد الإسلام إلا وفيها قبور يستغاث بها، تسكب عندها العبرات، وتلهج لها الألسن، وتخضع لها القلوب.

وقد حركت هذه الانحرافات الشركية أقلام العلماء، فسطرت أيديهم الدعوة إلى التوحيد، والتحذير من الشرك وبيان أثره على الدولة نفسها يقول الأستاذ مصطفى المنفلوطي رحمه الله:

"هل تعلمون أن النبي ﷺ نهى عن إقامة الصور والتماثيل؟

وأي فرق بين الصور والتماثيل وبين الأضرحة والقبور ما دام كل منها يجر إلى الشرك ويفسد عقيدة التوحيد؟

والله ما جهلتم شيئاً من هذا، ولكنكم آثرتم الحياة الدنيا على الآخرة فعاقبكم الله على ذلك بسلب نعمتكم، وانتقاص أمركم، وسلط عليكم

(1) Tarikatlerin, p, (154).

(٢) الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١/٣٠٤).

أعداءكم، يسلبون أوطانكم، ويستعبدون رقابكم، ويخربون دياركم، والله شديد العقاب"[1].

وقد ازداد هذا الأمر سوءاً في الفترة الأخيرة من عمر الدولة العثمانية بسبب دخول أقطار شاسعة من البلدان تحت حكمهم نشروا فيها الطرقية فكانت فترة انتكاس في الفطر، وارتكاس في العقائد، ذلك أن مظاهر الشرك الجلي قد ظهرت في مواطن كثيرة من الدولة، وتمثل هذا الشرك في تحول فئام من الناس إلى عبادة الأولياء الأموات، فكل ما يصرف لله من العبادات القلبية و العملية كان يصرفها أولئك للمقبورين.

وقد أجمع علماء الأمة على أن الاستغاثة بالميت وسؤاله من الشرك، فإن الميت سواء كان نبياً أم غير نبي لا يُدعى ولا يسأل ولا يستغاث به لا عند قبره، ولا مع البعد عنه، وقد تفرد الله تعالى بإجابة الداعي وجلب النفع له ودفع الضر عنه، وليس ذلك موكولاً لأحد من الخلق لانبي مرسل ولا ملك مقرب لاحي ولا ميت قال الله تعالى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾[2].

وقال الله سبحانه: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ۝ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴾[3]. وقد وصف الله تعالى الداعين غيره بالمشركين قال الله سبحانه: ﴿ قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ۝ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَاءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴾[4].

---

(١) النظرات (٢/٧٠).
(٢) سورة غافر، الآية: (٦٠).
(٣) سورة الأحقاف، الآية: (٥-٦).
(٤) سورة الأنعام، الآية: (٤٠-٤١).

وقال الله سبحانه: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّي وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا﴾[1]. وقد ذم الله تعالى المشركين أنهم يدعون من دون الله ما لا ينفع ولا يضر، إذ النفع والضر من خصائص الله تعالى قال الله تعالى: ﴿أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ﴾[2].

وقال الله تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[3].

وقد جاءت السنة النبوية مؤكدة على عبودية الدعاء قال ﷺ: "الدعاء هو العبادة"[4]. ومعنى ذلك أن من صرفه لغير الله تعالى فهو مشرك.

وأوصى النبي ﷺ ابن عباس رضي الله عنهما قائلاً له: "إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله .."[5].

ومن ذلك قوله ﷺ: "إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة: إلا من صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له"[6].

---

(١) سورة الجن، الآية: (٢٠).

(٢) سورة الأنبياء، الآية: (٦٦).

(٣) سورة يونس، الآية: (١٨).

(٤) سنن الترمذي، كتاب الدعوات، باب ما جاء في فضل الدعاء، ح (٣٣٧٢)، (٥/٤٥٦)، قال الترمذي: حديث حسن صحيح، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٣٤٠٧) (١/٦٤١).

(٥) سنن الترمذي، كتاب صفة القيامة، باب (٥٩)، ح (٢٥١٦)، (٤/٦٦٧) قال أبو عيسى: حديث حسن صحيح، المسند (٦/٦٩)، صححه الألباني في الجامع الصغير رقم (٧٩٥٧)، (٢/١٣١٨).

(٦) صحيح مسلم مع النووي، كتاب الوصية، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته، (١١/٨٥).

وفي هذا دليل على انقطاع الحس والحركة من الأموات، فإن أرواحهم ممسكة، وإن أعمالهم منقطعة عن زيادة ونقصان، فدل ذلك على أن ليس للميت تصرف في ذاته، فضلاً عن غيره بحركة، وإن روحه محبوسة مرهونة بعملها من خير وشر، فإذا عجز عن حركة نفسه فكيف يتصرف في غيره.

ثم إن صحابته رضوان الله عليهم قد تكالبت عليهم الأحداث الجسام ومع وجود قبر النبي ﷺ بين أظهرهم الذي هو خير القبور وأفضلها، ولو جعل الله تعالى لميت منفعة لجعل لنبيه وخليله محمد ﷺ ذلك من باب أولى ومع ذلك لم يستغث به أحد، ولم يدعه أحد منهم، ولم يلتجئ إليه أحد مع توافرهم وكثرتهم، ﷺ وأرضاهم؛ لعلمهم أنه لا يملك لنفسه ولا لهم نفعاً ولا ضراً ولا حياة ولا نشوراً.

يقول الإمام ابن القيم ﷺ في هذه المسألة:

"فهذه سنة رسول الله ﷺ في أهل القبور بضعاً وعشرين سنة، حتى توفاه الله تعالى، وهذه سنة خلفائه الراشدين، وهذه طريقة جميع الصحابة والتابعين لهم بإحسان، هل يمكن لبشر على وجه الأرض أن يأتي عن أحد منهم بنقل صحيح، أو حسن أو ضعيف، أو منقطع أنهم كانوا إذا كان لهم حاجة قصدوا القبور فدعوا عندها، وتمسحوا بها، فضلاً أن يصلوا عندها، أو يسألوهم حوائجهم. فليوقفونا على أثر واحد، أو حرف واحد، بلى يمكنهم أن يأتوا عن الخلوف التي خلفت بعدهم بكثير من ذلك، وكلما تأخر الزمان وطال العهد، كان ذلك أكثر"[1].

وكان هذا حال التابعين كذلك فقد "كان من قبور أصحاب النبي ﷺ بالأمصار عدد كثير، وعندهم التابعون ومن بعدهم الأئمة، وما استغاثوا عند قبر صاحب قط، ولا استسقوا عند قبره ولا به، ولا استنصروا عنده ولا به، ومن

---

(١) إغاثة اللهفان، ص (٢٠٩).

المعلوم أن مثل هذا مما تتوافر الهمم والدواعي على نقله، بل على نقل ما هو دونه، ومن تأمل كتب الآثار، وعرف حال السلف، تيقن قطعاً أن القوم ما كانوا يستغيثون عند القبور، ولا يتخيرون الدعاء عندها أصلاً، بل كانوا ينهون عن ذلك من كان يفعله من جهالهم"[1].

وبعد، فما يدعيه الصوفية ويزعمونه من تصرف أصحاب القبور وأنهم يملكون جلب النفع ودفع الضر، هو من الدجل والكذب والقول على الله تعالى بلا علم، يلقونه في قلوب العامة لينشروا به الشرك والخرافة في أوساط المسلمين، و ليتحصلوا من وراء ذلك على أكل أموال الناس بالباطل.

أما من اتبعهم في دعواهم وأشرك بالله تعالى فهو ممن استحوذت عليه الشياطين فأضلته، وهذا كثير في أهل البدع والضلال والشرك، فإن أحدهم يدعو ويستغيث بشيخه الذي يعظمه وهو ميت، فيرى ذلك الشيخ قد أتاه في الهواء فيدفع عنه بعض ما يكره، أو يكلمه ببعض ما سأل عنه وهو لا يعلم أن ذلك الشيطان قد جاءه ليضله ويضل من معه، فيحسن لهم الشيطان الإشراك بالله ودعاء غير الله تعالى. وصدق الله تعالى إذ يقول: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾[2].

وقال سبحانه: ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَعْمَـٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾[3]

ب- الذبح للأموات من دون الله تعالى.

من الشركيات التي نشرها المتصوفة في أوساط الدولة العثمانية الذبح لغير الله تعالى من قبور مشايخ الصوفية، ومن هؤلاء الشيخ سنبل من مشايخ الطريقة السنبلية توفي عام (٩٣٦هـ)، أقام له السلطان سليم الأول مراسم جنازة كبيرة،

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم، ص (٦٨١).

(٢) سورة فاطر، الآية: (٦).

(٣) سورة النمل، الآية: (٢٤).

ودفن في ضريحه بتكيته، والتكية والضريح مزار للآلاف من البشر كل يوم يزورونها، ويذبحون عندها القرابين.

ومنهم: الشيخ مركز أفندي، كانت وفاته عام (٩٥٩هـ)، ضريحه مزار للعام والخاص، حيث يزوره الأهالي في كل ساعة، ويوزعون الصدقات، ويذبحون الذبائح"[١].

ويذكر المؤرخ الجبرتي[٢] ﷺ في حوادث عام (١٢١٦هـ) عند مغادرة الفرنسيين للقاهرة هرع قائد الجيش العثماني حسين باشا القبطان إلى زيارة المشهد الحسيني، و ذبح فيه خمس جواميس وسبعة أكباش، واقتسمها خدمة الضريح"[٣].

وهذا قليل من كثير؛ إذ الدولة العثمانية مليئة بالقبور والأضرحة التي تتخذ مزارات تعظم، ويستغاث بها، ويذبح عندها. وقد كان انتشار ذلك دافعاً للإمام البركوي[٤] ﷺ لتأليف رسالته (زيارة القبور) يقول عن سبب تأليفها:

"لأن كثيراً من الناس في هذا الزمان، جعلوا بعض القبور كالأوثان، يصلون عندها، ويذبحون القربان، وتصدر منهم أفعال وأقوال لا تليق بأهل

---

(1) Tarikatlerin sosyal Rolu, p, (182, 184).

(٢) هو عبدالرحمن بن حسن الجبرتي، مؤرخ مصر، ولد بالقاهرة سنة (١١٦٧هـ)، ولي إفتاء الحنفية في عهد محمد علي، له مؤلفات منها: عجائب الآثار، ومظهر التقديس بذهاب دولة الفرنسيس، توفي عام (١٢٣٧هـ).
انظر: الأعلام (٣٠٤/٣).

(٣) عجائب الآثار (٤٧٩/٢).

(٤) هو محمد بن بير علي بن إسكندر، الرومي، الحنفي، ولد سنة (٩٢٩هـ)، من علماء الدولة العثمانية له مصنفات منها: رسالة في زيارة القبور، الطريقة المحمدية والسيرة الأحمدية، شرح الأحاديث الأربعين وغيرها كثير في الحديث والتفسير والرد على أهل البدع. توفي سنة (٩٨١هـ).
انظر: العقد المنظوم، ص (٤٣٦)، هدية العارفين (٢٥٢/٢)، الأعلام (٦١/٦).

ولا ريب أن هذا من صور الشرك الأكبر المخرج من الملة، ذلك أن الذبح عبادة لا يجوز صرفها إلا لله تعالى، قال الله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾[(١)].

والنسك في الآية: ذبح القرابين والمعنى: أن الذبح لابد أن يكون خالصاً لله تعالى لا شريك له[(٢)]. وقال الله تعالى: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴾[(٣)] والنحر هنا: الذبح أي اجعل نحرك لله تعالى كما أن صلاتك له[(٤)].

وفي السنة: عن علي ﷺ قال: "سمعته - أي النبي ﷺ - يقول: لعن الله من ذبح لغير الله، ولعن الله من آوى محدثاً، ولعن الله من لعن والديه، ولعن الله من غير المنار"[(٥)].

قال الإمام النووي[(٦)] رحمه الله: "أما الذبح لغير الله فالمراد به أن يذبح باسم غير الله تعالى كمن ذبح للصنم أو للكعبة ونحو ذلك فكل هذا حرام ولا تحل هذه الذبيحة سواء كان الذابح مسلماً أو نصرانياً أو يهودياً نص عليه الشافعي واتفق عليه أصحابنا فإن قصد مع ذلك تعظيم المذبوح له غير الله تعالى والعبادة له كان ذلك كفراً فإن كان الذابح مسلماً قبل ذلك صار بالذبح مرتداً"[(٧)].

وقال شيخ الإسلام رحمه الله: "ولا يذبح عند القبر أضحية ولا غيرها، وكان

---

(١) سورة الأنعام، الآية: (١٦٢-١٦٣).

(٢) جامع البيان للطبري (١١٢/٨).

(٣) سورة الكوثر، الآية: (٢).

(٤) جامع البيان للطبري (٣٢٧/٣٠).

(٥) صحيح مسلم، كتاب الأضاحي، باب تحريم الذبح لغير الله ولعن فاعله (١٤٢/١٣).

(٦) هو يحيى بن شرف بن مري بن حسن النووي الشافعي، الحافظ، علامة بالفقه والحديث، له مصنفات كثيرة ومشهورة أشهرها شرح صحيح مسلم. توفي عام (٦٧٦هـ).
انظر: تذكرة الحفاظ للذهبي (٢٥٠/٤-٢٥٤)، طبقات الشافعية للسبكي (١٦٧/٥-١٦٨)، البداية والنهاية (٢٧٨/١٣-٢٧٩).

(٧) شرح صحيح مسلم (١٤١/١٣).

المشركون يذبحون للقبور، ويقربون لها القرابين .. تعظيماً للميت. فنهى النبي ﷺ عن ذلك كله"[1].

وقال الإمام الصنعاني رحمه الله: "والنحر على القبر، والتوسل به، وطلب الحاجات منه، هو بعينه الذي كانت تفعله الجاهلية، وإنما كانوا يفعلونه لما يسمونه وثناً وصنماً، وفعله القبوريون لما يسمونه ولياً وقبراً ومشهداً.. فهذا الذي عليه هؤلاء شرك بلا ريب"[2].

وهكذا تضافرت أقوال أهل العلم في التحذير من الذبح لغير الله وبيان حرمته، وأنه شرك مخرج من الملة.

ثانياً: اتخاذ القبور مساجد.

من مظاهر الشرك التي عمت الدولة العثمانية، اتخاذ القبور مساجد. فشيدت المساجد على القبور، وبنيت عليها القباب، وأقيمت لها المزارات والمشاهد، وأوقدت عليها السرج والقناديل. ومما أعان على ذلك الدعم المادي وكثرة الأوقاف. فالرافد المادي العظيم كان يكفل للضلال أن يستفحل.

يقول الإمام الشوكاني[3] رحمه الله :

"وبهذه الذريعة الملعونة والوسيلة الإبليسية - يعني البناء على القبور وإيقاد السرج فيها وتجصيصها - تكاثرت الأوقاف على القبور، وبلغت مبلغاً عظيماً، حتى بلغت غلات ما يوقف على المشهورين منهم ما لو اجتمعت أوقافه لبلغ ما يقتاته أهل قرية كبيرة من قرى المسلمين"[4].

---

(١) مجموع الفتاوى (٣٠٦/٢٦).

(٢) تطهير الاعتقاد، ص (٢٢-٢٧).

(٣) هو محمد بن علي بن محمد الشوكاني، فقيه محدث مفسر، من كبار علماء اليمن، ولد بشوكان عام (١١٧٣هـ)، له مؤلفات كثيرة، توفي بصنعاء عام (١٢٥٠هـ).
انظر: البدر الطالع (٢١٤/٢)، الأعلام (٢٩٨/٦).

(٤) شرح الصدور، ص (٥٢٨).

وفي الأستانة عاصمة الدولة العثمانية يوجد أربعمائة وواحد وثمانون جامعاً لا يكاد يخلو جامع فيها من ضريح، وأولها قبر أبي أيوب الأنصاري ﷺ، فقد بُني عليه جامع ضخم، وهو أقدس جامع فيها عندهم[1].

ويذكر النبهاني أن العثمانين بنوا على ضريح الزبير بن العوام ﷺ مسجداً، وقامت والدة السلطان عبدالعزيز ﷺ بترميم القبب، وتكبير المسجد، فصار جامعاً حسناً، ثم أمر السلطان عبدالحميد ﷺ بعد ذلك بتبييض القبب، وتعمير المسجد[2].

وعندما مات خالد النقشبندي بنى السلطان عبدالمجيد خان ﷺ على قبره قبة عظيمة ومسجداً، وعدة مقاصير للمريدين والمتجردين، ومطبخاً، وبركة عظيمة للماء[3].

وهكذا أقبل السلاطين وتنافس الأثرياء على عمل يرونه قربة وطاعة، كما يرون فيه إرضاءً لمشاعر الناس، ومحاولة لكسب ولائهم، والعمل على إلهائهم، ومنع ثوراتهم وتمرداتهم. وقد كان ذلك في عرف الشعب دلالة صلاح وعدل الحكام والأمراء، فالحاكم العادل الصالح القريب من الله يكون قريباً من أوليائه، مكرماً لهم، ومعظماً لقبورهم.

ولا ريب أن هذا الفعل مخالفة واضحة للأدلة الشرعية التي نبهت على هذا الأمر، وحذرت منه أشد التحذير، وأوجبت اللعن على من لم يمتثله.

قال ﷺ: "قاتل الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد"[4].

وقال ﷺ: "ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم

(١) الانحرافات العقدية والعلمية (٢٩١/١).

(٢) التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية، ص (١١٥، ١١٨).

(٣) حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر (٥٨٦/١).

(٤) صحيح مسلم مع النووي، كتاب المساجد، باب النهي عن اتخاذ القبور مساجد (١٢/٥).

مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، إني أنهاكم عن ذلك"[١].

وقال عليه الصلاة والسلام: "لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد"[٢].

وعن عائشة وابن عباس رضي الله عنهما قالا: لما نزلت برسول الله طفق يطرح خميصة له على وجهه، فإذا اغتم بها كشفها؛ فقال وهو كذلك: "لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد" يحذر مثل ما صنعوا[٣].

"وهذا حال من سجد لله عند قبر، فكيف بمن يسجد للقبر نفسه، أو دعاه، وعدل عن أوضاع الشرع إلى تعظيم أوضاع الجهال والطغام وضعوها لأنفسهم بتلبيس إبليس عليهم، فسهلت لهم، وطابت بها قلوبهم من تعظيم القبور، وإكرامها، والتوكل عليها"[٤].

ومن أحاديثه ﷺ في هذا الشأن قوله: "لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد" قالت عائشة: فلولا ذاك أبرز قبره غير أنه خشي أن يتخذ مسجداً[٥].

في هذه الأحاديث وغيرها يشدد النبي ﷺ النكير على من اتخذ القبور مساجد، ويؤكد ذلك بلعن الفاعلين له، وأنهم شرار الخلق عند الله تعالى، وذلك لقبح ذلك الفعل وعظيم أثره في الانحراف عند العقيدة الصحيحة، وفتح الباب للشرك والوثنية. وقد بينت عائشة رضي الله عنها أن الصحابة رضوان الله عليهم فهموا ما قصده النبي ﷺ وعناه، ومن أجل ذلك لم يبرزوا قبره خشية أن يتخذ مسجداً، وأنه إنما قال ذلك محذراً أمته أن تصنع كما صنع أولئك.

---

(١) المرجع نفسه، الكتاب والباب السابقين (١٣/٥).

(٢) المرجع نفسه، الكتاب والباب السابقين (١٢/٥).

(٣) المرجع نفسه، الكتاب والباب السابقين (١٢/٥-١٣).

(٤) دعاوى المناوئين، ص (٣١٦).

(٥) صحيح البخاري مع الفتح، كتاب الجنائز، باب ما يكره من اتخاذ المساجد على القبور، ح (١٣٣٠)، (٢٠٠/٣).

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله : "وكأنه ﷺ علم أنه مرتحل فخاف أن يعظم قبره كما فعل من مضى، فلعن اليهود والنصارى إشارة إلى ذم من فعل فعلهم"(١).

وقد طبق النبي ﷺ ذلك في سيرته العملية في أصحابه الذين توفوا وهو حي ﷺ فلم يبن مسجداً على قبر أحد منهم كعثمان بن مظعون(٢)، وسعد بن معاذ، وعمه حمزة بن عبدالمطلب، ومن معه من الشهداء رضي الله عنهم جميعاً..

وقد وعى صحابته ذلك فلزموا طريقته من بعده واستنوا بهديه، ورغم حبهم للنبي ﷺ وتعظيمهم له إلا أنهم لم يبنوا على قبره مسجداً بل حتى عندما تم إدخال حجرة عائشة رضي الله عنها داخل المسجد حرص من بعدهم على أن لا يتمكن أحد من استقبال القبر.

قال الإمام النووي رحمه الله :

"قال العلماء: إنما نهى النبي ﷺ عن اتخاذ قبره مسجداً خوفاً من المبالغة في تعظيمه، والافتتان به، فربما أدى ذلك إلى الكفر كما جرى لكثير من الأمم الخالية، ولما احتاجت الصحابة(٣) رضوان الله عليهم أجمعين والتابعون إلى الزيادة في مسجد رسول الله ﷺ حين كثر المسلمون وامتدت الزيادة إلى أن دخلت بيوت

---

(١) الفتح (٥٣٢/١).

(٢) عثمان بن مظعون بن حبيب بن وهب الجمحي، أبو السائب، صحابي، هاجر إلى الحبشة بعد إسلامه مرتين، شهد بدراً، مات سنة (٢هـ).
انظر: طبقات ابن سعد (٢٨٦/٣)، حلية الأولياء (١٠٢/١).

(٣) ليس لدينا نص تقوم به الحجة أن أحداً من الصحابة كان حياً في المدينة في عهد إدخال الحجرة النبوية، فقد اتفق المؤرخون على أن إدخال الحجرة كان في عهد الوليد بن عبدالملك الذي تولى الخلافة سنة ست وثمانين، وتوفي سنة ست وتسعين، فكان بناء المسجد وإدخال الحجرة فيه فيما بين ذلك. في حين أن جابر بن عبدالله رضي الله عنه كان آخر من مات من الصحابة بالمدينة وكان ذلك سنة ثمان وسبعين.
انظر: الكامل لابن الأثير (١٠٩/٤)، البداية والنهاية (٨٢/٩)، تهذيب التهذيب (٣٥٠/١)، مجموع الفتاوى (٣٢٤/٢٧).

أمهات المؤمنين فيه، ومنها حجرة عائشة ﵂، مدفن رسول الله ﷺ وصاحبيه أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، بنوا على القبر حيطاناً مرتفعة مستديرة حوله لئلا يظهر في المسجد، فيصلي إليه العوام ويؤدي إلى المحذور، ثم بنو جدارين من ركني القبر الشماليين وحرفوهما حتى التقيا حتى لا يتمكن أحد من استقبال القبر، ولهذا قال في الحديث: "ولولا ذلك أبرز قبره غير أنه خشي أن يتخذ مسجداً" والله أعلم بالصواب"[1].

قال الحافظ ﵀: "لما وسع المسجد جعلت حجرتها [يقصد عائشة ﵂] مثلثة الشكل محددة؛ حتى لا يتأتى لأحد، أن يصلي إلى جهة القبر مع استقبال القبلة"[2].

وهكذا ترى أن التابعين رحمهم الله عملوا على ستر قبره وحجبه عن الناس، وبالغوا في ذلك غاية المبالغة، خشية من تعظيمه، وأن يصير وثناً يعبد من دون الله تعالى.

وكان هذا فعلهم مع جميع قبور الصحابة رضوان الله عليهم حيث لم تبن عليها المساجد ولا المشاهد حتى إذا تقادم العهد، واندرس العلم، وتسلط الزنادقة على الناس أحدث هذا الأمر في الإسلام، فبنيت المساجد والمشاهد على القبور فإحداث ذلك لم يرتبط بأهل التقوى والصلاح والعلم، بل ارتبط بأهل البدع والزندقة، فالشيعة الرافضة هم أول من بنوا المشاهد على القبور قال شيخ الإسلام ﵀:

".. دع خلافة بني العباس في أوائلها وفي حال استقامتها فإنهم حينئذ لم يكونوا يعظمون المشاهد سواء منها ما كان صدقاً أو كذباً كما حدث فيما بعد؛ لأن الإسلام كان حينئذ في قوته وعنفوانه ولم يكن على عهد الصحابة والتابعين

---

(١) شرح صحيح مسلم (٥/١٣-١٤).

(٢) الفتح (٣/٢٠٠).

وتابعيهم من ذلك شيء في بلاد الإسلام: لا في الحجاز ولا اليمن ولا الشام ولا العراق ولا مصر ولا خراسان ولا المغرب، ولم يكن قد أحدث مشهد لا على قبر نبي ولا صاحب ولا من أهل البيت ولا صالح أصلاً، بل عامة هذه المشاهد محدثة بعد ذلك، وكان ظهورها وانتشارها حين ضعفت خلافة بني العباس وتفرقت الأمة وكثر فيهم الزنادقة والملبسون على المسلمين، وفشت فيهم كلمة أهل البدع وذلك من دولة المقتدر[1] في أواخر المائة الثالثة، فإنه إذ ذاك ظهرت القرامطة العبيدية القداحية[2] بأرض المغرب ثم جاءوا بعد ذلك إلى أرض مصر، وقريباً من ذلك ظهر بنو بويه[3]، وكان في كثير منهم زندقة وبدع قوية، وفي دولتهم قوي بنو القداح بأرض مصر، وفي دولتهم أظهر المشهد المنسوب إلى علي ﷺ بناحية النجف"[4].

ويؤيد ما قرره شيخ الإسلام ﷺ ما قاله الإمام الذهبي ﷺ في آخر ترجمة عضد الدولة البويهي الذي قال عنه: "وكان شيعياً جلداً أظهر بالنجف قبراً زعم

---

(١) هو المقتدر بالله جعفر بن أحمد بن أبي أحمد الموفق بن جعفر بن محمد بن هارون الرشيد، يكنى أبا الفضل، بويع بالخلافة سنة (٢٩٥هـ)، امتدت خلافته أربعاً وعشرين سنة، توفي مقتولاً سنة (٣٢٠هـ) وله من العمر ثمان وثلاثون سنة.
انظر: الكامل في التاريخ (١١٩/٦)، البداية والنهاية (١٦٩/١١).

(٢) العبيدية القداحية: دولة شيعية، نشأت زمن الخلافة العباسية على أرض مصر، تنتسب إلى عبدالله بن ميمون القداح، توالى عليها أربعة عشر خليفة كان آخرهم العاضد لدين الله، استمر حكمهم مائتين وثمانين سنة، ظهرت في دولتهم البدع والمنكرات، وكثر أهل الفساد. استمرت كذلك حتى تولى صلاح الدين الأيوبي أمر مصر عام (٥٦٧هـ).
انظر: الكامل في التاريخ (١١١/٩)، البداية والنهاية (٢٦٤/١٢).

(٣) بنو بويه: ينتسب بنو بويه إلى بهرام بن يزدجرد، من ملوك آل ساسان وكان أبوهم أبو شاجع بويه فقيراً معدماً، كانوا من الشيعة الغالين، لا يعترفون بحق الخليفة العباسي فعملوا على أن يكونوا مطلقي التصرف في العامة. امتدت فترة حكمهم من عام (٣٣٤هـ - ٤٤٧هـ)، أول سلاطينهم معز الدولة أبو الحسين أحمد، وآخرهم الملك الرحيم أبو نصر الذي قضى عليه طغرلبك السلجوقي.
انظر: البداية والنهاية (٢١٢/١١)، تاريخ الإسلام، د/ حسن إبراهيم (٣٧/٣-٦٢).

(٤) مجموع الفتاوى (٤٦٥/٢٧-٤٦٧).

أنه قبر الإمام علي ﷺ وبنى عليه المشهد وأقام شعار الرفض ومأتم عاشورا" ثم ختم الترجمة بقوله: "قلت: فنحمد الله على العافية فلقد جرى على الإسلام في المائة الرابعة بلاء شديد بالدولة العبيدية بالمغرب، وبالدولة البويهية في المشرق، وبالأعراب القرامطة فالأمر لله تعالى"[1].

ولا يغيب عن الذهن أن جميع فرق الشيعة قد تبنت ذلك من زيدية وإمامية وإسماعيلية وغيرها. فقد بنى الداعي محمد بن زيد بن الحسن أمير طبرستان المتوفي سنة (٢٨٧هـ) مشهداً على قبر علي والحسن رضي الله عنهما . وهو زيدي[2]، ثم جاء بعده الحمدانيون وهم شيعة رافضة[3] فأسهموا في بناء المشاهد خصوصاً مشهد علي ﷺ حيث بناه عبدالله بن حمدان أحد أمرائهم سنة (٣١٧هـ).

وعظم شأن النجف لما زارها عضدُ الدولة البويهي في سنة (٣٧١هـ) وبذل أموالاً طائلة لتشييد العمارة الجسيمة حول المشهد. وقد لاقت قبور الأئمة الاثنى عشرية جميعاً التعظيم منهم، وبناء المشاهد عليها. وليس هذا فحسب بل كانت الإسماعيلية العبيدية من أكثر الدول إنشاء للمشاهد ليس على القبور المعروفة فقط، بل اخترعوا قبوراً لا حقيقة لها، ونسبوها للأئمة من أهل البيت.

لقد كانت عقائد الشيعة وأهمها الغلو في آل البيت المحرض القوي لهذه الانحرافات القبورية، ولما كانت تشترك الصوفية مع الشيعة في المحرض اشتركت في الانحرافات، فقد غلت الصوفية في مشايخها ومن اعتقدت ولايتهم، فنسجت على منوال الشيعة في بناء المساجد. والمشاهد على القبور، فجعلوا من أهم شعائرهم تعظيم القبور بكل صور التعظيم وبناء المساجد عليها، وقد عمّ الأمر وطمّ لما تعاظم شأن الصوفية في الأمة، وبخاصة زمن الدولة العثمانية حتى أنك لا تجد

(١) سير أعلام النبلاء (١٦/٢٥٠-٢٥٢).
(٢) الوافي بالوفيات (٣/٨١)، البداية والنهاية (١١/٨٣).
(٣) البداية والنهاية (١١/٢٦٤).

مسجداً لا يوجد به قبر، وإن وجد لا تجد الحرص على الصلاة فيه، إذ يعتقد العامة أن الصلاة في مسجد به قبر خير من هذا.

وبهذا يتبين أن ما وقعت فيه الدولة العثمانية من بناء المساجد على القبور مخالفة صريحة للسنة النبوية التي حذرت من هذا الفعل أعظم تحذير، وشددت عليه لحماية جناب التوحيد. وكان الواجب في حق السلاطين هدم هذه المخالفات وإزالة مظاهر الشرك. وبهذا حكم علماء الأمة، فقد أجمعوا على أن المساجد المبنية على القبور تتعين إزالتها قال شيخ الإسلام ﷺ: "فهذه المساجد المبنية على قبور الأنبياء والصالحين والملوك وغيرهم، يتعين إزالتها بهدم أو بغيره، وهذا مما لا أعلم فيه خلافاً بين العلماء المعروفين"(1).

وقال الإمام ابن القيم ﷺ:

"إن حكم الإسلام فيها أن تهدم كلها، حتى تسوى بالأرض. وهي أولى بالهدم من مسجد الضرار"(2).

وقال ابن حجر الهيتمي ﷺ في الزواجر:

"وتجب المبادرة لهدم المساجد والقباب التي على القبور؛ إذ هي أضر من مسجد الضرار، لأنها أسست على معصية رسول الله ﷺ، لأنه نهى عن ذلك"(3).

خالف أهل الحل والعقد في الدولة العثمانية ذلك، بل أعانوا عليها ودعموا المتصوفة في بناء المساجد على القبور، وبذلك انتشر الشرك بين الناس الذين كانوا في ضلالهم يتخبطون بفقدهم العلم الصحيح والعلماء الصادقين المخلصين - إلا من رحم الله - .

---

(1) اقتضاء الصراط المستقيم، ص (٣٣٠).

(2) إغاثة اللهفان، ص (٢١٥).

(3) الزواجر عن اقتراف الكبائر (١٤٩/١).

ثالثاً: الغلو في الأولياء

غلت الصوفية في تعظيم الأولياء غلواً شديداً، إذ جعلوهم في مرتبة الذات الإلهية فنسبوا إليهم ما لا يصح أن ينسب إلا لله تعالى كعلم الغيب، والتصرف في الكون وإحياء الموتى، والنصرة في الحرب رغم بعد الشقة بينهم وبين من ينصرونهم، وإنقاذ الغرقى، وقد تقدم ذكر طائفة من ذلك في الباب الأول.

ومما يزيد الأسى أن قصر الأستانة لم يكن منزهاً عن هذه الاعتقادات وإنما كان مملوءاً بالمشعوذين والدجالين من مشايخ السوء يختلقون للسلطان ما تهواه نفسه من الرؤيا المزعومة أو يفسرون له أحلامه بما يرضيه.

وقد صار أبو الهدى الصيادي وأحمد أسعد أفندي وفضل باشا المليباري المكي ومحمد ظافر المدني - وكلهم من مشايخ الصوفية - من أقرب المقربين للسلطان عبدالحميد الثاني رحمه الله يقرؤون طالعه وتأمينه من الشرور والإشارة بما يجب عليه فعله طبقاً للكشف ومطالعة الغيب الذي يظهرونه له، وكانوا جميعاً على طرق صوفية مختلفة وألحق كل منهم الضرر بالدولة العثمانية بهواية الشعوذة وكثرة الأحجبة التي يكتبونها للسلطان.

"وكان الصيادي يرى محبة السلطان رحمه الله للدين وتصديقه بعجائب الأخبار والنبوآت فكان يزوده كل يوم بعجيبة من العجائب فأونة يبلغه سلام النبي ﷺ وحيناً يقص عليه رؤيا يزعم أنه رآها ويفسرها له على ما يلائم هواه ويرضيه"[1].

هذا التقرب من مشايخ الصوفية لشخص السلطان نفسه والوصول إلى هذه المكانة لديه لا جرم أنه بسبب ما أُدخل في عقول العوام والخواص والحكام و المحكومين، والأمراء والوزراء من وجوب تعظيم الأولياء وأن من يعرض عنهم ولا يؤدي لهم التعظيم اللائق فإنه معرَّض لغضب الأولياء وسخطهم.

---

(١) عبدالله النديم، ص (٩٥).

من أمثلة الغلو لديهم ما نشره أبو الهدى الصيادي عن شيخه الرفاعي مما يعبر عنه بالقصيدة الميمية والتي يزعم أنه ابتهج بها أهل هذا الشأن، وجربها أهل القلوب لكشف الكروب إذا تلاها المحتاج متوسلاً بولاية الرفاعي ومنها:

أقبل السعد يسعى طالباً مددي ... حتى الزمان أتاني راجياً هممي

وبارق الغيب في بيداء زاويتي ... تلألأت ذاته الحسناء في حرمي

وصحت في شطحه الأكوان منفرداً ... أجابني سرها باللوح والقلم

ولو دعوت لميت قام لي ومشى ... بإذن ربي يسعى لي على القدم

إذا دعاني مريدي وهو في لجج ... من البحار نجا من حالة العدم

أنا الرفاعي فسل عني وعن مددي ... ينبيك على ما قد قلته بفمي

أنا الرفاعي ملاذ الخافقين فلذ ... في باب جودي لتسقى الخير من ديم[1]

فهذا النص دعوة صريحة للإشراك بالله وطلب المدد من أحمد الرفاعي؛ لأنه يملك التصرف في الكون ويعلم الغيب وكشف له سر اللوح والقلم وينقذ الغرقى والملاذ لكل ملتجئ.

فإذا كان هذا للرفاعي فماذا بقي لله تعالى؟!! سبحانك ربنا هذا بهتان عظيم. إذا تم عرض هذا المعتقد على الكتاب والسنة تبين لنا فساد هذا المعتقد ومعارضته للنصوص الشرعية التي أثبتت لله وحده التصرف في الكون من الإحياء والإماتة وإجابة الدعاء والنصر على الأعداء كما خصت الله تعالى بعلم الغيب.

أولاً: الأدلة التي تثبت أن التصرف في الكون لله وحده.

قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾[2].

---

(١) قلادة الجواهر، ص (٢٤٠-٢٤١).

(٢) سورة فاطر، الآية: (١٣).

وقال الله سبحانه: ﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴾[1].

وقال الله سبحانه: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ (٣١) فَذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴾[2].

فهذه الآيات تثبت أن المتصرف في الكون هو الله وحده، ومن ذلك إحياء الموتى فهذا من خصائص الله تعالى التي لا يشاركه فيها أحد.

أ- الأدلة على اختصاص الله تعالى بإحياء الموتى:

إن ما يعتقده الصوفية من قدرة أوليائهم على إحياء الموتى مناقض للنصوص الشرعية القاضية بأن إحياء الموتى من خصائص الربوبية التي لا دخل للبشر فيها.

وقد أكد القرآن الكريم هذه الخصوصية.

قال الله تعالى: ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[3].

وقال الله سبحانه: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾[4].

وقال الله عزوجل: ﴿ أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾[5].

---

(١) سورة سبأ، الآية: (٢٢).

(٢) سورة يونس، الآية: (٣١-٣٢).

(٣) سورة الروم، الآية: (٤٠).

(٤) سورة الحج، الآية: (٦).

(٥) سورة الشورى، الآية: (٩).

بمقتضى هذه النصوص من زعم أن أحداً من المخلوقين يملك إحياء الموتى وأنه يباشر ذلك متى شاء، فقد جعل مع الله تعالى إلهاً آخر يشاركه في خصائصه.

وفي الحديث الذي رواه الشيخان من حديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: "الحبة السوداء شفاء من كل داء إلا السام"[1]. وفي رواية عائشة ﷺ عند الإمام البخاري ﷺ "قلت: وما السام ؟ قال: الموت".

وفي رواية أخرى لأبي هريرة ﷺ عند الإمام مسلم ﷺ "ما من داء إلا في الحبة السوداء منه شفاء إلا السام".

وعن أبي سعيد الخدري ﷺ أن النبي ﷺ قال: "إن الله لم ينزل داء - أو لم يخلق داء - إلا أنزل - أو خلق - له دواء علمه من علمه وجهله من جهله إلا السام. قالوا: يا رسول الله وما السام؟ قال: الموت"[2].

فالموت حق لا دافع له إذا نزل. فدعوى الصوفية بإحياء الموتى أو القدرة على دفع الموت أو رده عمن نزل به فكذب فاضح ..

ب- الأدلة على أن الله هو النافع الضار.

اختص الله تعالى بأنه المتصرف سبحانه في الكون، والكون في ملكه ولا يكون في ملكه إلا ما أراد سبحانه فهو جالب النفع، دافع الضر، قاضي الحاجات، غياث المستغيثين، وناصر المظلومين، ومجيب دعوة المضطرين.

قال الله تعالى: ﴿قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا﴾[3].

---

(١) صحيح البخاري مع الفتح، كتاب الطب، باب الحبة السوداء، ح (٥٦٨٧)، (٥٦٨٨)، (١٤٣/١٠)، صحيح مسلم مع النووي، كتاب السلام، باب لكل داء دواء واستحباب التداوي (٢٠١/١٤-٢٠٢).

(٢) المستدرك (٤٠١/٤) وفي إسناده شبيب بن شيبة، وهو صدوق يهم كما قال الحافظ في التقريب، ص (٤٣٠)، صححه الألباني في صحيح الجامع الصغير رقم (١٨٠٩)، (٣٧١/١) وفي السلسلة الصحيحة رقم (٤٥١) (٧٣٥/١).

(٣) سورة الفتح، الآية: (١١).

وقال الله سبحانه: ﴿وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾[1].

وقال الله عزوجل: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ﴾[2].

بل ولا رسول الله ﷺ له هذا الحق، قال الله تعالى: ﴿قُل لَّا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾[3].

فالله سبحانه وتعالى في هذه الآية يأمر نبيه ﷺ بأن ينفي عن نفسه جلب النفع أو دفع الضر، فالله لم يخص نبيه بهذا وهو أكرم الخلق على الله تعالى.

فأين هم أولياء الصوفية الذين يدعون لأنفسهم ما لم يكن لرسول الله ﷺ.

وقد لام الله تعالى عبدة الأوثان أنهم يعبدون ما لا يملك لهم نفعاً، فالإله الحق هو المختص بجلب النفع ودفع الضر لا يشاركه في ذلك نبي مرسل ولا ملك مقرب فضلاً عن أن يكون ذلك للأوثان التي تعبد من دون الله.

قال الله تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ﴾[4].

وقال الله تعالى: ﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾[5].

فمن ادعى أنه يملك النفع أو الضر فهو كاذب ضال أشرك نفسه مع الله تعالى في خصيصة من خصائصه.

---

(١) سورة الفرقان، الآية: (٣).

(٢) سورة الأنعام، الآية: (١٧).

(٣) سورة الأعراف، الآية: (١٨٨).

(٤) سورة يونس، الآية: (١٨).

(٥) سورة المائدة، الآية: (٧٦).

يقول شيخ الإسلام رحمه الله : "فأما لفظ الغوث والغياث فلا يستحقه إلا الله فهو غياث المستغيثين، فلا يجوز لأحد الاستغاثة بغيره، لا بملك مقرب ولا نبي مرسل، ومن زعم أن أهل الأرض يرفعون حوائجهم التي يطلبون بها كشف الضر عنهم ونزول الرحمة إلى غيره فهو كاذب ضال مشرك"[1].

وينقل صاحب كتاب (تيسير العزيز الحميد) قول الشيخ صنع الله الحلبي:

"هذا وإنه قد ظهر الآن فيما بين المسلمين جماعات يدَّعون أن للأولياء تصرفات في حياتهم وبعد الممات، ويستغاث بهم في الشدائد والبليات وبهممهم تكشف المهمات ..

وهذا الكلام فيه تفريط وإفراط، بل فيه الهلاك الأبدي، والعذاب السرمدي؛ لما فيه من روائح الشرك المحقق، ومصادمة الكتاب العزيز المصدق، ومخالف لعقائد الأئمة وما اجتمعت عليه الأمة .. فأما قولهم أن للأولياء تصرفات في حياتهم وبعد الممات فيرده قوله تعالى: ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾[2] وقوله تعالى ﴿لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[3] ونحوه من الآيات الدالة على أنه المنفرد بالخلق والتدبير، والتصرف والتقدير، ولا شيء لغيره في شيء ما بوجه من الوجوه، فالكل تحت ملكه وقهره تصرفاً وملكاً، وإحياءً وإماتة، وخلقاً..

وأما اعتقادهم أن هذه التصرفات لهم من الكرامات، فهو من المغالطة؛ لأن الكرامة شيء من عند الله يكرم بها أولياءه، لا قصد لهم فيها ولا تحدي، ولا قدرة ولا علم"[4].

ويؤكد الشيخ محمد صديق حسن رحمه الله أن التصرف في الكون مما اختص

---

(١) مجموع الفتاوى (١١/٤٣٣).
(٢) سورة النمل، الآية: (٦٠).
(٣) سورة المائدة، الآية: (١٢٠).
(٤) تيسر العزيز الحميد، ص (١٩٦-١٩٨).

الله به فمن ادعاه لنفسه أو صرفه لغير الله تعالى فقد وقع في الشرك يقول: "إن التصرف في العالم .. والإحياء والإماتـه، وتوسعة الرزق، وتقتيره، والصحة، والمرض، والفتح، والهزيمة، والإقبال، والإدبار، وإنجاح المرام، وقضاء الحوائج، ودفع البليات، والإعانة في المشكلات، والإغاثة عند حلول الآفات، وفي أوقات المكروهات، كل ذلك شأن الله تعالى، ليس هذا الشأن لأحد من الأولياء، والأنبياء، والمشايخ، والشهداء، والجن، والشياطين، والملائكة.

فمن أثبت مثل هذا التصرف لأحد غير الله، ويطلب منه المرادات .. فهو مشرك بالله الذي لا إله إلا هو ولا حكم إلا له وحده لا شريك له.

ويقال لهذا: الإشراك في التصرف، أي إثبات التصرف لغير الله، كإثباته لله تعالى. سواء اعتقد أن قدرة هذا التصرف حصلت له بنفسه، أو أعطاه الله إياها، فالشرك ثابت على كل حال"[1].

ثانياً: الأدلة على اختصاص الله بعلم الغيب.

اختص الله تعالى بعلم الغيب فلم يظهر عليه ملكاً مقرباً ولا نبياً مرسلاً، فضلاً عن أن يظهر على ذلك ولياً من أولياء الصوفية، وقد جاءت الأدلة الكثيرة في ذلك، منها:

قوله تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾[2].

قال الطبري رحمه الله مفسراً:

"عند الله علم ما غاب عنكم أيها الناس مما لا تعلمونه ولن تعلموه مما

(١) الدين الخالص (١/٣٠٤-٣٠٥).
(٢) سورة الأنعام، الآية: (٥٩).

استأثر بعلمه نفسه، ويعلم أيضاً مع ذلك جميع ما يعلمه جميعكم .. فأخبر الله تعالى، أن عنده علم كل شيء كان ويكون وما هو كائن مما لم يكن بعد، وذلك هو الغيب "[1].

أخرج الإمام البخاري ﷺ من حديث ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: " مفاتح الغيب خمس، لا يعلمها إلا الله، لا يعلم ما في غد إلا الله، ولا يعلم ما تغيض الأرحام إلا الله، ولا يعلم متى يأتي المطر أحد إلا الله، ولا تدري نفس بأي أرض تموت إلا الله، ولا يعلم أحد متى تقوم الساعة إلا الله "[2].

وقد بين الله تعالى أن علم الغيب مما اختص به فلم يُطلِعْ عليه أحداً. قال الله سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ﴾[3] سواء كان هذا الأحد نبياً مرسلاً أو ملكاً مقرباً، قال الله تعالى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾[4]. لذا فقد أمر الله تعالى نبيه محمداً ﷺ سيد ولد آدم أن ينفي عن نفسه علم الغيب، قال الله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ﴾[5]. فإذا كان هذا حال نبينا ﷺ فمن دونه في الفضل أولى بعدم العلم.

وقد أكدت السنة النبوية ما ورد في القرآن الكريم؛ فقد روى الإمام

---

(١) تفسير الطبري (٧/٢١٣).

(٢) الصحيح مع الفتح، كتاب التفسير، باب الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام، ح (٤٦٩٧)، (٨/٣٧٥). وكتاب التوحيد، باب قول الله تعالى (عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا)، ح (٧٣٧٩)، (١٣/٣٦١).

(٣) سورة آل عمران، الآية: (١٧٩).

(٤) سورة النمل، الآية: (٦٥).

(٥) سورة الأنعام، الآية: (٥٠).

البخاري رحمه الله عن الرُّبيِّع[1] بنت معوذ رضي الله عنها قالت: جاء النبي ﷺ يدخل حين بُني عليّ فجلس على فراشي فجعلت جويريات لنا يضربن بالدف ويندبن من قتل من آبائي يوم بدر إذ قالت إحداهن: وفينا نبي يعلم ما في غد. فقال ﷺ: دعي هذه وقولي بالذي كنت تقولين"[2].

كما روى رحمه الله عن عائشة رضي الله عنها قالت:

"من حدثك أن محمداً رأى ربه فقد كذب وهو يقول: لا تدركه الأبصار، ومن حدثك أنه يعلم الغيب فقد كذب وهو يقول: لا يعلم الغيب إلا الله"[3].

وفي رواية الإمام مسلم رحمه الله: "ومن زعم أنه يخبر بما يكون في غد فقد أعظم على الله الفرية والله يقول: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾"[4] فالنبي ﷺ ليس عنده من علم الغيب إلا ما يوحيه ربه إليه.

قال الله سبحانه: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا ۝ إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾[5].

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: "إن بعض من لم يرسخ في الإيمان كان يظن أن

---

(١) هي الرُّبيع بنت معوذ بن عقبة الأنصارية النجارية رضي الله عنها، من المبايعات تحت الشجرة، روت عن النبي ﷺ عاشت حتى زمن حصار عثمان رضي الله عنه عام (٣٥هـ).
انظر: طبقات ابن سعد (٤٤٧/٨)، أسد الغابة (٤٥١/٥)، الإصابة (٢٩٣/٤).

(٢) الصحيح مع الفتح، كتاب النكاح، باب ضرب الدف في النكاح والوليمة، ح(٥١٤٧)، (٢٠٢/٩).

(٣) المرجع نفسه، كتاب التوحيد، باب قوله تعالى (عالم الغيب فلا يظهر ..)، ح (٧٣٨٠)، (٣٦١/١٣).

(٤) الصحيح مع النووي، كتاب الإيمان، باب إثبات رؤية الله سبحانه وتعالى في الآخرة، (٩/٣).

(٥) سورة الجن، الآية: (٢٦-٢٧).

صحة النبوة تستلزم اطلاع النبي على جميع المغيبات، كما وقع في المغازي أن ناقة النبي ﷺ ضلت فقال زيد بن اللصيت: يزعم محمد أنه نبي ويخبركم عن خبر السماء وهو لا يدري أين ناقته، فقال النبي ﷺ: "إن رجلاً يقول كذا وكذا، وإني والله لا أعلم إلا ما علمني الله، وقد دلني الله عليها وهي في شعب كذا قد حبستها شجرة . فذهبوا فجاءوا بها"[1].

وقوله ﷺ تنفيذ لما أمره الله به في قوله: " ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾[2] .

وفي الحديث الذي رواه الإمام البخاري رحمه الله أنه لما توفي عثمان بن مظعون رضي الله عنه قالت أم العلاء[3] رضي الله عنها: رحمة الله عليك أبا السائب، شهادتي عليك لقد أكرمك الله. فقال النبي ﷺ: وما يدريك أن الله أكرمه؟ فقالت: لا أدري بأبي أنت وأمي يا رسول الله. قال: أما هو فقد جاءه والله اليقين، والله إني لأرجو له الخير وما أدري والله وأنا رسول الله ما يفعل بي. قالت: فوالله لا أزكي أحداً بعده"[4].

وهكذا كان حال النبي ﷺ مع صحابته رضوان الله عليهم يقرر لهم العقيدة الصحيحة في علم الغيب وأنه ﷺ لا يعلم إلا ما علمه ربه. لذا فقد كان صحابته رضي الله عنهم جميعاً وهم أفضل هذه الأمة بعد نبيها ﷺ لا يعلمون الغيب ولم يدعوا قط أنهم يعلمون شيئاً من الغيبيات..

---

(١) فتح الباري (١٣/٣٦٤).

(٢) سورة الأحقاف، الآية: (٩).

(٣) أم العلاء بنت الحارث بن ثابت بن خارجة، الأنصارية، صحابية، بايعت النبي ﷺ، شهدت خيبر، روت عدداً من الأحاديث.
انظر: طبقات ابن سعد (٨/٤٥٩)، تهذيب التهذيب (٦/٦٣١).

(٤) الصحيح مع الفتح، كتاب مناقب الأنصار، باب مقدم النبي ﷺ وأصحابه المدينة، ح (٣٩٢٩)، (٧/٢٦٤).

وفي قضية الإفك ما يثبت ذلك، فعائشة رضي الله عنها تموج المدينة كلها بهذا الحديث ولم تعلم ذلك حتى أخبرتها أم مسطح[1] رضي الله عنها.

وعلي رضي الله عنه ابن عم رسول الله ﷺ لم تتضح له براءة عائشة رضي الله عنها، فأشار على الرسول ﷺ بطلاقها فالنساء سواها كثير[2].

فهل يمكن أن يدعي مدعٍ هو أقل شأناً من هؤلاء أنه يعلم الغيب أو يكشف له اللوح المحفوظ ؟! فكل من زعم أنه يعلم الغيب فهو كاذب، زاعم لنفسه ما لم يعطه نبي أو ملك ومشرك نفسه مع الله تعالى، ومنازع لله فيما هو من خصائصه لذلك فقد كفَّر العلماء - رحمهم الله - من ادعى شيئاً من علم الغيب.

قال الإمام القرطبي رحمه الله تعالى:

" قال علماؤنا: أضاف سبحانه علم الغيب إلى نفسه في غير ما آية من كتابه .. فمن قال: إنه ينزل الغيث غداً وجزم به فهو كافر. أخبر عنه بأمارة ادعاها أم لا، وكذلك من قال أنه يعلم ما في الرحم فهو كافر .. وأما من ادعى الكسب في مستقبل العمر فهو كافر أو أخبر عن الكوائن الجملة أو المفصلة في أن تكون قبل أن تكون فلا ريبة في كفره أيضاً "[3].

ويرد أبو حيان رحمه الله في تفسيره على هؤلاء المتصوفة الذين يدعون علم الغيب فيقول:

" ولقد يظهر من هؤلاء المنتسبة إلى الصوفية أشياء من ادعاء علم المغيبات والاطلاع على علم عواقب أتباعهم وأنهم معهم في الجنة مقطوع لهم ولأتباعهم

---

(١) هي أم مسطح القرشية التيمية بنت أبي درهم أنيس بن عبدالمطلب بن عبدمناف، اختلف في اسمها، واشتهرت بكنيتها.
انظر: طبقات ابن سعد (٨/٢٢٨)، الإصابة (٤/٤٧٢).

(٢) انظر: تفصيل حادثة الإفك في الفتح، كتاب التفسير، باب (لولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا ...)، ح (٤٧٥٠)، (٨/٤٥٢).

(٣) تفسير الإمام القرطبي (٧/٢).

بها، يخبرون بذلك على رؤوس المنابر ولا ينكر ذلك أحد، هذا مع خلوهم عن العلوم يوهمون أنهم يعلمون الغيب..

وقد كثرت هذه الدعاوى والخرافات .. قام بها ناس صبيان العقول يسمون بالشيوخ عجزوا عن مدارك العقل والنقل وأعياهم طلاب العلوم.

فارتموا يدعون أمراً عظيماً	لم يكن للخليل ولا الكليم
بينما المرء منهم في انسفال	أبصر اللوح ما به من رقوم
فجنى العلم منه غضاً طرياً	ودرى ما يكون قبل الهجوم
إن عقلي لفي عقال إذا ما	أنا صدقت بافتراء عظيم[1]

* ومن صور الغلو في الأولياء السجود لهم وقد تقدم ذكر ذلك عن المولوية، وهذا من صور الشرك الذي وقع فيه المتصوفة؛ إذ السجود عبادة لله تعالى لا تصرف إلا له سبحانه، لما فيه من الذل والانكسار الذي لا يكون إلا لله تعالى؛ لذا فالمسلم أقرب ما يكون إلى الله تعالى وهو ساجد وفي ذلك تحقيق العبودية لله تعالى وقد وردت الأدلة الكثيرة التي تدل على أن السجود عبادة لا تصرف إلا لله سبحانه وتعالى.

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ﴾[2].

وقال الله سبحانه: ﴿فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا﴾[3].

وامتدح الله تعالى ملائكته بالسجود له فقال الله سبحانه:

﴿إِنَّ الَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾[4] وأمر الله نبيه محمداً ﷺ بالسجود له قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا

(١) البحر المحيط (١٤٩/٤).
(٢) سورة الحج، جزء من آية: (٧٧).
(٣) سورة النجم، الآية: (٦٢).
(٤) سورة الأعراف، الآية: (٢٠٦).

طَوِيلًا ﴾[1] وقال الله سبحانه: ﴿ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب ﴾[2] ولما ذكر الله صفات عباد الرحمن في أواخر سورة الفرقان جعل من تلك الصفات السجود لله تعالى، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴾[3].

وفي سنة المصطفى ﷺ جاء النهي عن السجود لغير الله تعالى ولو كان للنبي ﷺ مع شرفه وفضله ومقامه عند ربه. فعن عبدالله بن أبي أوفى[4] ﵁ قال: "لما قدم معاذ من الشام سجد للنبي ﷺ قال: ما هذا يا معاذ؟، قال: أتيت الشام فوافقتهم يسجدون لأساقفتهم وبطارقتهم، فوددت في نفسي أن نفعل ذلك بك. قال رسول الله ﷺ: "فلا تفعلوا؛ فإني لو كنت آمراً أحداً أن يسجد لغير الله لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها .."[5].

وهذا نص صريح في النهي عن السجود لغير الله تعالى ولو كان لأعظم الخلق وأشرفهم ﷺ فكيف الحال بمن هو دونه ؟!

يقول شيخ الإسلام ﵀ :

"وأما وضع الرأس عند الكبراء من الشيوخ وغيرهم، أو تقبيل الأرض ونحو ذلك، فإنه مما لا نزاع فيه بين الأئمة في النهي عنه، بل مجرد الانحناء بالظهر لغير الله عزوجل منهي عنه .. وبالجملة: فالقيام والقعود والركوع والسجود حق

---

(١) سورة الإنسان، الآية: (٢٦).

(٢) سورة العلق، الآية: (١٩).

(٣) سورة الفرقان، الآية: (٦٤).

(٤) عبدالله بن أبي أوفى علقمة بن خالد بن الحارث الأسلمي، شهد بيعة الرضوان، روى عدداً من الأحاديث. آخر من مات من الصحابة بالكوفة. مات سنة (٨٧هـ).
انظر: طبقات ابن سعد (٣٠١/٤)، أسد الغابة (١٨٢/٣)، الإصابة (٢٧٩/٢).

(٥) سنن ابن ماجه، كتاب الآداب، باب حق الزوج على المرأة، ح (١٨٤٣)، (٤٤٩/٥)، المستدرك للحاكم (١٧١/١٧) وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، حسن الألباني الجزء الأخير من الحديث في صحيح الجامع الصغير رقم (٥٢٩٥)، (٩٣٧/٢).

للواحد المعبود خالق السموات والأرض، وما كان حقاً خالصاً لله لم يكن لغيره فيه نصيب"[1].

ويقول الإمام الصنعاني[2] رحمه الله:

"جميع أنواع العبادات، من الخضوع والقيام تذللاً لله تعالى، والركوع والسجود .. كله لا يكون إلا لله عزوجل، ومن فعل شيئاً من ذلك لمخلوق حي أو ميت، أو جماد أو غيره، فقد أشرك في العبادة، وصار من تُفعل له هذه الأمور إلهاً لعابديه .. وصار العابد بهذه العبادة عابداً لذلك المخلوق مشركاً بالله. وإن أقر بالله وعبده .. فالله لا يقبل عملاً شورك فيه غيره ولا يؤمن به من عبد معه غيره"[3].

جـ - إشاعة البدع في الدولة العثمانية.

نشرت الصوفية البدع في الدولة العثمانية، واتسع نطاقها بسبب رعاية السلاطين لها والاعتقاد فيها حتى اشتدت غربة الإسلام بينهم، وعفت آثار الدين عند أكثرهم، وانهدمت قواعد الملة الحنيفية، وانطمست أعلام الشريعة، وغلب الجهل والتقليد، وشب الصغير وهو لا يعرف من الدين إلا ما عليه أهل تلك البلاد، وهرم الكبير على ما تلقاه عن الآباء والأجداد.

وقد وصف (لوثروب) ما أحدثته الصوفية من بدع انحرفت بمعتقدات الناس عن دينهم الحق الذي جاء به محمد ﷺ إذ قال:

"وأما الدين فقد غشيته غاشية سوداء؛ فألبست الوحدانية التي علمها صاحب الرسالة الناس سجفاً من الخرافات وقشور الصوفية؛ وخلت المساجد من

---

(١) زيارة القبور، ص (٤٨).

(٢) هو محمد بن إسماعيل بن صلاح الكحلاني الصنعاني، فقيه محدث، ولد عام (١٠٩٩هـ)، له مؤلفات كثيرة منها: سبل السلام، تطهير الاعتقاد، منحة الغفار، توفي بصنعاء عام (١١٨٢هـ). انظر: البدر الطالع، ص (١٣٣/٢)، الأعلام (٣٨/٦)، معجم المؤلفين (٥٦/٩).

(٣) تطهير الاعتقاد، ص (١٦).

أرباب الصلوات، وكثر عدد الأدعياء الجهلاء وطوائف الفقراء والمساكين يخرجون من مكان إلى مكان يحملون في أعناقهم التمائم والتعاويذ والسبحات، ويوهمون الناس بالباطل والشبهات ويرغبونهم في الحج إلى قبور الأولياء؛ ويزينون للناس التماس الشفاعة من دفناء القبور .. وعلى الجملة فقد بدل المسلمون غير المسلمين وهبطوا مهبطاً بعيد القرار؛ فلو عاد صاحب الرسالة إلى الأرض في ذلك العصر ورأى ما كان يدهى الإسلام؛ لغضب وأطلق اللعنة على من استحقها من المسلمين، كما يلعن المرتدين وعبدة الأوثان"[1].

وقد بلغ استفحال البدع في أواخر الدولة العثمانية أن أرسل الشيخ / راشد بن علي الحنبلي النعامي ﷬ للعلامة صديق بن حسن القنوجي ﷬ يسأله عن الإقامة بين ظهراني هؤلاء المخالفين يقول:

"إن الناس في آخر القرن، كما قد تعلمون علاوة على ما قد علمتم، مصر والشام والعراق والحجاز والقسطنطينية وما والاها من البلاد، أظن جل أحوالهم ليست خافية عنكم، إن معتقدهم الذي هم عليه الآن مضاد لما نحن وأنتم عليه، ويوجد فيهم فئام موافقون لما عليه أهل السنة والجماعة، لكنهم تحت القهر والخوف على أنفسهم من هيجان رعاع الناس، ولابد أن الله آخذ بأيديهم، ولكن إقامتهم بين ظهراني ضدهم قد وقع معنا موقع الإشكال. نلتمس من فضلكم الجواب.

٢٧ / رمضان / ١٢٩٨هـ"[2].

وقد تعددت مظاهر البدع التي شاعت في الدولة العثمانية ومن أهمها:

أ- بدع المقابر:

إن الناظر في حال القبور في الدولة العثمانية، يجده يتناقض تناقضاً بيناً مع

---

(١) حاضر العالم الإسلامي، (١/٢٥٩-٢٦٠).

(٢) التاج المكلل، ص (٥٣٨-٥٣٩).

ما عليه سنة رسول الله ﷺ في القبور، وما أمر به وما نهى عنه، وما كان عليه أصحابه ﷺ بحيث لا يمكن الجمع بينهما أبداً.

ومن هذه البدع:

*** استلامها وتقبيلها:**

يصف الإمام البركوي وقوع ذلك منهم فيقول:

"ثم يأخذون في التقبيل والاستلام كما يفعل بالحجر الأسود في المسجد الحرام ثم يخرون على الجباه والخدود، والله تعالى يعلم أنها لم تعفر كذلك بين يديه في السجود"[(١)].

لم يشرع الإسلام للمسلمين استلام شيء وعده عبادة إلا الركن اليماني والحجر الأسود، ولم يشرع تقبيل شيء وعده عبادة إلا تقبيل الحجر الأسود؛ ومع ذلك يفعله المسلم اقتداءً بالنبي ﷺ لا لاعتقاده أنه ينفع أو يضر بذاته. لذا فحينما قبله عمر ﷺ قال: "أما والله إني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ استلمك ما استلمتك"[(٢)].

وفي رواية أخرى قال ﷺ: "لولا أني رأيت رسول الله ﷺ قبّلك ما قبّلتك"[(٣)].

وفي هذا القول يظهر حرص الصحابة رضوان الله عليهم على حماية جناب التوحيد؛ لئلا يعتقد معتقد أن تقبيل ذلك الحجر لطلب النفع، أو دفع الضر. وإنما هو اتباع المصطفى ﷺ.

فإذا كان هذا قول عمر ﷺ لحجر قبله النبي ﷺ فما الحال في تقبيل واستلام القبور التي حذر النبي ﷺ من تعظيمها أشد الحذر وبكل صور التعظيم؟!!

(١) زيارة القبور الشرعية والشركية، ص (١٨).
(٢) صحيح البخاري مع الفتح، كتاب الحج، باب الرمل في الحج والعمرة، ح (١٦٠٥)، (٤٧١/٣).
(٣) المرجع نفسه، نفس الكتاب، باب تقبيل الحجر، ح (١٦١٠)، (٤٧٥/٣).

يقول شيخ الإسلام رحمه الله :

"وأما التمسح بالقبر أي قبر كان، وتقبيله، وتمريغ الخد عليه فمنهي عنه باتفاق المسلمين، ولو كان ذلك من قبور الأنبياء، ولم يفعل هذا أحد من سلف الأمة وأئمتها"(١).

ثم إن النبي ﷺ قد قُبر في المدينة والصحابة رضي الله عنهم متوافرون فيها ولم يُقبِّل أحدهم القبر ولم يستلمه، فإذا كان التمسح والتقبيل يورث البركات كما يزعمون فلا شك أن تقبيل قبر النبي ﷺ فيه أعظم البركات ولم يقل بهذا أحد من السلف من أهل القرون المفضلة.

ذكر الإمام النووي رحمه الله عن قبر النبي ﷺ: "يكره مسحه باليد وتقبيله، بل الأدب أن يبعد منه كما يبعد منه لو حضر في حياته ﷺ، هذا هو الصواب، وهو الذي قاله العلماء وأطبقوا عليه، وينبغي أن لا يغتر بكثرة العوام في مخالفتهم ذلك، فإن الاقتداء والعمل إنما يكون بأقوال العلماء .. ومن خطر بباله أن المسح باليد ونحوه أبلغ في البركة فهو من جهالته وغفلته؛ لأن البركة إنما هي في ما وافق الشرع، وأقوال العلماء"(٢).

ومع تحذير العلماء من ذلك إلا أن هذه البدع ما زالت مستمرة وفاشية، يقول الشيخ علي محفوظ رحمه الله: "من المفاسد الفاشية تقبيل واستلام قبور الأولياء والأنبياء والعلماء، وترخيص بعضهم في هذا الاستلام وكذا في تقبيل قبور من ذكروا بقصد التبرك لا سند له"(٣).

*** الكتابة على القبور:**

شاع في الدولة العثمانية الكتابة على القبور، وخاصة على قبور مشايخ الطرق، وقد عدها الإمام البركوي رحمه الله ضمن مخالفات أهل البدع بالنسبة للقبور

---

(١) زيارة القبور، ص (٤٧).

(٢) الإيضاح في المناسك، ص (١٦١).

(٣) الإبداع في مضار الابتداع، ص (١٧٤).

في الدولة العثمانية فقال:

"ويتخذون عليها الألواح ويكتبون عليها القرآن وغيره"(١) ومن الأمثلة على ذلك قبر جلال الدين الرومي، فقد كتب عليه صالح للأديان الثلاثة: المسلمين، واليهود، والنصارى !!(٢)

وهذا حال جميع مشايخ المولوية يكتب على قبورهم وتوضع عليها عمائمهم التي كانوا يلبسونها.

وقد جاء النهي عن ذلك، فقد روى الحافظ أبو داود ﷺ في سننه عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما "أنه ﷺ نهى عن تجصيص القبور وأن يكتب عليها"(٣).

قال الإمام الشوكاني ﷺ: "فيه تحريم الكتابة على القبور، وظاهره عدم الفرق بين كتابة اسم الميت على القبر وغيرها"(٤). ولعل ذلك يعود إلى أن الكتابة وإن كانت عبارة عن اسم الميت ونسبه وما إلى ذلك فإنها قد تؤدي إلى التعظيم والتفاخر والفتنة بالأموات"(٥).

*** الطواف حولها:**

من البدع التي شاعت في أرجاء الدولة العثمانية الطواف حول القبور، يقول الإمام البركوي حاكياً وقوع ذلك عندهم:

"ثم إنهم ينتشرون حول القبر طائفين تشبيهاً له بالبيت الحرام الذي جعله

---

(١) زيارة القبور الشرعية والشركية، ص (١٩).

(٢) دمعة على التوحيد، ص (٥٥).

(٣) أخرجه أبو داود في كتاب الجنائز، باب في البناء على القبر (٢١٦/٣)، والترمذي في الجنائز، باب كراهية تجصيص القبور والكتابة عليها، ح (١٠٥٢)، (٣٦٨/٣) قال الترمذي: حديث حسن صحيح، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير رقم (٦٨٤٣)، (١١٥٥/٢).

(٤) نيل الأوطار (٩٣/٤).

(٥) الوثنية في ثوبها الجديد، ص (١٥٤) ضمن كتاب زيارة القبور لابن تيمية.

الله تعالى مباركاً وهدى للعالمين"[1]. ذلك أنه لم يعهد الطواف عبادة إلا بالبيت الحرام، قال الله تعالى: ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾[2]، إلا أن الصوفية نقلت هذا الحكم إلى أضرحة مشايخها. وقد اشتد نكير العلماء على من يفعل هذه البدعة العظيمة.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: "الطواف لا يشرع إلا بالبيت العتيق باتفاق المسلمين، ولهذا اتفقوا على تضليل من يطوف بغير ذلك، مثل من يطوف بالصخرة، أو بحجرة النبي ﷺ، أو بقبر بعض المشايخ، كما يفعله كثير من جهال المسلمين، فإن الطواف بغير البيت العتيق لا يجوز باتفاق المسلمين، بل من اعتقد ذلك ديناً وقربة؛ عُرِّف أن ذلك ليس بدين باتفاق المسلمين، وأن ذلك معلوم بالضرورة من دين الإسلام، فإن أصر على اتخاذه ديناً قتل"[3].

وقال النووي رحمه الله: "لا يجوز أن يطاف بقبر النبي ﷺ"[4].

يقول الشيخ علي محفوظ رحمه الله عمن يطوف بقبر النبي ﷺ: "فترى من لا علم عنده يطوف بالقبر الشريف كما يطوف بالكعبة، ويتمسح به، ويقبله، ويلقون عليه مناديلهم وثيابهم يقصدون التبرك، وذلك كله من البدع؛ لأن التبرك إنما هو بالاتباع له ﷺ"[5].

فإذا كان هذا الأمر مبتدعاً إذا فُعل بقبر سيد الخلق ﷺ ففعله بقبر من هو دونه أولى بالابتداع وعليه فلا يجوز لأحد أن يطوف بقبر النبي ﷺ ولا قبر غيره من الأنبياء والصالحين، فضلاً عن مشايخ الصوفية؛ إذ ليس في الأرض مكان يتعبد لله فيه بالطواف إلا البيت العتيق.

---

(١) زيارة القبور الشرعية والشركية، ص (١٨).

(٢) سورة الحج، الآية: (٢٩).

(٣) مجموع الفتاوى (٢٦/٢٥٠).

(٤) الإيضاح في المناسك، ص (٤٥٦).

(٥) الإبداع في مضار الابتداع، ص (١٧٤).

* **وضع الستور والأكسية عليها:**

يعد هذا الأمر شائعاً في أوساط الدولة العثمانية، بل إن السلاطين يقومون به على اعتبار أنه قربة لله تعالى ومحبة لأوليائه وتعظيم لهم.

ومن هؤلاء السلطان أحمد الأول ﷺ، ففي ثالث سنة من ملكه كسا الحجرة النبوية، وكسا أضرحة البقيع، والمعلاة[1].

وكذلك السلطان عبدالحميد الثاني ﷺ ففي عام (١٣٠٥هـ) أمر السلطان بكسوتين لضريحي الزبير بن العوام وعتبة بن غزوان رضي الله عنهما من الحرير الأحمر المطرز بالفضة.

كما أهدى ستاراً حريرياً مزركشاً بآيات قرآنية وضع على محراب ضريح الحسين ﷺ بحلب "[2].

وهذا كله خلاف ما كان عليه النبي ﷺ، فإنه قد دفن عدداً من صحابته رضوان الله عليهم في البقيع وشهداء أحد ولم يكس قبر أحد منهم ولم يضع عليها الستور، وكذلك لم يفعل ذلك صحابته رضوان الله عليهم جميعاً، لا بقبر النبي ﷺ ولا بقبر غيره من الصحابة، وكذلك حال من بعدهم من التابعين وأتباعهم، وبهذا قال علماء الأمة.

قال شيخ الإسلام ﷺ: "ومن المحرمات: العكوف عند القبر، والمجاورة عنده وسدانته، وتعليق الستور عليه كأنه بيت الله الكعبة"[3].

وقال صاحب كشاف القناع: "وتغشية قبور الأنبياء والصالحين أي: سترها بغاشية، ليس مشروعاً في الدين.. ولقد اتفق الأئمة على أن هذا منكر، إذا فعل بقبور الأنبياء والصالحين، فكيف بغيرهم ؟"[4].

---

(١) المنح الربانية، ص (٢٨٥).

(٢) التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية، ص (١١٨).

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم، ص (٣٨٢).

(٤) كشاف القناع عن متن الإقناع للبهوتي (٢/١٣٩).

وجاء في الإبداع: "ومن البدع الستور التي توضع على الأضرحة، ويتنافس فيها، .. لأن هذه الستور خلقت ليتنفع بها الأحياء فاستعمالها في ستر الجماد تعطيل وعبث، ولكن خدمة الضريح زين لهم الشيطان ذلك؛ ليفتح لهم باباً من الارتزاق الخبيث"[1].

بهذا يتبين أن هذه البدعة ما حدثت إلا بعد أن اندرس العلم وتصدر جهال الناس من الصوفية يبتدعون للناس ما يبعدهم عن سنة نبيهم ﷺ.

***تعلية القبور وبناء القباب عليها.**

نهى النبي ﷺ عن رفع القبور والبناء عليها، ومن ذلك بناء القباب، وكان معتقد الصدر الأول من الإسلام، إلا أن الصوفية خالفوا في ذلك وأصبحت عبارة "وعلى قبره قبة، تزار ويتبرك بها، وتستجاب عندها الدعوات" من العبارات المألوفة للتعريف بمشايخ الطرق، بل إن منهم من يأمر أصحابه ببناء القبر عالياً كما فعل ذلك جلال الدين الرومي: قال الأفلاكي:

"ذات يوم تفضل حضرة مولانا، قائلاً: ليَبْنِ أصحابنا قبرنا بناءً عالياً، كي يُرى من مسافات بعيدة، فأيما امرئ يرى قبرنا من مسافة بعيدة، ويعتقد ويثق في ولايتنا، فإن الله تعالى سيدخله في زمرة المرحومين (!!)، وبخاصة إن زار قبرنا وصلى فيه بعشق كامل .. فإن الله تعالى يعطيه كل ما سأل، و يبلغه مقصده في كل ما يتعلق بالدنيا والدين (!!)"[2].

انتشرت القباب في الدولة العثمانية بفعل المتصوفة، وظهر الاهتمام بها من قبل السلاطين ومنها قبة قبر النبي ﷺ، حيث جددت تلك القبة أكثر من مرة، وكان آخر من جددها السلطان محمود بن عبدالحميد العثماني ؒ سنة (١٢٣٣هـ) حيث أمر ببنائها بعد هدمها لظهور بعض الشقوق بها، ثم أمر

(١) الإبداع في مضار الابتداع، ص (١٨١-١٨٢).
(٢) مناقب الأفلاكي (٦٢٨/١).

بترميمها، وتغطيتها بألواح الرصاص، ودهانها باللون الأخضر في سنة (١٢٥٥هـ)[1].

وفي هذا مخالفة لمنهج الإسلام الذي يعمل على حماية التوحيد، وسد ذرائع الشرك، فمن المعلوم أن القبر إذا كان عالياً ومبنياً بناءً مرتفعاً وعليه قباب شعر الزائر بالتعظيم والمهابة لمن بداخل هذا القبر فيعتقد فيه ما يوصله إلى الشرك من الدعاء والاستغاثة والاستشفاء وغيرها .. من هنا جاء الأمر بتسوية القبور وعدم البناء عليها ولا تعليتها.

روى الإمام مسلم رحمه الله عن أبي الهياج الأسدي[2] قال: قال لي علي رضي الله عنه: "ألا أبعثك على ما بعثني رسول الله ﷺ؟ أن لا تدع تمثالاً إلا طمسته، ولا قبراً مشرفاً إلا سويته"[3].

وعن ثمامة بن شفي[4] رحمه الله قال: (كنا مع فضالة بن عبيد[5] بأرض الروم برودس فتوفي صاحب لنا فأمر فضالة بن عبيد بقبره فَسُوِّي ثم قال: "سمعت رسول الله ﷺ يأمر بتسويتها")[6].

فهدي النبي ﷺ الأمر بتسوية القبور، وعدم رفعها، ولا بناء القباب عليها؛

---

(١) عمارة وإصلاح وتوسعة المسجدين الشريفين من بداية التأسيس إلى وقتنا الحاضر، د/ سعد الردادي، ص (٩٥-٩٦).

(٢) هو حيان بن حصين أبو الهياج الأسدي، الكوفي، التابعي، ثقة.
انظر: الجرح والتعديل (٢٤٣/٣)، تهذيب التهذيب (٤٣/٢).

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الجنائز، باب الأمر بتسوية القبر، (٣٦/٧).

(٤) ثمامة بن شفي الهمداني، أبو علي المصري، سكن الأسكندرية، ثقة توفي في خلافة هشام بن عبدالملك.
انظر: تهذيب التهذيب (٣٤١/١).

(٥) فضالة بن عبيد بن ناقذ بن قيس، شهد أحداً وما بعدها، ولاه معاوية رضي الله عنه الغزو وقضاء دمشق. مات سنة (٥٣هـ).
انظر: طبقات ابن سعد (٤٠١/٧)، أسد الغابة (١٨٢/٤)، الإصابة (٢٠٦/٣).

(٦) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الجنائز، باب الأمر بتسوية القبر، (٣٥/٧-٣٦).

لذا لما قُبر رسول الله ﷺ طبق صحابته ﷺ هذا الهدي ففي صحيح ابن حبان عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ أُلحد، ونصب عليه اللبن نصباً ورفع قبره من الأرض نحواً من شبر"[1].

وروى البخاري ﷺ عن سفيان التمار[2] ﷺ أنه (رأى قبر النبي ﷺ مسنماً)[3].

قال الحافظ ﷺ : أي مرتفعاً[4]. والمراد الارتفاع المشروع فقط كما بينت ذلك الرواية السابقة. ويؤيد ذلك ما ذكره غنيم بن بسطام المدني ﷺ قال: (رأيت قبر النبي ﷺ في إمارة عمر بن عبدالعزيز فرأيته مرتفعاً نحواً من أربع أصابع، ورأيت قبر أبي بكر وراء قبره، ورأيت قبر عمر وراء قبر أبي بكر أسفل منه) [5].

كذلك لم يبن صحابته ﷺ على قبره قبة، أما القبة المبنية الآن على قبره ﷺ فقد أجاب عنها الإمام الصنعاني ﷺ بقوله:

"فإن قلت: هذا قبر رسول الله ﷺ قد عمرت عليه قبة عظيمة، أنفقت فيها الأموال.

قلت: هذا جهل عظيم بحقيقة الحال، فإن هذه القبة ليس بناؤها منه ﷺ، ولا من الصحابة ﷺ، ولا من تابعيهم، ولا تابعي التابعين، ولا من علماء أمته

---

(١) صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، كتاب التاريخ، باب وفاته ﷺ، ح (٦٦٣٥)، (٦٠٢/١٤)، قال المحقق شعيب الأرناؤوط: صحيح على شرط مسلم.

(٢) سفيان بن دينار التمار أبو سعيد الكوفي، ولد زمن معاوية ﷺ، ثقة من السادسة. انظر: تهذيب التهذيب (٣٥١/٢).

(٣) الصحيح مع الفتح، كتاب الجنائز، باب ما جاء في قبر النبي ﷺ وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما ح (١٣٩٠)، (٢٥٥/٣).

(٤) الفتح (٢٥٧/٣).

(٥) ذكره ابن حجر في الفتح، كتاب الجنائز، باب ما جاء في قبر النبي ﷺ وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما شرح حديث رقم (١٣٩٠)، (٢٥٧/٣).

وأئمة ملته، بل هذه القبة المعمولة على قبره ﷺ، من أبنية بعض ملوك مصر المتأخرين وهو قلاوون الصالحي[1] المعروف بالملك المنصور في سنة (٦٧٨هـ)، فهذه أمور دولية لا دليلية يتبع فيها الآخر الأول"[2].

وعلى هذا سار من بعدهم فالواقع الذي عاشته القرون المفضلة يثبت أنهم لم يكونوا يبنون على القبور قباباً ولا غيرها، ولم يكونوا يعلون بناءها. فقد مات في المدينة من الصحابة ﷺ الجم الغفير، ولا شك أن مقبرة البقيع مليئة بسادات الأمة غير أن اجتناب السلف الصالح المبالغة في تعظيم القبور، وتعليتها، وبناء القباب عليها أفضى إلى انطماس آثار أكثرهم؛ فلذلك لا يعرف قبر معين منهم.

قال الإمام الشافعي رحمه الله:

"ولم أر قبور المهاجرين والأنصار مجصصة، قال الراوي عن طاووس: (إن رسول الله ﷺ نهى أن تبنى القبور أو تجصص)، قال الشافعي: (وقد رأيت من الولاة من يهدم بمكة ما يبنى فيها فلم أر الفقهاء يعيبون ذلك)"[3].

لذلك حكم العلماء بحرمة البناء وتعلية القبور، واعتبروا فعل ذلك من البدع.

قال الإمام القرطبي رحمه الله: "وأما تعلية البناء الكثير على نحو ما كانت الجاهلية تفعله تفخيماً وتعظيماً فذلك يهدم ويزال، فإن فيه استعمال زينة الدنيا في أول منازل الآخرة، وتشبهاً بمن كان يعظم القبور ويعبدها"[4].

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله: "لم يكن من هديه ﷺ تعلية القبور، ولا بناؤها

---

(١) هو السلطان الملك المنصور، قلاوون بن عبدالله التركي الصالحي الألفي، أول ملوك الدولة القلاوونية بمصر والشام، كان من المماليك، كان شجاعاً كثير الفتوحات. توفي عام (٦٨٩هـ). بعد أن استمر حكمه اثنى عشر سنة.
انظر: العبر (٣٧٠/٣)، البداية والنهاية (٣١٧/١٣)، النجوم الزاهرة (٣٨٦/٧).

(٢) تطهير الاعتقاد، ص (٥٦-٥٧).

(٣) الأم (٢٧٧/١).

(٤) الجامع لأحكام القرآن (٣٨١/١٠).

بآجر، ولا بحجر ولبن، ولا تشييدها، ولا تطيينها، ولا بناء القباب عليها، فكل هذا بدعة مكروه"[1].

وعلى هذا أجمع أهل السنة والجماعة وقد حكى إجماعهم الإمام الشوكاني رحمه الله فقال:

"اعلم أنه قد اتفق الناس سابقهم ولاحقهم وأولهم وآخرهم من لدن الصحابة رضي الله عنه إلى هذا الوقت أن رفع القبور والبناء عليها من البدع التي ثبت النهي عنها واشتد وعيد رسول الله ﷺ لفاعلها، ولم يخالف في ذلك أحد من المسلمين"[2].

وقد جاء إجماع الأمة على ذلك لما تجره هذه المخالفات على الأمة من الشرك بالله تعالى فالقبور هي أوعية الوثنية والشرك، والطريق لمفاسد عقدية تخرج الأمة من إسلامها.

يقول الإمام الشوكاني رحمه الله محذراً وناصحاً من خطرها:

"وكم قد سرى عن تشييد أبنية القبور وتحسينها من مفاسد يبكي لها الإسلام، منها اعتقاد الجهلة لها كاعتقاد الكفار للأصنام، وعظم ذلك فظنوا أنها قادرة على جلب النفع ودفع الضرر، فجعلوها مقصداً لطلب قضاء الحوائج، وملجأ لنجاح المطالب، وسألوا منها ما يسأله العباد من ربهم، وشدوا إليها الرحال، وتمسحوا بها، واستغاثوا، وبالجملة إنهم لم يدعوا شيئاً مما كانت الجاهلية تفعله بالأصنام إلا فعلوه، فإنا لله وإنا إليه راجعون، ومع هذا المنكر الشنيع والكفر الفظيع لانجد من يغضب لله ويغار حمية للدين الحنيف، لا عالماً ولا متعلماً، ولا أميراً ولا وزيراً، ولا ملكاً.

فيا علماء الدين! ويا ملوك المسلمين! أي رزء للإسلام أشد من الكفر ؟! وأي بلاء لهذا الدين أضر عليه من عبادة غير الله؟! وأي مصيبة يصاب بها

(١) زاد المعاد (٥٢٤/١).
(٢) شرح الصدور، ص (٨).

المسلمون تعدل هذه المصيبة؟! وأي منكر يجب إنكاره إن لم يكن إنكار هذا الشرك البين واجباً ؟!"[1].

وخوفاً على الأمة من هذه الشركيات جاءت نظرة الإسلام إلى مقابر المسلمين مبنية على ما يتميز به من الشمول والكمال، والوسطية والاعتدال، والموازنة بين المصالح والمفاسد. فحفظت للأموات كرامتهم وشرعت ما فيه مصلحتهم فجعلت المقصود من الزيارة الدعاء للميت والسلام عليه، فقد عَلَّم النبي ﷺ أصحابه ﷺ إذا خرجوا إلى المقابر أن يقولوا: "السلام على أهل الديار المؤمنين والمسلمين ويرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين، وإنا إن شاء الله بكم للاحقون"[2].

وفي رواية "أسأل الله لنا ولكم العافية"[3].

كما أنها تعود على الزائر بالفائدة فإنها تذكره الآخرة، وتزهده الدنيا، ترق قلبه وتجري دمعه، فيعتبر ويتعظ بحال من سبق.

أما حفظ كرامتهم فيظهر من خلال نهى الإسلام عن امتهان القبور بجعلها مواطن لقضاء الحاجة[4]، ونهى عن وطء القبور[5]، والجلوس عليها[6]، وعن

---

(١) نيل الأوطار (٩١/٤).

(٢) قطعة من حديث أخرجه الإمام مسلم، كتاب الجنائز، باب ما يقال عند دخول القبور والدعاء لأهلها، (٤٤/٧).

(٣) المرجع نفسه، الكتاب والباب السابقين (٤٤/٧).

(٤) لما رواه ابن ماجة من حديث عقبة بن عامر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " لأن أمشي على جمرة أو سيف أو أخصف نعلي برجلي، أحب إلي من أن أمشي على قبر مسلم، وما أبالي أوسط القبور قضيت حاجتي أو وسط السوق" كتاب الجنائز، باب ما جاء في النهي عن المشي على القبور والجلوس عليها (٤٩٩/١)، صححه الشيخ الألباني في صحيح ابن ماجة (٢٦١/١).

(٥) للحديث السابق.

(٦) لحديث أبي هريرة ﷺقال: قال رسول الله ﷺ:"لأن يجلس أحدكم على جمرة فتحرق ثيابه، فتخلص إلى جلده، خير له من أن يجلس على قبر مسلم " رواه مسلم، كتاب الجنائز، باب النهي عن تجصيص القبور والبناء عليه، والجلوس عليه (٣٧/٧-٣٨) مع النووي.

كسر عظام الميت[1]، وشرع للماشي بينها أن يخلع نعليه[2]، وفي ذلك غاية التكريم للأموات ولكن حتى لا يصل المسلم إلى تعظيمها والغلو فيها نهى عن بناء المساجد عليها، والصلاة عليها وإليها، وعن تجصيصها والبناء عليها، والكتابة عليها، وأمر بتسوية القبور المشرفة التي ترفع فوق الحد المسموح به شرعاً.

وقد عقل الصحابة ﷺ والتابعون لهم بإحسان، والأئمة المقتدى بهم خطر الانحراف عن هذا النهج، وأثره على عقيدة المسلم في ربه عزوجل، فحافظوا على ذلك الهدي الصالح، والطريقة الرشيدة. حتى آلت ولاية المسلمين إلى المبتدعة من الروافض والصوفية الجهال فغيروا وبدلوا وأماتوا سنة النبي ﷺ. وتبعهم على ذلك جهلة الحكام حتى شاعت تلك البدع في بلاد المسلمين، وصارت هي الدين رغم تحذير العلماء، وصيحات الغيورين. ومن هذه الدول الدولة العثمانية فقد كانت جميع هذه البدع متوافرة فيها بفضل القوة النافذة للمتصوفة آنذاك فأشاعت بين الناس البدع، وأساءت إليهم في دينهم وعقيدتهم.

ب- بدعة المولد النبوي:

اعتادت الدولة العثمانية على عمل الكثير من الاحتفالات خلال العام تسمى (حفلات التبريك) وهي التي كانت تجرى بمناسبة اليوم الأول من المحرم،

---

(١) لحديث عائشة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: " إن كسر عظم المؤمن ميتاً مثل كسره حياً " رواه أحمد في مسنده (٥٨/٦)، وأبو داود في كتاب الجنائز، باب من الحفار يجد العظم هل ينتكب ذلك المكان، (٢٣١/٢)، صححه الشيخ الألباني في صحيح أبي داود (٦١٨/٢).

(٢) لحديث بشر مولى رسول الله ﷺ وفيه: (أن رسول الله ﷺ رأى رجلاً يمشي بين القبور عليه نعلان فقال: " يا صاحب السبتيتين ويحك ألق سبتيتيك ". فنظر فلما عرف رسول الله ﷺ خلعهما فرمى بهما). رواه أبو داود في كتاب الجنائز، باب المشي في النعل بين القبور (٢٣٦/٢)، وحسنه الشيخ الألباني في صحيح أبي داود (٦٢٢/٢).

والمولد النبوي، الليالي المباركة، والثلاث الرغائب[١]، المعراجية [٢].[٣]

يحتفل السلاطين العثمانيون بالمولد النبوي في أحد الجوامع الكبيرة في الأستانة حسب اختيار السلطان. وكان الاحتفال به يقوم على إنشاد قصيدة (وسيلة النجاة) التي قرضها سليمان جلبي عام (٨١٢هـ) عندما كان إماماً لمسجد بورصة في عهد يلدريم بايزيد ﷺ؛ رغبة منه في إظهار فضائل الرسول ﷺ، وقد أخذت تنشد في احتفالات المولد رسمياً منذ عهد مراد الثالث ﷺ. وما زالت تنشد في شتى المناسبات[٤] خلال العهد العثماني.

ولما تولى السلطان عبدالحميد الثاني ﷺ عام (١٢٩٣هـ) قصر احتفالاته على الجامع الحميدي، فعندما تحين الليلة الثانية عشرة من ربيع الأول، يحضر إلى الجامع عظماء الدولة، وكبراؤها من الأمراء والعلماء والوزراء، وجميعهم بالملابس الرسمية، وكساوي التشريفات، وعلى صدورهم النياشين بأنواعها، ثم يقفون في صفوف متراصة، ونظام تام، انتظاراً لتشريف السلطان. وفي هذه الليلة يخرج السلطان من قصر يلديز ممتطياً جواداً مطهماً بسرج من الذهب الخالص وقد حف الموكب به، ورفعت على رأسه الأعلام، ويسير وسط الجماهير المحتشدة، حتى

---

(١) هي صلاة تصلى بين العشائين ليلة أول جمعة في شهر رجب، سميت بذلك لأجل العطايا الحاصلة لمصليها بزعم واضع الحديث فيها، بين العلماء بطلانها.
انظر الأدلة على ذلك في: الحوادث والبدع للطرطوشي، ص (١٠٣)، الباعث لأبي شامة من ص (٦٢-٨٤).

(٢) يقصد بها الاحتفال بليلة الإسراء والمعراج، ويكون في ليلة سبع وعشرين من رجب، لاعتقادهم أن النبي ﷺ قد عرج به في هذه الليلة، وهي ليلة لم يرد في الكتاب أو السنة ما يدل على تفضيلها أو تخصيصها بذكر أو نحوه، بل لا يعرف عن النبي ﷺ وصحابته من بعده احتفالهم بها، بل لم يقم دليل معلوم لا على شهرها، ولا على عشرها، ولا على عينها، بل النقول في ذلك منقطعة مختلفة، ليس فيها ما يقطع به.
انظر: زاد المعاد (٥٧/١-٥٨)، فتح الباري (٢٠٣/٧)، الإبداع لعلي محفوظ، ص (٢٦٥).

(٣) تاريخ الدولة العثمانية، يلماز (٢٨٠/٢).

(٤) الانحرافات العقدية والعلمية (٣٩١/١).

يصل إلى الجامع، فيبدأ في رسوم المولد وفقراته، حتى تنتهي، فيعود إلى قصره[1].

ولم يكن هذا الاحتفال مقتصراً على الأستانة وحدها، بل كان منتشراً في جميع أنحاء الدولة العثمانية. ولم يكن دور المترفين الحضور فقط؛ بل تعدى ذلك إلى وهب الأوقاف للتكايا لإقامته، فما تؤكده الوثائق "أن بعض أصحاب الخير قد وهبوا تكية قاسم باشا المولوية بعض الأوقاف من أجل قراءة المولد الشريف ودراسته والمعراجية"[2].

ولم ينج منصب شيخ الإسلام في الدولة العثمانية من هذه البدعة فقد كان لشيخ الإسلام مكي أفندي[3] وقف خاص يجمع فيه أهله وأصدقاءه في كل سنة يتلون المولد النبوي.

أما شيخ الإسلام مصطفى أفندي[4] فقد كان يقيم المولد النبوي في جامع القاضي نصر الله في قسطموني.

ولقد أسهم المتصوفة في نشر المولد النبوي داخل السلطنة بما يشيعونه من أن هذا الفعل علامةٌ وبرهانٌ على محبة النبي ﷺ. فمن احتفل به فهو المحب الصادق في دعواه، ومن أبى وحارب البدعة وأنكرها فهو العدو المبغض لرسول الله ﷺ. فهل هذا الادعاء حق بميزان الإسلام؟!

---

(١) السلطان المظلوم، ص (٢١٧) هـ (أ).

(2) Movleviligin sonyuzyili, p, (167).

(٣) محمد بن خليل يعرف بالمكي لولادته في مكة عام (١١٢٦هـ)، تولى المشيخة عام (١٢٠٢هـ) وتم عزله عام (١٢٠٦هـ) لكبر سنه، من مؤلفاته حاشية على البيضاوي، شرح قصيدة البردة. توفي عام (١٢١٢هـ).

انظر: هدية العارفين (٣٥١/٦)، معجم المؤلفين (٢٨٩/٩)، تاريخ مؤسسة شيوخ الإسلام (١١٦/٢-١١٩).

(٤) هو مصطفى عاشر بن مصطفى الطاوقجي، ولد في عام (١١٤٢هـ)، تولى المشيخة عام (١٢١٣هـ)، استمر في منصبه حتى عام (١٢١٥هـ)، كان ماهراً في الخط، له منشآت خيرية، توفي عام (١٢١٩هـ).

انظر: تاريخ مؤسسة شيوخ الإسلام (١٣٢/٢-١٣٧).

إنّ الإسلام وضع لمحبة نبيه ﷺ دليلاً وبرهاناً هو الإتباع لمحمد ﷺ فالمحبة لرسول الله ﷺ هي اتباعه فيما أمر، واجتناب ما نهى عنه، والاقتداء به في الفعل والترك.

والاقتداء بعد بصحابته ﷺ أنوار الهدى ومصابيح الدجى الذين أمرنا نبينا محمد ﷺ بإتباعهم والأخذ بهداهم، ومن محبة النبي ﷺ إتباع هذا الأمر منه.

وإذا نظرنا إلى شأن المولد النبوي – وغيره من الموالد من باب أولى – نجده أمراً مبتدعاً في دين الله تعالى، ذلك أن النبي ﷺ لم يأمر به صحابته ﷺ، ولو كان أمراً من دين الله لدلهم عليه قبل وفاته، فإنه لم يمت ﷺ إلا وقد أبان الدين وأكمله. وإن زعموا أن فعلهم ذلك محبة لنبي الله ﷺ فقولهم مردود بأن محبة النبي ﷺ في اتباعه لا في مخالفته وإن ظُن أنه خير وحسن.

ومردود أيضاً بأن صحابته ﷺ لم يفعلوه بعد وفاته رغم حبهم الشديد لرسول الله ﷺ، وحرصهم على كل خير، فلو كان عمل المولد النبوي أمارة على حبه ﷺ وأمراً فاضلاً خيِّراً لكانوا أحرص عليه ولاهتدوا إليه، ولكن لما لم يفعلوه هم ولا من جاء بعدهم من أهل القرون المفضلة تبين ضلاله وفساد دلالته على محبة رسول الله ﷺ.

يقول شيخ الإسلام رحمه الله:

"ومع اختلاف الناس في مولده ﷺ فإن هذا لم يفعله السلف، مع قيام المقتضى له – أي محبته ﷺ – وعدم المانع منه، ولو كان هذا خيراً محضاً، أو راجحاً، لكان السلف ﷺ أحق به منا، فإنهم كانوا أشد محبة لرسول الله ﷺ وتعظيماً له منا، وهم على الخير أحرص، وإنما كمال محبته وتعظيمه في متابعته وطاعته وإتباع أمره، وإحياء سنته باطناً وظاهراً، ونشر ما بعث به، والجهاد على ذلك بالقلب واليد واللسان، فإن هذه طريقة السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان"[1].

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم، ص (٢٩٥).

وقد ذهب المؤرخون إلى أن نشأة هذه البدعة والاحتفال بها قامت على يد العبيديين الذين ينحدرون من أصل يهودي فهم أبناء عبيدالله بن ميمون بن ديصان المشهور بالقداح وأول من أحدثه منهم المعز لدين الله سنة (٣٦٢هـ) بالقاهرة، واستمر الحال على ذلك إلى أن ألغاه الأفضل بن أمير الجيوش الجمالي[١] وزير الخليفة المستعلي بالله سنة (٤٨٨هـ)، ثم بعد وفاة الخليفة سنة (٤٩٥هـ) أعيد الاحتفال بها مرة أخرى، في خلافة الآمر بأحكام الله في سنة (٥٢٤هـ) بعدما كاد الناس ينسونها[٢].

وبهذه النشأة المتأخرة يتبين عدم شرعية الاحتفال بالموالد وأنها من الأمور المبتدعة في دين الله تعالى، وأنها رد على صاحبها لقوله ﷺ: "من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد"[٣].

ومما يؤكد عدم شرعيتها ما تشتمل عليه القصائد والمدائح التي يتغنون بها من ألفاظ شركية و عبارات الغلو التي نهى عنها النبي ﷺ بقوله: "لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبده، فقولوا: عبدالله ورسوله"[٤].

كما يختم الحفل عادة بدعوات تحمل ألفاظ التوسل المنكرة والكلمات الشركية المحرمة، كمناداة النبي ﷺ، وطلب مساعدته لأي أمر من الأمور.

كذلك تحوي غالب هذه الاحتفالات بعض المحرمات، كاختلاط الرجال بالنساء، واستعمال الأغاني وآلات الطرب، وما تبعه من رقص.

---

(١) هو الملك الأفضل أبو القاسم شاهنشاه بن الملك أمير الجيوش بدر الجمالي الأرمني، كان حسن الاعتقاد، كريم الأخلاق، حميد السيرة، كان أبوه نائباً بديار مصر، فلما مات تولى ذلك بعده. قتل عام (٥١٥هـ).
انظر: السير (٥٠٧/١٩)، البداية والنهاية (١٨٨/١٢)، شذرات الذهب (٤٧/٤).

(٢) خطط المقريزي (٤٣٢/١-٤٣٣)، الإبداع لعلي محفوظ، ص (٢٣١).

(٣) سبق تخريجه، ص (٢٢٠).

(٤) صحيح البخاري مع الفتح، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله (وأذكر في الكتاب مريم ..)، ح (٣٤٤٥)، (٤٧٨/٦).

ومع ما ذكر من الخرافات، استمر الاحتفال في جميع أنحاء السلطنة إلى سقوطها تهدر فيه الأموال والأوقات، ويتلهى الناس به أياماً وليالي غافلين عما يحاك ضدهم من مخططات الأعداء، وكان جديراً بمثل هذه الطاقات المهدرة في الباطل أن تستغل في ما يعود على الأمة بالخير والنفع، وفي الإعداد للجهاد ضد من يخطط لإذلالها وتمزيقها.

حـ- بدع الذكر والسماع:

إن من أعظم العبادات وأكبر المطالب الدينية ذكر الله تعالى، فقد أمر الله تعالى به في غير ما آية من كتابه ووعد الذاكرين بالأجر العظيم، وحذر الغافلين المعرضين عنه قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا﴾[1].

وقال الله سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾[2].

وقال الله عزوجل: ﴿وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ﴾[3].

كذلك فقد أتت السنة النبوية مؤكدة لما جاء في هذه الآيات الكريمات.

فعن أبي موسى الأشعري ﵁ قال: قال النبي ﷺ: "مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه مثل الحي والميت"[4].

وعن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: "سبق المفردون قالوا: ما

(١) سورة الأحزاب، الآية: (٤١).

(٢) سورة المنافقون، الآية: (٩).

(٣) سورة طه، الآية: (١٢٤).

(٤) صحيح البخاري مع الفتح، كتاب الدعوات، باب فضل ذكر الله عزوجل ح(٦٤٠٧)، (٢٠٦/١١).

المفردون يا رسول الله؟ قال: الذاكرون الله كثيراً والذاكرات"[1].

وعن أبي هريرة وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهما أنهما شهدا على النبي ﷺ أنه قال: "لا يقعد قوم يذكرون الله - عزوجل - إلا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة، ونزلت عليهم السكينة، وذكرهم الله فيمن عنده"[2].

ولما كان الذكر لله تعالى عبادة فلابد فيها - كشأن جميع العبادات - من تحقق أصلين عظيمين، أحدهما ألا يعبد إلا الله تعالى؛ والثاني ألا نعبده إلا بما شرع، لا نعبده بعبادة مبتدعة لم يرد بها الشرع. وهذان الأصلان هما تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، كما قال تعالى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾[3].

قال الفضيل بن عياض[4] رحمه الله في تفسيرها: أخلصه وأصوبه. قالوا: يا أبا علي، ما أخلصه وأصوبه؟

قال: إن العمل إذا كان خالصاً ولمن يكن صواباً لم يقبل، وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل حتى يكون خالصاً صواباً.

والخالص أن يكون لله، والصواب أن يكون على السنة، وذلك تحقيق قوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾[5][6].

---

(١) صحيح مسلم مع النووي، كتاب الذكر والدعاء والاستغفار والتوبة، باب الحث على ذكر الله، (٤/١٧).

(٢) المرجع نفسه، الكتاب السابق، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن (٢٢/١٧).

(٣) سورة الملك، الآية: (٢).

(٤) هو الفضيل بن عياض التميمي، أحد المشايخ المشهورين، والعلماء الأعلام، ولد بسمرقند، وارتحل في طلب العلم، أخذ عنه الشافعي، وابن مهدي وغيرهما. توفي سنة (١٨٧هـ). انظر: حلية الأولياء (٨٤/٨)، العبر (٢٣١/١)، البداية والنهاية (١٩٩/١٠).

(٥) سورة الكهف، الآية: (١١٠).

(٦) حلية الأولياء (٩٥/٨)، مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٣٣٣/١).

إلا أن الصوفية لم تلتزم هذا المنهج فابتدعت في ذكر الله عزوجل بدعاً، وقد تقدم في الباب الأول نماذج من بدع الذكر والسماع، مثل: الأذكار الواردة في الأوراد الصوفية، وابتداع كل طريقة ورداً خاصاً بها، والذكر الخفي عند النقشبندية وكذا الذكر بالاسم المفرد، والذكر بالسماع والرقص عند المولوية.

أولها: الأوراد الصوفية.

ابتدعت كل طريقة من طرق التصوف ورداً خاصاً بها، يحمل الكثير من الأدعية المبتدعة، في ألفاظها بل قد تكون ألفاظاً شركية بما تحمله من دعاء واستغاثة بغير الله تعالى. كما يحوي كل ورد على عدد معين من الذكر حتى يحصل الأجر الذي يرتبونه على هذا الذكر.

ولو وضعنا هذه الأوراد الصوفية في ميزان الإسلام لوجدناها بعيدة عن منهجه، غير واردة عن رسول الله ﷺ، ولم يعلمها لصحابته ﷺ، ولم يحدد أزمنتها ولاعدتها كما يعتقده هؤلاء.

ذكر الإمام القرطبي ﷺ في تفسير قوله تعالى: ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾ [1]. وجوهاً من الاعتداء قال: "منها: أن يدعو الله بما ليس في الكتاب العزيز ولا في السنة، فيتخير ألفاظاً مقفرة، وكلمات مسجعة، قد وجدها في كراريس لهؤلاء - يعني المشايخ - لا أصل لها ولا معول عليها، فيجعلها شعاره، ويترك ما دعا به رسوله ﷺ، وكل هذا يمنع من استجابة الدعاء" [2].

وقد شرع الله تعالى لنا في كتابه وسنة نبيه ﷺ ما ندعوه ونذكره به وفيهما الغنية عما سواهما مما ابتدعه الجهال، الذين ما ابتدعوها إلا لصرف المسلمين عن كتاب ربهم، وسنة نبيهم ﷺ والذكر بما جاء فيهما. فإذا أمكن لهم

(١) سورة الأعراف، الآية: (٥٥).
(٢) تفسير القرطبي (٧/٢٢٦).

ذلك استطاعوا أن يعلموا المسلم من العقائد ما يشاؤون، وأن يسردوا عليه من الخرافات والكرامات ما يغيبونه به عن واقعه، فلا يدري ما يراد به من سوء. ويجعلون همه قراءة هذه الأوراد حتى تتحقق له المكاشفات و الكرامات على حد زعمهم!!

هذا وإن أفضل ما يذكر به المسلم ربه تلاوة آياته آناء الليل وأطراف النهار؛ فعن النبي ﷺ قال: "اقرءوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه"[(١)] وعنه ﷺ قال: "خيركم من تعلم القرآن وعلمه"[(٢)].

وروى الإمام البخاري رحمه الله أن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "لا حسد إلا على اثنتين رجل آتاه الله الكتاب وقام به آناء الليل، ورجل أعطاه الله مالاً فهو يتصدق به آناء الليل وآناء النهار"[(٣)].

وعن أجر قارئه قال ﷺ: "الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران"[(٤)].

أما سنة النبي ﷺ ففيها الكثير من الأذكار والأدعية وقد عقد رواة الحديث أبواباً خاصة بالأذكار والأدعية في كتبهم، بل قد ألفت كتب مختصة بأذكار النبي ﷺ مثل: عمل اليوم والليلة للنسائي[(٥)] والأذكار للنووي، والكلم الطيب لابن تيمية، وغيرها كثير.

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب صلاة المسافرين، باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة (٩٠/٦).

(٢) الصحيح مع الفتح، كتاب فضائل القرآن، باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه، ح (٥٠٢٧)، (٧٤/٩).

(٣) المرجع نفسه، الكتاب السابق، باب اغتباط صاحب القرآن، ح (٥٠٢٥)، (٧٣/٩).

(٤) صحيح مسلم مع النووي، كتاب صلاة المسافرين، باب فضيلة حافظ القرآن، (٨٤/٦).

(٥) هو أحمد بن شعيب بن علي بن سنان، أبو عبدالرحمن النسائي، القاضي، الحافظ، إمام في الحديث له مصنفات منها: السنن الكبرى، الضعفاء والمتروكين، فضائل الصحابة. توفي بفلسطين عام (٣٠٣هـ).

انظر: وفيات الأعيان (٢٠/١-٢١)، تذكرة الحفاظ (٢٤١/٣-٢٤٢)، تهذيب التهذيب (٢٧/١).

وعليه فالواجب في حق المسلم أن يحافظ على الصيغ النبوية في الأذكار والصلوات، مع المحافظة على العدد المأثور إن وجد بدون زيادة شيء من عنده ولا أن ينقص شيئاً منها؛ لأن الصيغة الواردة توقيفية متعبد بها؛ والتوقيفي في العبادات يؤتى بنفس لفظه بلا زيادة ولا نقصان ولا تبديل.

قال الله تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾[1].

وقال الله سبحانه: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ﴾[2].

فنحن مأمورون بالتأسي والاقتداء برسول الله ﷺ والأخذ بكل ما جاء به، ومن ضمن ذلك صيغ الأوراد والأذكار.

فعن البراء بن عازب ﷺ قال: قال النبي ﷺ: "إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة ثم اضطجع على شقك الأيمن ثم قل: اللهم أسلمت وجهي إليك، وفوضت أمري إليك، وألجأت ظهري إليك رغبة ورهبة إليك، لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك. اللهم آمنت بكتابك الذي أنزلت، وبنبيك الذي أرسلت. فإن مت من ليلتك فأنت على الفطرة، واجعلهن آخر ما تتكلم به. قال: فرددتها على النبي ﷺ، فلما بلغت (اللهم آمنت بكتابك الذي أنزلت. قلت: ورسولك. قال: لا. ونبيك الذي أرسلت)"[3].

فهذا الحديث نص في عدم جواز تغيير صيغ الأذكار والصلوات الواردة عن النبي ﷺ قال الحافظ رحمه الله معقباً:

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: (٢١).

(٢) سورة الحشر، الآية: (٧).

(٣) صحيح البخاري مع الفتح، كتاب الدعوات، باب إذا بات طاهراً، ح (٦٣١١)، (١٠٩/١١). ومسلم مع النووي، كتاب الذكر والدعاء والاستغفار والتوبة، باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع (٣٢/١٧-٣٣).

"وأولى ما قيل في الحكمة في رده ﷺ على من قال الرسول بدل النبي أن ألفاظ الأذكار توقيفية، ولها خصائص وأسرار لا يدخلها القياس، فتجب المحافظة على اللفظ الذي وردت به، .. فيقتصر فيه على اللفظ الوارد بحروفه وقد يتعلق الجزاء بتلك الحروف، ولعله أوحي إليه بهذه الكلمات فيتعين أداؤها بحروفها"[1].

فأي مسلم يرغب عن كتاب الله تعالى الذي هو كلامه سبحانه وتعالى وسنة نبيه ﷺ؛ ويتلقف كلام المشايخ الذي لم يتعبد به أحد من الصحابة والسلف الصالح ومن سار على نهجهم واقتفى أثرهم، قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾[2].

بل يخشى على هؤلاء أن تصيبهم عقوبة المخالفة، قال الله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[3] فهؤلاء عدلوا عن سنة النبي ﷺ إلى أعمال وأوراد ألزموا بها أتباعهم.

وجعلوا البدعة قربة وطاعة وشرعوا لأنفسهم ولأتباعهم ما لم يأذن به الله ؟!!

والله تعالى يقول: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[4].

ثانيها: الاعتماد على الذكر القلبي

من بدع الذكر الذي ابتدعته الصوفية ترك الذكر باللسان والاعتماد على

---

(١) فتح الباري (١١/١١٢).

(٢) سورة الأحزاب، الآية: (٣٦).

(٣) سورة النور، الآية: (٦٣).

(٤) سورة المائدة، الآية: (٣).

الذكر القلبي فقط، وسنوا لذلك حبس النَّفَس وتغميض العينين. وهذا خلاف ما دلت عليه الأدلة الشرعية من القرآن والسنة.

*** الأدلة القرآنيـة:**

قال الله تعالى: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾[1].

وقال الله سبحانه: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾[2].

في هاتين الآيتين يُعلم الله سبحانه وتعالى نبيه ﷺ وأمته من بعده آداباً للدعاء وهي التذلل والاستكانة لله تعالى أثناء الذكر مع خشوع القلب، وأنه يكره رفع الصوت والنداء والصياح بالدعاء، ولا يعني ذلك تعطيل التلفظ بالدعاء؛ لأنه ليس معنى الخفية هنا منع اللسان من الذكر، وإنما منع الصياح ورفع الصوت.

وبهذا قال المفسرون.

يقول الإمام الطبري رحمه الله: "ادعوا أيها الناس ربكم وحده تذللاً واستكانة لطاعته بخشوع قلوبكم وصحة اليقين منكم بوحدانيته فيما بينكم وبينه لا جهاراً مراءاة، فعل أهل النفاق"[3].

ثم أورد عقب الآية حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: كنا مع النبي ﷺ في سفر، فكنا إذا علونا كبرنا. فقال النبي ﷺ: أيها الناس، اربعوا على أنفسكم، فإنكم لا تدعون أصمَّ ولا غائباً، ولكن تدعون سميعاً بصيراً ..."[4].

رواه الإمام مسلم[5] رحمه الله في صحيحه وترجم له الشراح بباب:

---

(١) سورة الأعراف، الآية: (٢٠٥).

(٢) سورة الأعراف، الآية: (٥٥).

(٣) تفسير الطبري (٨، ٢٠٦).

(٤) صحيح البخاري مع الفتح، كتاب الدعوات، باب الدعاء إذا علا عقبة، ح (٦٣٨٤)، (١١، ١٨٧).

(٥) صحيح مسلم مع النووي، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب استحباب خفض الصوت بالذكر إلا في المواضع التي ورد الشرع برفعه فيها (١٧/٢٥-٢٦).

استحباب خفض الصوت بالذكر، فدل ذلك على أن الذكر يكون بصوت، وأن المستحب خفضه لا منعه.

ويفسرها الحافظ ابن كثير ﷺ بقوله: "اذكر ربك في نفسك رغبة ورهبة وبالقول لا جهراً، ولهذا قال ودون الجهر من القول، وهكذا يستحب أن يكون الذكر لا نداءً وجهراً بليغاً"[1].

***الأدلة النبوية:**

جاءت السنة النبوية مؤكدة فضل الذكر باللسان، إلا أن هذا لا يعني أن يذكر الإنسان بلسانه وقلبُه ساه، فلابد من حضور القلب مع ذكر اللسان.

ومن هذه الأدلة: ما رواه الإمام البخاري ﷺ عن النبي ﷺ قال: "كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله العظيم، سبحان الله وبحمده"[2].

وفي سنن الترمذي ﷺ عن عبدالله بن بسر[3] ﷺ أن رجلاً قال: يا رسول الله إن شرائع الإسلام قد كثرت علي، فأخبرني بشيء أتشبث به قال: لا يزال لسانك رطباً من ذكر الله"[4].

وفي المسند قول النبي ﷺ: "إن الله عزوجل يقول: أنا مع عبدي إذا هو ذكرني وتحركت بي شفتاه"[5].

---

(١) تفسير ابن كثير (٢/٣١٢).

(٢) الصحيح مع الفتح، كتاب الدعوات، باب في فضل التسبيح، ح (٦٤٠٦)، (١١/٢٠٦).

(٣) هو عبدالله بن بسر المازني، أبو صفوان الحمصي، آخر من مات من الصحابة بالشام عام(٨٨هـ). انظر: طبقات ابن سعد (٧/٤١٣)، أسد الغابة (٣/١٨٦)، الإصابة (٢/٢٨١).

(٤) سنن الترمذي، كتاب الدعوات، باب ما جاء في فضل الذكر، ح (٣٣٧٥)، (٥/٤٥٨) قال أبو عيسى: حديث حسن، والحاكم (١/٤٩٥) وصححه ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في الجامع الصغير رقم (٧٧٠٠)، (٢/١٢٧٣).

(٥) مسند الإمام أحمد (٢/٥٤٠)، صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان كتاب الرقائق، باب الأذكار، ح (٨١٥)، (٣/٩٧)، صححه الألباني في الجامع الصغير رقم (١٩٠٦)، (١/٣٨٦).

وهذا التنصيص من النبي ﷺ على أن الذكر باللسان وتحريك الشفاه دليل قاطع وبرهان ساطع على أن الذكر المشروع باللفظ وليس بالقلب فقط.

ومنها: قوله ﷺ "أفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله وحده لا شريك له"[1].

وقوله (ما قلت) يدل على أنه باللسان إذ لا يطلق على الذكر القلبي قول.

وروى الإمام مسلم رحمه الله قوله ﷺ لأبي ذر رضي الله عنه "ألا أخبرك بأحب الكلام إلى الله قلت: يا رسول الله أخبرني بأحب الكلام إلى الله فقال: إن أحب الكلام إلى الله سبحان الله وبحمده"[2].

والكلام إذا أطلق يتناول اللفظ والمعنى جميعاً، وإذا سمي المعنى وحده كلاماً، أو اللفظ وحده كلاماً، فإنما ذلك مع قيد يدل على ذلك وهذا مذهب السلف والفقهاء والجمهور[3].

ولا قيد في الحديث فدل ذلك على أن ذكر الله يكون باللفظ والمعنى جميعاً.

وهذا المعنى هو ما فهمه علماء الأمة وبه قالوا.

يقول الإمام النووي رحمه الله :

"اعلم أن الأذكار المشروعة في الصلاة وغيرها واجبة كانت أو مستحبة، لا يحسب شيء منها ولا يعتد به حتى يتلفظ به، بحيث يسمع نفسه إذا كان صحيح السمع لا عارض له"[4].

---

(١) موطأ مالك، كتاب القرآن، ح (٣٢)، (١/٢١٤-٢١٥) وفي كتاب الحج، ح (٢٤٦)، (١/٤٢٢-٤٢٣) والترمذي في سننه كتاب الدعوات، باب في دعاء يوم عرفة، ح (٣٥٩٤)، (٥/٥٧٢)، حسنه الألباني في السلسلة الصحيحة، رقم (١٥٠٣)، (٤/٦).

(٢) صحيح مسلم مع النووي، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل سبحان الله وبحمده (١٧/٤٨).

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٦/٥٣٣).

(٤) الأذكار النووية، ص (١٠).

وقال الحافظ ابن حجر ﷺ في الفتح: "من صفات الداعي عدم الجهر والمخافتة فيسمع نفسه ولا يسمع غيره"(١).

وذكر الإمام ابن القيم ﷺ من موانع إجابة الدعاء "إذا لم يجمع بين قلبه ولسانه في الدعاء"(٢).

وعلى هذا كان هدي النبي ﷺ؛ فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كان يُعد لرسول الله ﷺ في المجلس الواحد مائة مرة من قبل أن يقوم: رب اغفر لي وتب علي إنك أنت التواب الغفور"(٣).

وفي هذا دلالة على أن النبي ﷺ يذكر بلسانه ويسمع منه أصحابه ذلك، والنبي ﷺ هو معلم الأمة وقدوتها، قال الله تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ ﴾(٤).

فأين هذا من هدي مشايخ الصوفية الذين استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله. فإذا تقررت مشروعية ذكر الله تعالى باللسان فلا يعني ذلك أن الذكر مقتصر عليه، بل لابد من حضور القلب أثناء الذكر.

وقد رد الإمام النووي ﷺ على من ترك الذكر باللسان خوفاً من الرياء فقال:

"ثم لا ينبغي أن يترك الذكر باللسان مع القلب خوفاً من أن يُظن به الرياء، بل يذكر بهما جميعاً ويقصد به وجه الله تعالى.. ولو فتح الإنسان عليه باب ملاحظة الناس، والاحتراز من تطرق ظنونهم الباطلة لانسد عليه أكثر أبواب

---

(١) فتح الباري (١١/١٣٢).

(٢) الجواب الكافي، ص (٢٥).

(٣) سنن الترمذي، كتاب الدعوات، باب ما يقول إذا قام من المجلس، ح (٣٤٣٤)، (٥/٤٩٤) قال أبو عيسى: حسن صحيح، ورواه البخاري في الأدب المفرد رقم (٦١٨)، (٢/٧٨)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم (٥٥٦)، (٢/٨٩).

(٤) سورة الأحزاب، الآية: (٢١).

الخير، وضيع على نفسه شيئاً عظيماً من مهمات الدين"[1].

وبهذا يتبين أن المشروع في الذكر اللفظ باللسان مع حضور القلب، وأما الاكتفاء بالذكر القلبي فهذا لم يرد في الشرع ولم يكن عليه السلف، وإنما هو من مبتدعات الصوفية فضلاً عما رافق هذه البدعة من حبس النَفَس، وتغميض العينين الذي لم يشرع في أي عبادة في الإسلام.

ثالثها: ذكر الله بالاسم المفرد.

من بدع الصوفية ذكرهم الله تعالى بالاسم المفرد سواء كان هذا الاسم مظهراً (الله) أو مضمراً (هو).

وهم يعتقدون أن ذكر العوام هو (لا إله إلا الله) أما ذكر الخاصة فهو (الله) وخاصة الخاصة (هو).

وقد استدلوا على ذلك بقوله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾[2].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ﴾[3].[4]

شرع الله تعالى لعباده ذكره، لتنتفع به القلوب، ويحصل به الثواب والأجر، والقرب إلى الله تعالى ومعرفته ومحبته وخشيته.

ولتحقيق تلك المطالب العالية والمقاصد السامية شرع الله أذكاراً وأرسل نبيه ﷺ يعلمنا كيف نذكره وبماذا نذكره. ولقد جاءت الأذكار الشرعية جميعها بالجملة التامة المفيدة.

ففي الأذان والصلاة والحج والأعياد والأذكار المطلقة والمقيدة يشرع ذكر الله تعالى بما هو تام مثل:

---

(١) الأذكار، ص (٦).

(٢) سورة الأنعام، الآية: (٩١).

(٣) سورة طه، الآية: (١٤).

(٤) انظر: ص (٢٢٠) من الرسالة.

الله أكبر، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله، سبحان ربي العظيم، سمع الله لمن حمده، لبيك اللهم لبيك ...

وعليه فذكر الله بالاسم المفرد مظهراً أو مضمراً فليس بكلام تام، ولا جملة مفيدة، ولا يتعلق به إيمان ولا كفر ولا أمر ولا نهي، ولم يشرع بحال، وليس في الأدلة الشرعية ما يدل على استحبابه بل لقد حفلت السنة النبوية بالكثير من الأحاديث التي تبين أن أفضل ما ذكر الله به وأحب الكلام إليه وإلى رسوله ﷺ هو ذكره بالكلام التام المفيد.

أما الذكر بالاسم المفرد فلم يرد فيه حديث واحد يحث عليه أو يرتب عليه أجراً.

جاء في صحيح مسلم رحمه الله من حديث أبي ذر رضي الله عنه قال: قال ﷺ: ".. إن أحب الكلام إلى الله: سبحان الله وبحمده"[(١)].

وفي رواية أخرى عنده "أن رسول الله ﷺ سئل أي الكلام أفضل؟ قال: ما اصطفى الله لملائكته أو لعباده سبحان الله وبحمده"[(٢)].

وعن جابر بن عبدالله رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "أفضل الذكر لا إله إلا الله، وأفضل الدعاء الحمد لله"[(٣)]. يشهد لفضلها أن الله تعالى خص نبيه وكليمه موسى عليه السلام بها.

فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: "قال موسى: يا رب علمني شيئاً أذكرك به وأدعوك به، قال: يا موسى لا إله إلا الله، قال موسى: يا رب كل عبادك يقول هذا؟قال: قل: لا إله إلا الله، قال: لا إله إلا أنت

---

(١) سبق تخريجه، ص (٣٣١).

(٢) صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل سبحان الله وبحمده، (٤٨/١٧).

(٣) رواه الترمذي في سننه، كتاب الدعوات، باب ما جاء في أن دعوة المسلم مستجابة، ح (٣٣٨٣)، (٤٦٢/٥)، والحاكم في مستدركه (٤٩٨/١) وصححه ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في السلسلة، ح (١٤٩٧)، (٤٨٤/٣).

إنما أريد شيئاً تخصني به، قال: يا موسى لو أن السماوات السبع وعامرهن غيري، والأرضين السبع في كفة، ولا إله إلا الله في كفة، مالت بهن لا إله إلا الله"[1].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "لأن أقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر أحب إلي مما طلعت عليه الشمس"[2].

لهذا جاءت أغلب أذكار رسول الله ﷺ وأدعيته تحوي هذه الألفاظ المباركة، مع ألفاظ أخرى تامة ومفيدة وتبعه في ذلك صحابته رضوان الله عليهم.

فذكر الله بالاسم المفرد أبعد عن السنة، وأدخل في البدعة، وأقرب إلى إضلال الشيطان.

وبهذا قال علماء الأمة رحمهم الله تعالى.

فقد سئل الشيخ العز بن عبدالسلام عن الرجل يذكر فيقول الله الله ويقتصر على ذلك هل هو مثل قوله سبحان الله، والحمد لله، والله أكبر وما أشبه ذلك أم لا؟ وإذا لم يكن بمثابتة فهل هو بدعة لم تنقل عن السلف أم لا؟

فأجاب:

هذه بدعة لم تنقل عن الرسول ﷺ ولا عن أحد من السلف وإنما يفعله الجهلة، والذكر المشروع كله لابد أن يكون جملة فعلية أو اسمية وهو مأخوذ من الكتاب والسنة والخير كله في اتباع الرسول ﷺ واتباع السلف الصالحين دون الأغبياء من الجاهلين"[3].

---

(١) السنن الكبرى للنسائي، كتاب عمل اليوم والليلة، باب أفضل الذكر وأفضل الدعاء، ح (١٠٦٠٢)، (٣٠٧/٩)، وابن حبان في صحيحه كتاب التاريخ باب بدء الخلق، ح (٦٢١٨)، (١٠٢/١٤)، والحاكم في المستدرك (٥٢٨/١) وصححه وتابعه الذهبي، وصححه الحافظ ابن حجر في الفتح (٢٠٨/١١).

(٢) صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء (١٩/١٧).

(٣) مواهب الجليل لشرح مختصر خليل (٢٩٠/٦).

قال ابن تيمية رحمه الله :

"إن الشرع لم يستحب من الذكر إلا ما كان كلاماً تاماً مفيداً مثل (لا إله إلا الله) (الله أكبر) (سبحان الله والحمد لله) (لا حول ولا قوة إلا بالله).

أما الاسم المفرد مظهراً مثل (الله) (الله) أو مضمراً مثل (هو) (هو) فهذا ليس بمشروع في كتاب ولا سنة ولا هو مأثور عن أحد من سلف الأمة، ولا عن أعيان الأمة المقتدى بهم"(1).

وقال في درء التعارض:

"فأما مجرد ذكر الاسم المفرد فلم تأت به الشريعة، وليس هو كلاماً مفيداً، إذ الكلام المفيد أن يخبر عنه باثبات شيء أو نفيه وأما التصور المفرد فلا فائدة فيه"(2).

وتابعه تلميذه ابن القيم رحمه الله فقال: "إن الذكر بالاسم المفرد غير مشروع أصلاً، ولا مفيد شيئاً، ولا هو كلام أصلاً، ولا يدل على مدح ولا تعظيم، ولا يتعلق به إيمان ولا ثواب، ولا يدخل به الذاكر في عقد الإسلام جملة، فلو قال الكافر (الله الله) من أول عمره إلى آخره لم يصر بذلك مسلماً، فضلاً عن أن يكون من جملة الذكر، أو يكون أفضل الأذكار. وبالغ بعضهم حتى قال: الذكر بالاسم المضمر أفضل من الذكر بقولهم (الله الله) وكل هذا من أنواع الهوس والخيالات الباطلة المفضية بأهلها إلى أنواع من الضلالات"(3).

وممن أدلى بدلوه في هذا الموضوع الإمام الصنعاني رحمه الله يقول:

"أما المتسمون بالمجاذيب الذين يلوكون لفظ الجلالة بأفواههم ويقولونها بألسنتهم ويخرجونها عن لفظها العربي فهم أجناد إبليس اللعين، ومن أعظم حمر

---

(1) مجموع الفتاوى (١٠/٥٥٦).

(2) درء تعارض العقل والنقل (٨/٥٣٥).

(3) طريق الهجرتين وباب السعادتين، ص (٣٩٧).

الكون الذين ألبستهم الشياطين حلل التلبيس والتزيين"[1].

ويضيف قائلاً:

"إن إطلاق الجلالة منفرداً ليس بكلام ولا توحيد، وإنما هو تلاعب بهذا اللفظ الشريف، بإخراجه عن لفظه العربي، ثم إخلائه عن معنى من المعاني..

ثم انظر هل أتى في لفظه من الكتاب والسنة ذكر الجلالة بانفرادها وتكريرها؟ أو الذي فيهما هو طلب الذكر والتوحيد والتسبيح والتهليل؟

وهذه أذكار رسول الله ﷺ وأدعيته، وأدعية آله وأصحابه، خالية عن هذا الشهيق والنهيق والنعيق، الذي اعتاده من هو عن الله، وعن هدي رسول الله ﷺ وسمته ودله في مكان سحيق"[2].

أما الآية التي استدلوا بها فإنها لا تدل على ما أرادوا، واستدلالهم بها خطأ واضح إذا أنهم لو تدبروا ما قبلها لتبين لهم المراد.

قال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوا أَنتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ ۖ قُلِ اللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾[3].

قال الإمام الطبري رحمه الله :

"وأما قوله (قل الله) فإنه أمر من الله جل ثناؤه نبيه محمداً ﷺ أن يجيب استفهامه هؤلاء المشركين عما أمره باستفهامهم عنه بقوله ﴿قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ..﴾ بقيله الله، أي الله أنزله على موسى"[4].

وقال البغوي رحمه الله :

(١) تطهير الاعتقاد، ص (٥٧-٥٨).
(٢) المرجع السابق، ص (٥٨).
(٣) سورة الأنعام، الآية: (٩١).
(٤) تفسير الطبري (٧/٢٧٠).

"(قل الله) هذا راجع إلى قوله ﴿قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ ..﴾، فإن أجابوك وإلا فقل أنت: الله، أي، قل: أنزله الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون"[1].

وقال القرطبي ﷺ :

"قل الله: أي قل يا محمد الله الذي أنزل ذلك الكتاب على موسى وهذا الكتاب علي. أو قل الله علمكم الكتاب"[2].

وقال ابن كثير ﷺ :

"قل الله: أي قل الله أنزله، وهو المتعين في تفسير هذه الكلمة، لا ما قاله بعض المتأخرين، من أن معنى (قل الله) أي لا يكون خطابك لهم، إلا هذه الكلمة، كلمة (الله)، وهذا، يكون أمراً بكلمة مفردة، من غير تركيب، والاتيان بكلمة مفردة لا يفيد في لغة العرب فائدة يحسن السكوت عليها"[3].

فعلى تفسير هؤلاء الأئمة يتبين أن قل الله. أي قل: الله أنزل الكتاب الذي جاء به موسى.

فهذا كلام تام، وجملة اسمية مركبة من مبتدأ وخبر حذف الخبر منها لدلالة السؤال على الجواب.

أما الآية الأخرى وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ﴾[4]. فظاهرها يدل على فساد الاستدلال بها إذ هي من قول الله تعالى عن نفسه وليس فيها الأمر بقول هذا اللفظ أو تكراره أو التعبد به. لذا جاءت أقوال المفسرين في تفسيرها خالية من الإشارة إلى هذه البدعة.

---

(١) معالم التنزيل (٢/١١٥).
(٢) الجامع لأحكام القرآن (٧/٢٦).
(٣) تفسير القرآن العظيم (٢/١٧٥).
(٤) سورة طه، الآية: (١٤).

يقول الإمام الطبري رحمه الله :

"يقول تعالى ذكره: إنني أنا المعبود الذي لا تصلح العبادة إلا له، لا إله إلا أنا فلا تعبد غيري"[1].

وقال ابن كثير رحمه الله :

"﴿ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ ﴾ هذا أول واجب على المكلفين أن يعلموا أنه لا إله إلا الله وحده لا شريك له"[2].

مما سبق يتبين أن ذكر الله بالاسم المفرد بدعة من بدع الصوفية لم تثبت عن رسول الله ﷺ ولا عن صحابته رضوان الله عليهم إنما هي من الجهال الضلال وإنما نحن مأمورون باتباع المصطفى ﷺ قال تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾[3].

رابعها: السماع والرقص.

لم يكتف الصوفية بابتداع الأوراد والأذكار حتى ابتدعوا لها السماع والرقص. ويراد بالسماع قراءة الأذكار والأوراد بصوت منغم وبإيقاعات موسيقية مع استخدام الآلات الخاصة بذلك، ويصحب ذلك الرقص على أنغامها، وقد تستبدل بعض الطرق قراءة الأوراد والأذكار بقراءة الأشعار الغزلية التي يزعمون أنهم يقصدون بها الذات الإلهية، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

قد سبق تأصيل أن الذكر عبادة، والعبادة لا تقبل إلا بشرطين: الإخلاص والمتابعة.

ولقد بينت سنة النبي ﷺ كيف كان ذكره فقد كان ذكره ﷺ وذكر صحابته من بعده، ذِكْرٌ من قلبٍ مؤمن ضارع امتلأ حباً لله وخشية، فذكر برهبة ورغبة،

(١) جامع البيان (١٤٧/١٦).
(٢) تفسير القرآن العظيم (١٦٠/٣).
(٣) سورة الأحزاب، الآية (٢١).

وتوجه إلى مولاه في إيمان صادق وتوحيد خالص.

يقول الله سبحانه واصفاً المؤمنين حال ذكرهم: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾[1].

وقال الله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴾[2].

وقال الله سبحانه: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾[3].

هكذا كان وصف الله تعالى للذاكرين من المؤمنين، وكان ﷺ وصحابته خير أمثلة في التطبيق العملي لهذا الذكر الخاشع الذي تطمئن به القلوب، وتقشعر منه الجلود، وتذرف منه العيون. فعن العرباض بن سارية[4] رضي الله عنه قال:

"وعظنا رسول الله موعظة بليغة وجلت منها القلوب، وذرفت منها العيون، فقلنا يا رسول الله كأنها موعظة مودع فأوصينا، قال: أوصيكم بتقوى الله عزوجل، والسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبد حبشي، وإن من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة"[5].

وأما السماع والرقص فلم يكن أبداً من ذكر النبي ﷺ أو ذكر أصحابه رضي الله عنهم

---

(١) سورة الأنفال، الآية: (٢).

(٢) سورة الزمر، الآية: (٢٣).

(٣) سورة الرعد، الآية: (٢٨).

(٤) هو العرباض بن سارية السلمي، كنيته أبو نجيح، كان من أهل الصفة، نزل حمص، مات سنة (٧٥هـ). انظر: طبقات ابن سعد (٤/٢٧٦)، أسد الغابة (٤/١٩)، العبر (١/٦٣).

(٥) سبق تخريجه، ص (٢٠٣).

أو من تبعهم بإحسان، وإنما هو مما بليت به الأمة بسبب المتصوفة حتى شاع في بلاد الإسلام يوم أن ضُيع العلم وتركت السنة إلا من رحم الله تعالى وقليل ما هم، ومن تلك البلاد التي ابتليت بهذه البدع بلاد الترك خاصة مع ازدياد نفوذ الطريقة المولوية التي اتخذت من السماع والرقص ديناً لها. وقد مَنَّ الله تعالى على تلك البلاد بعلماء متبعين تصدوا لهذا البلاء. ومن هؤلاء القاضي زاده أحمد بن عبدالله الرومي ﷀ (١١٩٧هـ)، يقول في شرحه لوصية محمد البركوي ﷀ (ت٩٨١هـ).

"ومجلس السماع، هو ذاك المجلس الذي يجتمع فيه زمرة من المتصوفة، ويقرؤون فيه أبياتاً منغمة ملحنة حسب قاعدة الموسيقى، ويتصايحون بما يحرك العشق في كلمات أشياخهم المنظومة. فليس يجوز حضور أمثال هذا المجلس وبخاصة عند وجود آلات اللهو، من ناي، ودف، وطبل، واختلاط الغلمان والعوام والأرذال فيه، فيصير عندئذ مجلس فسق تام والعياذ بالله، ويشتغلون فيه بالرقص والدوران .. ومن عجب أن متصوفة زماننا وهم الكُمَّل في مرتبة الجهل والعناد، يدعون محبة الله، ومع زعمهم هذا يقترفون الكبائر والقبيحات، ويجتمعون في بعض الأيام في بيوت سماعهم، يرقصون ويدورون على أنغام وألحان أشعارهم وأغنياتهم. وقد تحلق طائفة من العامة حولهم، يستمعون باهتمام إليهم، يعدون مشهد أمثال هذا المجلس الجامع لعظائم القبائح، والعديد من الكبائر، عبادة كبرى. ثم لا تجدهم يعدون استماعهم تلك النغمات، ونظرهم إلى المرد الملاح، واللذة الشهوانية الحاصلة من ذلك، عيباً يقبح إتيانه. بل يزعمون أن ذلك من لذة العبادة وحلاوة ذكر الله، وفيضاً عظيماً شع منهم !! نعوذ بالله تعالى.

وإن هذه الطائفة وأمثالها، ممن لا كتاب لهم لهي مقدمة عسكر الدجال.

وإني لأوصي أولادي وإخواني والمؤمنين طراً، ألا يجالسوا ويصادقوا هؤلاء، وألا يبعدوا عن الإسلام، وأن يعتصموا بالشريعة المحمدية

بأرواحهم، وأن يولوها اهتمامهم، وأن يتعلموا فقهم العبادي، ويحصلوا عقد أهل السنة"[1].

ومن هؤلاء العلماء أيضاً شيخ الإسلام أبو السعود أفندي ﷺ وقد ترجم الأستاذ محمد القونوي مجموعة من فتاواه التي تتعلق بالرقص والدوران.

"سؤال: هل يجوز شرعاً لذاكر الباري عزوجل أن يذكره وهو يدور، وقد غلبه حال الوجد، وكان ذلك فيه بلا اختيار؟

الجواب: لا يصح أن يكون بلا اختيار وهو يدور ولا يسقط !!

سؤال: ما حكم المتصوفة الموجودين في زماننا الذين يقولون بإباحة الدوران ويسمونه توحيداً هل يكفرون؟

الجواب: قد أفتى جماعة بكفر من قال بإباحة الدوران، لكن التوقف بتكفيرهم أقرب للاحتياط، وأنسب ألا يكفر إلا من قال بأنه عبادة.

فسئل: ما وجه لزوم كفر القائلين بقُربيّة الدوران، وعدم لزوم كفر القائلين بإباحته؟

فأجاب: المباح ليس مأموراً به، أما العبادة فمن المؤكد أنها مأمور بها، والقائل بحله لم يفتر على الله تعالى بقوله إنه تعالى أمر به حتى يكفر، أما الذي يعده عبادة، ذاك اللاعب العابث، فقد جمع إلى عبثه ولعبه، وحرمته المقررة، وكفر الكفار المشهور وكمال مشابهته لهم، دعواه أن ذلك أمر الله عزوجل يطلب الثواب عليه.

وسئل: عن الذي يستدل على حل الرقص والدوران بقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾[2] وبدعوى سماع الرسول ﷺ ورقصه،

---

(١) القاضي زادة أحمد، الجوهرة البهية الأحمدية في شرح الوصية المحمدية، ترجمة محمد القونوي في كتابه أخبار جلال الدين الرومي، ص (٢٧٤-٢٧٥).

(٢) سورة آل عمران، الآية: (١٩١).

وما روي عن إباحة بعض الأئمة لذلك.

فأجاب: ليس في الآية الكريمة إشارة على جواز الرقص قطعاً، وعلى المتمسك لتحليل تلك الأفعال القبيحة بهذه الآية، أن يجدد إيمانه، لأنه حرف معنى كلام الله، وجعله تابعاً لهواه. أما رقص الصوفية الآن فهو في الحقيقة رقص الديكة الكفار ونقزهم، فهم بذلك يتشبهون بالكفار، وإسناد الرقص إلى رسول الله ﷺ هو كفر في حد ذاته، لأن فعل الرقص من أفعال السفهاء، وإسناد أفعال السفهاء إلى الأنبياء كفر، .. كما أن إسناد ذلك للأصحاب الكبار كذب وافتراء،..

ولم يقل مجتهد واحد أن الرقص حلال، وكل واعظ زعم غير هذا فهو ضال مضل يستحق التعزير الشديد ويلزم حبسه، وإن أصرَّ وقال: العلماء ليسوا مطلعين على أسرار أهل الذوق فهو زنديق يجب قتله، وإن تاب بعد أخذه فلا يقبل منه.

وسئل: هل على الحكام والولاة أن يمنعوا الطائفة التي ترقص وتدور؟

فأجاب: نعم يجب ذلك، فوظيفتهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[1].

استمر النكير على رقص الصوفية وسماعهم خاصة الطريقة المولوية حتى كان عهد مراد الرابع رحمه الله، إذ استصدر الفقهاء فتوى من شيخ الإسلام آنذاك بهائي أفندي[2] بتحريم الرقص في تلك الحقبة من الزمان، كما بيتوا النية على شن غارات على تكاياهم، وتكليف الدراويش بتجديد الإيمان، ثم اجتمعوا في مسجد الفاتح في الأيام الأولى من حكم الصدر الأعظم كوبريلي محمد باشا[3]

---

(١) أخبار جلال الدين، ص (٢٦٦-٢٦٩).

(٢) هو محمد بن عبدالعزيز بن محمد، مفتي الدولة العثمانية في عهد السلطان مراد الرابع، تقلب في عدة وظائف قضائية إلى أن عين مرتين مفتياً للدولة، توفي عام (١٠٦٤هـ).
انظر: خلاصة الأثر، للمحبي (٤/٢-٩)، تاريخ مؤسسة شيوخ الإسلام في العهد العثماني (١/٥٠٢-٥٠٧).

(٣) هو محمد باشا كوبريلي، الوزير الأعظم في عهد السلطان محمد الرابع، تولى الوزارة عام (١٠٦٦هـ)، كان له فضل كبير بعد الله تعالى في حفظ الدولة العثمانية من الانهيار في النصف الثاني من القرن الحادي عشر الهجري، توفي عام (١٠٧٢هـ). =

عاقدين العزم على تحطيم التكايا وتقويض أركانها، إلا أن الصدر الأعظم أمر بقتلهم بعد أن عدهم عصاة ومتمردين ونفى رؤساءهم إلى قبرص، وهدأت الثورة. وقد منع الرقص والسماع بعد ذلك في عام (١٠٧٧هـ) بسبب أنه كان يثير حنق وغيظ الفقهاء، ودوّن الدراويش ذلك العام على أنه عام المنع السيء، وقد استمر هذا المنع ما يقارب ثمانية عشر عاماً أجيز السماع بعدها في عام (١٠٩٥هـ)[1].

ولاشك أن موقف هؤلاء العلماء رحمهم الله تعالى جاء موافقاً لما في الكتاب والسنة وما عليه مجموع فتاوى الأئمة رحمهم الله تعالى.

ففي كتاب الله تعالى قوله: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾[2].

"سئل عبدالله بن مسعود ﷺ عن لهو الحديث المذكور في الآية فقال: الغناء، والذي لا إله إلا هو، يرددها ثلاث مرات.

وفسره ترجمان القرآن، ومعلّم التأويل عبدالله بن عباس ﷺ بالغناء وأشباهه. وبه قال عكرمة، ومجاهد رحمهما الله، وفي رواية عنه قال: اللهو: الطبل"[3].

وأما الأحاديث في ذلك فمتعددة، منها:

ما رواه الإمام البخاري ﷺ عن النبي ﷺ قال: "ليكونن من أمتي أقوام يستحلون الحِرَ، والحرير، والخمر، والمعازف"[4].

= انظر: خلاصة الأثر، للمحبي (٣٠٩/٤-٣١١).

(١) انظر: المولوية بعد مولانا، ص (٢٦٩-٢٧٠).

(٢) سورة لقمان، الآية: (٦).

(٣) تفسير الطبري (٦١/٢١-٦٣).

(٤) صحيح البخاري مع الفتح، كتاب الأشربة، باب فيما جاء فيمن يستحل الخمر ويسميه بغير اسمه، ح (٥٥٩٠)، (٥١/١٠).

قال شيخ الإسلام رحمه الله: "دل هذا الحديث على تحريم المعازف. والمعازف هي آلات اللهو عند أهل اللغة، وهذا اسم يتناول هذه الآلات كلها"[1].

وعن عمران بن حصين[2] رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "في هذه الأمة خسف ومسخ وقذف، فقال رجل من المسلمين: يا رسول الله ومتى ذاك؟ قال: إذا ظهرت القينات والمعازف، وشربت الخمور"[3].

وعن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما، عن رسول الله ﷺ قال: "إن الله حرم عليكم الخمر، والميسر والكوبة"[4]. والكوبة هو: الطبل[5].

وعلى هذا سار أصحاب رسول الله ﷺ ومن بعدهم، فإنه لم يكن في القرون المفضلة لا بالحجاز ولا بالشام، و لا باليمن، ولا بمصر، ولا المغرب، ولا العراق، من أهل الدين والصلاح والزهد والعبادة من يجتمع على مثل سماع المكاء والتصدية، لا بدف، ولا بكف، ولا بقضيب، وإنما أحدث هذا بعد ذلك في أواخر المائة الثانية فلما رآه الأئمة أنكروه. وقد استمر إنكار الأئمة على هذا الباطل بكل سبيل ومن ذلك تصنيف المصنفات في الرد على هؤلاء، والرد في الفتاوى بما يضلل هذه الطوائف. فقد أجمع الأئمة على حرمة السماع والرقص.

ولعل أهم ما يُبدأ به مذهب الإمام أبي حنيفة رحمه الله، إذ هو المذهب الذي تتبعه الدولة العثمانية ومذهبه في ذلك أشد المذاهب، وقوله فيه أغلظ الأقوال[6]،

---

(١) مجموع الفتاوى (١١/٥٣٥).

(٢) عمران بن حصين بن عبيد بن خلف الخزاعي، أسلم عام خيبر، كان ممن اعتزل الفتنة أيام علي بن أبي طالب رضي الله عنه، له (١٨٠) حديثاً، توفي عام (٥٢هـ) بالبصرة.
انظر: طبقات ابن سعد (٤/٢٨٧)، أسد الغابة (٤/٢٨١)، الإصابة (٧/١٥٥).

(٣) رواه الترمذي في سننه، كتاب الفتن، باب ما جاء في علامة حلول المسخ والخسف، ح (٢٢١٢)، (٤/٤٩٥)، صححه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم (٢٢٠٣) (٥/٢٣٦).

(٤) أخرجه الإمام أحمد (٤/٣٨١)، (٥/٣١٥)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير رقم (١٧٤٨)، (١/٣٦٠).

(٥) النهاية في غريب الحديث (٤/٢٧٠).

(٦) انظر: إغاثة اللهفان، ص (٢٣١).

وقد صرح أصحابه بتحريم سماع الملاهي كلها، كالمزمار، والدف، حتى الضرب بالقضيب، وصرحوا بأنه معصية، يوجب الفسق وترد به الشهادة، وأبلغ من ذلك أنهم قالوا: إن السماع فسق، والتلذذ به كفر.

جاء في مجمع الأنهر في شرح ملتقى الأبحر:

"استماع صوت الملاهي معصية، والجلوس عليها فسق، والتلذذ بها كفر"[1].

وقال ابن الهمام الحنفي[2] رحمه الله:

"من دعي إلى وليمة فليجب وإن لم يجب أثم .. وإن علم المدعو أن فيها لهواً أو غناءً لا يجب مطلقاً سواء كان ممن يقتدي به أولا. وإن لم يعلم حتى حضر فإن قدر على المنع فعل، وإلا فإن كان مقتدى به فلا يقعد، والا فلا بأس بالقعود قال الإمام أبو حنيفة: ابتليت به مرة فصبرت وهو محمول على ما قبل أن يصير مقتدى به. ودل قوله (ابتليت به) على حرمة كل الملاهي حتى التغني بضرب القضيب"[3].

ومن هنا ذهب الحنفية إلى تحريم سماع الصوفية قالوا:

"وما يفعله متصوفة زماننا حرام لا يجوز القصد والجلوس إليه"[4].

وبما قاله الحنفية قاله فقهاء المذاهب الأخرى ففي سؤال ورد إلى الشيخ أبي بكر الطرطوشي[5] رحمه الله جاء فيه : ما تقول سيدنا الفقيه في مذهب الصوفية أنه

---

(١) مجمع الأنهر في شرح ملتقى الأبحر، محمد بن سلمان المعروف بداماد أفندي (٢/٥٥٣).

(٢) ابن الهمام هو: محمد بن عبدالواحد بن عبدالحميد، كمال الدين، الشهير بابن الهمام الكندري السيواس، ولد سنة (٧٩٠هـ)، وتوفي سنة (٨٦١هـ) من كتبه المسايرة في العقيدة. انظر: الفوائد البهية، ص (١٨٠).

(٣) تكملة شرح فتح القدير (١٠/١٢-١٤)، وانظر أيضاً مجمع الأنهر (٢/٥٥٠).

(٤) مجمع الأنهر (٢/٥٥١).

(٥) هو محمد بن الوليد بن محمد القرشي، الفهري، أديب من فقهاء المالكية الحفاظ، سكن الاسكندرية وأقام فيها، تولى التدريس، توفي عام (٥٢٠هـ).
انظر: العبر (٢/٤١٤)، الديباج المذهب، ص (٢٧٦)، شذرات الذهب (٤/٦٢-٦٤).

يجتمع من الرجال فيكثرون من ذكر الله تعالى وذكر محمد ﷺ ثم إنهم يرقصون بالقضيب على شيء من الأديم ويقوم بعضهم يرقص ويتواجد حتى يقع مغشياً عليه، ويحضرون شيئاً يأكلونه هل الحضور معهم جائز أم لا؟ أفتونا رحمكم الله.

الجواب: رحمك الله مذهب الصوفية بطالة وجهالة وضلالة، وما الإسلام إلا كتاب الله وسنة رسوله ﷺ. وأما الرقص والتواجد فأول ما أحدثه أصحاب السامري لما اتخذ لهم عجلاً جسداً له خوار، قاموا يرقصون حواليه ويتواجدون فهو دين الكفار وعباد العجل، وأما القضيب فأول من اتخذه الزنادقة ويشغلون به المسلمين عن كتاب الله. وإنما كان مجلس النبي ﷺ وأصحابه كأنما على رؤوسهم الطير من الوقار، فينبغي للسلطان ونوابه إن يمنعوهم من الحضور في المساجد وغيرها، ولا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يحضر معهم، ولا يعينهم على باطلهم، هذا مذهب مالك وأبي حنيفة والشافعي وأحمد بن حنبل وغيرهم من المسلمين"(1).

وقد جمع الشيخ محمد صفي الدين الحنفي(2) رحمه الله في كتابه (الصاعقة المحرقة على المتصوفة الراقصة المتزندقة) أقوال جماعة من الأئمة الأعلام الذين أجمعوا على حرمة السماع والرقص. ثم قال:

"من له إنصاف وديانة واستقامة طبع إذا رأى رقص صوفية زماننا في المساجد والدعوات بألحان ونغمات، مختلطاً بهم المرد وأهل الأهواء والقرى من جهال العوام، والمبتدعة الطغام لا يعرفون الطهارة والقرآن، والحلال والحرام، بل لا يعرفون الإيمان والإسلام، لهم زعيق وزئير ونهاق يشبه نهاق الحمير، يبدلون كلام الله، ويغيرون ذكر الله تعالى، ثم يتلفظون بألفاظ مهملة وهذيانات كريهة،

---

(1) الصاعقة المحرقة، ص (34)، تفسير القرطبي (11/237-238).

(2) هو محمد بن أحمد بن محمد بن خير الله أبو الفضل، صفي الدين الحنفي الأثري البخاري، من أعلم أهل الشام بالحديث في عصره. سكن نابلس وتوفي فيها بالطاعون عام (1200هـ). انظر: الأعلام (6/15).

يقول: لا محالة اتخذوا دينهم لهواً ولعباً .. فالويل للقضاة والحكام حيث يعرفون، ويشاهدون ولا ينكرون، ولا يغيرون مع قدرتهم عليهم، بل يخافون منهم ويلتمسون الدعاء"[1].

وهذا رأي شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله قال:

"وأما الرقص فلم يأمر الله تعالى به ورسوله ولا أحد من الأئمة بل قد قال الله تعالى على لسان لقمان: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾[2] فالرقص شيء من هذا. وقال تعالى على لسان لقمان: ﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ﴾[3] وقال الله تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾[4]، أي بسكينة ووقار، وإنما عبادة المسلمين الركوع والسجود، بل الدف والرقص في الطريق لم يأمر الله تعالى به ولا رسوله ولا أحد من سلف الأمة"[5].

وينقل الحافظ ابن حجر رحمه الله في الفتح للقرطبي رحمه الله قولاً في هذه المسألة يقول:

"وأما ما ابتدعه الصوفية في ذلك - أي في الرقص - فمن قبيل ما لا يختلف في تحريمه، لكن النفوس الشهوانية غلبت على كثير ممن ينسب إلى الخير، حتى لقد ظهرت من كثير منهم فعلات المجانين والصبيان، حتى رقصوا بحركات متطابقة، وتقطيعات متلاحقة، وانتهى التواقح بقوم منهم إلى أن جعلوها من باب القُرب وصالح الأعمال.. وهذا على التحقيق من آثار الزندقة"[6].

---

(١) الصاعقة المحرقة، ص (٤٥).

(٢) سورة لقمان، جزء من آية: (١٨).

(٣) سورة لقمان، جزء من آية: (١٩).

(٤) سورة الفرقان، الآية: (٦٣).

(٥) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٥٩٩/١١).

(٦) الفتح، كتاب العيدين، باب الحراب والدرق يوم العيد في شرحه لحديث نظر عائشة رضي الله عنها للعب الحبشة بالحراب والدرق، ح (٩٤٩)، (٤٤٢/٢).

وقد نظم الإمام ابن القيم رحمه الله قصيدة أنكر فيها على المتصوفة ولعهم بالسماع وإيثارهم إياه على قراءة القرآن يقول فيها:

تلي الكتاب فأطرقوا لا خيفة ... لكنه إطراق ساه لاهي

وأتى الغناء فكالذباب تراقصوا ... والله ما رقصوا من أجل الله

دف ومزمار ونغمة شاهد ... فمتى شهدت عبادة بملاهي؟

ثقل الكتاب عليهم لما رأوا ... تقييده بأوامر ونواهي

وعليهم خف الغنا لما رأوا ... إطلاقه في اللهو دون مناهي

يا فرقة ما ضر دين محمد ... وجنى عليه وملة إلا هي

سمعوا له رعداً وبرقاً إذ حوى ... زجراً وتخويفاً بفعل مناهي

ورأوه أعظم قاطع للنفس عن ... شهواتها يا ويحها المتناهي

وأتى السماع موافقاً أغراضها ... فلأجل ذاك غدا عظيم الجاه

إن لم يكن خمر الجسوم فإنه ... خمر العقول مماثل ومضاهي

فانظر إلى النشوان عند شرابه ... وانظر إلى النشوان عند تلاهي

وانظر إلى تمزيق ذا أثوابه ... من بعد تمزيق الفؤاد اللاهي

فاحكم بأي الخمرتين أحق بالـ ... تحريم والتأثيم عند الله[1]

وممن رد على الصوفية هذه البدعة العلامة صديق بن حسن القنوجي رحمه الله يقول: "والذي ترجح عند المحققين من أهل الحديث أن الذكر بالصيغة المذكورة - أي بالسماع - بدعة وأي بدعة، وفيها من إساءة الأدب مع الله سبحانه، والتشبه بالفرق التي يذكرون الله في معابدهم على نغمات العود والوتر ما لا يقادر قدره .. ولم يثبت حديث واحد ولو ضعيفاً في جواز ذكر الله على هذه الصفة المشار إليها، فلا خير فيه ولا أجر عليه بل هو ضرر محض ووزر صرف ومنكر واضح"[2].

---

(١) مدارج السالكين (٥٢٣/١-٥٢٤).

(٢) التاج المكلل، ص (٥١١).

ولا ريب أن أنكر ما في السماع اتخاذ بعضهم إياه ديناً وقربة يتقرب بها إلى الله تعالى.

يقول شيخ الإسلام ﷺ في فتاويه:

"فإن طائفة من المتصوفة تتخذ سماع الغناء ديناً، وإن لم تقل بألسنتها أو تعتقد بقلوبها أنه قربة .. فحالهم وعملهم هو استحسانها في قلوبهم ومحبتهم لها ديانة وتقرباً إلى الله، وإن كان بعضهم قد يعتقد ذلك ويقوله بلسانه"[1].

وعند قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً ﴾[2].

يقول ﷺ : "فمن اتخذ نظير هذا السماع عبادة وقربى يتقرب بها إلى الله فقد ضاهى هؤلاء - المشركين - في بعض أمورهم"[3].

وفي فتوى للعلامة ابن قدامة المقدسي[4] ﷺ ردٌ نفيس على من اعتقد أن السماع قربة لله تعالى.

يقول على سؤال ورده جاء فيه: "ما تقول السادة الفقهاء .. فيمن يسمع الدف والشبابة والغناء ويتواجد حتى إنه يرقص .. مع اعتقاده أنه محب لله وأن سماعه وتواجده ورقصه في الله ؟

فأجاب .. إن فاعل هذا مخطئ ساقط المروءة، والدائم على هذا الفعل مردود الشهادة في الشرع غير مقبول القول ..

وهذا معصية ولعب ذمه الله تعالى ورسوله، وكرهه أهل العلم وسموه

---

(١) مجموع الفتاوى (٣/٣٥٩).

(٢) سورة الأنفال، الآية: (٣٥).

(٣) مجموع الفتاوى (٣/٣٥٩).

(٤) عبدالله بن أحمد بن قدامة المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، فقيه من أكابر الحنابلة، له مصنفات كثيرة منها: المغني، روضة الناظر، لمعة الاعتقاد، الكافي. توفي في دمشق سنة (٦٢٠هـ).

انظر: المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد، لابن مفلح (٢/١٥-١٩)، البداية والنهاية (١٣/٩٩)، النجوم الزاهرة (٦/٢٥٧).

بدعة، ونهوا عن فعله، ولا يتقرب إلى الله سبحانه بمعاصيه، ولا يطاع بارتكاب مناهيه .. ومن اتخذ اللهو واللعب ديناً كان كمن سعى في الأرض بالفساد، ومن طلب الوصول إلى الله سبحانه من غير طريق رسول الله ﷺ وسنته فهو بعيد من الوصول إلى المراد..

فما نقل عن النبي ﷺ ولا عن أحد من صحابته أنه سلك هذه الطريقة الرديئة، ولا سهر ليلة في سماع يتقرب به إلى الله سبحانه.

ولا قال: من رقص فله من الأجر كذا، ولا قال: الغناء ينبت الإيمان في القلب، ولا استمع الشبابة فأصغى إليها وحسنها، أو جعل في استماعها وفعلها أجراً، وهذا أمر لا يمكن مكابرته.

وإذا صح هذا لزم ألا يكون قربة إلى الله سبحانه، ولا طريقاً موصلاً إليه، ووجب أن يكون من شر الأمور"[1].

ولا يؤخذ على السماع والرقص أنه بدعة فقط بل يحوي منكرات عديدة منها الاستخفاف ببيوت الله تعالى.

يذكر الإمام السيوطي رحمه الله ذلك بقوله: "فمن فعل ذلك - أي السماع والرقص - في المسجد فهو مبتدع ضال مستحق للطرد والضرب؛ لأنه استخف بما أمر الله بتعظيمه، قال تعالى: ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ ﴾[2] أي يتلى فيها كتابه وبيوت الله هي المساجد"[3].

ومن هذه المنكرات أيضاً ما ذكره الشيخ القاسمي رحمه الله قال:

"منها: رفع الصوت بالمسجد وهو مكروه كراهة شديدة، ومنها: التغني والتطرب في بيوت لم تشيد إلا للذكر والعبادة.

---

(١) ذم ما عليه مدعو التصوف، ص (٦-١٠).

(٢) سورة النور، جزء من آية: (٣٦).

(٣) الأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع، ص (٢٧٥).

ومنها: كون هذه البدعة مجلبة للنساء والأولاد والرعاع، ومنها: كونها داعية لاختلاط النساء بالرجال. ومنها: كونها ينشأ عنها هتك حرمة المسجد لاتساخه بهؤلاء وكثرة الضوضاء والصياح .. مما لو رآه السلف لضربوا على أيدي مبتدعيه، وقاوموا بكل قواهم من أحدث فيه، والمستعان بالله"[١].

مما تقدم يتأكد فساد ما ذهب إليه الصوفية من السماع والرقص وأنه لا يجوز له من الشرع لا من الكتاب ولا من السنة ولا أقوال الأئمة. ويكفينا في ذلك اعتراف الصوفية أنفسهم. فقد نقل السهروردي عن ممشاد الدينوري قال: "رأيت النبي ﷺ في المنام فقلت: يا رسول الله؛ هل تنكر من هذا السماع شيئاً؟! فقال: ما أنكره، ولكن قل لهم يفتتحون قبله بقراءة القرآن ويختمون بعده بالقرآن"[٢].

هكذا فعل الصوفية لما لم يجدوا لهم من الشرع مستنداً لجأوا إلى مصدر المعرفة لديهم وهو الرؤى والأحلام. ولا ريب أن هذا المنام - إن صدق - من تسلط الشياطين عليهم ليمدوا لهم من الضلال مداً، وإلا فإن الدين قد كمل قبل وفاة النبي ﷺ. وأما الرؤى والأحلام فلا تعتمد تشريعاً، فلا تحل حراماً ولا تحرم حلالاً، ويؤكد تسلط الشيطان عليهم ما سطره القشيري في رسالته، فقد ذكر أن أبا الحارث الأولاسي الصوفي رأى في منامه أن الشيطان رقص، ورقص معه جنوده وقال له: يا أبا الحارث ما أصبت شيئاً أدخل به عليكم إلا هذا (!!)"[٣].

ولما تسلط عليهم الشيطان سلبهم ذكر الله تعالى بمقتضى الشرع وأبدلهم فسوقاً وضلالاً حتى أصبحت حياة المتصوفة لهواً وسخفاً، أضاعوا أوقاتهم وأعمارهم في مجالس السماع والرقص، وضاعت عبادة السعي في مناكب الأرض،

---

(١) إصلاح المساجد، ص (١٢٧).
(٢) عوارف المعارف (١١/٢).
(٣) الرسالة (٦٥٨/٢)، باب السماع.

وطلب الرزق، والجهاد، وطلب العلم، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وكل الأمور التي تسهم في علو الأمة فانحطوا بها بهذا اللهو والفجور، وكانت تلك الحِلق من أسباب ضعف الدولة العثمانية وانهيارها ولا حول ولا قوة إلا بالله.

د- التبرك غير المشروع بآثار النبي ﷺ بعد وفاته:

تعرف الآثار النبوية عند العثمانيين (بالأمانات المباركة) وهي محفوظة بقصر (طوب قابي) بالقسطنطينية، وكان بنو عثمان يبالغون في تعظيمها، ويعدونها من مفاخر دولتهم.

يذكر مؤرخو الترك أنها كانت عند الشرفاء أمراء مكة، فلما دخل السلطان سليم إلى مصر عام (٩٢٣هـ) بعث بها إليه الشريف بركات[(١)] مع ولده أبي نُمَي"[(٢)].

وذهب بعضهم إلى أنها كانت عند الخلفاء العباسيين الذين كانوا في مصر فتسلمها السلطان سليم من آخرهم وهو المتوكل على الله[(٣)].[(٤)]

هيأ السلطان لهذه الأمانات حجرة خاصة بها، وكان يحتفل بزيارتها مع عظماء دولته في شهر رمضان ويسمونها (زيارة الأمانات المباركة) أو زيارة الخرقة الشريفة، أو خرقة السعادة. واستمرت هذه الاحتفالات خلال عصور السلاطين بعده.

---

(١) هو بركات بن محمد بن بركات بن عجلان. أمير مكة وسلطانها ووالد الشريف أبي نمي توفي عام (٩٣٠هـ).
انظر: الكواكب السائرة (١٦٤/١)، شذرات الذهب (١٧٢/٨)، الأعلام (٢٠/٢).

(٢) محمد بن بركات بن محمد بن بركات بن عجلان أبو نمي. أعطي حكم مكة في حياة أبيه، ثم ولي مكة منفرداً، يعرف عند أشرافها بـ (صاحب القانون) لأنه جمع أنسابهم وجعل لهم فيها قانوناً. توفي عام (٩٩٢هـ).
انظر: الأعلام (٥٢/٦).

(٣) هو أبو عبدالله محمد بن يعقوب بن عبدالعزيز بن يعقوب العباسي، دام حكمه (٣١) عاماً، توفي عام (٩٥٠هـ) وبوفاته انتهت الدولة العباسية الثانية في مصر. كان أديباً فاضلاً له شعر.
انظر: الأعلام (١٤٧/٧).

(٤) الآثار النبوية، أحمد تيمور باشا، ص (٧٣).

ذكر شكيب أرسلان[1] رحمه الله وصفاً لهذه المراسم في حاضر العالم الإسلامي بعد أن حضرها عدة مرات يقول:

"وأما المخلفات النبوية التي أخذها السلطان سليم الأول العثماني من آخر خلفاء بني العباس عندما فتح مصر، فلها في سراي (طوب قبو) كوشك خاص بها. وأهمها البردة الشريفة وهي في سفط[2] ثمين كان السلطان سليم رتب عندها عندها اثنى عشر حافظاً يقرأون كتاب الله بالمناوبة بحيث لا تنقطع التلاوة لا ليلاً ولا نهاراً. وكان السلاطين يحتفلون بزيارتها في وسط رمضان في يوم مشهود يكون فيه السلطان والأسرة المالكة والوزراء والقواد وأعضاء مجلسي الأعيان والنواب. وقد حضرت هذه الحفلة مراراً وكان السلطان يجلس على دكة وأمامه الصندوق الذي فيه السفط. ثم يتقدم المدعوون للحفلة واحداً بعد واحد حسب برنامج معلوم فيرقى الواحد منهم درجة الدكة ويصير أمام الصندوق، وينحني، ويقبل الصندوق من أعلاه، ويكون السلطان قد تناول منديلاً فمسح به على وجه الصندوق فيناوله إياه وينصرف سائراً من غير الجهة التي جاء منها. إلى أن تنتهي المراسم. والسكوت التام والخشوع العظيم سائدان عليها، بحيث لا يسمع الإنسان فيها إلا صوت قارئ يتلو القرآن في وسط البهو الذي فيه الحفلة"[3].

ويذكر أصحاب التواريخ التركية أن من الآثار الموجودة عدا بردة النبي ﷺ التي يزعمون أنها البردة التي وهبها النبي ﷺ لكعب بن زهير رضي الله عنه "سن من الأسنان

---

(١) هو الأمير شكيب بن حمود بن حسن أرسلان، مؤرخ، سياسي، شاعر، أديب من كبار الكتاب، يلقب بأمير البيان، ترأس المجمع العلمي العربي، له عدة مؤلفات منها: باكورة (ديوان شعر)، الرحلة الحجازية المسماة الارتسامات اللطاف كتبه بعد أدائه فريضة الحج، الوحدة العربية وغيرها، توفي عام (١٣٦٦هـ).
انظر: الأعلام (١٧٣/٣-١٧٥)، مقدمة كتابه تاريخ الدولة العثمانية، ص (١٥-٢٠).

(٢) السفط: وعاء يوضع فيه الطيب وما أشبهه من أدوات النساء.
وقيل: وعاء من قضبان الشجر ونحوها توضع فيه الأشياء كالفاكهة والثياب.
انظر: المعجم الوسيط (٤٣٥/١-٤٣٦).

(٣) حاضر العالم الإسلامي (٢٣١/١).

النبوية، نعلان نبويتان، حجر عليه أثر القدم الشريفة، السجادة النبوية، قبضة سيف من السيوف النبوية، القوس النبوية، اللواء النبوي"[1].

مذهب أهل السنة والجماعة في التبرك بآثار النبي ﷺ:

أ- التبرك في حياة النبي ﷺ:

ثبت عن الصحابة ﷺ تبركهم بالنبي ﷺ حال حياته، وقد وقع منهم من ذلك شيء كثير مثل تبركهم بفضل وضوئه، وبصاقه، ولباسه، وعرقه، وشعره؛ فعن أنس ﷺ قال: لقد رأيت رسول الله ﷺ والحلاق يحلقه وأطاف به أصحابه فما يريدون أن تقع شعرة إلا في يد رجل"[2].

وروى الإمام البخاري ﷺ قصة صلح الحديبية وفيه: "ثم إن عروة جعل يرمق أصحاب النبي ﷺ بعينيه. قال: فو الله ما تنخم رسول الله ﷺ نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده، وما يحدون إليه النظر تعظيماً له"[3].

قال الحافظ ابن حجر ﷺ معلقاً:

"ولعل الصحابة فعلوا ذلك بحضور عروة، وبالغوا في ذلك إشارة منهم إلى الرد على ما خشيه من فرارهم، وكأنهم قالوا بلسان الحال: من يحب إمامه هذه المحبة، ويعظمه هذا التعظيم، كيف يظن به أن يفر عنه ويسلمه لعدوه؟ بل هم أشد اغتباطاً به وبدينه وبنصره من القبائل التي يراعي بعضها بعضاً بمجرد الرحم"[4].

---

(١) الآثار النبوية، ص (٧٨).

(٢) صحيح مسلم مع النووي، كتاب الفضائل، باب قربه ﷺ من الناس وتبركهم به وتواضعه لهم، (٨٢/١٥).

(٣) صحيح البخاري مع الفتح، كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط، ح (٢٧٣١) و (٢٧٣٢)، (٣٣٠/٥).

(٤) فتح الباري (٣٤١/٥).

وعن سهل بن سعد[1] ﷺ قال: جاءت امرأة إلى النبي ﷺ ببردة فقال سهل للقوم: أتدرون ما البردة؟ فقال القوم هي شملة، فقال سهل: هي شملةٌ منسوجةٌ فيها حاشيتاها فقالت: يا رسول الله أكسوك هذه، فأخذها النبي ﷺ محتاجاً إليها فلبسها، فرآها عليه رجل من الصحابة فقال: يا رسول الله ما أحسن هذه! فأكسنيها، فقال: نعم. فلما قام النبي ﷺ لامه أصحابه فقالوا: ما أحسنت حين رأيت النبي ﷺ أخذها محتاجاً إليها ثم سألته إياها وقد عرفت أنه لا يسأل شيئاً فيمنعه، فقال: رجوت بركتها حين لبسها النبي ﷺ لعلي أكفن فيها"[2].

ومن حديث أبي أيوب الأنصاري ﷺ "فكان يصنع للنبي ﷺ طعاماً فإذا جيء به إليه سأل عن موضع أصابعه فيتتبع موضع أصابعه"[3].

وروى الإمام البخاري ﷺ عن أبي موسى الأشعري ﷺ أن النبي ﷺ دعا بقدح فيه ماء، فغسل يديه ووجهه فيه، ومج فيه ثم قال - له ولأبي عامر الأشعري -: أشربا منه وأفرغا على وجوهكما ونحوركما وأبشرا. فأخذا القدح ففعلا، فنادت أم سلمة من وراء الستر أن أفضلا لأمكما. فأفضلا لها منه طائفة"[4].

ب- التبرك بآثار النبي ﷺ بعد وفاته:

استمر تبرك الصحابة ﷺ بآثار النبي ﷺ بعد وفاته وقد عقد الإمام

---

(١) سهل بن سعد بن مالك الساعدي الخزرجي، صحابي جليل، له ولأبيه صحبة، شهد قضاء النبي ﷺ في المتلاعنين، توفي سنة (٨٨هـ) وقيل: (٩١هـ).
انظر: الطبقات لابن سعد (٣١٢/٣)، تقريب التهذيب، ص (١٩٨).

(٢) الصحيح مع الفتح، كتاب الأدب، باب حُسن الخلق والسخاء وما يكره من البخل، ح (٣٠٣٦)، (٤٥٦/١٠).

(٣) مسلم مع النووي، كتاب الأشربة، باب إباحة أكل الثوم، (١٠/١٤).

(٤) الصحيح مع الفتح، كتاب المغازي، باب غزوة الطائف، ح (٤٣٢٨)، (٤٦/٨)، ومسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي موسى وأبي عامر الأشعريين رضي الله عنهما، (٥٩/١٦).

البخاري ﷺ باباً بعنوان "باب ما ذكر من درع النبي ﷺ وعصاه وسيفه وقدحه وخاتمه، وما استعمل الخلفاء بعده من ذلك مما لم يذكر قسمته، ومن شعره ونعله وآنيته مما تبرك أصحابه وغيرهم بعد وفاته"[1].

وروى ﷺ عن عاصم الأحول[2] قال: رأيت قدح النبي ﷺ عند أنس بن مالك ﷺ، وكان قد انصدع، فسلسله بفضة، قال أنس ﷺ: "لقد سقيت رسول الله ﷺ في هذا القدح أكثر من كذا وكذا"[3].

وروى الإمام مسلم ﷺ أن أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما أخرجت جبة طيالسة، وقالت: "هذه كانت عند عائشة ﷺ حتى قبضت، فلما قبضت قبضتها، وكان النبي ﷺ يلبسها، فنحن نغسلها للمرضى يستشفى بها"[4].

استمر التبرك بآثار النبي ﷺ في زمن التابعين ﷺ، فقد صح وقوع ذلك منهم.

روى الإمام البخاري ﷺ عن عثمان بن عبدالله بن موهب[5] ﷺ قال: أرسلني أهلي إلى أم سلمة بقدح من ماء وكان إذا أصاب الإنسان عين أو شيء بعث إليها مخْضَبة[6]، فاطلعت في الجُلجُل[7]، فرأيت شعرات حمراً[8].

---

(١) الصحيح مع الفتح، كتاب فرض الخمس، الباب الخامس (٦/٢١٢).

(٢) هو عاصم بن سليمان البصري، ثقة حافظ مكثر، تولى الحسبة بالكوفة، والقضاء في المدائن، توفي عام (١٤٢هـ). انظر: تذكرة الحفاظ (١/١٤٩)، تهذيب التهذيب (٣/٣٢).

(٣) فتح الباري، كتاب الأشربة، باب الشرب من قدح النبي ﷺ وآنيته، ح (٥٦٣٨)، (١٠/٩٩).

(٤) مسلم مع النووي، كتاب اللباس والزينة، باب تحريم الذهب والحرير على الرجال وإباحته للنساء، (١٤/٤٣).

(٥) هو عثمان بن عبدالله التيمي المدني، أبو عبدالله، سكن العراق، ثقة، توفي عام (١٦٠هـ). انظر: السير (٥/١٨٧)، تهذيب التهذيب (٤/٨٦).

(٦) مِخْضَب: نوع من الآنية تسمى إجّانة تغسل فيها الثياب، شِبْه المِركَن. انظر: النهاية، مادة (خضب) (١/٤٩٧)، فتح الباري (١٠/٤٣٤).

(٧) الجُلجُل: هو شبه الجرس، إذا تحرك أصدر صوتاً وقد تنزع منه الحصاة التي تتحرك، فيوضع فيه ما يحتاج إلى صيانته، يقال: جَلْجَلتُ الجُلجُل جَلْجَلة: إذا حركته حتى يكون للحركة صوت، وكل شيء تحرك فقد تجلجل.
انظر: مقاييس اللغة، مادة (جل)، ص (١٨٣)، تهذيب اللغة، مادة (جلجل) (١/٦٢٩).

(٨) الصحيح مع الفتح، كتاب اللباس، باب ما يذكر في الشيب، ح (٥٨٩٦)، (١٠/٣٥٢).

قال الحافظ ابن حجر ﵀: "والمراد أنه كان من اشتكى أرسل إناء إلى أم سلمة ﵂، فتجعل فيه تلك الشعرات وتغسلها فيه وتعيده فيشربه صاحب الإناء، أو يغتسل به استشفاء بها"[1].

وعند البخاري ﵀ أيضاً عن ابن سيرين[2] ﵀ قال: قلت لعبيدة[3]: "عندنا من شعر النبي ﷺ، أصبناه من قبل أنس، أو من قبل أهل أنس" فقال: "لأن تكون عندي شعرة منه أحب إلي من الدنيا وما فيها"[4].

وعنده أيضاً عن عاصم الأحول ﵀ أنه قال في شأن قدح النبي ﷺ الموجود عند أنس ﵁: "رأيت القدح وشربت فيه"[5].

فهذه الأحاديث تثبت جواز التبرك بآثار النبي ﷺ بعد وفاته، وهذا الحكم باق على مشروعيته ما بقيت آثاره ﷺ شريطة التأكد من صحة نسبتها إليه ﷺ، وكذلك التبرك بها على النحو الذي كان يفعله الصحابة ﷺ وهو تبرك يشعر بنوع من التعظيم المتوافق مع الوحي ومع ما يثبته أهل السنة والجماعة من بركة النبي ﷺ ومعجزاته الثابتة بالكتاب والسنة.

أما هذه الآثار المتواجدة في الدولة العثمانية فقد ذكرها صاحب كتاب (الآثار النبوية) ثم قال معلقاً: "فلا يخفى أن بعض هذه الآثار تحتمل الصحة، غير

---

(١) المرجع السابق (٣٥٣/١٠).

(٢) هو محمد بن سيرين البصري، إمام وقته، مولى أنس بن مالك، كان إماماً ثقة ورعاً توفي عام (١١٠هـ).
انظر: السير (٦٠٦/٤)، تذكرة الحفاظ (٧٧/١)، تهذيب التهذيب (١٣٩/٥).

(٣) عبيدة بن عمرو السلماني الكوفي، أسلم قبل وفاة النبي ﷺ بسنتين باليمن، ولم يلقه توفي عام (٧٢هـ).
انظر: الجرح والتعديل (٩١/٦)، تذكرة الحفاظ (٥٠/١)، تهذيب التهذيب (٥٦/٤).

(٤) الصحيح مع الفتح، كتاب الوضوء، باب الماء الذي يغسل به شعر الإنسان، ح (١٧٠)، (٦٣/١).

(٥) الصحيح مع الفتح، كتاب فرض الخمس، باب ما ذكر من درع النبي ﷺ وعصاه وسيفه وقدحه. ح (٣١٠٩)، (٢١٢/٦).

أنا لم نر أحداً من الثقات ذكرها بإثبات أو نفي، فالله سبحانه أعلم بها، وبعضها لا يسعنا أن نكتم ما يخامر النفس فيه من الريب ويتنازعها من الشكوك .. مع بُعد العهد وتقادم الزمن"[1].

ويقول الشيخ الألباني رحمه الله :

"ونحن نعلم أن آثاره ﷺ، من ثياب، أو شعر، قد فقدت، وليس بإمكان أحد إثبات وجود شيء منها على وجه القطع واليقين"[2].

وعليه فدعوى وجود شيء من آثار النبي ﷺ في أي مكان أو عند أي أحد موضع شك يحتاج في إثبات صحة نسبته إلى النبي ﷺ إلى برهان قاطع يزيل الشك الوارد.

فمتى تمكن من إثبات نسبتها إلى النبي ﷺ تبرك بها كما فعل ذلك الصحابة رضي الله عنهم، لكن على النحو ذاته. أما ما وصفه أرسلان من المسح على صندوقها ووضع القراء عندها ليلاً ونهاراً فهذا فعل مخالف لفعل السلف، رضي الله عنهم.

وبالجملة فالتبرك عبادة تتوقف على الدليل من الكتاب والسنة وفعل الصحابة رضي الله عنهم والتبرك الأسمى هو اتباع ما أثر عن النبي ﷺ من قول أو فعل والاقتداء به، والسير على نهجه ظاهراً وباطناً، والخير كل الخير في هذا.

يقول شيخ الإسلام رحمه الله :

"كان أهل المدينة لما قدم عليهم النبي ﷺ في بركته لما آمنوا به وأطاعوه، فببركة ذلك حصل لهم سعادة الدنيا والآخرة، بل كل مؤمن آمن بالرسول ﷺ وأطاعه حصل له من بركة الرسول ﷺ بسبب إيمانه وطاعته من خير الدنيا والآخرة ما لا يعلمه إلا الله"[3].

---

(١) الآثار النبوية، ص (٧٩).
(٢) التوسل أنواعه وأحكامه، ص (١٤٦).
(٣) مجموع الفتاوى (١١/١١٣).

هـ - بدعة المحمل.

المحمل: هو شعار السيادة على الحرمين الشريفين. يقصد به الجمل أو الجمال التي تحمل كسوة الكعبة، ويُضم المحمل إلى قافلة الحجاج.

وقيل: إنه الهيكل الخشبي المخروط الشكل الذي كان يُحلى بأجمل زينة، ويحمل على جمل جميل الشكل، قوي، عال، لا يستخدم لأي عمل سوى الحج، ويُحمَّل الكسوة السلطانية إلى الكعبة الشريفة. يصاحب قافلة الحج التي تقصد مكة والمدينة.

كان يوصف في عصر المماليك بالمحمل السلطاني.. للمحمل ما يسمى بالدوران ويقصد به: دورانه في القاهرة، فقد جرت العادة أنه يدور في السنة مرتين، الأول في النصف الثاني من شهر رجب، والثانية في النصف الثاني من شهر شوال، ويكون دورانه يوم الاثنين أو الخميس، ويكلف أصحاب الحوانيت التي في طريق دورانه بتزيين حوانيتهم قبل مروره بثلاثة أيام، .. وفي صباح يوم الدوران، يحمل المحمل على الجمل، ويسير إلى أسفل قلعة القاهرة. فتنهض إليه الشخصيات البارزة وأصحاب المناصب الكبيرة، ويسير أمامه الوزير والقضاة الأربعة والشهود والمحتسب وناظر الكسوة وغيرهم. والمماليك يلعبون برماحهم، ويتحول ركب دوران المحمل إلى ما يشبه المهرجان فيسير الركب إلى الفسطاط ثم يعود إلى تحت القلعة، كما يدور في المرة الثانية عندما ينتصف شهر شوال. وذلك استعداداً لخروج ركب الحجاج من مصر في طريقه إلى الأراضي الحجازية"[1].

والظاهر أن الغرض من دوران المحمل هو إثارة الرغبة في نفوس الناس لأداء فريضة الحج.

وقد جرت العادة بأن ترسل الهبات والصدقات في صحبة المحمل مما يجعل قدومه مناسبة كبيرة تحمل تباشير الخير والرفاه لأهل مكة وحكامها، هذه المناسبة

---

(١) - صبح الأعشى (٥٧/٤).

تحمل شريف مكة وحاشيته على الخروج إلى هناك للترحيب بأمراء الحج ترحيباً مناسباً يليق بمقامهم. وكانت العادة أن يقلد أمير الحاج المصري[١] شريف مكة حلة الشرف تأكيداً لتوليه منصبه كنائب للسلطان[٢].

ويذكر القلقشندي ﷺ:

"أن من عادة أمير مكة أنه إذا وصل المحمل إلى ظاهر مكة خرج لملاقاته، فإذا وافاه ترجل عن فرسه وأتى الجمل الحامل للمحمل فقلب خف يده اليمنى وقبله خدمة لصاحب مصر !!"[٣].

بدأت بدعة المحمل في الدولة العثمانية عام (٩٢٣هـ) "بعد أن دانت الحجاز للسلطان سليم الأول؛ إذ أرسل السلطان إلى مكة بالصدقات الرومية، وبكسوة الكعبة، ومحمل شريف رومي - إلى جانب المحمل المصري الذي كان يرسل -، فوصل في صحبة أمير الحاج المصري .. وبرز شريف مكة الشريف بركات وولده محمد أبو نمي، وسارا أمام المحملين المصري والرومي، بأعلامهما وطبولهما إلى أن فارقا المحملين من عند باب السلام .. بعدها وزعت الصدقات ثم قرئت ختمة شريفة قرآنية في الحطيم[٤] الشريف، حضرها الأمراء والفقهاء والأعيان باسم السلطان سليم، وأهدي إلى صحائفه الشريفة ثوابها"[٥].

---

(١) أمير الحاج المصري: هو الموظف المختص بالإشراف على سفر الحجاج والعودة بهم، وتأمين طريقهم، وأرواحهم، وأموالهم، وتوصيل الصرّ إلى الحرمين الشريفين.
انظر: المنح الرحمانية في الدولة العثمانية، ص (٩٧)، هـ (٥).

(٢) العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، الفاسي (١٤٣/٢).

(٣) صبح الأعشى (٢٨١/٤).

(٤) اختلف في موقع الحطيم، وخير الأقوال وأصحها أنه ما بين الحجر الأسود إلى زمزم إلى مقام إبراهيم ؑ. وقيل سمي حطيماً لأن الناس يتحطمون عنده للدعاء، وقيل إن الجاهلية كانت تتحالف عنده ويتحطمون بالأيْمان، فكل من دعا على ظالم وحلف إثماً، عجلت عقوبته. كما قيل أنه سمي حطيماً لأن البيت ربّع وترك محطوماً.
انظر: معجم البلدان (٢٧٣/٢)، معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، ص (١٠٣).

(٥) المنح الرحمانية، ص (٩٧-١٠١).

ثـم تتـابع الأمـر في سـلاطين بـني عثمـان فأصـبحوا يحتفلـون بخروجـه، ويحضـرون بأنفسـهم، وكـان السـلطان يأخـذ قيـاد المحمـل بيـده فيسـلمه ليـد أمين الصرة، حتى إذا حصل العود يسلم أمين الصرة ذلك القياد للسـلطان. وفي كل مرحلة يتوقف فيها ركب المحمل تعزف الموسيقى العسكرية تعظيماً له لشرف الانتساب إلى الحج، فهـو بمنزلـة رايـة الدولـة الـتي تعتبرهـا الجنـود والأهـالي، ويعظمونهـا تعظـيمهم للدولـة نفسـها، ولـذلك جميـع المسـلمين يقبلـون علـى تعظيم هذا المحمل تعظيمهم للموسم الأكبر، وعند وصوله للحرم الشريف يتولى قيادة زمام ناقته أكـبر الباشـوات والعلمـاء إلى أن يـدخلوا بـه مقـره مـن الحـرم الشريف"[1].

كان الاحتفال به يشمل جميع الولايات العثمانية التي يمر بها المحمل فكانوا يحتفلون رسمياً باستقباله ووداعه. حتـى أن الأشـخاص الـذين لم يحجـوا كـانوا يقومون بلمس بدن الجمل ويتبركون به.

وفي عام (٩٦٣هـ) عرض الوزير مصـطفى باشـا والـي العثمـانيين علـى اليمن، على السلطان العثماني أن يحدث محملاً يجيء من اليمن فأذن له فوصـل المحمل فخرج الشريف محمد أبي نمي لاستقباله. استـمر إرسـال المحمـل بصـحبة الحجاج سنوياً ويرسلون معه هداياهم. واستمر مجيئه إلى عام (١٠٤٥هـ) عنـدما استقل اليمن عن العثمانيين بزعامة الأئمة الزيديين[2].

استمر المحمل الرومي والمصري حتى عام (١٢١٨هـ) عندما دخل الإمـام سعود بن عبدالعزيز بن محمد[3] ﷺ مكة المكرمـة فكتـب رسـالة إلى السـلطان

---

(١) الانحرافات العقدية والعلمية (٤١٦/١).

(٢) انظر: تاريخ مكة، أحمد السباعي، ص (٤٦٤-٤٦٥)، عمارة وإصـلاح وتوسـعة المسـجدين الشريفين، ص (٧٩).

(٣) هو سعود بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود (١١٦٣-١٢٢٩هـ)، إمام من أمراء نجـد، يعـرف بسعود الكبير، كان موفقاً يقظاً، على جانب من العلم والأدب، حشدت في أيامه جيوشاً من الترك بقيادة محمد علي باشا. =

العثماني سليم الثالث ﷺ هذا نصها:

من سعود بن عبدالعزيز إلى سليم أما بعد

فقد دخلت مكة في اليوم الرابع من المحرم سنة (١٢١٨هـ)، وأمنت أهلها مع أرواحهم وأموالهم بعدما هدمت هنالك من أشياء وثنية..

فعليك أن تمنع والي دمشق ووالي القاهرة من المجيء بالمحمل والطبول والزمور إلى هذا البلد المقدس، فإن ذلك ليس من الدين في شيء وعليك رحمة الله وبركاته.

الواثق بالله المعبود سعود"[1].

ويظهر أن السلطان لم يصغ لذلك، فقد استمر الإتيان بالمحمل في السنوات التالية حتى كان حج (١٢٢١هـ) واستتب الأمر للسعوديين فاعترضوا على أمرها ونبهوا على أمرائها ألا يعودوا بعد عامهم هذا.

وفي موسم (١٢٢٢هـ) وافت المحامل على جري عادتها وقد أرسل أمير الحج الشامي كتبه بأنه قادم في الطريق فأعاد السعوديون إليه الكتب يمنعونه من دخول مكة فعاد.

أما المحمل المصري فلم يعلموا بأمره حتى وافاهم فهجموا عليه وأحرقوه[2].

فالإمام سعود ﷺ رفض أن يغزو أرض الحرمين ما صاحب الحج من البدع التي افتتن فيها العثمانيون بالأفانين فيما تتعلق بالمحمل وجمال المحمل، وطقوس المحمل، تسير خلفها قوافل الحجيج. فهذا الفعل قطع لهذه البدعة التي لم تكن موجودة على عهد النبي ﷺ، فالنبي ﷺ قد حج في العام العاشر من المدينة ولم

= انظر: البدر الطالع (٢٦٢/١)، الأعلام (٩٠/٣).

(١) شبه الجزيرة العربية في عهد الملك عبدالعزيز، خير الدين الزركلي (٣٨/١).

(٢) انظر: تاريخ مكة، ص (٥٠٣-٥٠٤).

يأت بمحمل ولا غيره، وحج من بعده أصحابه ﷺ، وهكذا فعل التابعون وتابعوهم، كانوا يحجون من جميع أقطار العالم الإسلامي ولم يكونوا يأتون بهذه البدع، حتى إذا طال العهد وقل العلم وأسند الأمر إلى أهل الجهالة ابتدعوا في دين الله ما لم يأذن به الله سبحانه وتعالى. وقد عد الإمام السيوطي رحمه الله الإتيان بالمحمل من بدع الحج [1].

ولما كان الحج عبادة لله تعالى وجب أن يُؤدى كما شرع سبحانه وكل ما أحدث فيه فهو رد.

و - قراءة كتاب صحيح البخاري لاستنزال النصر.

أصاب الدولة العثمانية الوهن، وتغلب عليها الأعداء، وتكالبت عليها الأمم وذلك أمر طبيعي في ظل البدع والخرافات التي تعيشها الدولة. ولكن بدلاً من أن تضع الدولة يدها على السبب الرئيس لهذا التردي والانحطاط. زادت الأمر سوءاً وابتدعت لذلك بدعة، ألا وهي قراءة كتاب صحيح البخاري رحمه الله؛ طلباً للنصر والظفر على الأعداء !!

يذكر الجبرتي رحمه الله أن السلطان العثماني عبدالحميد الأول رحمه الله أرسل في عام (١٢٠٢هـ) أموالاً لتفرق على طلبة العلم في الأزهر، ليقرؤوا له صحيح البخاري ويدعوا له بالنصر [2].

وحينما اقتطعت الدولة الفرنسية بقيادة نابليون مصر من الدولة العثمانية ماذا فعل علماء الأزهر ؟! قرأوا صحيح البخاري !!

نقل القاسمي رحمه الله عن أحد الفضلاء الأزهريين عام (١٣٢٠هـ) انتقاداً كتبه لإحدى المجلات العلمية شفى به صدور الناقمين على البدع قال فيه:

---

(١) انظر: الأمر بالإتباع، ص (٢٦٠).

(٢) عجائب الآثار (٥٣/٢).

"بماذا دفع العلماء نازلة الوباء ؟! دفعوها يوم الأحد الماضي في الجامع الأزهر بقراءة (متن البخاري) موزعاً كراريس على العلماء وكبار المرشحين للتدريس في نحو ساعة، جرياً على عادتهم من إعداد هذا (المتن)أو السلاح الحبري لكشف الخطوب وتفريج الكروب، فهو يقوم عندهم في الحرب مقام المدفع والصارم والأسل، وفي الحريق مقام المضخة والماء، وفي الهيضة[1] مقام الحيطة الصحية (الحجر الصحي) وعقاقير الأطباء، وفي البيوت مقام الخفراء والشرطة، وعلى كل حال فهو مستنزل الرحمات ومستقر البركات.

وقد جئت أسألهم عن مأخذ هذا الدواء من كتاب الله أو صحيح سنة رسول الله ﷺ أو رأي مستدل عليه لأحد المجتهدين؟ ومن سَنَّ هذه السُّنَّة في الإسلام؟ وهل قرئ البخاري لدفع الوباء قبل هذه المرة؟

ثم يختم مقاله بقوله: "ولو كان هذا العمل من غير العلماء الرسميين لضربت عنهم صفحاً، ولما خططت كلمة، ولكنه من علماء لهم مراكز رسمية يزاحمون بها مراكز الأمراء، فيجب أن يؤبه لهم وأن ينظر لعملهم بإزاء مركزهم من الأمة التي يسألون عنها"[2].

وقد ذكر الأمير شكيب أرسلان ﷺ ذلك الأمر عن مصطفى أتاتورك؛ إذ أرسل برقية إلى السنوسي "طلب فيها قراءة البخاري الشريف تبركاً واستنزالاً للنصر على جيوش الإسلام، فذهب إلى المسجد الجامع بماردين، وشرع بالقراءة، وداوموا عليها إلى أن وردت البشائر بالنصر (!!)"[3].

فهل علم أرسلان على مَنْ انتصر مصطفى أتاتورك ؟!!

---

(١) الهيضة، المرضة بعد المرضة، ويدخل فيه نكس المريض فإنه معاودة مرض بعد الاندمال، وهاض العظم كسره بعد الجبور.
انظر: تاج العروس، مادة (هـ ي ض)، (١٩/١١٥-١١٦)، لسان العرب، مادة هيض (٧/٢٤٩).

(٢) إصلاح المساجد (٢٢١-٢٢٤).

(٣) حاضر العالم الإسلامي (١/١٥٧).

إن هذا الأمر المبتدع لم يأت ما يدل على صحته لا نص من القرآن ولا سنة النبي ﷺ ولا فعل الصحابة ﷺ أو من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين فلم يرد عنهم أنهم كانوا يقرأون كتاباً من كتب العلم يستنزلون به النصر. وكتاب البخاري ﷺ تعالى مع شرف ما فيه من أقوال رسول الله ﷺ، وأنه أصح كتاب تحت أديم السماء بعد كتاب الله تعالى إلا أنه لا يصح أن يتبرك به ويستنزل به النصر. ذلك أن أسباب النصر معلومة وأولها وأهمها الاتباع لدين الله تعالى وعدم الابتداع فيه، فكلما كان المسلم أكثر اتباعاً لله ولرسوله ﷺ كان الله معه يؤيده وينصره.

قال الله تعالى: ﴿إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾[1] وقال الله سبحانه: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[2] والنصرة لله تعالى تكون بنصر دينه واتباع أمر نبيه محمد ﷺ، وأما من خالف فلن يحصل له النصر والتأييد وقد حصل ذلك في زمن النبي ﷺ فمع وجوده وتوافر أصحابه إلا أنهم لما خالفوا أمره في غزوة أحد كان ذلك كافياً في وقوع الهزيمة.

قال الله تعالى: ﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[3].

وهذا درس للأمة لتعلم أن هوانها وتسلط الأعداء عليها إنما هو بابتعادها عن دين الله تعالى. واستجلاب النصر يكون بالأوبة لدين الله لا بالابتداع فيه وزيادة الشقة بينهم وبين دين الله؛ لأن ذلك سيزيد من الذل والهزائم وهذا ما حدث في الدولة العثمانية فهذه البدعة لم تجلب لها النصر، بل جلبت لها السقوط !!

---

(١) سورة محمد، الآية: (٧).

(٢) سورة الحج، الآية: (٤٠).

(٣) سورة آل عمران، الآية: (١٦٥).

وصدق الله تعالى إذ يقول: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾[1] فإذا حققت الأمة الاتباع لدين الله تعالى كان من لوازم هذا الاتباع الأخذ بالأسباب وإعداد العدة العسكرية؛ لذلك قال الله تعالى: ﴿ وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾[2].

فتجهيز الجيش وتدريبه التدريب المناسب على الأسلحة الموجودة في زمنه كما كان حال النبي ﷺ في غزواته من أسباب النصر حتى تكون مرهوبة الجانب من قِبل أعداء الله تعالى.

ثم الدعاء روى الإمام البخاري رحمه الله عن النبي ﷺ قال: "هل تنصرون إلا بضعفائكم"[3].

جاء في الفتح: "أي بدعاء الضعفاء والصالحين منكم؛ لأنهم أشد إخلاصاً في الدعاء وأكثر خشوعاً في العبادة لخلاء قلوبهم عن التعلق بزخرف الدنيا"[4].

هذه أسباب النصر التي شرعها الله تعالى وليس فيها استنزال النصر بقراءة كتب أهل العلم كالبخاري وغيره، فهذا مما ابتدع في دين الله تعالى وكان سبباً حقيقياً في حصول الهزيمة وعدم التمكين.

---

(١) سورة النور، الآية: (٥٥).

(٢) سورة الأنفال، الآية: (٦٠).

(٣) الصحيح مع الفتح، كتاب الجهاد، باب من استعان بالضعفاء والصالحين في الحرب، ح (٢٨٩٦)/ (٦/٨٨).

(٤) الفتح (٦/٨٩).

آثار التصوف على الالتزام بالفرائض الشرعية

أثر التصوف على التزام الناس بالأمور الشرعية تأثيراً عظيماً، وقد تنوعت تلك الآثار، فمنها:

١- الاستهانة بفرائض الله تعالى:

زرع المتصوفة في قلوب العامة الاستهانة بفرائض الله تعالى؛ ذلك أنهم سنوا لأتباعهم تعظيم الشيوخ، والأوراد، وزيارة القبور حتى صرفوهم عما أمرهم الله تعالى به.

أما هذه الفرائض المعلومة من الدين بالضرورة فقد جعلوا لها معاني أخرى تفقدها معناها الحقيقي وأهميتها.

يقول شاهدي أحد مشايخ الصوفية:

"العشق هو الحج الحقيقي، وهو الزكاة، وهو معنى الصوم والصلاة"[١].

وعن حقيقة الوضوء يقول:

"إن الوضوء أربعة فروض: غسل اليدين والوجه والرجلين ومسح الرأس، إن الصوفي يدير وجهه عن كل شيء ما سوى الله، وينفض يده عن الطمع واتباع الهوى، وينبذ عنه فكرة الأثرة والأنانية، فإذا وطئت قدماه طريق الله فسيكون حينئذ قد توضأ الوضوء الحقيقي وساعتئذ يكون وجه الشيخ في المحراب"[٢].

*** ومن هذه الفرائض (الحج):**

الحج هو الركن الخامس من أركان الإسلام، أوجبه الله تعالى على المسلم المستطيع القادر على أدائه بدون تأخير، إلا أن المتصوفة قللوا من أهمية الذهاب إلى الحج..

---

(١) المولوية بعد مولانا، ص (٣٠٣).

(٢) المرجع نفسه، ص (٣٠٤).

يقول جلال الدين الرومي:

أين أنتم، أين أنتم، يا من تذهبون للحج

الحبيب في هذا المكان، فأتوا مسرعين إلى هنا

فحبيبكم جاركم، جداركم وجداره واحد

يا من في الصحراء حرتم وارتبكتم

على ماذا تبحثون وتبغون؟[1]

وهذا محمد جلبي ديوانه أدركه موسم الحج وهو يسعى لنشر الطريقة المولوية في الشام يزور قبر ابن عربي، ولم يذهب لأداء الفريضة على الرغم من وجود من كلفوه بالذهاب إلى الأرض الحرام؛ بل ولم يأذن لأولئك الذين أرادوا الذهاب لأداء الفريضة !!

ولم يشد الرحال إلى هناك من أتباعه سوى شخصين اثنين فقط، ثم أنشد:

أيتها القافلة التي تبيع قماش العبادة

إلى أين أنتم ذاهبون

تعالوا إلى حيث حرم قبلة الحاجات

وا أسفا وا أسفا

حتى أن النجوم تدور حول محورها وأنتم لا ترونها

وأنتم تركضون وتقفون في دائرة الخيال منذ أربعين عاماً[2]

وقد انعكس ذلك الإيحاء على السلاطين العثمانين؛ إذ لم يحج منهم أحد طوال القرون التي حكموا فيها:

يقول أزوتونا: "الأمير جم هو الشخص الوحيد من بني عثمان، الذي حج

---

(١) ذخائر الأقوال، ص (١٦٦).

(٢) المولوية بعد مولانا، ص (١٧٣).

طوال ثمانية قرون. ومع أن ذلك غريب بالنسبة لسلالة حملة الخلافة أكثر من أربعة قرون، لكن هذه هي الحقيقة التاريخية"[1].

ويعلل أزوتونا هذا بقوله:

"لأن أداء مناسك الحج يستغرق وقتاً طويلاً، الأمر الذي يؤدي إلى ابتعاد البادشاه عن أعمال الدولة مدة طويلة.

وهنالك فتاوى لشيوخ الإسلام تفيد بأن اشتغال الخاقان بأمور الدولة و الشعب عبادة تفوق عبادة الحج"[2].

فإذا كان الأمر كذلك، لماذا لم يؤدِّ الخاقان الحج قبل أن يصل إلى عرش السلطنة ؟! وإذا كان هذا الحكم للخاقان فما بال غيره من الأمراء والأميرات من آل عثمان ؟!!

والحق أن تعظيم القبور وزيارة أضرحة الأولياء تسببت في التهاون ببعض العبادات المفروضة، ويمثل الحج أبرزها، ذلك أنهم سنوا لزيارتها آداباً وطقوساً، وألفوا لذلك المؤلفات، بل وأشاعوا أن للقبور حجاً يضاهي الحج إلى بيت الله الحرام.

يقول الإمام البركوي بعد أن وصف زيارتهم للقبور وتعظيمها:

"ثم إذا رجعوا يسألهم بعض غلاة المتخلفين أن يبيع أحدهم ثواب حجة القبر بحجة البيت الحرام، فيقول: لا ولو بحجك كل عام"[3].

وفي هذا نص صريح على أنهم يرون حج القبور مرة واحدة خير من الحج إلى البيت الحرام كل عام.

---

(١) تاريخ الدولة العثمانية (١٨٦/١).

(٢) المرجع نفسه (٤٦١/١).

(٣) زيارة القبور الشرعية والشركية، ص (١٩).

*** الحجـاب:**

لم تمانع الصوفية من انتساب النساء لها، فأباحت لهن الحضور لمجلس الشيخ وحضور السماع والاختلاط بالرجال، بل وتنصيبهن كشيوخ للطريقـة، ووضـع حجابهن أثناء ذلك.

يقول عبدالباقي جلبنارلي:

"وصى مولانا بقبول المرأة باعتبارها عنصـراً مـن عناصـر المجتمـع، وكـان يعارض حجابها واختفاءها، فقد كان هناك كثير من النسوة المريدات، كن يذهبن إلى مجالس السماع وينثرن الورود على من يغشون مجالس السماع، وكان مولانـا دائماً يردد في مثنويه أفكاراً تتصل بعشق المرأة"[1].

ويبرر جلال الدين موقفه من حجاب المرأة بقوله:

"كلما أمرت المرأة أن اختجبي ازداد تلهفها إلى أن تظهر نفسـها، وازدادت رغبة الخلق بتلك المرأة بسبب احتجابها، وهكذا تجلس أنـت في الوسـط، وتزيـد الرغبة عند الطرفين كليهما، وتظن أنك تصلح. ذلك عين الفساد (!!). إذا كـان لديها جوهر يمنعها من أن تفعل فعلاً سيئاً، فسواء أمنعتها أم لم تمنعهـا ستمضـي وفق طبعها الجديد وجبلتها الطاهرة. وهكذا كن فارغ البـال وجانـب التشـويش والاضطراب. وإذا كانت على عكس هذا، فستظل تمضـي في طريقهـا أيضـاً؛ لا يزيدها المنع إلا رغبة، على الحقيقة"[2].

ويقول في موضع آخر:

"إن لله عباداً كلما رأوا امرأة في خيمة أمروها: ارفعي نقابك، لكـي نـرى وجهك، فأي شخص وأي شيء أنتِ؟ لأنك عندما تمرين محجبة ولا نراك سينشأ لدينا ضرب من التشويش: من كانت هـذه، وأي شـخص هـي. ولسـت بـذلك

---

(١) المولوية بعد مولانا، ص (٤٣٧).

(٢) فيه ما فيه، ص (١٤٠).

الشخص الذي إذا رأيت وجوهكن فتنت بكن وصرت عبداً لكن (!!) و منذ وقت طويل خلصني الله منكن ولم يشغلني بكن (!!). فأنا آمن من ذلك إذا رأيتكن، فلن تفتنوني. لكنني عندما لا أراكن أكون مشوشاً متعجباً أي ضرب من الأشخاص كان ؟"[1].

أمثال هذه الحجج الواهية أوهت شأن الحجاب في نفوس النساء، ومن ذلك "كانت المرأة الزائرة للخليفة لا تغطي وجهها، إذ إن تغطية المرأة وجهها في حضور السلطان، كان من الأمور المعيبة؛ لأن البادشاه هو في نفس الوقت أب لجميع النساء، وهن كذلك كن يدخلن وينصرفن من حضوره بنفس الوضع، كذلك السلطانات اللاتي يدركن سن البلوغ لا يستعملن حجاب الوجه ولم تكن تخفي وجهها عن الشعب على أساس قاعدة عدم نظر أي رجل بنظرة سوء إلى بنات عثمان (!!)"[2].

أمثال هؤلاء ممن يستهينون بفرائض الله تعالى لا يعدون في ميزان الإسلام من الأولياء، وكان الأولى بالأمة أن تأخذ على أيديهم، لا أن تجعل منهم أصحاب ضرائح ومزارات، يقدم لهم آيات التقديس وأسمى مظاهر التقدير.

٢- الاستهانة بالمحرمات الشرعية.

أشاع المتصوفة الاستهانة بالمحرمات الشرعية، وذلك بارتكابهم لها ليلاً ونهاراً، سراً وجهاراً، ساعدهم في ذلك تعظيم الناس لهم، وعدم الأخذ على أيديهم بعد أن خوفوا الناس من الإنكار عليهم بحجة أنهم من أولياء الله وأن من حارب ولياً من أوليائه فقد بارز الله بالحرب، واتهموا المنكرين عليهم - على قلتهم - بأنهم محجوبون ولا يدركون الحقائق التي وصل لها أهل الحقيقة والكشف!!

---

(١) فيه ما فيه، ص (٢٣٢).

(٢) تاريخ الدولة العثمانية، يلماز (٢/٢٨١، ٢٨٨).

وهذه ثمرة مرة من ثمار الإيمان بعقيدة وحدة الوجود التي يؤمن بها الصوفية، فمن بدهيات الأمور أن من يعتقد أن المخلوق هو الخالق فلن يرى في نفسه أو غيره موضعاً للتكاليف الشرعية؛ ذلك أن التكليف ملازم للعبودية، أما وقد صار العبد رباً فلا تكليف ولا محرمات. فالعارف منهم لا يحكم تصرفاته ضابط شرعي ولا يكبح جماح شهواته زجر ولا وعيد.

وقد أدرك شيخ الإسلام ﷺ هذا فقال:

"ولهذا تجد المحقق منهم يستحل المحرمات من الخمر والفواحش"[1].

يقول د/ توفيق الطويل:

"أما الأولياء فقد كانوا في عرف الجمهور وأكثر العلماء فوق الدين وفوق العرف، وما أكثر حوادث الفقراء - يقصد المتصوفة - مع النساء والغلمان وسائر مظاهر تمردهم على الدين والعرف! وقد كان الناس يقابلون هذا الاستهتار بالرضا والاغتباط؛ لأن الأولياء في عرف الكثيرين منهم قد سقطت عنهم التكاليف الدينية فجاز لهم ما حرم على غيرهم، يهملون الصلاة، ويتركون الصيام، ولا يقومون بشيء من فروض الدين وشعائره، ثم لا يتقيدون بعد هذا بشيء من نواهيه ولا يخضعون لقيوده و محرماته؛ فالزنا والخمر والميسر والحشيش وكافة رذائل - أي نواهي - الدين قد أحلت لهم، فاستباحوا المحرمات على مرأى من الناس، ولم يجدوا من شدة الإنكار ما يخيفهم أو يردهم عن غيهم ويوجههم إلى أقوم سبيل"[2].

ومن هؤلاء الذين يدعون هذه الدعوى سلطان ولد حيث يزعم "أن شرب الخمر، وعزف الرباب، والحب الجميل، والسماع هي جميعاً حلال للأشخاص

(١) بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية، ص(٤٩١).

(٢) التصوف في مصر، ص (١١٥).

المصطفين الأخيار وهي محرمة على هؤلاء الأشخاص الأرذلين"[1].

وهذه الفرية التي يفتريها هي فرية والده من قبله، فإنه لما سئل عن الخمر، أحرام هي أم حلال؟ قال: لو أن مولانا الشمس يشربها فإن كل شيء له مباح؛ لأنه كالبحر، أما لو فعل ذلك مثلك فيحرم عليه خبز الشعير !!"[2].

وهذا القول قول عظيم يؤدي بمعتقده إلى الكفر، ذلك أن شرع الله تعالى واجب على جميع المسلمين، ولا يملك التحليل والتحريم إلا الله تعالى، فإذا أحل الإنسان ما حرم الله تعالى أو حرم ما أحل الله فقد حكم بغير ما أنزل الله، تعالى.

قال الله سبحانه: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[3].

وقد عد العلماء ذلك ناقضاً من نواقض الإسلام، وقد بين شيخ الإسلام ﷺ الحكم على من قال ذلك فقال:

"من ادعى أن المحرمات تحريماً عاماً: كالفواحش، والظلم، والملاهي، حرام على الناس حلال له فإنه يستتاب، فإن تاب وإلا قتل"[4].

وعلى خطاهما سار عارف جلبي فكان يشرب الخمر علانية، وجاء بأفعال حيرت العقلاء، حتى أن أماسيه علاء الدين كان على اقتناع تام بأن الغيث لا ينزل على الخلق بسبب أفعاله، وإن مثل هذه الأفعال لا تعير قيود الشريعة اهتماماً"[5].

وإذا كانت هذه أفعال وأقوال مؤسسي الطريقة المولوية ومن بعدهم من المريدين فلا غرو فيما اشتهر عن المولوية من صحبة الأحداث، مما أثار حولهم

---

(١) المولوية بعد مولانا، ص (١٣١).

(٢) مناقب الأفلاكي (٢/٢١٦).

(٣) سورة المائدة، الآية: (٤٤).

(٤) مجموع الفتاوى (١١/٦٠٣).

(٥) المولوية بعد مولانا، ص (٣٢٠).

طائفة من الريب والظنون خاصة وهم يتخذون من السماع ديناً. وليست هذه الانحرافات خاصة بهذه الطائفة بل كان الأمر عاماً، فقد نقل الحافظ ابن حجر ﷺ عن طبيب قدم على السلطان أبي يزيد بن مراد خان ﷺ (ت ٨٠٥هـ)، أنه لما رجع سئل عنه وعن رعيته، فأثنى عليه، ثم قال:

"كان الزنا واللواط وشرب الخمر والحشيش فاشياً في بلادهم يتظاهرون به"[(١)].

وأعظم من ينصرف إليهم هذا الاتهام هم الانكشارية البكتاشية، والمولوية، وغيرهم من الطرقية الذين تعاظم فسادهم وإفسادهم، وهذا ما دفع السلطان مراد الثالث أن يصدر أمراً قاطعاً بمنع الخمر، فثار به الإنكشارية البكتاشية، حتى اضطروه إلى إلغاء هذا الأمر، فانعكس المثل وصار: اليوم أمر وغداً خمر[(٢)].

وزاد الأمر سوءاً إلى عهد مراد الرابع ﷺ (ت ١٠٤٩هـ)، فكثر خبثهم حتى طفح من مقاهي الإنكشارية وتكايا المولوية وأضرابهم في الأستانة. فاستصرخ داعية السنة القاضي زاده السلطان بقصيدة تركية جريئة حذره فيها من مغبة الانحرافات الصوفية وأولها سقوط الدولة. تحدث فيها عن اللواط والخمر والأفيون والدخان التي غشيت كل مكان وأحاطته من جميع أكنافه، وذكر أن المقاهي باتت وكراً للفسوق والعصيان، واستنهضه فيها لحرب الرذائل والبدع.

وقد صدرها بقوله:

أفيقوا من سباتكم آل عثمان وكونوا على علم ويقين

وافتحوا أعينكم و اعلموا أن عرش سليمان ضائع مفقود[(٣)]

---

(١) أنباء الغمر (٥/٥٩).

(٢) تاريخ الدولة العثمانية، شكيب أرسلان، ص (٢٠١).

(٣) المولوية بعد مولانا، ص (٢٥٧-٢٥٩).

كما قام السلطان عثمان الثالث[1] رحمه الله (ت ١١٧١هـ)، بإصلاحات داخلية مهمة، كان يمكن أن تعالج الأوضاع المتردية، ولكن فترة حكمه القصيرة (٣ سنوات) لم تتح الفرصة الكافية لذلك.

يقول المؤرخ إبراهيم بك حليم رحمه الله:

"اشتغل بالإصلاحات الداخلية، وقفل كافة الخمارات بالأستانة، ومحا ما يخالف الشرع من البدع، ونهى عن مشي النساء في الأسواق بالزي المفتوح"[2].

هذه الحال دفعت العلماء والمصلحين إلى تأليف الكتب وتدوين التقارير للسلاطين؛ عما يجب فعله تجاه ظاهرة الانحلال والتدهور فمثلاً قدم مؤلف كتاب (نصيحت نامه) تقريراً للسلطان عبدالحميد الثاني رحمه الله قال فيه:

"إن تطبيق الشريعة الإسلامية وأحكامها بقوة وحزم هو العامل الأساس في وقف تدهور الدولة وحفظ الأمن .. ومن ثم تستطيع الدولة التقاط أنفاسها لتتفرغ لإصلاح نفسها، وإن المسلمين إذا استجابوا لدواعي الشرع بقوة، سيرجعون إلى عهد الفتوحات"[3].

ورغم كل هذه الجهود إلا أن الوضع لا زال قائماً؛ ذلك أن الانحراف في أصله انحراف عقدي فمشايخ الصوفية يعتقدون أن التمسك بأوامر الشرع ونواهيه هو خاص للعوام فأباحوا لأنفسهم ارتكاب المحرمات جهاراً نهاراً وقد نشر ذلك الفساد بين العوام الجهلة، ونظراً لخطورة هذه العقيدة على المجتمع بأسره تصدى لها العلماء بالرد والتفنيد.

---

(١) عثمان الثالث بن مصطفى الثاني، جلس بعد وفاة أخيه محمود الأول عام (١١٦٨هـ)، لم يحدث في أيام حكمه القلائل ما يستحق الذكر، توفي وقد تجاوز عمره الـ(٥٨ سنة) في عام (١١٧١هـ).
انظر: تاريخ الدولة العلية، فريد، ص(٣٢٩)، تاريخ الدولة العثمانية، يلماز (٦١٦/١).

(٢) تاريخ الدولة العثمانية العلية، ص (١٧٤).

(٣) السلطان عبدالحميد الثاني، محمد حرب، ص (١٥).

يقول الإمام الشاطبي[1] رحمه الله: "إن كثيراً يتوهمون أن الصوفية أبيح لهم أشياء لم تبح لغيرهم؛ لأنهم ترقوا عن رتبة العوام المنهمكين في الشهوات، إلى رتبة الملائكة الذين سلبوا الاتصاف بطلبها والميل إليها؛ فاستجازوا لمن ارتسم في طريقتهم إباحة بعض الممنوعات في الشرع بناء على اختصاصهم عن الجمهور.

وهذا باب فتحته الزنادقة بقولهم: إن التكليف خاص بالعوام ساقط عن الخواص"[2].

هذا الاحتجاج فتحته الصوفية رغبة منهم في التحلل من قيود التشريع فيزعمون أنهم ترقوا في الطريق وأصبحوا ممن تسقط عنهم الشرائع.

وقد رد شيخ الإسلام رحمه الله على هذه الفرية عندما سئل عن قوم داوموا على الرياضة.. فرأوا أنهم تجوهروا فقالوا: لا نبالي الآن ما عملنا؛ وإنما الأوامر والنواهي رسوم العوام، ولو تجوهروا لسقطت عنهم ..

وقالوا: المراد من التكاليف ضبط العوام ولسنا نحن من العوام فندخل في جحر التكليف.

فكان من بين ما أجاب به:

"وأما قولهم: المراد منها ضبط العوام ولسنا نحن من العوام. فالكلمة الأولى زندقة ونفاق، والثانية: كذب واختلاق؛ فإنه ليس المراد من الشرائع مجرد ضبط العوام، بل المراد منها الصلاح باطناً وظاهراً، للخاصة والعامة في المعاش والمعاد"[3].

---

(١) هو إبراهيم بن موسى الغرناطي، الفقيه، الأصولي المتحقق، صاحب كتاب الموافقات والاعتصام، توفي سنة (٧٩٠هـ).
انظر: شجرة النور الزكية (٢٣١/١).

(٢) الموافقات (٤١٣/٢-٤١٤).

(٣) مجموع الفتاوى (٤١٥/١١-٤١٦).

وقال أيضاً:

"ومن اعتقد .. أن لله رجالاً خواصاً لا يحتاجون إلى متابعة محمد ﷺ بل استغنوا عنه كما استغنى الخضر عن موسى عليهما السلام فمن اعتقد أن هؤلاء أولياء الله فهو كافر مرتد عن الإسلام باتفاق أئمة الإسلام ولو كان في نفسه زاهداً عابداً"[1].

وفي الجامع لأحكام القرآن يقول الإمام القرطبي ﷺ:

"ذهب قوم من الزنادقة الباطنية إلى أن الأحكام الشرعية العامة إنما يحكم بها على الأغبياء والعامة، وأما الأولياء وأهل الخصوص فلا يحتاجون إلى تلك النصوص، قال شيخنا أبو العباس القرطبي[2]: هذا القول زندقة وكفر يقتل قائله ولا يستتاب؛ لأنه إنكار ما علم من الشرائع"[3].

بل إذا كان النبي ﷺ وهو مَنْ هو، يقول له ربه تبارك وتعالى: ﴿ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴾[4].

فعبودية المسلم لله تعالى لا تنقطع إلا بالموت، بل إن الترقي والقرب من الله تعالى وتحقق الولاية الحقة لا يكون إلا بالعبودية لله، سبحانه وتعالى.

ولكن لما كان المتصوفة ممن حبب إليهم الفسق والفجور والعصيان، اخترعوا لأنفسهم هذا القول واستباحوا المحرمات. واستمروا على ذلك حتى

---

(١) المرجع نفسه (٤٣٤/١٠-٤٣٥).

(٢) أحمد بن عمر بن إبراهيم بن عمر، الأنصاري، القرطبي، المالكي، إمام، فقيه، محدث، له مصنفات فيها: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، مختصر البخاري، شرح التلقين وغيرها، توفي عام (٦٥٦هـ).

انظر: العبر (٢٧٨/٣)، الوافي بالوفيات (٢٩٥/٧)، الديباج المذهب، ص (٦٨-٧٠).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (٤٠/١١-٤١).

(٤) سورة الحجر، الآية: (٩٩).

أثروا على أحوال الناس عامة وظل الأمر كذلك إلى أن مَنَّ الله تعالى على العالم الإسلامي بدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ﷺ. يقول الإمام (عبدالعزيز بن سعود) ﷺ مبيناً فساد الناس آنذاك:

"فنحن قبل ذلك على ما عليه غالب الناس من الشرك بالله تعالى .. مع ما ينضم إلى ذلك من فعل الفواحش والمنكرات وارتكاب الأمور المحرمات، وترك الصلاة، وترك شعائر الإسلام، حتى أظهر الله الحق بعد خفائه، وأحيا أثره بعد عفائه على يد شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب"[1].

ويؤكد هذه الحقيقة الإمام الشوكاني ﷺ في ترجمة الشريف غالب بن مساعد في البدر الطالع قال:

"فإن صاحب نجد – يريد الشيخ محمد بن عبدالوهاب – تبلغ عنه قوة عظيمة لا يقوم لمثلها صاحب الترجمة. فقد سمعنا أنه قد استولى على بلاد الحسا والقطيف وبلاد الدواسر وغالب بلاد الحجاز .. وصاروا مقيمين لفرائض الدين بعد أن كانوا لا يعرفون من الإسلام شيئاً ولا يقومون بشيء من واجباته إلا مجرد التكلم بلفظ الشهادتين على ما في لفظهم بها من عوج. وبالجملة فكانوا جاهلية جهلاء كما تواترت بذلك الأخبار إلينا، ثم صاروا الآن يصلون الصلوات لأوقاتها، ويأتون بسائر الأركان الإسلامية على أبلغ صفاتها"[2].

وجملة القول: أن نشر هذا الفكر في الأمة يهدف إلى هدم قواعد الإسلام وفتح باب التحلل من المسؤوليات الدينية، وباب الانحلال الخلقي في المجتمع الإسلامي. وهذا باب لو فتح لأحد كان الأولى به صحابة رسول الله ﷺ، فهم أحق به؛ لكونهم في مقام أعلى من غيرهم، لكنهم أطهر وأتقى من أن تصدر عنهم هذه الدعاوى الكاذبة.

---

(١) التاج المكلل، ص (٣٤٥).

(٢) البدر الطالع (٥/٢).

٣- تعطيل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

مما تقدم ظهر ما يؤكد أن الصوفية قد وقعوا بالفعل في ارتكاب المنكرات بجميع أنواعها، فتركوا الفرائض وارتكبوا المحرمات، ومع ذلك احتفظوا بمكانتهم وسط الجهلة والرعاع من العوام وما ذاك إلا بسبب تعطيلهم للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عن طريق تخويف العامة من الإنكار عليهم بأن يكونوا من المحرومين من الفيوضات والبركات الربانية (!!). وبما وضعوه من آداب على المريدين والتي من أهمها عدم الإنكار على الشيخ حتى ولو أتى بالموبقات على قاعدة (من قال لشيخه لِمَ ؟ لم يفلح).

بهذا عاث الصوفية في الأرض فساداً، يشيعون الفساد العقدي والخُلقي، وفي المقابل يجدون التعظيم والتقديس وتقبيل الأيدي، وإذا ماتوا أصبحت قبورهم مزارات يستغاث بأصحابها ويذبح لهم ويطاف حولهم.

ولما كانت هذه العاقبة السيئة هي النتيجة الحتمية للابتعاد عن الأمر الرباني والنهج النبوي في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. جاءت الأدلة من الكتاب والسنة على ضرورة القيام بهذه الفريضة كما حذرت النصوص من تركها والتهاون فيها.

قال الله تعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[1].

وقال الله تعالى: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ﴾[2] وكان القيام بهذه الفريضة سبباً في ثناء الله على هذه الأمة، قال الله تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ

(١) سورة آل عمران، الآية: (١٠٤).

(٢) سورة التوبة، الآية: (٧١).

﴿وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾(1) فالخيرية إذاً لن تتحقق لهذه الأمة ما لم تقم بهذه الفريضة، و حينئذ يخشى عليها مما أصاب بني إسرائيل، قال الله تعالى: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾(2).

وجاءت السنة المطهرة بما جاء به القرآن الكريم من التأكيد على أهمية هذه الفريضة والتحذير من تركها قال ﷺ: "من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان"(3).

وقال ﷺ: "إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه"(4).

وفي هذا تهديد بمعاقبة الأمة بعمومها، بسبب تركهم للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال الإمام النووي رحمه الله حاثاً عليه:

"واعلم أن هذا الباب أعني باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قد ضيع أكثره من أزمان متطاولة ولم يبق منه في هذه الأزمان إلا رسوم قليلة جداً، وهو باب عظيم به قوام الأمر وملاكه وإذا كثر الخبث عم العقاب الصالح والطالح وإذا لم يأخذوا على يدي الظالم أوشك أن يعمهم الله تعالى بعقابه ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ

---

(1) سورة آل عمران، الآية: (١١٠).

(2) سورة المائدة، الآية: (٧٨-٧٩).

(3) صحيح مسلم مع النووي، كتاب الإيمان، باب وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (٢/٢٢).

(4) رواه الترمذي في سننه، كتاب الفتن، باب ما جاء في نزول العذاب إذا لم يغير المنكر، ح (٢١٦٨)، (٤/٤٦٧) وأبو داود في سننه، كتاب الفتن، باب في الأمر والنهي (١٧/٢٦٧)، قال أبو عيسى: حديث صحيح. وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير رقم (١٩٧٣)، (١/٣٩٨).

﴿يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[1] فليحذر الذين يخالفون يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم فينبغي لطالب الآخرة والساعي في تحصيل رضا الله عز وجل أن يعتني بهذا الباب فإن نفعه عظيم لاسيما وقد ذهب معظمه ويخلص نيته ولا يهابن من ينكر عليه لارتفاع مرتبته"[2].

ومع هذه الأهمية العظيمة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر نجد أن الصوفية قد سنوا آداباً تحطم هذه الفريضة التي لا صلاح للأمة إلا بها، مما كان له الأثر الكبير في انتشار المفاسد والفواحش في التجمعات الصوفية.

يتحدث أبو الهدى الصيادي عن هذه الآداب قائلاً: "من آداب المريد اللازمة:

أولاً: حفظ قلب شيخه ومراعاته في الغيبة والحضور .. والتواضع له ولذريته وأقاربه وثبوت القدم في خدمته، وربط القلب به واستحضار شخصه في قلبه في جميع المهمات واستعداد همته والفناء فيه، وأن يكون ملازماً له لا يفتر عنه. و لا ينكر عليه ما ظهر منه من صفة عيب فلربما يظهر من الشيخ ما لا يعلمه المريد"[3].

وأما شيخ النقشبندية محمد أمين الكردي فيقول:

"ومنها: ألا يعترض على شيخه فيما فعله ولو كان ظاهره حراماً ولا يقول لم فعل كذا؟ لأن من قال لشيخه لم؟ لا يفلح أبداً، فقد تصدر من الشيخ صورة مذمومة في الظاهر وهي محمودة في الباطن (!!)"[4].

---

(١) سورة النور، الآية: (٦٣).

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (٢٤/٢).

(٣) قلادة الجواهر، ص (٢٨٠).

(٤) تنوير القلوب، ص (٥٢٨).

بهذه الآداب والمعتقدات التي يوحونها للناس امتنع الناس عن الإنكار عليهم وهابوهم، ومن أدل الأدلة على ذلك ما قاله صدر الدين القونوي لما أراد الفقهاء منع السماع وقد أبلغه بذلك الوزير معين الدين البراونة قال:

"بحق الله لا تدخل نفسك في هذا الموضوع بأي وجه كان، ولا تتكلم فيه ولا تعترض عليه اتباعاً منك لأقوال المغرضين؛ لأن هذا النوع إعراض عن الأولياء والإعراض عنهم مجلبة للشؤم (!!)، وبدعة من هذا الطراز تصدر عن أولياء الله، هي بمثابة سنة أولي العزم من الرسل (!!)، يدرك حكمتها أولياء الله، فإنه لا يصدر منهم شيء بغير إشارة من الله القادر"[1].

وهذا النص فيه تخويف لمن أراد أن يمنع الغناء والسماع من أنه يُعرض عن الأولياء و يستجلب شؤمهم، ثم يزعم أن من حق الأولياء الابتداع في الدين لأنهم لا يفعلون ذلك إلا بأمر الله، ثم يصبح حكمها سنة من سنن أولي العزم.

وفي هذا جملة من المخالفات الشرعية منها ما يلي:

١- اعتقاد النفع والضر في غير الله تعالى وهذا من الشرك في الربوبية.

٢- تسمية أمثال هؤلاء بالأولياء، فالولي الحقيقي إنما هو المتبع لدين الله تعالى فالولاية تمام العبودية مع تمام الاتباع للنبي ﷺ.

قال الله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾[2].

٣- إعطاء هؤلاء الأولياء حق الابتداع في الدين رغم أن الله تعالى قد أكمل الدين لنبيه ﷺ وأتم النعمة، فليس لأحد بعده أن يبتدع ويزيد على ما شرع، سبحانه.

---

(١) الأفلاكي (٢/١٤٩-١٥٠).

(٢) سورة يونس، الآية: (٦٢-٦٣).

٤- نسبة البدع إلى الله، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً، فقد ختم الله تعالى دينه، وانقطع وحيه إلى الأرض بوفاة النبي ﷺ. فكل من زعم أن الله أشار عليه بأمر يخص هذا الدين فقد كذب وافترى على الله.

قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ﴾[1].

هذه الافتراءات إنما هي لتعطيل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

بعد هذا العرض يتبين أن الصوفية قد نشرت آثاراً مدمرة للأمة الإسلامية تمس عقيدتها ودينها ولا يخفى ما لهذه الآثار المار ذكرها من إضعاف الأمة وانحرافها، وإن آثار الابتعاد عن شرع الله تعالى لتبدو في الحياة من جميع نواحيها وقد عزي سبب ضعف الدولة إلى ابتعادها عن تطبيق الشريعة الإسلامية في كثير من نواحي الحياة.

هذا ما تضمنته اللائحتان الإصلاحيتان اللتان تقدم بهما المفكر العثماني قوجي بك إلى السلطانين مراد الرابع رحمه الله عام (١٦٣١م/ ١٠٤٠-١٠٤١هـ) وإبراهيم الأول[2] رحمه الله عام (١٦٤٠م/ ١٠٤٩-١٠٥٠هـ)[3].

ويشهد لذلك قول السلطان عبدالمجيد الأول رحمه الله:

"لا يخفى على عموم الناس أن دولتنا العلية من مبدأ ظهورها وهي جارية على رعاية الأحكام القرآنية الجليلة والقوانين الشرعية المنيفة بتمامها ولذا كانت

(١) سورة الأنعام، الآية: (٩٣).

(٢) إبراهيم الأول بن مصطفى الأول، جلس على عرش أخيه مراد الرابع عام (١٠٤٩هـ) كان الوحيد من بني عثمان الذين بقوا على قيد الحياة، استمرت سلطنته ثمان سنوات تقريباً ثم خلع من عرشه وتولى بعده ابنه محمد الرابع ثم قتل بعد خلعه بعشرة أيام، عام (١٠٥٨هـ). انظر: تاريخ الدولة العثمانية، يلماز (٤٨٨/١).

(٣) حركة الجامعة الإسلامية، ص(٣٠).

قوة سلطتنا السنية ورفاهية وعمارية أهاليها وصلت حد الغاية، وقد انعكس الأمر منذ مئة وخمسين سنة بسبب عدم الانقياد والامتثال للشرع الشريف ولا للقوانين المنيفة فتبدلت قوتها بالضعف وثروتها بالفقر"[1].

وهذه سنة الله تعالى في الأمم، قال الله تعالى: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴾[2].

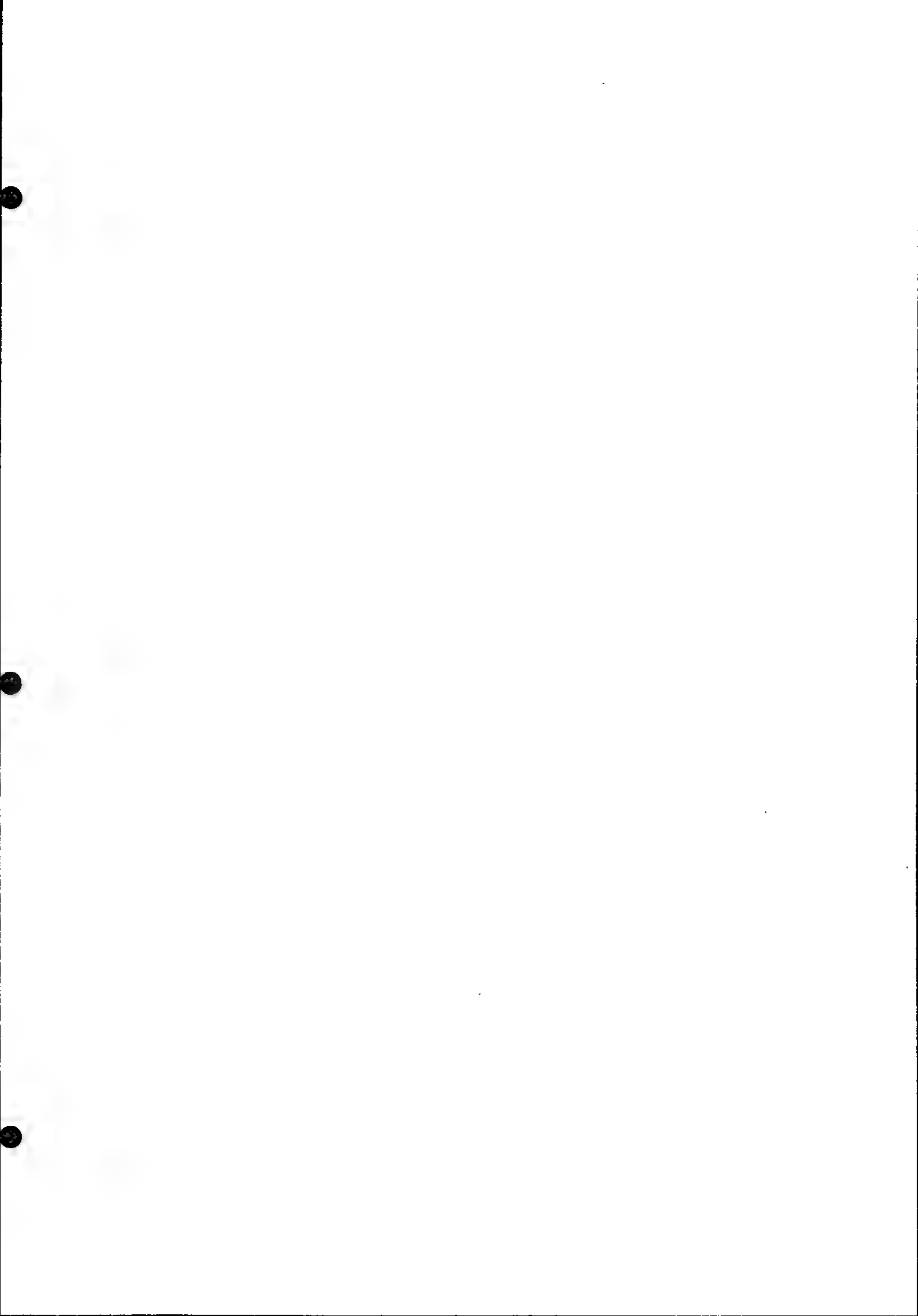
وليس هذا فحسب، بل لقد جرأت هذه الانحرافات بما أشاعته من شعوذة وخرافات لدى العامة أعداء الأمة إلى الدعوة لنبذ الدين وترك الشريعة، زاعمين أن الإسلام دين خرافة وأوهام، مستدلين بالخرافات المتفشية في الأمة، ومشاركة علماء المسلمين لها. بحضور الموالد، وترك إقامة شعائر الدين، وبتأويل البدع والخرافات والدفاع عنها. واضطهاد من يتصدى لإنكارها. وهكذا عاشت الدولة العثمانية أسوأ مراحلها التاريخية، إذ أمر الدين قد وهى جداً، فالانحرافات قد عظمت والأحوال قد تردت، وأمر الجهل والشرك والبدع قد استفحل في البلدان حتى غدت العقيدة الصحيحة محاربة من قبل السواد الأعظم، وغريبة بين الناس، وقد تألب ضدها الحكام والعامة والعلماء والجهلاء وكل ذلك بسبب اتساع دائرة التصوف.

(١) تاريخ الدولة العثمانية، محمد فريدبك، ص (٤٨١).

(٢) سورة النحل، الآية: (١١٢).

الفصل الثاني

الآثار العلمية



الآثار العلمية

إن الدارس للتصوف، والمتبين حقيقته ليجزم بأنه لابد أن تتمخض عقيدته عن آثار خطيرة تؤثر في الأمة الإسلامية، ويرى أن ما أصابها من تخلف وضعف في شتى النواحي لهو نتيجة طبيعية لهذا الداء العضال الذي أصاب الأمة.

ولاريب أن من أهم المجالات التي تأثرت تأثراً سلبياً بالتصوف الناحية العلمية، خلفت هذه الآثار السلبية ضعفاً وهواناً، لازالت تعاني منه الأمة حتى اليوم.

وقد تعددت تلك الآثار وهي:

أولاً: نبذ علم الكتاب والسنة.

وقفت الصوفية من العلم موقفاً مغايراً لما عليه الإسلام من الحث على التعلم وطلبه ليعبد الإنسان ربه على بصيرة، وطعنوا في علماء الأمة لاعتقادهم أن هذا الطلب لا يوصل إلى المطلوب !!. ومن هنا احتقرت الصوفية علم الكتب وتناقلوا كلمة أبي يزيد البسطامي التي وجهها إلى طلبة العلم وأهل الحديث وقال فيها: "أخذتم علمكم ميتاً عن ميت وأخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت"، وكأنها حق لا جدال فيه.

وعليه اعتمد الصوفية في اكتساب العلوم على ما يسمونه الكشف ويعدونه مصدراً وثيقاً للعلوم والمعارف، بل ويجعلونه غاية لذاته.

وقد أثبتت كتب الصوفية مقالات لهم تظهر نبذهم للعلوم الشرعية واعتمادهم على الإلهامات والمنامات والمكاشفات.

ذكر القشيري أن أحد الصوفية سُئل عن سوء أدب الفقير- أي الصوفي فقال: "انحطاطه من الحقيقة إلى العلم"[١].

(١) الرسالة (٢/٥٧).

ونقل عن الجنيد قوله: "إذا لقيت الفقير، فألقه بالرفق، ولا تلقه بالعلم؛ فإن الرفق يؤنسه، والعلم يوحشه"[1].

وقال أيضاً: "المريد الصادق غني عن علم العلماء وإذا أراد الله بالمريد خيراً أوقعه إلى الصوفية ومنعه صحبة القراء"[2].

وذكر الشعراني عن داود الكبير بن ماخلا[3]: "لا تقنع بسمعت ورويت، بل شهدت ورأيت"[4].

وقال أبو الحسن الشاذلي[5]: "العلوم التي وقع الثناء على أهلها وإن جلت فهي ظلمة في علوم ذوي التحقيق"[6].

ويُشبِّه جلال الدين الرومي في نظمه (المثنوي) العلوم النقلية بالتيمم وعلم الصوفية بالماء، ومن ثم لا يصح الأخذ بالعلوم النقلية إذا وصل الصوفي إلى علم الحقيقة.

اعلم أن العلم النقلي في مقابل كلمات

قطب الزمان يشبه التيمم في حضرة الماء[7]

---

(١) المرجع السابق (٢/٥٨)، عوارف المعارف (١/١٥٢).

(٢) الطبقات الكبرى، ص (١٢٢).

(٣) هو داود بن عمر بن ماخلا الاسكندري، شيخ الشاذلية في وقته، كان لا يقرأ ولا يكتب، ومع ذلك فله كلام معتمد عند الصوفية، ويعدونه من كبارهم، له مؤلفات من إملائه مثل: عيون الحقائق، شرح حزب البر للشاذلي. توفي بالإسكندرية، عام (٧٣٣هـ).
انظر: الطبقات الكبرى، ص (٢٦٦)، جامع كرامات الأولياء (٢/٥٥).

(٤) الطبقات الكبرى، ص (٢٨٠).

(٥) هو علي بن عبدالله بن عبدالجبار الشاذلي المغربي، أخذ التصوف عن عبدالسلام بن مشيش، نسب إلى شاذله بتونس لإقامته بها، ثم انتقل إلى الإسكندرية واتخذها مقراً لدعوته فكثر أتباعه، وعظم شأنه إلى وفاته عام (٦٥٦هـ).
انظر: الطبقات الكبرى، ص (٢٩٠)، جامع كرامات الأولياء (٢/٢٨١)، العبر (٣/٢٨٢).

(٦) الطبقات الكبرى، ص (٢٩٩).

(٧) المثنوي رقم (١٤١٨).

هذه النظرة إلى علوم الشرع أدت إلى عزوف الصوفية عن العلوم الشرعية بعد انتسابهم إلى تلك الطرق، وسلوكهم مسلك التصوف، تشهد لذلك العبارات الواردة في غالب تراجمهم، مثل: "وتعاطى أول أمره التدريس ثم تبع الطريقة الصوفية، فترك التدريس والإفادة، وعكف على الزهد والعبادة"[(١)] وقولهم: "كان رجلاً أمياً، حصل ببركة التصوف على معارف ذوقية تتحير فيها العقول"[(٢)].

ومن هؤلاء جلال الدين الرومي يقول بعد مصاحبته للشمس: "تركت التدريس في المدارس، والوعظ في المنابر، وتخليت عن المناصب الكبرى، وبدأت أنشغل بقراءة الأسرار المكتوبة على صحائف الروح، انشغلت بالكتب والدفاتر وكنت في مقام أعلى من مقام الأدباء، ولكني عندما رأيت لوح الساقي غبت عن وعيي وكسرت الأقلام التي في يدي وألقيت بها"[(٣)].

ويقول الشعراني في مقدمة الطبقات:

"اعلم – يا أخي وفقنا الله وإياك – إن الرجل لا يكمل عندنا في مقام العلم حتى يكون علمه عن الله عزوجل بلا واسطة من نقل أو شيخ، فإن من كان علمه مستفاداً من نقل أو شيخ فما برح عن الأخذ من المحدثات، وذلك معلول عند أهل الله عزوجل .. ولو أنك سلكت على يد شيخ من أهل الله لأوصلك إلى حضرة شهود الحق تعالى، فتأخذ عنه العلم بالأمور من طريق الإلهام الصحيح من غير تعب ولا نصب ولا سهر .. فلا علم إلا ما كان عن كشف وشهود لا عن نظر وفكر وظن وتخمين"[(٤)].

ونقل عن شيخه علي الخواص قوله:

---

(١) انظر أمثال هؤلاء في تاريخ شكيب، ص (١٦٩)، (١٧٠)، (١٧٩)، (١٩٧).

(٢) المرجع نفسه، ص (١٨٣).

(3) turk dusuncesi, mevlevilik, p, (24).

(٤) الطبقات الكبرى، ص (١١).

"لا يسمى عالماً عندنا إلا من كان علمه غير مستفاد من نقل أو صدر؛ بأن يكون خضري المقام"[1].

وهذه العبارات تبين مدى احتقارهم للعلم الشرعي وأنه لا يرقى إلى علمهم الكشفي، ومدى دعوتهم المريدين إلى الإقبال على المجاهدات الصوفية لنوال الكشف بدل التوجه إلى مناهل العلم.

بل لقد حرص الصوفية على صد الناس عن تعلم العلوم الشرعية، يقول جعفر الخلدي[2] : "لو تركني الصوفية لجئتكم بإسناد الدنيا لقد مضيت إلى عباس الدوري[3] وأنا حدث فكتبت عنه مجلساً واحداً، وخرجت من عنده فلقيني بعض من كنت أصحب من الصوفية فقال: أَيْشٍ هذا معك؟ فأريته إياه فقال: ويحك تدع علم الخرق وتأخذ علم الورق، ثم خرق الأوراق فدخل كلامه في قلبي فلم أعد إلى عباس"[4].

وعن أبي سعيد الكندي قال: "كنت أنزل رباط الصوفية وأطلب الحديث في خفية بحيث لا يعلمون، فسقطت الدواة يوماً من كمي. فقال لي بعض الصوفية: استر عورتك"[5].

ولما أعرض الصوفية عن علم الكتاب والسنة لجأوا إلى ما يزعمونه بعلم الكشف والإلهام.

---

(١) المرجع السابق، ص (٤٩٢).

(٢) هو جعفر بن محمد بن نصير الخلدي، صوفي، بغدادي، كبير، صاحب حكايات وعجائب، توفي سنة (٣٤٨هـ).
انظر: حلية الأولياء (٣٨١/١٠)، السير (٥٥٨/١٥)، الشذرات (٣٧٨/٢).

(٣) هو الإمام أبو الفضل عباس بن محمد الدوري، أحد الأئمة الأثبات، وأكثر تلاميذ ابن معين ملازمة له. توفي سنة (٢٧١هـ).
انظر: تاريخ بغداد (١٤٤/١)، السير (٥٢٢/١٢)، تهذيب التهذيب (٨٧/٣).

(٤) تاريخ بغداد (٢٢٧/٧)، تلبيس إبليس، ص (٣١٨)، السير (٥٥٩/١٥).

(٥) تلبيس إبليس، ص (٣١٨).

يقول الإمام الغزالي[1] رحمه الله: "فالأنبياء والأولياء، انكشف لهم الأمر، وفاض على صدورهم النور، لا بالتعلم والدراسة، والكتابة للكتب، بل بالزهد في الدنيا، والتبرّؤ من علائقها، وتفريغ القلب من شواغلها، والإقبال بكنه الهمة على الله تعالى..، وزعموا أن الطريق في ذلك أولاً، بانقطاع علائق الدنيا بالكلية، وتفريغ القلب منها، .. ولا يفرق فكره بقراءة القرآن (!!)، ولا بالتأمل في تفسير، ولا بكتب حديث، ولا غيره، بل يجتهد ألا يخطر بباله شيء سوى الله .. فلا يبقى إلا الانتظار لما يفتح الله من الرحمة، كما فتح على الأنبياء (!!)، وعند ذلك: تلمع لوامع الحق في قلبه[2]، وقد انتقد شيخ الإسلام رحمه الله هذه الطريقة المبتدعة مبيناً أن من لوازمها بغض العلم الشرعي وأهله، والوقوع في البدع يقول رحمه الله : "إن هؤلاء - يقصد أهل الرياضة والتصوف - يقولون: إذا صفّى الإنسان نفسه، فاضت عليه العلوم بلا تعلم، وكثير من هؤلاء تكون عباداته مبتدعة، بل مخالفة لما جاء به الرسول ﷺ فيقعون في فساد من جهة العمل، وفساد من نقص العلم"[3].

ثم بين رحمه الله أن الإنسان إذا فرَّغ قلبه من كل شيء، فمن أين يعلم أن ما يحصل في قلبه يكون حقاً؟ فإما أن يعلم هذا بعقل أو بسمع، وكلاهما لم يدل على ذلك. بل إن الذي يدل عليه السمع والعقل، أن القلب إذا فرغ من كل شيء، حلت فيه الشياطين. ثم قال:

"ومن غوائل الأخذ بالرياضات: بغض العلم الشرعي وأهله، وذلك أن الشيطان يزين لهم تلك العبادات البدعية، ويبغض إليهم السبل الشرعية، حتى يبغض إليهم الكتاب والسنة، فلا يحبون سماع القرآن والحديث، ولا ذكره، بل

---

(١) هو محمد بن محمد بن محمد، أبو حامد الطوسي، حصل علوم الصوفية من مطالعة كتبهم، لازم الخلوة، وترك المال والعلم، له مؤلفات كثيرة منها: إحياء علوم الدين، المنقذ من الضلال. أقبل آخر عمره على طلب الحديث إلى وفاته عام (٥٠٥هـ).
انظر: السير (٣٢٢/١٩)، العبر (٣٨٧/٢)، البداية والنهاية (١٧٣/١٢).

(٢) إحياء علوم الدين (١٩/٣-٢٠).

(٣) منهاج السنة النبوية (٩٦/١-٩٧).

ولا يحبون من معه كتاب، ولو كان مصحفاً أو حديثاً؛ وذلك لأنهم استشعروا أن هذا الجنس، فيه ما يخالف طريقهم، فصارت شياطينهم تهربهم من هذا..

ومن يقول من هؤلاء: أخذوا علمهم ميتاً عن ميت، وأخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت. فهذا قد يقع، لكن منهم من يظن أنما يُلقى إليه من خطاب أو خاطر هو من الله بلا واسطة، وقد يكون من الشيطان، وليس عندهم فرقان، يفرق به بين الرحماني والشيطاني، فإن الفرق الذي لا يخطئ، هو القرآن والسنة، فما وافق الكتاب والسنة، فهو حق، وما خالف ذلك، فهو خطأ"[1].

ومن علماء الدولة العثمانية الإمام البركوي ﷺ فقد جاهد بقلمه ولسانه هذا الفكر المنحرف يقول:

"إن ما يدعيه بعض المتصوفة في زماننا إذا أُنكر عليهم بعض أمورهم المخالفة للشرع الحنيف. أن حرمة ذلك في العلم الظاهر، وأنا أصحاب العلم الباطن، وأنه حلال فيه، وأنكم تأخذون من الكتاب، وأنا نأخذ من صاحبه محمد ﷺ، فإذا أشكلت علينا مسألة استقيناها منه، فإن حصل قناعة فبها!!، وإلا رجعنا إلى الله تعالى فتنكشف لنا العلوم. فلا يحتاج إلى الكتاب والمطالعة، وأن الوصول إلى الله تعالى لا يكون إلا برفض العلم الظاهر والشرع"[2].

هذا النص يبين احتقار المتصوفة للعلم وأهله، وردهم طريقة العلماء في فهم الكتاب والسنة لاعتقادهم أن الوصول إلى الله تعالى لا يكون إلا برفض العلم، بل تطور الأمر إلى أن جعلوا العلم حجاباً عن الله يبعدهم عن المقصود.

لذا قال ﷺ بعد ذلك:

"وذلك من الترهات، كله إلحاد وضلال، إذ فيه ازدراء للشريعة الحنيفية، والكتاب، والسنة النبوية، وعدم الاعتماد عليهما، وتجويز الخطأ والبطلان فيهما،

(١) مجموع الفتاوى (١٠/٤١١-٤١٣).
(٢) الطريقة المحمدية، ص (٢٨).

والعياذ بالله تعالى. فالواجب على كل من يسمع مثل هذه الأقاويل الباطلة الإنكار على قائله، والجزم ببطلان مقاله بلا شك ولا تردد ولا توقف ولا تلبث، وإلا فهو من جملتهم، فيحكم بالزندقة عليهم "[1].

وممن رد على اعتقاد هذه الطائفة الشيخ أبو بكر خوقير[2] ﷺ يقول: " وكثير ممن يدعي العلم الباطن ويتكلم فيه ويقتصر عليه يذم العلم الظاهر الذي هو الشرائع والأحكام والحلال والحرام ويطعن في أهله ويقولون: هم المحجوبون أصحاب قشور، وهذا يوجب القدح في الشريعة والأعمال الصالحة التي جاءت بالبحث عنها والاعتناء بها.

ومنهم من يظن أن هذا العلم الباطن لا يتلقى من مشكاة النبوة، ولا من الكتاب والسنة، وإنما يتلقى من الخواطر والإلهامات والكشوفات، فأساءوا الظن بالشريعة الكاملة حيث ظنوا أنها لم تأت بهذا العلم النافع الذي يوجب صلاح القلوب وقربها من علام الغيوب، وأوجب لهم ذلك الإعراض عما جاء به الرسول ﷺ بالكلية والتكلم فيه بمجرد الآراء والخواطر فضلوا وأضلوا "[3].

ولما اعتقد الصوفية أن علوم المكاشفة موصلة لليقين، ومالوا للعلوم الإلهامية دون التعليمية، لم يحرصوا على دراسة العلم، وتحصيل ما صنفه المصنفون، والبحث عن الأدلة والأقاويل، فضعف لديهم العلم بالكتاب والسنة. ولم يعولوا على علم مصطلح الحديث وقواعده، للتمييز بين صحيح الأخبار وسقيمها، ولم يروا حاجة في دراسة هذا الفن الدقيق وإفناء الأعمار فيه؛ ذلك

---

(١) المرجع السابق، ص (٢٩).

(٢) هو أبو بكر بن محمد عارف خوقير، ولد سنة (١٢٨٤هـ)، سلفي المعتقد، قام بالتدريس في المسجد الحرام، له مصنفات منها: التحقيق فيما ينسب إلى أهل الطريق، تحرير الكلام في صفة الكلام. توفي بمكة سنة (١٣٤٣هـ).
انظر: مشاهير علماء نجد وغيرهم، ص (٣٠٠-٣٠٣).

(٣) التحقيق فيما ينسب إلى أهل الطريق، ص (١٩-٢٠).

أنهم ادعوا أنهم يجتمعون بالنبي ﷺ يقظة بعد موته، ويشافهونه بالخطاب، ويسألونه عن الأحاديث التي وقع الطعن فيها من جهة طريقها، وضعفها الحفاظ، فيصححها لهم، ويروون عنه الأحاديث.

يقول ابن عربي في فتوحاته:

"هذا هو الفرقان عند أهل الله بين الأمرين، فإنهم قد يرونه في كشفهم فيصحح لهم من الأخبار ما ضعف عندهم بالنقل، وقد ينفون من الأخبار ما ثبت عندنا بالنقل"[1].

أما سنته المشرفة فلا يعتنون بها ولا يأخذونها من الكتب المصنفة فيها، كالصحاح والمسانيد والمعاجم، والمشيخات، وغيرها. بل هذا - كما يزعمون - خاصة أهل الرسوم وقد أدى بهم هذا الأمر إلى عدم معرفة الحديث الصحيح من الضعيف فكثرت في مؤلفاتهم الأحاديث الضعيفة والموضوعة التي لا تصح روايتها فضلاً عن الاستناد عليها واتخاذها ديناً.

ومن تلك الأحاديث الواهية:

* أسانيد أهل الطرق الخاصة بالتلقين ولبس الخرقة التي يرجعون بها إلى أبي بكر أو علي رضي الله عنهما ومنهما إلى النبي ﷺ.

رد أهل العلم بحديث النبي ﷺ هذه الأسانيد مبينين بطلانها، وكذب نسبتها إلى النبي ﷺ أو أحد أصحابه رضوان الله عليهم.

قال شيخ الإسلام رحمه الله:

"وفيها أن الحسن البصري صحب علياً رضي الله عنه، وهذا باطل بإتفاق أهل المعرفة، فإنهم متفقون على أن الحسن لم يجتمع بعلي رضي الله عنه، وإنما أخذ عن أصحاب علي رضي الله عنه .. والحسن ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر رضي الله عنه، وقتل عثمان رضي الله عنه وهو

(١) الفتوحات المكية (٢٨/٤).

بالمدينة. كانت أمّه[1] أَمَةً لأم سلمة ﵂، فلما قتل عثمان ﵁ حمل إلى البصرة، وكان علي ﵁ بالكوفة، والحسن في وقته صبي من الصبيان لا يُعرف ولا له ذكر".

وبعد أن توسع في نقدها قال:

وقد كتبت أسانيد الخرقة، لأنه كان لنا فيها أسانيد، فبينتها ليعرف الحق من الباطل"[2].

قال الحافظ ابن حجر ﵀:

"لم يرد في خبر صحيح ولا حسن ولا ضعيف أن النبي ﷺ ألبس الخرقة على الصورة المتعارفة بين الصوفية أحداً من الصحابة، ولا أمر أحداً من أصحابه أن يفعل ذلك، وكل ما يروى في ذلك صريحاً فهو باطل" وقال: "من المفترى أن علياً ﵁ ألبس الخرقة الحسن البصري، فإن أئمة الحديث لم يثبتوا للحسن من علي سماعاً، فضلاً عن أن يلبسه الخرقة"[3].

وذكر الحافظ السخاوي ﵀ في المقاصد الحسنة، حديث خرقة الصوفية ثم قال: قال ابن دحية وابن الصلاح: إنه باطل[4].

وقد صرح بمثل ما ذُكر جماعة من الحفاظ كالذهبي، وابن حبان، والعراقي وغيرهم رحمهم الله جميعاً[5].

* حديث: "لولاك لما خلقت الأفلاك"[6].

---

(١) هي أم الحسن البصري بن أبي الحسن، وأسمها خيرة مولاة أم سلمة ﵂ مقبولة من الثانية. انظر: تقريب التهذيب، ص (١٣٥٢).

(٢) منهاج السنة (٨/٤٤-٤٧).

(٣) الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة، ص (٢٥٣)، التحقيق فيما ينسب إلى أهل الطريق، ص (٥٢).

(٤) المقاصد الحسنة، ح (٨٥٢)، ص (٣٣١).

(٥) انظر الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة، ص (٢٥٣).

(٦) المجالس السبعة لجلال الدين الرومي، ص (١٧).

ذكره ابن الجوزي رحمه الله في الموضوعات وقال: "إنه موضوع"[1].

وأقره السيوطي رحمه الله في اللآلئ[2].

قال العجلوني رحمه الله في كشف الخفاء: قال الصغاني: موضوع[3].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "ليس هذا حديثاً عن النبي ﷺ لا صحيحاً ولا ضعيفاً، ولم ينقله أحد من أهل العلم بالحديث عن النبي ﷺ ولا يعرف عن الصحابة رضي الله عنهم"[4].

* حديث: "إذا تحيرتم في الأمور فاستعينوا بأهل القبور"[5].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "فهذا الحديث كذب مفترى على النبي ﷺ بإجماع العارفين بحديثه، لم يروه أحد من العلماء بذلك، ولا يوجد في شيء من كتب الحديث المعتمدة"[6].

وأشار الإمام ابن القيم رحمه الله إلى أن هذا الحديث من الأحاديث المختلقة التي وضعها أشباه عباد الأصنام من المقابرية على رسول الله ﷺ"[7].

* حديث أسنده السهروردي إلى أنس رضي الله عنه قال: كنا عند رسول الله ﷺ إذ نزل عليه جبريل عليه السلام فقال: يا رسول الله، إن فقراء أمتك يدخلون الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم، وهو خمسمائة عام، ففرح رسول الله ﷺ فقال: هل فيكم من ينشدنا؟ فقال بدوي: نعم يا رسول الله، فقال: هات، فأنشد الأعرابي:

---

(١) (٢٨٨/١-٢٩٠) ذكره بلفظ (لولاك يا محمد ما خلقت الدنيا).

(٢) (٢٧٢/١).

(٣) كشف الخفاء رقم (٢١٢٣)، (١٦٤/٢)، والفوائد المجموعة، ص (٣٢٦).

(٤) مجموع الفتاوى (٩٤/١١).

(٥) هامش على صحيفة الصفا لأهل الوفا عن آداب الذكر ضمن مجموعة الرسائل الخالدية النقشبندية، ص (٩).

(٦) مجموع الفتاوى (٣٥٦/١)، وانظر منهاج السنة النبوية (٤٨٣/١).

(٧) إغاثة اللهفان، ص (٢٢٠).

قـد لسـعت حيـة الهـوى كبـدي ... فـلا طبيـب لهـا ولا راقـي
إلا الحبيـب الـذي شـغفت بـه ... فعنـده رقـيتي وتريـاقي

فتواجد رسول الله ﷺ، وتواجد الأصحاب معه حتى سقط رداؤه عن منكبه، فلما فرغوا أوى كل واحد منهم إلى مكانه ..".

قال السهروردي بعد إيراد هذه القصة:

"ويخالج سري أنه غير صحيح، ولم أجد فيه ذوق اجتماع النبي ﷺ مع أصحابه وما كانوا يعتمدونه على ما بلغنا في هذا الحديث. ويأبى القلب قبوله والله أعلم"[1].

حكم أهل العلم ببطلان هذا الحديث ووضعه على النبي ﷺ.

ذكره بن عراق الكناني ﷺ في تنزيه الشريعة وقال ما نصه:

"رواه الحافظ محمد بن طاهر المقدسي وهو باطل، قال الحافظ أبو موسى المديني: قد عاب غير واحد من أهل العلم ابن طاهر بإيراد هذا الحديث في كتابه، وكتب شيخ الإسلام أبو الفرج عبدالرحمن بن أبي عمر المقدسي وقد سئل عن هذا الحديث بما ملخصه: إن الواقف عليه يظهر له أنه موضوع لركاكة ألفاظه ومباينة شعره لأشعار العرب في جزالة ألفاظها ومخالفته لما صح من النهي عن إضاعة المال ونفرت القلوب منه.

وكتب الإمام النووي ﷺ وقد سئل عنه: باطل لا تحل روايته ولا نسبته إلى النبي ﷺ ويعزر من رواه عالماً تعزيراً بليغاً"[2].

وقال الإمام الذهبي ﷺ في الميزان والحافظ ابن حجر ﷺ في اللسان: عمار بن إسحاق عن سعيد بن عامر الضبعي، كأنه واضع حديث هذه الخرافة

(١) عوارف المعارف (٢/٣٥-٣٦).

(٢) تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة (٢/٢٣٣).

التي فيها قال: لسعت حية الهوى كبدي، فإن الباقين ثقات[1].

قال عنه شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ : "موضوع باتفاق أهل العلم، كذب مفترى"[2].

وعنه قال الإمام ابن القيم ﷺ: "وركاكة شعره، وسماجته، وما تجد عليه من الثقالة، من أبين الشواهد على أنه من شعر المتأخرين، البارد، السمج، فقبح الله الكاذبين على رسول الله ﷺ"[3].

وممن حكم عليه أيضاً أبو العباس القرطبي ﷺ في كشف القناع يقول:

"الواقف على متن هذا الحديث، يعلم على القطع أنه مصنوع، موضوع؛ لأن الشعر الذي فيه، لا يناسب شعر العرب، ولا يليق بجزالة شعرهم، ولا ألفاظهم،..

ولا يليق بكلام رسول الله ﷺ، ولا بكلام أصحابه، ولذلك معناه لا يليق بهم، للذي تواتر عندنا من أحوال رسول الله ﷺ، وأحوال أصحابه، من الجد، والاجتهاد، والوقار، والجلالة، وحسن الهيئة"[4].

وعليه فمن نسب هذا الفعل إلى النبي ﷺ خرج من الدنيا بغير إيمان والعياذ بالله ما لم يتب، فالقرآن قرئ عليه ﷺ من أوله إلى آخره، ولم يرو أحد أنه تواجد منه، فكيف يمكن أن يحصل ذلك من بيت شعر لم يبلغ من جزالة القرآن وبلاغته شيئاً، ثم إن هذا الفعل لا يصدر عمن كان له أدنى لب، فكيف يمكن أن يصدر من أشرف الخلق ﷺ.

وغير هذه الأحاديث كثير مما تمتلئ به كتب الصوفية في كل زمان ومكان، بل قد تضيف بعض الطرق أحاديث تختص بها حسب ما تعتقده، فمثلاً تمتلئ

---

(١) الميزان (١٩٨/٥)، لسان الميزان (٦٠٤٧)، (٢٦٤/٥).

(٢) الاستقامة (٢٩٧/١)، مجموع الفتاوى (٥٩/١١، ١٦٨، ٥٦٣).

(٣) الكلام على مسألة السماع، ص (٣٢٣).

(٤) كشف القناع عن حكم الوجد والسماع، ص (١٦١).

كتب الطريقة البكتاشية بالأحاديث الموضوعة في فضل آل البيت بسبب ميلهم إلى التشيع، منها على سبيل المثال:

"حب علي حسنة، كلما بقت هذه المحبة لن تضر السيئة"[١].

"علي فخر الإنسانية، ومن يشك في ذلك يكفر"[٢].

"لا تسبوا علياً؛ لأنه ممدوح وممسوح من ذات الله"[٣].

"عليّ بين الناس كسورة الإخلاص في القرآن"[٤].

"يا علي أنا خاتم الأنبياء، وأنت خاتم الأولياء"[٥].[٦].

ولم يقف بهم الأمر إلى الجهل بأحاديث المصطفى ﷺ ونسبة الأحاديث الضعيفة والموضوعة إليه ﷺ؛ بل ادعو تصحيح ما ضعفه العلماء، وتضعيف ما

---

(١) سبق تخريجه، ص (٩٩).

(٢) سبق تخريجه، ص (٩٩).

(٣) رواه أبو نعيم في الحلية (٦٨/١) بلفظ (لا تسبوا علياً، فإنه ممسوس في ذات الله تعالى) إسناده واه جداً، مسلسل بعلل عدة: فيه إسحاق بن كعب مجهول الحال كما قال الحافظ، ويزيد بن أبي زياد قال الحافظ: متروك.
أورد الحديث الهيثمي في مجمع الزوائد (١٣٠/٩) وقال: رواه الطبراني في الكبير والأوسط، وفيه سفيان بن بشر لم أعرفه، وبقية رجاله وثقوا، وفي بعضهم ضعف ".
قال الشيخ الألباني في السلسلة الضعيفة ح (٨٩٥) (٢٩٩/٢): " ومما سبق تعلم تقصير الهيثمي في الكلام عليه، والإفصاح عن علله التي تقضي على الحديث بالضعف الشديد، إن سلم من الوضع الذي يشهد به القلب ".

(٤) سبق تخريجه، ص (٩٩).

(٥) رواه الخطيب في تاريخ بغداد (٣٥٦/١٠) بلفظ: " أنا خاتم الأنبياء، وأنت يا علي خاتم الأولياء " ثم قال: " هذا الحديث موضوع من عمل القصاص، وضعه عمر بن واصل، أو وضع عليه.
وأورده ابن الجوزي في الموضوعات (٣٩٨/١)، ونقل كلام الخطيب هذا وأقره عليه.
وذكره الحافظ في اللسان في ترجمة ابن لؤلؤ السلمي (١١٤/٥) قال: " روى عن عمر بن واصل حديثاً موضوعاً ساقه الخطيب في ترجمته ". حكم بوضعه الشيخ الألباني في السلسلة الضعيفة والموضوعة، رقم (٦٩٤) (١٣٦/٢).

(6) Melamilik ve Beklasilik, p, (40-41).

صححوه. بناءً على زعمهم بأن الوحي يأتيهم أو أن النبي ﷺ أخبرهم بذلك !! فجمعوا بذلك بين الجهل والكذب على الله تعالى وعلى رسول الله ﷺ.

يقول ابن عربي: "رب حديث صحيح من طريق رواية الثقات ليس بصحيح في نفس الأمر، فنأخذه على طريق غلبة الظن لا على العلم، وهذه الطائفة - أي الأولياء - تأخذه من طريق الوحي، فنكون من عدم صحة ذلك الخبر الصحيح عندنا على بصيرة أنه ليس بصحيح في نفس الأمر. وبالعكس وهو أن يكون الحديث ضعيفاً من أجل ضعف الطريق من وضاع فيه أو مدلس، وهو في نفس الأمر صحيح. فتدرك هذه الطائفة صحته فتكون فيه على بصيرة"[1].

ويقول في موضع آخر: "وإذا جاء الحديث عن رسول الله ﷺ رجع - أي الولي - إلى الله فيه فيعرف صحة الحديث من سقمه، سواء كان الحديث عند أهل النقل من الصحيح أو مما تكلم فيه"[2].

وقال أبو المواهب الشاذلي: "رأيت رسول الله ﷺ فسألته عن الحديث المشهور (اذكروا الله حتى يقولوا مجنون) وفي صحيح ابن حبان (أكثروا من ذكر الله حتى يقولوا مجنون)[3] قال ﷺ (صدق ابن حبان في روايته، وصدق راوي أذكروا الله فإني قلتهما معاً، مرة قلت هذا ومرة قلت هذا)[4]".

وهذا الكلام يحمل فكراً خطيراً وحرباً على سنة النبي ﷺ، وزعزعة لدين المسلم وتحقيراً لجهود علماء السنة الأفذاذ الذين حفظوا السنة وبينوا صحيحها

---

(١) الفتوحات المكية (٨/٤).

(٢) المرجع نفسه (١٧٥/٦).

(٣) رواه الإمام أحمد في المسند (٦٨/٣)، وابن حبان في صحيحه كتاب الرقائق، باب الأذكار، ح (٨١٧)، (٩٩/٣)، والحاكم في المستدرك (٤٩٩/١) وقال صحيح الإسناد ولم يتعقبه الذهبي لكنه عده في ميزانه من المنكرات (٢٤/٢-٢٥) ضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة رقم (٥١٧) (٩/٢)، وضعيف الجامع رقم (١١٠٨)، ص (١٥٦).

(٤) الطبقات الكبرى، ص (٣٨٨).

من سقيمها، وحقها من باطلها. فماذا يبقى للمسلم إذا كان الحديث الصحيح الذي حكم العلماء بصحته ضعيفاً ؟!! والحديث الضعيف صحيحاً ؟!!

هذا الفكر يحمل دعوة صريحة لترك الكتاب والسنة، وعدم الاعتماد على قول العلماء والتشبث بالرياضات والمكاشفات ليلتقوا بالنبي ﷺ ويأخذوا عنه الحكم مباشرة !!

ورثت الدولة العثمانية هذه النظرة الصوفية للعلم وما ترتب عليها من جهل فاضح بحقيقة الدين الإسلامي وسنة نبيه ﷺ؛ لذا "انقسم المتصوفة في العصر العثماني إزاء العلم بالدين إلى معسكرين: يبشر أحدهما بالعلم، ويدعو ثانيهما إلى الجهالة من غير مداراة، ولكن المعسكرين قد اتفقا على أن استقاء الدين من ظاهر الشرع عجز ونقص، وأن المعين الذي ينبغي أن ينهل منه الإنسان معرفته بالدين وغير الدين هو الله، ويكون ذلك بإخلاص العبد في عبادة الله والتفاني في طاعته حتى يصل إلى حضرته، ويأخذ عنه العلم رأساً من غير واسطة، وشتان بين من يستقي العلم من ميت عن ميت، ومن يستقيه عن الحي الذي لا يموت.

ومن هنا احتقر المتصوفة الفقه وأهله، وقبحوا طريقة العلماء في فهم الكتاب والسنة، وكان الانصراف عن العلم والتعليم، والعكوف على التصوف سمة من سمات تلك الفترة السوداء"[1].

ومن هذا يظهر أن الغاية الأساسية من التصوف ليس العلم أو التعلم، بل التخلص من النفس والفناء في الله، فالصوفي الحقيقي بزعمهم هو الذي لا يخرج من بين طيات الكتب، بل إنه يتربى على محو نفسه وإفنائها على غير هدى من الله، وبذلك نبذوا علم الكتاب والسنة فلا علم لديهم بفقه ولا تفسير ولا حديث بل ولا توحيد صحيح.

---

(١) التصوف في مصر، ص (١٩٢-١٩٣).

يصف الإمام البركوي ﷺ مبلغهم من العلم فيقول:

"لو سئل أحدهم عن الأخلاق المذمومة مثل الرياء، والكبر، والعجب، والحسد، والحقد، أو عن علاجها، أو عن الأخلاق الحميدة .. أو عن طرق تحصيلها أو تقوية ضعيفها: بهت وخجل وخلط في كلامه وتكلم بالشطح والطامات. بل لو سئل عن فرائض الصلاة والوضوء والاستنجاء تحير واضطرب"[1].

بهذا شاع الجهل في أوساط الدولة العثمانية بكتاب ربهم وسنة نبيهم ﷺ، فكان ذلك من أسوء الآثار التي خلفها التصوف في الناحية العلمية.

ثانياً: الاعتماد على الكتب المخالفة لمنهج أهل السنة والجماعة.

اهتمت الدولة العثمانية منذ بداية تأسيسها ببناء المدارس الدينية الشرعية إلا أنها أوكلت رعايتها إلى مشايخ الصوفية باعتبارهم الممثلين للدين الإسلامي.

ففي عام (١٣٢٧م/ ٧٢٧هـ) عندما فتح العثمانيون أزميد[2] في عهد أورخان بن عثمان ﷺ. فتحت أول مدرسة هناك كان أول معلم بها داود بن محمود الرومي القيصري، وهو من متصوفة ذلك العصر يعتقد بوحدة الوجود، وله كتاب يشرح فيه فصوص الحكم لابن عربي. ذاك أن ابن عربي لما قدم الأناضول جعل من طلابه دعاة حاذقين إلى مذهبه، وسار ربيبه صدر الدين القونوي على دربه، فجهد بقية عمره على نشر هذا المذهب، وساعده في ذلك تلاميذه، ومنهم: داود القيصري الذي كان له خلفاء اشتغلوا بالتدريس في المدرسة الأورخانية من بعده وكانوا يحملون نفس الفكر أمثال: تاج الدين

---

(١) الطريقة المحمدية، ص (٦٨).

(٢) مدينة يونانية قديمة بآسيا الصغرى، تقع على بحر مرمرة، كان الأتراك يكتبونها بالتاء (أزميت).

انظر: بلدان الخلافة الشرقية، ص (١٩٠).

الكردي (٧٦١هـ)، وعلاء الدين الأسود (٨٠٠هـ)، وعلي الشيرازي (٨١٤هـ)[1].

وبالرغم من عدم وجود أي معلومات عن المواد التي كانت تدرس في تلك المدرسة، إلا أن المحيط العام يوحي بأن التدريس كله كان يدور في إطار صوفي تتغلغل فيه عقيدة وحدة الوجود، وذلك من خلال الفكر العام للمدرسين والطلاب الذين تخرجوا من تلك المدرسة.

ولما كانت المدارس العثمانية آخذة في النمو والتطور كان السلاطين يدعون العلماء من فارس وتركستان والمراكز الثقافية القديمة في الأناضول كقونية وقيصرية، وكان غالب هؤلاء لهم اتجاهات صوفية.

ولما كان هذا هو الوضع القائم اعتمدت المدارس العثمانية في مقرراتها على الكتب المخالفة لمنهج أهل السنة والجماعة.

ففي باب العقائد اعتمدت المدارس العثمانية على كتب الأشاعرة والماتريدية أمثال: كتاب العقائد النسفية للنسفي[2]، وتجريد الكلام للطوسي[3]، وطوالع الأنوار في علم الكلام للبيضاوي، المواقف لعضد الدين الإيجي[4]،

(1) osmanlilarda Devlet – tekke, p, (71-70).

(٢) هو عمر بن محمد بن أحمد بن إسماعيل النسفي السمرقندي، كان من المهتمين بالحديث، ولذلك نعته السمعاني بالحافظ لكنه قال: إن مجموعاته الحديثية فيها أخطاء و أوهام كثيرة. توفي عام (٥٣٧هـ).
انظر: الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية (٦٥٧/٢)، معجم الأدباء (٢٠٩٨/٥).

(٣) هو محمد بن عبدالله الطوسي، نصير الدين، صنف في علم الكلام، وشرح الإشارات. وزر لأصحاب قلاع الألموت من الإسماعيلية، ثم وزر لهولاكو، وكان معه في سقوط بغداد توفي عام (٦٧٢هـ) ببغداد.
انظر: الوافي بالوفيات (١٧٩/١)، البداية والنهاية (٢٦٧/١٣).

(٤) هو عبدالرحمن بن أحمد بن عبدالغفار الشيرازي، تتلمذ على زين الدين السهنكي أحد تلامذة البيضاوي، من أبرز تلامذته شمس الدين الكرماني وسعد الدين التفتازاني. مات مسجوناً قرب إيج عام (٧٥٦هـ).
انظر: طبقات السبكي (٤٦/١٠)، البدر الطالع (٣٢٦/١)، الأعلام (٢٩٥/٣).

المقاصد للتفتازاني[١].أم البراهين للسنوسي[٢]، جوهرة التوحيد للقاني[٣].

وهذه الكتب مناهج كلامية تختلف عن منهج أهل السنة والجماعة، وتحمل من الأخطاء العقدية التي لا يمكن من خلالها إقامة مجتمع ذي عقيدة صافية، وهذا ما يسوغ الانحرافات العقدية الموجودة رغم كثرة المدارس والحِلَق!!

ولما أنشأ السلطان محمد الفاتح ﷺ مدارسه المشهورة (صحن الثمان) شرط في وقفيتها تدريس كتابي شرح المواقف وحاشية التجريد[٤].

وفي المقابل حوربت كتب العقيدة الصحيحة السلفية، فمنعت مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية؛ وتليمذه ابن القيم رحمهما الله تعالى من إدخالها في الدولة العثمانية، وكذلك كل كتاب يرون فيه شائبة مما يسمونه الوهابية (!!)[٥]

وفي عام (١٣٢٥هـ) ألف الشيخ محمود شكري الألوسي ﷺ كتابه غاية الأماني في الرد على النبهاني وهو كتاب ينتصر فيه للمذهب السلفي ضد الصوفية، ووضع على طرة الكتاب: تأليف أبي المعالي الحسيني؛ لئلا يتضح اسمه خوفاً على نفسه، وذلك أن العلماء السلفيين في ذلك العصر يخافون على أنفسهم من معارضة أهل البدع والخرافيين. وكذلك صاحب المطبعة فرج الله زكي خاف

---

(١) هو مسعود بن عمر التفتازاني، من أئمة الماتريدية برع في المنطق واللغة، صاحب المقاصد وله شرح عليه، وشرح العقائد النسفية، توفي عام (٧٩٢هـ).
انظر: الدرر الكامنة (١١٩/٥)، بغية الوعاة (٢٨٥/٢)، الأعلام (٢١٩/٧).

(٢) هو محمد بن يوسف بن عمر بن شعيب السنوسي الحسني، عالم تلمسان في عصره له مؤلفات منها: شرح السنوسية الكبرى، شرح الآجرومية، مجربات في الطب. توفي عام (٨٩٥هـ).
انظر: كشف الظنون (١٧١/١)، الأعلام (١٥٤/٧).

(٣) هو إبراهيم بن إبراهيم بن حسن اللقاني المالكي، أبو الإمداد، متصوف مصري، له مؤلفات منها: بهجة المحافل في التعريف برواة الشمائل، وشر المآثر فيمن أدركتهم من علماء القرن العاشر. توفي عام (١٠٤٠هـ).
انظر: كشف الظنون (٦٢/١)، خلاصة الأثر (٦/١)، هدية العارفين (٣٠/١).

(4) osmanlilarda Devlet – tekke, p, (81).

(٥) الانحرافات العقدية والعلمية (٢٣١/١).

على نفسه، ولم يذكر اسمه إلا رمزاً (ف، ج، ز)، ولا اسم مطبعته، ولا البلد التي فيها المطبعة .. ولهذه المضايقات والخوف عندما تم طبع الكتاب لم يتمكنوا من توزيعه إلا بعد صدور الدستور القاضي بحرية العقائد والأديان"[1].

وهذا موقف طبيعي في ظل سيطرة مشايخ الصوفية على المدارس العثمانية، إذ الكتب السلفية تنقض ما يقوم عليه التصوف من انحرافات وتبين عواره ومثالبه.

أما التفسير فغالب كتبهم تفسير بالرأي، وهي تفاسير مملوءة بأقوال وشبه المتكلمين، ولا تجد للتفسير بالمأثور مكاناً كتفسير الطبري، وابن كثير رحمهم الله جميعاً.

يقول علامة العراق محمود شكري الألوسي ﷺ: "إن من طالع كتب التفسير المتداولة بين الأيدي اليوم وجدها أعظم مانع من الوقوف على مراد الله تعالى بكتابه الكريم، فإن منها ما هو مشحون بقواعد النحو ووجوهه، ومنها ما هو مشحون بالمسائل الكلامية، والقواعد الحكمية، حتى يصرف الآيات إلى ما أصله من الأصول، ويؤول النصوص القطعية إلى ما يوافق معتقده وإذا نظرت تفسير الرازي والبيضاوي، وأبي السعود تعلم حقيقة هذا الكلام ونقل قول الشيخ محمد بدر الدين الحلبي عن التفسير المعتمد في الدولة العثمانية وهو تفسير البيضاوي فعنه وعن تفسير الرازي يقول:

"يعدان غاية في الغموض والإغلاق، ولشدة عراقتها في ذلك أكثر المتأخرون من تعليق الحواشي والشروح عليهما، لبيان عبارتهما وتوضيح مقاصدها، حتى لو جمعت الحواشي والشروح التي عليهما لأربت على ألف مجلد، .. ولولا أنهما بحيث يخفيان إلا على من ألف حل الرموز والطلاسم واستخراج المخبآت لم يعتن من جاء بعدهما بالتوسع في الكتابة عليهما ..

---

(١) مقدمة الكتاب، ص (٨-٩).

وفوق هذا كله اشتمالهما على مسائل كثيرة خارجة عن التفسير، لا ترتبط فيه بوجه من الوجوه، كالمسائل الكلامية التي حشيا بها كتابيهما، وهي ليست من فـن التفسـير ولا متعلقاتـه، وإنما كـان الغـرض مـن ذكرهـا بيـان معتقـديهما والاستشهاد له بكتاب الله"[1].

كذلك سادت في العهد العثماني أفكار الغزالي، وأصبح تقليد المعرفـة في الإجازات التي كان يمنحها العلمـاء العثمـانيون يـرتبط بـالغزالي عـبر الشـريف الجرجاني ونصير الدين الطوسي، والرازي الذي يعتبره العلماء العثمانيون معلماً لهم ..

وقد تجاوز العلماء في المدارس العثمانية ذلك إلى الأخذ بتعاليم ابن عربي الذي كان له تأثير كبير في الفكر التركي ويبرز تأثيره في مؤلفات المولى محمد حمزة الفناري، مؤسس نظام المدارس العثمانية. ولهذا ظـل تـأثيره مسـتمراً، فقـد قـام العلماء العثمانيون بترجمة مؤلفاته ووضع التعليقات والشروح عليها منذ القـرن الرابع عشر وحتى القرن السابع عشر[2].

وكان تدريس كتبه شعار كبار العلماء من المتصوفة، وهو المنزلـة العلميـة التي لا يتبوءها إلا الخاصة منهم !!، والمستوى العلمـي الـذي لا يرقـى إليـه إلا فحول العلماء !! ولا يخفى ما في كتب ابن عربي من مخالفات تخرج المسـلم مـن دائرة الإيمان إلى دائرة الكفر، وقد سبق التنبيه على ذلك.

فكان الواجب والحال هذه أن تقابـل هـذه الكتـب بـالإحراق والإعـدام لا بالتعظيم والشرح والتعليق؛ يقول الإمام محمد الجزري رحمه الله:

"ومما يجب على ملوك الإسلام، ومن قدر على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أن يعدموا الكتب المخالفة لظاهر الشرع المطهر من كتب المذكور – يقصـد

---

(١) غاية الأماني (٧٨/١-٨٣).

(٢) تاريخ الدولة العثمانية، خليل اينالجيك، ص (٢٦٦-٣٣٠).

ابن عربي - وغيره، ولا يلتفت إلى قول من قال: هذا الكلام المخالف للظاهر ينبغي أن يؤول، ولو فتح باب لتأويل كل كلام ظاهره الكفر، لم يكن في الأرض كافر"[1].

ويقول ابن خلدون رحمه الله:

"وأما حكم هذه الكتب المتضمنة لتلك العقائد المضلة، وما يوجد في نسختها بأيدي الناس مثل الفصوص والفتوحات لابن عربي، وما أجدر الكثير من شعر ابن الفارض، والعفيف التلمساني، وأمثالهما، أن تلحق بهذه الكتب .. فالحكم في هذه الكتب كلها وأمثالها، إذهاب أعيانها متى وجدت، بالتحريق بالنار والغسل بالماء، حتى ينمحي أثر الكتابة، لما في ذلك من المصلحة العامة في الدين بمحو العقائد المضلة.

فيتعين على ولي الأمر إحراق هذه الكتب؛ دفعاً للمفسدة العامة، ويتعين على من كانت عنده التمكين منها للإحراق، وإلا فينتزعها منه ولي الأمر، ويؤدبه على معارضته في منعها؛ لأن ولي الأمر لا يُعَارض في المصالح العامة"[2].

ثالثاً: ضعف العناية بأنواع العلوم الأخرى.

ليس بغريب أن تنتشر الأمية نحو جميع أنواع العلوم المختلفة ذلك الانتشار المذهل في الأوساط الإسلامية؛ إذ كانت خاضعة لعقائد الصوفية ومبادئها المنحرفة تجاه العلوم، وقد شمل الضعف أيضاً العلوم الشرعية.

يصف لنا الأستاذ / فريد الهاشمي الدراسة في المدارس الدينية في تركيا في العهد العثماني قائلاً:

"كان هؤلاء الشيوخ يدرسون ركاماً من كتب التراث، معظمها شروح مطولة في الصرف والنحو. فكانوا يباشرون هذه الدراسة دون سابق معرفة بأدنى

(١) تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي، ص (١٧٥).

(٢) جزء فيه عقيدة ابن عربي وحياته، ص (٤٢-٤٣).

شيء من اللغة العربية، ومن غير استعداد لها بدراسة تحضيرية، كانوا يحفظون المتون كما يحفظ القرآن !! كألفية الطائي، ومقدمة الآجرومية، ومتن قطر الندى؛ ويتخرجون من هذه المدارس بعد مدة طويلة من الدراسة لا تقل عن خمسة عشر عاماً. ومع ذلك كانوا ولا يزال البقية منهم يجهلون الكتابة والنطق بالعربية تماماً. كما أنهم لا يدرسون أدنى شيء من العلوم والفنون، كالفيزياء، والكيمياء، والحساب، والهندسة، وعلم الأحياء، والفلسفة، والتاريخ، والجغرافيا.

لهذا لم يحظ أحدهم بالاشتراك في أي محاضرة علمية؛ ولا حتى ألقى السمع إلى ندوة من الندوات الأكاديمية؛ ولم يشهد أحد شيخاً أنه تناول يوماً من الأيام صحيفة أو مجلة، فاهتم بشيء ورد فيها..

كل ذلك بسبب الفقر العلمي والثقافي الذي يعانون منه؛ هذا، بالإضافة إلى ما قد ابتلوا به من العزلة والخمول واحتقار أهل العلم. وهم في الحقيقة عاجزون عن الإجابة بصيغة علمية واضحة ومقنعة، على سؤال قد يوجه إليهم، ولا يجدون مهرباً من المواجهة إلا أن يزينوا للناس سكوتهم على أنه شعارهم !! "[1].

أما من الناحية العلمية المادية فلا تسل عن الجهل الذي أطبق على الأمة في تلك العلوم ولم تفلح بعض الجهود البسيطة التي قام بها السلاطين العثمانيون لتعليم العلوم المادية في ظل انتشار التصوف، وحسبك في ذلك كتب التراجم والرجال، فلا تكاد تجد من عني بهذه العلوم أو قام باكتشاف أو ابتكار.

وقد لمس الأمير شكيب أرسلان رحمه الله وهو من أدباء ذلك العصر هذا الخلل فقال:

" ونحن مع الأسف نرى المسلمين اليوم أقل الأمم اعتناء بالميكانيكيات والطبيعيات والكيمياء وجميع العلوم التي يكفل لهم إتقانها الحيل الحربية، وجر

---

(١) الطريقة النقشبندية، ص (٣٠٤-٣٠٥).

الأثقال، واختراع الآلات التي توفر دماءهم وتصون دهماءهم، ونرى جمهور علمائهم نافرين من هذه العلوم والفنون كأنها من عمل الشياطين، يقضون الأعمار الطويلة في درس علوم مخصوصة لا يتعدونها، من نحو وصرف وحديث وتفسير وما أشبه ذلك مما لا شك في ضرورته، ولكنه ليس يغني أصلاً عن العلوم الطبيعية التي هلك اليوم من أهملها، وعن الميكانيكات التي لو أفرغوا لها من الوقت ربع ما أفرغوه للحديث و التفسير والفقه والنحو والصرف لكانوا من الصناعة ومن ثم من التجارة والثروة على حظ يضاهي حظوظ الأمم الأوربية، ولكنا قد أهملنا علوم هذه الدنيا وحصرنا جميع عنايتنا بعلم الآخرة، غير ذاكرين أن الإسلام إنما هو شرع دنيا و آخرة، وإن من أهمل أحد الشقين فهو آثم، كما لو أهمل الشق الآخر"[1].

لذا فمع ما وصلت إليه الدولة العثمانية إلا أنه لا توجد في المدن صناعات كبرى منتجة لمنتجات تصديرية، فالصناعات الوحيدة القائمة تخص الدولة وتنتج منتجات غير مربحة، والصناعات المحلية، في أيدي الحرفيين، إنما تعمل من أجل السوق الداخلية بشكل شبه وحيد.

ومما ينبئ عن مقدار خمول تركيا في ميدان العلوم والصناعات أن صناعة السفن لم تدخل في تركيا إلا في القرن السادس عشر الميلادي، ولم تدخل المطابع والمحاجر الصحية إلا في القرن الثامن عشر الميلادي، وكذلك مدارس الفنون الحربية.

وفي آخر هذا القرن كانت تركيا بمعزل عن الصناعات والاكتشافات، حتى أنهم لما شاهدوا بالوناً يحلق فوق العاصمة ظنوه من أعمال السحر والكيمياء[2].

ولا جرم أن يصل الأمر إلى هذا الحد في ظل التصوف، فالصوفية التي

---

(١) الارتسامات اللطاف في خاطر الحاج إلى أقدس مطاف، ص (٢٥٢-٢٥٣).

(٢) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، ص (١٧٠).

فرقت بين الدنيا والآخرة، واتجهت إلى إهمال الدنيا بحجة تزكية الأرواح من أجل الآخرة، ومن ثم أهملت عمارة الأرض، على أساس أن الاشتغال بها يثقل الروح ويذهب عنها شفافيتها وطلاقتها، سرى هذا الإهمال إلى كل العلوم المتصلة بتلك العمارة، واعتبرتها نافلة تستطيع الأمة أن تستغني عن أدائها بلا ضير.

ويكشف المصير الذي انتهى إليه (مرصد غلطة) عدم الاهتمام بالعلوم العقلية فقد أسس هذا المرصد عام (١٥٧٧م/ ٩٨٤-٩٨٥هـ)، وكان الوحيد من نوعه في العالم الإسلامي، أسسه عالم الفلك محمد تقي الدين، وكان ذلك في عهد السلطان مراد الثالث. إلا أن معارضة قامت ضمت شيخ الإسلام ذاته، ترى أن علم الفلك يتعارض مع الدين. وفي عام (١٥٨٠م/ ٩٨٧-٩٨٨هـ) قامت مجموعة من الانكشارية البكتاشية بتدمير هذا المرصد وتحويله إلى أنقاض[١].

أما في مجال (الطب) فلم يتعرف العثمانيون على تقدم الطب والصيدلة إلا في القرن السابع عشر، وذلك من خلال الترجمات التي أنجزها المعتنقون الجدد للإسلام، كان فيضي حياتي زاده، المعروف بمؤلفاته الطبية في تركيا التي يعتمد فيها على مصادر غربية، من اليهود الذين اعتنقوا الإسلام، وتوصل إلى أن يشغل منصب كبير الأطباء في البلاط. إلا أن هذه الترجمات لم تحمل معها أبداً المبادئ الأساسية للتفكير العلمي الأوربي، بل كانت مجرد إضافة للمعرفة التقليدية[٢].

وفي (الرياضيات) كان الملا لطفي مدرساً في عهد مراد الثاني، وعالماً معروفاً في الرياضيات وعلم الكلام، إلا أنه أزعج العلماء !! بأفكاره الحرة وبتندّره على الخرافات. ولذلك شن هؤلاء حملة ضده واتهموه بالزندقة، وأطلقوا

(١) تاريخ الدولة العثمانية، د/ خليل، ص (٢٧١-٢٧٢).

(٢) المرجع نفسه، ص (٢٧٤).

عليه لقب (المعتوه)، وبعد محاكمته أُصدر الحكم بإعدامه. فتم ذلك سنة (١٤٩٤م/ ٨٩٩-٩٠٠هـ) في (آت ميداني) [١] بإستانبول[٢].

استمر هذا الوضع في الدولة العثمانية حتى عام (١٧١٦م/ ١١٢٨هـ)، حيث توصلت إلى موقف صارم ضد أي تجديد، سواء في العلوم العملية أو العقلية، وأصدر شيخ الإسلام[٣] آنذاك فتوى تحظر وقف الكتب الفلكية والتاريخية على المكتبات[٤].

وقد كانت الحكومة العثمانية تؤمن بهذه النظرة المشوهة للعلوم الدنيوية فقد أسس الشيخ حسين الأزهري مدرسة تسمى (المدرسة الوطنية الإسلامية) وأدخل فيها بعض العلوم العصرية، ولكن الحكومة العثمانية لم تقبل أن تعدها من المدارس الدينية التي يعفى طلابها من الخدمة العسكرية، فكان ذلك سبباً في إلغائها[٥].

هذا التخلف في العلوم التطبيقية المتنوعة كان سببه الجمود وعدم تطوير العلم. يقول د / الشناوي:

"مما أفسد التعليم روح المحافظة على القديم. وهي روح متأصلة في نفوس العثمانيين جعلت هذا النظام التعليمي العثماني ينقلب من نعمة إلى نقمة؛ إذ ظلت نظم التعليم وبرامجه جامدة لم تتطور، وتعاقبت القرون دون إدخال أي

---

(١) (آت ميداني): (آت) كلمة تركية معناها الخيل، وآت ميدان أي ميدان الخيل. وهو ميدان يقع جنوب شرق إستانبول.
انظر دائرة المعارف الإسلامية (٤٢٣/١).

(٢) تاريخ الدولة العثمانية، د/ خليل، ص (٢٦٩-٢٧٠).

(٣) هو المولى عبدالرحيم بن محمد بن محمود البرسوي، المعروف بمنتشي زاده، ولد في بروسه عام (١٠٦٩هـ) تولى المشيخة في عام (١١٢٧هـ) حتى تم عزله بسبب كبر سنه، ترك مجموعة من الفتاوى والمؤلفات. توفي عام (١١٢٩هـ).
انظر: تاريخ مؤسسة شيوخ الإسلام في العهد العثماني (٦٢٣/١).

(٤) تاريخ الدولة العثمانية، د/ خليل، ص (٢٧٢).

(٥) السيد رشيد رضا أو إخاء أربعين سنة، ص (٣٦).

تطوير عليها. ونجم عن هذا النظام التعليمي في مدارس الهيئة الإسلامية والـذي كان في بدايته مزدهراً وأخرج نخبة من العلماء أن تجمد في الوقت ذاته الذي كانت فيه الدول الأوربية تمضي قدماً في تطوير نظمها التعليمية"[1].

هذا الجمود كان له أثره السيء على الدولة العثمانية وقد أدرك السـلطان عبدالحميد الثاني ﷺ ذلك حين قال:

"كل المصائب التي نزلت ببلادي كانت من جراء جهلنا بما حدث في العالم"[2] وهكذا توقف المسلمون عن السير في كشف سنن الكون، وأعرضوا عن ذلك إعراضاً يكاد يكون تاماً، فأهملت العلوم الطبيعية، بسبب طبيعة التصوف الرافضة لكل تطوير وتجديد، وقد أسفر ذلك عن إسلام يتعارض مع التفكير العلمي، ويتميز بالعجز عن التطور، والتكيف مع العالم الحديث.

هذا الجمود دفع الدولة العثمانية وهي ترى التفوق الأوربي والتطور المادي إلى السعي الحثيث نحو التغريب، فكان السلطان عبدالمجيد نصيراً راسخاً لتغريب المؤسسات والثقافة التركية. وقد تأسست في عهده في إسطنبول أول جامعة حديثة. يحذو التعليم فيها حذو أوروبا.

وفي عام (١٨٥٠م/ ١٢٦٦هـ) أمر بإنشاء أكاديمية العلوم العثمانية، ومنذ ذلك الوقت، أصبحت الصفوة المثقفة التي لها الدور الأكبر في قيادة الدولة هي التي تهجر المدارس التقليدية، وتشارك في الحياة العلمية الحديثة"[3].

كان هذا السلطان خاضعاً لتأثير وزيره رشيد باشا منظِّر حركة التغريب في الدولة العثمانية، والذي أعد مجموعة من الوزراء والمفكرين لدفع عجلة التغريب. وقد صدرت في عهده التنظيمات الجديدة في مراسيم سلطانية، أشهرها فرمان

---

(١) الدولة العثمانية (٣٤٧/١).

(٢) مذكرات السلطان عبدالحميد، ص (١٦٤).

(٣) تاريخ الدولة العثمانية، مانتران (٤٦٢/٢).

(خط الكُلْخانة)[1] وفرمان (خط شريف) وبمقتضاهما تم إعادة تنظيم شؤون الدولة وفق المنهج الغربي، فحل نظام الباب العالي بديلاً عن نظام الديوان. وأصبحت السلطة مركزة في يد الصدر الأعظم، وتراجع دور السلطان وشيخ الإسلام من حيث الاعتبار والنفوذ"[2].

كانت هذه المحاولات لانتشال الدولة العثمانية من ضعفها وأزماتها الداخلية والخارجية، إلا أنها أخفقت في ذلك. وقد تجلت مظاهر هذا الاخفاق في ضعف وقصور أجهزة الدولة السياسية والإدارية والاقتصادية، بالإضافة إلى فقدان الهوية الثقافية؛ ذلك أن الدولة لم توفق في إيجاد الصيغة الإسلامية الصحيحة للاقتباس من الغرب، فكان الأولى الأخذ بالمفيد والجوهر لا الغث والقشور. حيث كان من الممكن نقل أساليب الصناعة والعلوم النافعة والمبتكرات الحديثة دون التخلي عن دين وتاريخ وأصالة الأمة.

وقد أشار المؤرخ العثماني جودت باشا ﷺ إلى ذلك بقوله:

"وقد ظهر في ذلك العصر ميل الدولة إلى السير في طريق المدنية، غير أنها تركت الرؤوس وتمسكت بالأذناب، بل شرعت في زخرفة البنيان من غير أن تنظر إلى أساسه، وذلك أنها بدلاً من أن تبذل الهمة في رواج أسواق الصناعة والفنون المنتشرة في أوروبا، انخدعت للسفهاء واسترسلت في طرق الإسراف، تاركة أنوار المدنية الحقة"[3].

وهكذا لم تستفد الدولة العثمانية من التغريب شيئاً ولكنها خسرت الكثير؛ فهذه الصفوة المثقفة التي تربت على النهج الأوربي استغلتها الدول الأوربية

---

(١) الكلخانة: هي كَلْ خانة: ومعناها اللغوي بيت الورد، وقد أطلقت على مكتب الرسائل السلطانية.

انظر: تاريخ الدولة العلية العثمانية، محمد فريك بك، ص (٤٧٠)، هـ (١).

(٢) حركة الجامعة الإسلامية، فهد الشوابكة، ص (٣٢-٣٣).

(٣) تاريخ جودت، ص (١٤٥).

لتكون أداة هدم تدمر دين الدولة وتاريخها وحضارتها، بل وتسقط سلاطينها كما تم لهم ذلك في عهد السلطان عبدالحميد الثاني ﷺ عام (١٣٢٦هـ)، وكان على أيديهم زوال الخلافة الإسلامية من تركيا بعد أن ظلت طوال أربعة قرون.

رابعاً: انتشار الجهل وصمت العلماء.

يقوم التصوف على أسس ومبادئ تتعارض مع مبادئ الإسلام التي يقوم عليها، ولم يتمكن التصوف من الانتشار والاتساع بين الناس إلا في البيئات التي انتشر فيها جهل الناس بدينهم فمتى بعد المسلمون عن دينهم استطاع التصوف بأساطيره وخرافاته أن يجد له حيزاً، وكلما اتسع الجهل اتسعت دائرة التصوف، وحلت الخرافة، وانتشرت البدع والشركيات والمنكرات. ومن هنا أشاع التصوف احتقاره للعلم وللعلماء في مختلف الميادين، وانعكس ذلك على المسلمين. ومع مرور الزمن ترسخت تلك الأفكار بينهم ولم تسلم حتى الكتب الدينية.

يقول الأستاذ / أورخان في تقريره لتلك الحال:

"وقد امتلأت الكتب الدينية بالأساطير والخرافات الموجودة في واقع الناس مما يدل على الحالة السيئة التي وصلت إليها الدولة العثمانية. فالواجب على أهل العلم بيان الفساد والانحرافات في واقع الناس ومحاولة تعديل الواقع.

لا أن تكون كتاباتهم تقريراً لما عليه المجتمع ولاشك أن هذه الكتابات إما أن تكون خوفاً من معارضة العامة، وإما أن يكون أهل العلم قد اعتقدوا هذه الانحرافات وهذا لاشك أطم.

هذا الحال دفع وزارة المعارف في عهد الوزير جلال باشا في عهد السلطان عبدالحميد الثاني ﷺ بتشكيل لجنة من علماء الدين لفرز الكتب الدينية التي كانت طافحة بالأساطير والخرافات التي هي في حقيقتها ضد الدين لما كانت تشيعه من عقائد باطلة وخرافات هي أصلاً ضد العقيدة الإسلامية والتي كانت

تربي الناشئين على هذه الخرافات"[1].

وقد عم الجهل بحقيقة هذا الدين حتى وصل إلى العلماء أنفسهم، فقد سرى بينهم ما سرى بين العامة، وقد ساعد في ذلك غلبة أهل التصوف، وقوة شوكتهم، ومناصرة الحكام لهم.

فهذا أحد علماء الحجاز السلفيين محمد بن محمد بن سليمان الرّوداني المغربي ﷺ ت (١٠٩٤هـ)، من العلماء الذين كانوا غير راضين عن كثير من بدع الاحتفالات الدينية المبتدعة التي كانت تقام في الحجاز حينها، وكان شديد النفرة من بناء القباب على القبور، ويصف ذلك بأنه من بدع الكفار المنكرة، بقي معتزلاً في بيته، لا يستطيع أن يطالب بما يعتقده ويدين الله به؛ حتى عرفه وزير من وزراء الدولة العثمانية، فولاه النظر في الشؤون الدينية للحجاز، فمنع تلك الاحتفالات وهدم القباب، ولكن ما إن توفي ذلك الوزير، حتى عُزل الرّوداني من منصبه، وأوذي أشد الإيذاء، وطرد من مكة والحجاز بأسوأ معاملة. ومن ثم أعيدت تلك الاحتفالات، وبنيت القباب من جديد[2].

وهكذا خفتت أصوات العلماء ولم يعد يسمع منهم الإنكار إما خوفاً أو جهلاً أو طمعاً في سلطان الدنيا وجاهها.

وقد نبه على ذلك الكثير من العلماء، منهم الإمام الصنعاني ﷺ يقول: "بل ترى من يتسم بالعلم، ويدعي الفضل، وينتصب للقضاء والفتيا والتدريس، أو الولاية أو المعرفة، أو الإمارة والحكومة، معظماً لما يعظمونه، مكرماً لما يكرمونه، قابضاً للنذور، آكلاً ما ينحر على القبور .. ولا يخفى على أحد .. أن

---

(١) السلطان عبدالحميد حياته وأحداث عهده، ص (٣٣٢).

(٢) انظر عنه وما وقع له في: منائح الكرم في أخبار مكة والبيت وولاة الحرم، للسنجاري (٤٢٢/٤-٥٢١)، الرحلة العياشية المسماة ماء الموائد، لأبي سالم العياشي (٣٠/٢-٤٥)، تاريخ مكة إتحاف فضلاء الزمن بتاريخ ولاية بني الحسن، محمد بن علي الطبري (١٠١/٢-١٢٩)، الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام (٣٢٠/٥-٣٤٥).

سكوت العالِم أو العالَم على وقوع منكر ليس دليلاً على جواز ذلك المنكر"[1].

ويبين في موضع آخر السبب الذي أدى إلى هذه الحال يقول:

"إن هذه المنكرات أسسها من بيده السيف والسنان، ودماء العباد وأموالهم تحت لسانه وقلمه، وأعراضهم تحت قوله وكلمه، فكيف يقوى فرد من الأفراد على دفعه عما أراد ؟!، فأعرض العلماء عن النكير الذي يجب عليهم، ومالوا إلى ما آلت العامة إليه، وصار المنكر معروفاً، والمعروف منكراً، ولم تجد من الأعيان ناهياً عن ذلك ولا زاجراً"[2].

وممن ندد بموقف هؤلاء العلماء محمد صفي الدين الحنفي ﷺ قائلاً:

"فالويل للقضاة والحكام، حيث يعرفون ويشاهدون ولا ينكرون ولا يغيرون مع قدرتهم عليهم، بل يخافون منهم ويلتمسون الدعاء منهم"[3].

ويصف الجبرتي ﷺ أحد الموالد وما فيه من المنكرات والفواحش فيقول:

"ويجتمع لذلك الفقهاء والعلماء، ويقتدي بهم الأكابر من الأمراء والتجار والعامة من غير إنكار، بل يعتقدون أن ذلك قربة وعبادة، ولو لم يكن ذلك، لأنكره العلماء، فضلاً عن كونهم يفعلونه، فالله يتولى هدانا أجمعين"[4].

وعندما تحدث شيخ الإسلام ﷺ عن القلندرية أشار إلى هذا فقال:

"وهؤلاء الأجناس وإن كانوا قد كثروا في هذا الزمان، فلقلة دعاة العلم والإيمان، وفتور آثار الرسالة في أكثر البلدان، وأكثر هؤلاء ليس عندهم من آثار

---

(١) تطهير الاعتقاد، ص (٤٨-٤٩).

(٢) المرجع نفسه، ص (٥٧).

(٣) الصاعقة المحرقة، ص (٤٥).

(٤) تاريخ الجبرتي (٣٠٤/١).

الرسالة، وميراث النبوة ما يعرفون به الهدى، وكثير منهم لم يبلغهم ذلك"[١].

ولما انزوى العلماء انتشر الجهل بين الناس فأصبح التصوف عند الناس زبدة الدين وخلاصته؛ فالدعوة إلى الله كانت عندهم الدعوة إلى الطرق الصوفية، والنصح والإرشاد كان بتوجيه الناس إلى الصوفية، والعلماء الربانيون هم المتصوفة الذين يثابرون في خدمة الصوفية، ويعملون على نشرها، والدين والصلاح هما الصوفية. وبقدر ما يتصوف المرء يكون دينه وصلاحه. ولم يسلم منصب شيخ الإسلام في الدولة العثمانية من ذلك؛ فقد انتسب عدد منهم إلى طرق صوفية مختلفة، فقد انتسب إلى الطريقة النقشبندية كل من:

- شيخ الإسلام بمشمقجي زاده علي بن محمد الرومي.
- وشيخ الإسلام حميدي زاده مصطفى بن محمد أفندي.
- وشيخ الإسلام كاظم موسى أفندي.

في حين انتسب إلى الطريقة المولوية محمد صاحب أفندي بيري زاده[٢]، وتجاوز بعضهم ذلك إلى الدعم المعنوي؛ فهذا شيخ الإسلام زنبللي علي أفندي[٣] كان دائماً يقف بجوار الطرق الصوفية وله
رسالتان إحداهما منظومة، والأخرى منثورة كلتاهما تساند التكايا بشكل كبير[٤].

وهذا شيخ الإسلام ابن كمال باشا[٥] يقول حين سئل عن ابن عربي

---

(١) مجموع الفتاوى (٣٥/١٦٣-١٦٦).

(٢) انظر: تاريخ مؤسسة شيوخ الإسلام في العهد العثماني، (١/٥٩٦)، (٢/١٢٥)، (٢/٣٥٥)، (٢/٣٤١).

(٣) هو علي بن أحمد بن محمد الجمالي، لقب بزنبللي لأن له زنبيل معلق في داره يلقي الناس فيه فتاواهم ليجيب عليها، تولى المشيخة عام (٩٠٨هـ)، له مجموعة من الفتاوى وكتاباً سماه (المختارات)، توفي (٩٣٢هـ).
انظر: الكواكب السائرة (١/٢٦٧)، شذرات الذهب (٨/١٨٤-١٨٦).

(4) osmanlil orda devlet – tekke, p, (85).

(٥) هو شمس الدين أحمد بن سليمان بن كمال باشا، من أكابر العلماء العثمانيين، ومن المكثرين في التأليف، ألف في التفسير والقراءات والحديث والفقه والتاريخ، توفي عام (٩٤٠هـ). انظر: الشقائق النعمانية، ص (٢٢٦)، شذرات الذهب (٨/٢٣٨).

وعقيدته:

"وبعد أيها الناس اعلموا أن الشيخ الأعظم، المقتدى الأكرم قطب العارفين، وإمام الموحدين، محمد بن علي بن عربي، مجتهد كامل، ومرشد فاضل، له مناقب عجيبة، وخوارق غريبة، وتلامذة كثيرة، مقبولة عند العلماء والفضلاء، فمن أنكر فقد أخطأ وإن أصر في إنكاره فقد ضل، يجب على السلطان تأديبه، وعن هذا الاعتقاد تحويله، إذ السلطان مأمور بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر"[1].

ومنهم أيضاً: رفيق أفندي[2] تأثر كثيراً بآراء ابن عربي، وطالع كافة كتبه ومؤلفاته، ثم قام بتأليف عدة دراسات حوله، بعدها سلك طريق التصوف متأثراً بالطريقة النقشبندية حينئذ ويعد أول مؤسس لمؤسسة مجلس المشايخ[3].

كما قام عبدالرحمن نسيب[4] بترجمة اثنين وستين حكمة وقولاً: لمحي الدين ابن عربي تحت عنوان: (أقوال في الفلسفة والحكمة)[5].

وقد انتشرت لذلك طرق متعددة عدها بعض الباحثين في عهد السلطان عبدالحميد الثاني ﷺ فأوصلها إلى سبعين طريقة صوفية. ومما يؤسف له أن عدد الزوايا الصوفية أصبح يفوق بكثير عدد المساجد والمدارس، ويرجع ذلك إلى كثرة

---

(١) شذرات الذهب (١٩٥/٥).

(٢) هو محمد رفيق بن علي بن عبدالله البوسني، ولد عام (١٢٢٩هـ) في البوسنة، كان أحد علمائها، تولى المشيخة عام (١٢٨٣هـ) وعزل منها عام (١٢٨٥هـ)، لم تذكر له مؤلفات. توفي عام (١٢٨٨هـ) ودفن باستانبول.
انظر: تاريخ مؤسسة شيوخ الإسلام (٢٢٠/٢-٢٢٥).

(3) osmanlil orda, p, (85).

(٤) هو عبدالرحمن بن خليل بن أحمد الاكريلي، ولد عام (١٢٥٨هـ)، درس الطريقة الرفاعية والكلشنية، تولى المشيخة عام (١٣٣٠هـ)، ترك مجموعة من المؤلفات والمقالات، توفي عام (١٣٣٢هـ).
انظر: تاريخ مؤسسة شيوخ الإسلام (٣٦٦/٢-٣٧٣).

(٥) المرجع نفسه (٣٧٢/٢).

الأوقاف من الحكام والمحكومين طلباً لرضى مشايخ الطرق وبركتهم وهكذا تضيع الأوقات، وتفنى الأعمار في أخذ الطرق ونشرها، وتبدد الجهود والطاقات في كثرة الأسفار لنشر الوثنيات حتى شُغل المسلمون عن النهوض بالدولة والاهتمام بالمخاطر المحدقة بها فضلاً عن إعداد العدة ومعالجة الواقع الأليم.

فكم تكون العواقب وخيمة حين ينسى العلماء مهمتهم الكبرى، وينصرفون إلى حلقات التدريس ظانين أنهم بذلك قدأدوا كل ما عليهم من مهمة، وأخلوا أنفسهم من المسؤولية.

وكم يكون التقصير عظيماً حين ينزوي العلماء بعيداً عن الأحداث، بل حين يرى بعضهم أن النزول إلى الساحة مع العوام والمشاركة في الأحداث ليس من شأن العلماء ومهامهم.

وفي أواخر عهد الدولة العثمانية كثر الانزواء من العلماء، والابتعاد عن المشاركة الفعالة في الأحداث والوقائع فلا للمنكر ينكرون ولا بالمعروف يأمرون.

وقد تحدث عن ذلك الشيخ مصطفى صبري[1] ﷺ شيخ الإسلام في الدولة العثمانية فقال: "والذين جردوا الدين في ديارنا عن السياسة كانوا هم وإخوانهم لا يرون الاشتغال بالسياسة لعلماء الدين، بحجة أنه لا ينبغي لهم وينقص من كرامتهم، ومرادهم حكر السياسة وحصرها لأنفسهم، ومخادعة العلماء بتنزيلهم منزلة العجزة، فيقبلون أيديهم، ويخيلون لهم بذلك أنهم محترمون عندهم، ثم يفعلون ما يشاءون بدين الناس ودنياهم، محرَّرين عن احتمال أن يجيء من العلماء أمر بمعروف أو نهي عن منكر، إلا ما يعد من فضول اللسان، أو يكمن في القلب، وذلك أضعف الإيمان.

---

(١) هو مصطفى صبري بن أحمد بن محمد القازأبادي، ولد في توقات عام (١٢٨٦هـ)، كان عالماً، فقيهاً، باحثاً، كاتباً، مؤلفاً سياسياً تولى مشيخة الإسلام مرتين، ترك مجموعة كبيرة من المؤلفات. توفي في القاهرة عام (١٣٧٣هـ) ودفن بها.
انظر: تاريخ مؤسسة شيوخ الإسلام (٢/٤٢٧-٤٥٤).

فالعلماء المعتزلون عن السياسة، كأنهم تواطئوا مع كل الساسة، صالحيهم وظالميهم، على أن يكون الأمر بأيديهم ويكون لهم منهم رواتب الإنعام والاحترام، كالخليفة المتنازل عن السلطة وعن كل نفوذ سياسي"[1].

ولاشك أن سكوت غالب العلماء وعدم إنكارهم المنكرات بل ومشاركتهم فيها سبب في شيوعها بين الناس والاستدلال بذلك على شرعيتها، فإن العامي يرى في فعل الشيخ والعالِم حجة شرعية، ومن ثم جر هذا الأمر إلى اعتيادها، وقد أدى ذلك إلى انتشار الجهل بين الناس واعتقادهم بشرعية كثير من الانحرافات. والحق أن الشرع كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، وكل من أتى بشيء يتعارض معهما فهو مردود عليه، فلا يصح الاقتداء بكائن من كان، لا بقوله ولا بفعله ولا بسكوته، وإنما يقع الاقتداء بمحمد ﷺ. قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾[2].

وعلى الرغم من نفوذ الصوفية الكبير على العلماء، والعامة، والسلاطين، والأمراء وتبوئهم مكانة معتبرة عند العامة والخاصة، إلا أنه لم يكن دون معارضة أو مواجهة مطلقاً، إذ لا تخلو الأرض من قائم لله بحجة، وقد وجد من علماء الدولة العثمانية من نقد التصوف ومسلكه - وإن كانوا قلة - فحملوا لواء الرد عليهم، والتصدي لنقدهم. وألف بعضهم رسائل مستقلة في هذا الباب، وأفتى آخرون بضلالهم، ودفعوا السلطة إلى محاكمة بعضهم، وقتله.

منهم: سعد الله جلبي[3] ﷺ أفتى بكفر وضلال ابن عربي ونحلته.

---

(١) الاتجاهات الوطنية (٨٤/٢).

(٢) سورة الأحزاب، الآية: (٢١).

(٣) هو سعد الله بن عيسى جلبي، أحد أعلام عصره، تولى منصب المشيخة الإسلامية بعد ابن كمال، له فتاوى ورسائل وحواشي على أمهات الكتب في العديد من الفنون. توفي عام (٩٤٥هـ).
له ترجمة في: الشقائق النعمانية، ص (٢٦٥)، الكواكب السائرة (٢٣٦/٢)، تاريخ مؤسسة شيوخ الإسلام في العهد العثماني (٣٦٧/١).

وكذلك جوي زاده محي الدين أفندي ﷺ الذي أنكر على ابن عربي وجلال الدين الرومي، فعزل من منصب شيخ الإسلام.

ومنهم: إبراهيم الحلبي[1] ﷺ ألف ثلاث رسائل في ابن عربي ومن نحا نحوه من الصوفية في الضلال، قام فيها بالرد عليهم، وفضح عقيدتهم الفاسدة.

منهم: المفتي أبو السعود ﷺ، وقف ضد غلاة الصوفية موقفاً حازماً، وأفتى بكفر من اعتنق عقائدهم، وحذر من الانتماء إلى طرقهم، وأصدر فتوى ضد بعضهم بإباحة دمهم، ونفذ القتل فيهم.

هذه الآثار السلبية للتصوف على الناحية العلمية تنبئ إلى حد بعيد أن التصوف كان أداة استخدمها أعداء الملة لتقويض الإسلام.

ولا أدل على ذلك من أن جعل أتاتورك[2] سبب تطبيقه العلمانية في أوساط المجتمع التركي المسلم شيوع الخرافات والجهل الذي كان يفرضه التصوف على واقعهم.

ففي عام (١٩٢٥م/ ١٣٤٣- ١٣٤٤هـ)، ألقى خطاباً في مدينة (قسطموني) جاء فيه:

"إن طلب العون والمساعدة من قبور الأموات هو صفعة للمجتمع

---

(١) هو إبراهيم بن محمد الحلبي، فقيه، عالم بالعلوم العربية والتفسير والحديث، نشأ في حلب، ودرس في مصر، وسكن القسطنطينية، من آثاره: ملتقى الأبحر، تحفة الأخيار، غنية الممتلي شرح منية المصلي وكلها في مجال الفقه الحنفي، توفي بالقسطنطينية عام (٩٥٦هـ).

انظر: الشقائق النعمانية، ص (٢٩٥)، الكواكب السائرة (٧٧/٢)، شذرات الذهب (٣٠٨/٨).

(٢) هو مصطفى كمال أتاتورك، مؤسس الجمهورية التركية، وأول رئيس لها، ولد في سلانيك وتلقى تعليمه العسكري بها، كون جماعة سرية أطلق عليها اسم (الوطن). في عام (١٩٠٨م) انضم إلى جمعية الاتحاد والترقي. تبنت تركيا في عهده نهجاً علمانياً غربياً توفي عام (١٣٥٧هـ).

انظر: الموسوعة العربية العالمية (١٠٣/١-١٠٤).

الإنساني المتحضر .. إنني أرفض حتى مجرد التصور بأنه مازال في تركيا أناس يلتمسون تحسين أوضاعهم المعيشية من خلال مشايخ الطرق وأساليب الشعوذة. يجب أن تعلموا أن الجمهورية التركية العلمانية لا يمكن أن تكون بعد اليوم أرضاً خصبة للدراويش من أصحاب الطريقة، وإذا كان هنالك من طريقة حقيقية فهي طريقة الحضارة المبنية على العلم"[1].

ومن أقواله أيضاً:

"إنني أرفض التصديق في عهد العلم والمعرفة والمدنية أن يكون خير تركيا ومستقبلها رهناً بيد رجال بدائيين يقودهم خوجا.

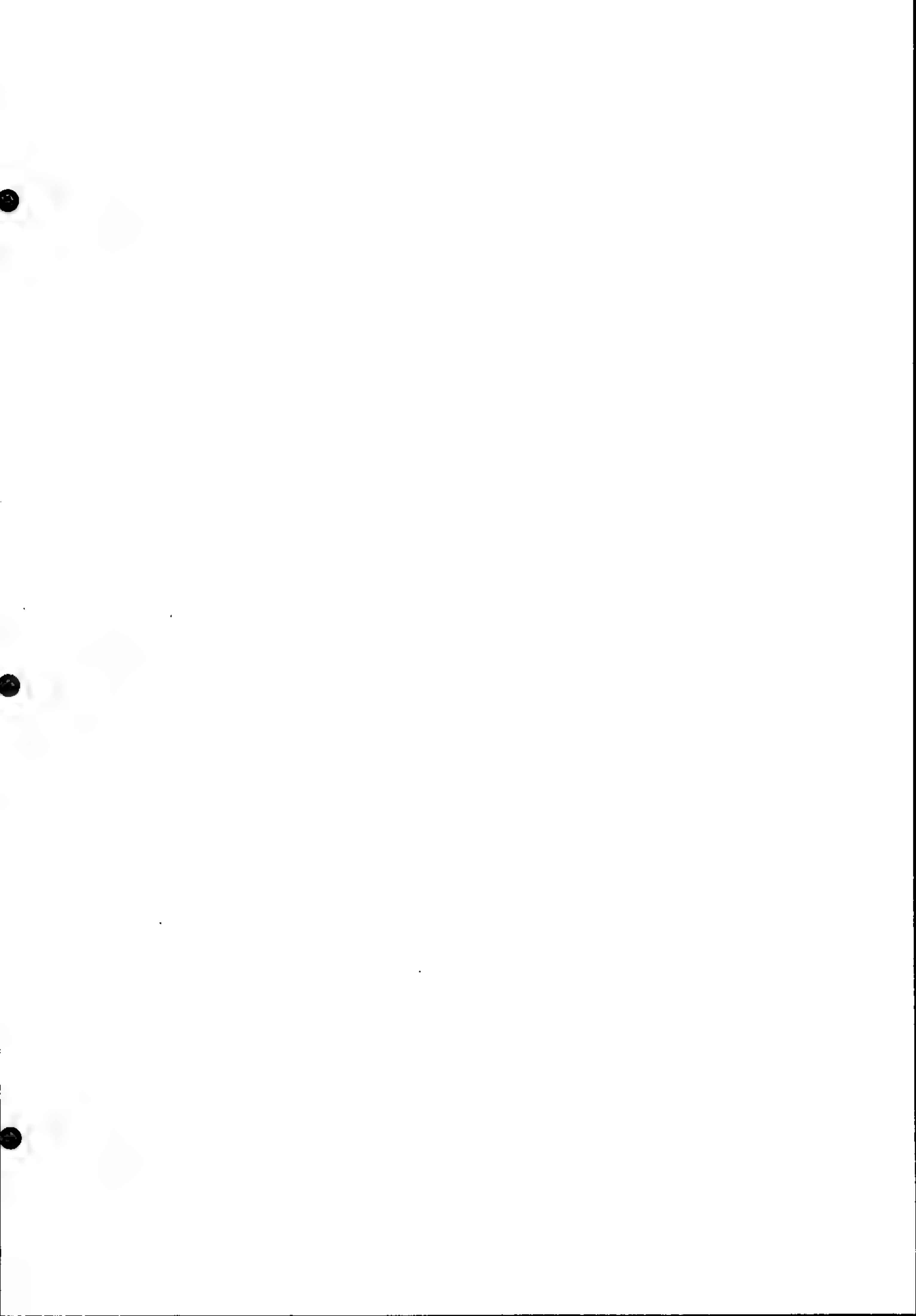
نحن نستمد قوتنا من الحضارة والعلم والمعرفة ونسترشد بها. أما التكايا فتزيد استغفال الشعب. وقد قرر الشعب التحرر من المجذوبين.

كما وصفت هذه الطرق من قبل وزير الداخلية عام (١٩٣٧م/ ١٣٥٥-١٣٥٦هـ) بأنها إرث شرير من الماضي، وأنها تضل الأمة عن الطريق الصحيح، طريق القومية والمعرفة والعلم"[2].

(١) ذئب الأناضول، مصطفى الزين، ص (٣١٠).
(٢) الإسلاميون، هدى درويش، ص (١١٥).

الفصل الثالث

الآثار الاقتصادية



الآثــار الاقتصادية

أولاً: الضعف الاقتصادي للدولة العثمانية.

حبى الله تعالى الدولة العثمانية أرضـاً معطـاء، مثلـت مـورداً جيـداً لهـا، فأكسبها ذلك قوة اقتصادية لا يستهان بها، إلا أن هذا الوضع لم يستمر، وبدأت بوادر الضعف الاقتصادي تظهر، ويتحمـل التصـوف مسـؤولية ذلـك الضـعف الاقتصادي.

ذلك أن لنظرة الصوفية نحو العلم أثرها السيء علـى المجـال الاقتصـادي. فتخلف الدولة العثمانية في المجالات العلمية وما قابله من تقـدم غربـي في تلـك المجالات كان سبباً في تدهور الأوضاع الاقتصادية. فمنـذ اكتشـاف رأس الرجـاء الصالح، الذي اكتشفوه بمساندة المسلمين، انهارت اقتصاديات العـالم الإسـلامي انهياراً مريعاً؛ لاعتمادهم آنذاك على التجارة فقط، ولقصورهم في تعلـم العلـم والأخذ بأسباب القوة الاقتصادية، ذلك أن ثروات العالم الإسلامي لا تقف عند حدود التجارة.

فلماذا لم تسع الدولة العثمانية إلى استغلال الثروات الأخرى مـن زراعـة وصناعة ومعادن مدفونة في باطن الأرض ؟!

فالزراعة أهملت إهمالاً شديداً بسبب عدم استحداث أي أساليب جديدة في الزراعة، وانعدام البحث العلمي في تطوير الآلات الزراعية، وكذلك الحال في الصناعات، فلا معرفة لديهم إلا ببعض الصناعات اليدوية التي توارثتها الأجيال فلا إضافة ولا تغيير ولا تطوير. في الوقت ذاته قطع الغرب شوطاً كبيراً في التطور الصناعي، خاصة صناعة الأسلحة.

هذا التخلف العلمي تحملت الدولة من أجله ديوناً خارجية أذهبت هيبتها وهزت اقتصادها، وأدخلتها في أزمة حرجة، إذ بلغ مجموع ديونهـا حتـى تـاريخ

(١٨٧٦م/ ١٢٩٣هـ) (٥) مليار، و (٢٩٧) مليون، و (٦٧٦) ألف و (٥٠٠) فرنك[١].

كانت هذه الديون سبباً للتدخل الأجنبي في شؤون الدولة الداخلية بحجة العمل على استيفاء هذه الديون.

كما أسهمت هذه الديون في ازدياد النفوذ الاقتصادي والثقافي لتلك الدول عن طريق مؤسساتها، وهذا ما يمهد السبيل للاحتلال السياسي والعسكري؛ لذا عمل السلطان عبدالحميد الثاني ﷺ على التخفيف من تلك الديون واتخذ لذلك عدة سبل، ومع ذلك لم تستطع الدولة إلا تخفيف نصف هذه الديون!!

ذاك أن السلطان لم يضع يده على الداء الحقيقي الذي استنفد الكثير من أموال وأوقاف الدولة في رخائها وشدتها، ألا وهو التصوف.

ولو أن السلطان صرف ما قدمه للطرق الصوفية على سداد الديون الخارجية وعمل على تقوية الناحية الاقتصادية الداخلية للدولة لأنجز الكثير والكثير.

بل ولكان خيراً للدولة أن يكلف أتباع تلك الطرق بالعمل الجاد المثمر الذي يزيد من إنتاج الفرد مما يكفل للدولة الحصول على مبالغ لا يستهان بها خاصة إذا أدركنا حجم التصوف في الدولة العثمانية.

لكن كيف سيصل السلطان إلى هذا وهو الراعي لتلك الطرق ومشايخها؟!!

الواقع يؤكد أن الدولة العثمانية على امتداد عهدها قدمت للطرق الصوفية المبالغ الطائلة، والأوقاف الكثيرة، والمنح والعطايا الوفيرة حتى أدى ذلك في بعض الطرق إلى صعوبة إدارة أوقافها، وجعلت منها دولة داخل دولة.

كانت للدولة العثمانية أوقاف عامة للأكل المجاني تسمى (عمارت وقفي) أي وقف المطاعم الخيرية. كانت العمارت تقدم الأكل مجاناً لعدد يبلغ خمسين ألف

---

(١) السلطان المظلوم، ص (٨٧).

شخص يومياً (!!)، وكان مثل هذا في كل الولايات.

من أمثلتها (عمارت السليمانية) أي المطعم الخيري الملحق بجامع السليمانية، بلغت ميزانيته عام (١٥٨٦م/ ٩٩٤هـ) ما يعادل عشرة ملايين دولار أمريكي.

أقامت الدولة كذلك فنادق على الطرق البرية في كل أرجاء الإمبراطورية العثمانية، تقدم المأكل والمشرب والمبيت مجاناً من الأوقاف !! [١].

أما بالنسبة للتكايا فما صرف عليها خلال الدولة العثمانية أكثر من أن يحصى ويكفي لبيان المراد الوقوف على أمثلة قليلة، فمثلاً لو نظرنا إلى دخول تكية واحدة ولتكن (تكية المولوية بغالاطة) فالوثائق الموجودة في أرشيف قصر طوب قابي تشير إلى أن قرية بكاملها هي (قرة بورجاك) موقوفة ضمن دخول التكية. وأن مجموع دخلها في عهد شيخها (محمد قدرة الله دادا) (٤٢٦٤) قرش. إضافة إلى مساعدات الإعاشة المخصصة للتكية مثل: الأرز واللحم والخبز وأنواع من الأطعمة المختلفة.

ومنذ عام (١٨٦٤م/ ١٢٨٠-١٢٨١هـ) بدأت وزارة الأوقاف في صرف دخول التكايا بالمال النقدي، والأوراق التي تحمل رقم (٣١٠٢) في ذات الأرشيف تقوم بترتيب العائدات على التكية على النحو التالي:

* راتب تقاعد (٢٠٠) قرش للشيخ.
* (٣٢٤) قرش لحوالي (١٨) شيخاً من مسؤولي التكية.
* (٤٠٠) قرش للأطعمة.
* (٧٦) قرشاً قيمة سمن.

وإذا كان إجمالي الرواتب سنوياً هو ألف قرش لهذه التكية فيبدو أن هذه

---

(١) العثمانيون لمحمد حرب، ص (٥١٥).

النسبة قد تضاعفت حتى أصبح دخل التكية (١٢,٠٠٠) قرش[١].

أما تكية (سيواس)، فقد بلغ دخلها عام (١٨٣٥م/ ١٢٥٠-١٢٥١هـ) (٦٤٤٠) قرشاً، وفي عام (١٩١١م/ ١٣٢٩هـ) (٣٥١٦٣) قرشاً.

وهناك وثيقة مؤرخة بعام (١٩١١م/ ١٣٢٩هـ) توضح أن بها (٤٧) درويشاً، كان الواحد منهم يأخذ (٤٥) قرشاً مصاريف شهرية له[٢].

فإذا كانت هذه هي أعطيات الدولة لتكية واحدة في سنواتها العصيبة، فكم بلغت أعطياتها لجميع التكايا في سنوات الرخاء والبذل؟!!!

هذه الأعمال وإن كان ظاهرها الفضل والإحسان، إلا أن لها آثاراً سلبية انعكست على واقع الناس، فكانت السبب في تقاعسهم عن العمل وبذل الجهد فيما يعود بالنفع على الدولة العثمانية، وملئت التكايا بالشباب العاطل عن العمل. فحرمت الدولة من العقول المفكرة والأيدي العاملة، وقد أدى هذا إلى حرمانها من نهضة علمية اقتصادية في وقت هي أحوج ما تكون إلى ذلك.

ولو أن الدولة أضافت هذه الأموال الطائلة إلى خزانتها وصرفت منها على جميع المجالات التي تبني الأمة وتعيد نهضتها وتجعل منها قوة لا تقهر في وجه الأعداء لكان أجدى وأنفع؛ لكن واقع ذلك العصر يشير إلى أن الدولة لم تفكر أبداً في القضاء على بطالة الجموع الصوفية، بل على العكس من ذلك، كانت تحظى هذه الجموع الغفيرة بكل عون وتشجيع مما ساعد على انتشار التصوف والبطالة ومن ثم أصبح الضعف الاقتصادي سائداً.

ولم يكتف رجال الدولة العثمانية بالصرف على الأحياء، بل تعدى ذلك إلى الصرف على الأموات الذين لا يملكون نفعاً ولا ضراً، وإضاعة المال في سبيل اعتقادات جاهلة، وخرافات راسخة، وبدع مضللة وضعها التصوف في أذهان

---

(1) Melamilik, p, (97).

(٢) المرجع السابق، ص (٢٤٩).

الناس ومن ذلك.

١- تجصيص القبور والبناء عليها ببناء أو قبة أو تابوت، وقد تغالى الأغنياء في ذلك حتى صار الغرض منها الزينة والتفاخر، وهان عليهم صرف الأموال في سبيل الشيطان وشعار الجاهلية.

قال الإمام الشافعي ﷺ:

"وإنما وجب الهدم - لما ارتفع من البناء -؛ لما في البناء من الزينة والخيلاء وإضاعة المال والتشبه بالجاهلية، والتضييق على الناس"[(١)].

٢- الستور التي توضع على الأضرحة لما فيها من صرف الأموال دون غرض شرعي. فهذه الستور صنعت لانتفاع الأحياء، فاستعمالها في ستر الجماد تعطيل وعبث، ولكن خَدَمة الأضرحة زين لهم الشيطان ذلك ليفتح لهم باباً من الارتزاق الخبيث، فتراهم إذا احتاجوا لتجديد ثوب التابوت أوهموا الناس أن بها من البركة ما لا يحاط به، وأنها نافعة في الشفاء من الأمراض، ودفع الحساد، وجلب الأرزاق، فتهافت عليها البسطاء، وهان عليهم بذل الأموال في سبيل الحصول على اليسير منها[(٢)].

قال شيخ الإسلام ﷺ:

"ومن البدع وضع الستور والكساوي والعمائم على الأضرحة وهو فضلاً عن أنه إسراف ينهى عنه الشرع، وزينة في موطن العبرة، فإنه تعظيم للموتى لفتنة الأحياء، والأحياء الفقراء أولى ألف مرة من تجميد هذا المال"[(٣)].

٣- التبرك بقبور مشايخهم.

إن ما يقدم من الدراهم أو الجواهر أو الشمع أو الزيت أو غيره إلى ضرائح

---

(١) الأم (١/٢٧٧).
(٢) الإبداع في مضار الابتداع، ص (١٨٢).
(٣) زيارة القبور، ص (٢٥).

الأولياء والمشايخ تقرباً إليهم مع أنه من الشرك، فهو من إضاعة المال التي كان لها تأثيرها على الاقتصاد، فإن ما يعطى للميت ويوضع على قبره لا ينفع الميت ولا الحي، فالميت لا يعي ولا يتصرف، والحي حُرم الانتفاع بها في دنياه ومعاشه فضاقت حاله، وقل رزقه، وحرم مجتمعه بمؤسساته وأيتامه وفقرائه من الانتفاع بها، واقتصرت فائدته على سدنة تلك القبور وقد ذكر الجبرتي ﷺ في تاريخه عن ملوك زمانه وحاجتهم إلى الأموال في دفع الفرنج عن بلادهم ومع ذلك كانوا يرسلون النفائس إلى الحجرة النبوية، ومن ثم يكلفون رعاياهم بدفع الأموال إليهم مما أدى إلى سوء حال الرعية وترديهم وفقرهم. وهذه حال يرثى لها فلاهم دفعوا الفرنج ولا أحسنوا لرعاياهم.

يقول في ذلك:

"قد رأينا شدة احتياج ملوك زماننا واضطرارهم في مصالحات المتغلبين عليهم من الإفرنج وخلو خزائنهم من الأموال التي أفنوها بسوء تدبيرهم، وتفاخرهم، ورفاهيتهم فيصالحون المتغلبين بالمقادير العظيمة بكفالة إحدى الفرق من الإفرنج المسالمين لهم، واحتالوا على تحصيل المال من رعاياهم بزيادة المكوس والمصادرات والطلبات والاستيلاء على الأموال بغير حق حتى أفقروا تجارهم ورعاياهم .. وربما كان عندهم جوهر نفيس فيرسلونه هدية إلى الحجرة ولا ينتفعون به في مهماتهم فضلاً عن إعطائه لمستحقه من المحتاجين، وإذا صار في ذلك المكان لا ينتفع به أحد، وأهل العلم والمحتاجون وأبناء السبيل يموتون جوعاً، وهذه الذخائر محجور عليها وممنوعون منها"(1).

وفي عام (١٠٢٤هـ) قام السلطان أحمد الأول ﷺ بإرسال شبابيك من الفضة المحلاة بالذهب، للحجرة الشريفة، وفصاً من الماس قيمته ثمانون ألف دينار !! ليجعل فوق الكوكب الدري – وهو مسمار من الفضة مموه بالذهب، في

(1) عجائب الآثار (٣/٢٤٩).

رخامة حمراء، وضع تجاه الوجه الشريف في الجدار، من استقبله كان مستقبل الوجه الشريف - على أن يتم إرسال الشبابيك القديمة له ليجعلها في مدفنه الذي أنشأه بالقسطنطينية لأجل التبرك !!"[1].

ومن هذه الأعطيات ما يكون نذراً، فالنذر لصاحب القبر ضرورة صوفية يتقربون بها للميت، ويطلبون رضاه، ويرجون رحمته. وفي ذلك من إضاعة المال ما لا يخفى.

قال شيخ الإسلام ﷺ: "لا يجوز أن ينذر لقبر ولا للمجاورين عند القبر شيئاً من الأشياء لا من درهم، ولا من زيت، ولا من شمع، ولا من حيوان، ولا غير ذلك كله نذر معصية"[2].

وقد صور الشاعر حافظ إبراهيم[3] ﷺ الحال الذي وصلت إليه الأمة من تضييع الأموال في غير مصرفها الصحيح يقول:

أحياؤنا لا يرزقون بدرهم	وبألف ألف ترزق الأموات
من لي بحظ النائمين بحفرة	قامت على أحجارها الصلوات؟
يسعى الأنام لها، ويجري حولها	بحر النذور وتقرأ الآيات
ويقال: هذا القطب باب المصطفى	ووسيلة تقضى بها الحاجات[4]

ولكي نلمس الأثر الاقتصادي السيء لهذه الأعطيات، لابد أن نعي أن استمرار تقديس القبور والأضرحة كان ضماناً لاستمرار تدفق الأموال على فئة

---

(١) المنح الرحمانية، ص (٢٨٦).

(٢) زيارة القبور والاستنجاد بالمقبور، ص (٣٩).

(٣) هو محمد حافظ إبراهيم فهمي المهندس، شاعر مصري، لقب بشاعر النيل، عين رئيساً للقسم الأدبي في دار الكتب المصرية عام (١٣٢٩هـ)، كان قوي الحافظة، بديع الإلقاء، له ديوان حافظ، البؤساء، ليالي سطيح، توفي عام (١٣٥١هـ).
انظر: الأعلام (٧٦/٦).

(٤) ديوان حافظ إبراهيم، بعنوان أضرحة الأولياء (٣١٨/١).

من المتفعين من السدنة وخَدَمة الضريح، فالشعب يقدم النذور والصدقات، والدولة لها مواردها الرسمية كالأوقاف والإعانات المالية والعينية التي تصرف من وزارتي الأوقاف والشؤون الإسلامية.

فكم في الدولة العثمانية من ضريح؟ وكم صرفت من الأموال؟!!

لهذا حكم العلماء أن ما يؤخذ من الدراهم والشَمع والزيت وغيرها وينتقل إلى ضرائح الأولياء تقرباً إليهم حرام بإجماع المسلمين، ويجب على الإمام أن يأخذ تلك الأموال لصرفها على مصالح الدولة وما يعينها في الحفاظ على دينها ومواجهة أعدائها.

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله في الفوائد المستقاة من غزوة تبوك:

"ومنها: جواز صرف الإمام الأموال التي تصير إلى هذه المشاهد والطواغيت في الجهاد ومصالح المسلمين، فيجوز للإمام بل يجب عليه أن يأخذ أموال هذه الطواغيت التي تساق إليها كلها ويصرف على الجند والمقاتلة ومصالح الإسلام ...

وكذلك يجب عليه أن يهدم هذه المشاهد التي بنيت على القبور التي اتخذت أوثاناً وله أن يقطعها للمقاتلة أو يبيعها أو يستعين بأثمانها على مصالح المسلمين وكذلك الحكم في أوقافها، فإن وقفها فالوقف عليها باطل، وهو مال ضائع فيصرف في مصالح المسلمين، فإن الوقف لا يصح إلا في قربة وطاعة لله ورسوله فلا يصح الوقف على مشهد ولا قبر يسرج عليه، ويعظم، وينذر له، ويحج إليه، ويعبد من دون الله، ويتخذ وثناً من دونه، وهذا مما لا يخالف فيه أحد من أئمة الإسلام ومن اتبع سبيلهم"[1].

---

(١) زاد المعاد (٣/٥٠٦).

ثانياً: هيمنة غير المسلمين على اقتصاد الدولة العثمانية.

لم يمثل غير المسلمين نسبة كبيرة في الدولة العثمانية؛ حيث لم تتجاوز نسبتهم خُمس إجمالي سكان الدولة، لكن التجار ورجال الأعمال والمتعهدين يخرجون من بين صفوفهم .. وفي حين أن اليونانيين والأرمن قد اكتفوا في السابق بالعمل كوسطاء ووكلاء للشركات التجارية الإنجليزية، فإنهم يبدأون في تأسيس بيوتاتهم التجارية الخاصة، وفي الانخراط في عمليات الاستيراد والتصدير.

ومنذ عام (١٨٩٣م/ ١٣١٠-١٣١١هـ)، نجد (٩٧) شركة تجارية تخص يونانيين وأرمن في أزمير، و (٣٤) شركة في أيدين. ففي وقت واحد يحتكر اليونانيون تجارة الصوف، ويهيمن الأرمن على تجارة الترانزيت، في أنقرة. ولما كانوا يمثلون ثلث سكان المدينة، فإنهم يهيمنون على كثير من الأنشطة التجارية.

عن هذه الهيمنة يقول المؤرخ / شكيب أرسلان ﷺ:

"هذه بلية من بلايا المملكة العثمانية، ومرض من أعضل أمراضها، نرجو الله - تعالى - أن يصحها منه؛ لأن ذلك جعل جميع متاجر الأستانة، وأخذها، وعطاءها، وحرفها، وصناعتها، في أيدي الأرمن والروم والإفرنج، ولم يكن منه في أيدي الترك إلا سداد من عوز، فأموال الدولة تدخل على الأستانة، والجانب الأكبر منها يدخل على الأرمن والروم والأوربيين"[1].

هذه الهيمنة لم تكن إلا أثراً من آثار التصوف الداعي إلى ترك العمل والبطالة والكسل، قد جعلوا من تكاياهم مأوى لهم يرقصون ويغنون وينامون ويأتيهم المأكل والمشرب والملبس من السذج والمغرورين من الحكام والمحكومين.

وهذا ما لمسه المؤرخ / أزوتونا يقول:

(١) تاريخ الدولة العثمانية، ص (٥٤٨).

"أخذت التكايا التي أصبحت أوكاراً للمسكنة، والكسل، والأكل على حساب الغير في الازدياد"[1].

فهل ستكون الهيمنة لأهل التراخي والكسل أم لأهل الجد والعمل؟!

فمن أقوى الأسباب التي جعلت اقتصاد الدولة في أيدي هؤلاء أنهم كانوا أهل جهد ونشاط وعمل، فهؤلاء "وطنوا أنفسهم على الارتباط بالدولة العثمانية، التي كانت تعتمد عليهم، وتستخدم كثيراً منهم حتى في المناصب العالية، وفي ظلها نما عددهم، وازدادت ثرواتهم، ولما كانوا أهل جد ونشاط، وإقدام على الأعمال؛ كان كثير من مرافق السلطنة في أيديهم، وأينما توجه الإنسان في البلاد العثمانية، كان يجد على الأرمن آثار النعم. وكانت الدولة تثق بهم"[2].

هذا الوضع دفع الدولة إلى الاعتماد على الأقليات في وظائف الدولة الهامة، فكان بعضهم في السفارات يفضل إعلاء مصالح بلاده على مصالح الدولة العثمانية.

يقول السلطان عبدالحميد الثاني ﷺ:

"كان القسم الأعظم من وظائف الدولة في يد الأقليات. وبالتدريج بدأ الشبان يتولون الأعمال، ولاسيما في وزارة الخارجية، ولكن كان في هيئاتنا التمثيلية في الدول الأوربية موظفون من أصل رومي في سفارتنا يفضل بعضهم خدمة اليونان وإعلاء مصالحها على مصالح الدولة العثمانية"[3].

كذلك تؤكد الوثائق أن كثيراً من يهود الدولة العثمانية قد سيطروا على النشاط الاقتصادي بواسطة اشتغالهم بالصيرفة والربا والتجارة الخارجية التي أقاموها بين بلاد الشام ومصر، وأنهم نتيجة لأموالهم المتكاثرة استطاعوا تعطيل

---

(١) تاريخ الدولة العثمانية، ص (٥٠٢/٢).
(٢) تاريخ شكيب، ص (٣١٣).
(٣) مذكرات السلطان، ص (١٣٩).

كثير من الجرائد التي كانت تعارض أهدافهم العدوانية [1].

في الوقت الذي هيمن فيه هؤلاء على اقتصاد الدولة كان المسلمون يعيشون في أجواء موبوءة بالتصوف والخرافات.

خلفت هذه الهيمنة ضعفاً اقتصادياً مريعاً للدولة العثمانية، تمثل ذلك في انعدام الكثير من السلع الغذائية الضرورية، فوقعت المجاعات، وغلت الأسعار، وانعدم التوازن الاقتصادي فشاع الفقر وتدنى مستوى المعيشة.

يقول المؤرخ التركي جودت باشا ﷺ متحدثاً عن الوضع الاقتصادي السيء لمدينة إستانبول في السنوات الأولى لتولي السلطان عبدالعزيز مقاليد السلطنة: "كانت الخزينة في وضع مالي سيء جداً، ويزداد سوءاً مع مرور الوقت، وفي أحد الأيام كان الذهب الذي قيمته مائة قرش بالنقود الورقية المسماة (بالقائمة) قد طفر وأصبح بثلاثمائة قرش، وفي اليوم التالي تجاوزت الثلاثمائة قرش، ثم ما إن وصلت القيمة إلى أربعمائة قرش حتى أصبحت هذه الأوراق المالية لا تساوي شيئاً، وأصبح البقال والخباز والقصاب لا يقبلها، بينما لم يكن في يد الشعب سوى هذه الأوراق المالية، لذلك فقد بقي الكثيرون جياعاً، والذين كانوا يملكون النقد اشتروا به الخبز لثلاثة أو خمسة أيام، لذا فقد نفد الخبز ولم يجده الآخرون في السوق. وقد حاول البعض أخذ الخبز بقوة من أيدي الذين اشتروه بكمية كبيرة، وظهرت بعض أمارات الفوضى بسبب نهب الخبز في الطرقات، الأمر الذي دعا الكثيرين لحمل السلاح والعتاد، واستولى على إستامبول جو من الرهبة، واستولت الحيرة على الجميع" [2].

فإذا كان هذا حال العاصمة التي تعد مركزاً رئيساً للتجارة والاقتصاد، فكيف بغيرها من المدن؟!

---

(١) موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية، ص (٥٥).

(٢) السلطان عبدالحميد الثاني حياته وأحداث عهده، ص (٤٥).

هذه الهيمنة نتج عنها المزيد من الأزمات الاقتصادية في الدولة العثمانية، إذ وقعت الدولة تحت احتكارات غير المسلمين ومقايضاتهم، وأصبح أولئك ممسكين بمقود الاقتصاد في الدولة يسيرونه كيف شاءوا، مما زاد في تدهور اقتصاد الدولة العثمانية.

وقد تحدث المؤرخ أوزتونا عن الانهيار الاقتصادي للدولة العثمانية قائلاً:

" شوهد في أغنى مدينتين للإمبراطورية كإستانبول وبيروت اللتين كانتا لعدة سنوات مضت متخمتين من الرفاهية، أناس سقطوا من الجوع ..

هزلت المرأة التركية الممتلئة قوة وحيوية، وخارت قواها. برزت الهياكل العظمية للشيوخ .. شوهد أطفال ضمرت بطونهم من الهزال، وأصبحوا معرضين لمرض السلّ في كل لحظة.

في صيف عام (١٩١٤م/ ١٣٣٢هـ) ارتفع سعر النفط، فبقيت إستانبول في ظلام حالك؛ لأن الكهرباء لم تكن موجودة إلا في بيوت الأغنياء فقط.

وكتب محيي الدين بك في جريدة طنين (٣٠/ ١٠/ ١٩١٦م الموافق ٣/ ١/ ١٣٣٥هـ) أنه لم يصادف خلال سفره من اسكي شهر إلى قونية أي مظهر للحياة ..

وفي عام (١٩١٧م/ ١٣٣٥-١٣٣٦هـ) وجد في إستنبول وحدها (٢٠,٠٠٠) طفل فقدوا عائليهم. ورفض أقاربهم وجيرانهم إعالتهم بسبب عدم العثور على الطعام.

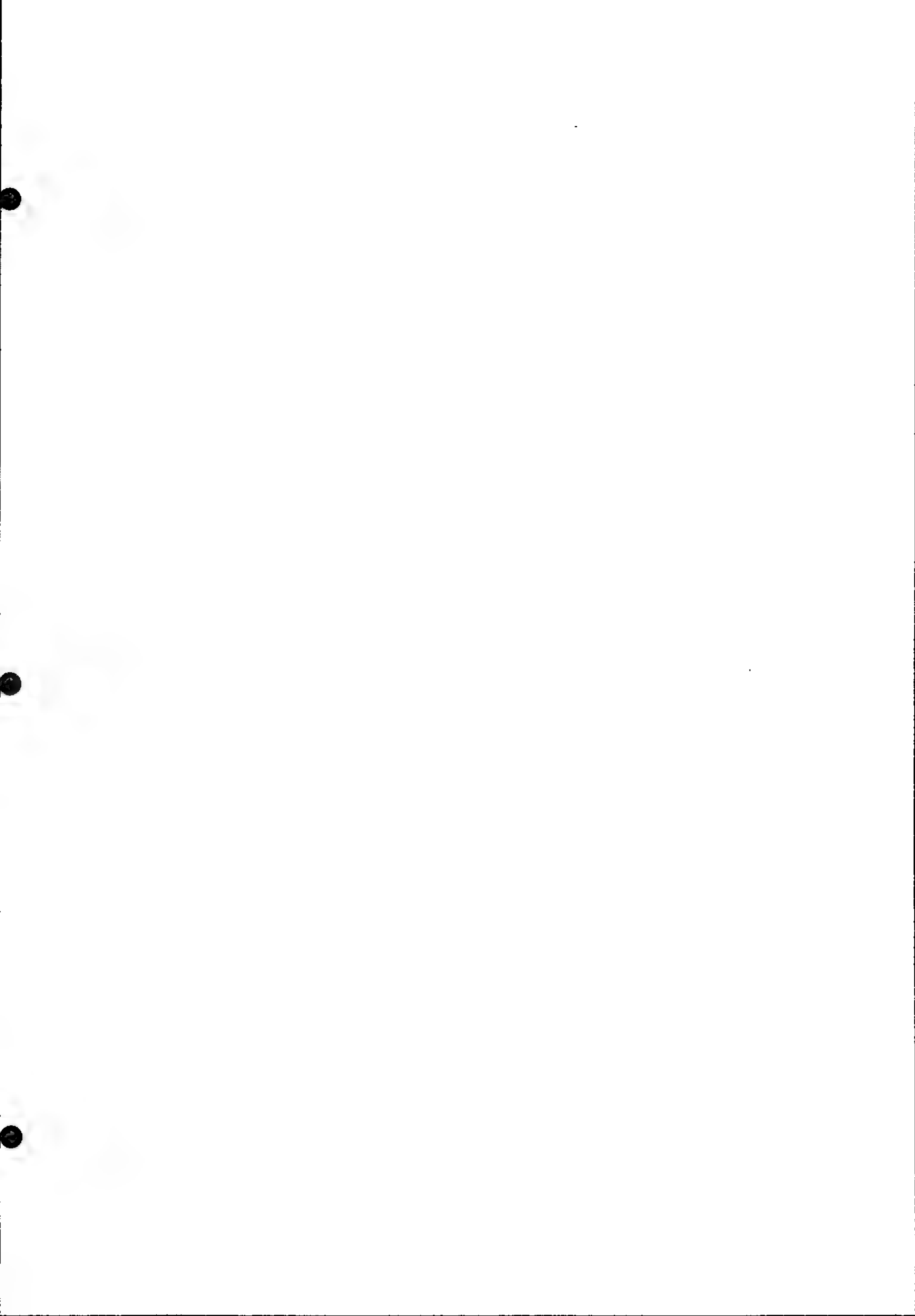
حدث اختلال اجتماعي كبير في المجتمع العثماني. كل يحاول أن ينجو بنفسه.

إن مركز الإمبراطورية لم يعد قادراً على حمل عبئه، وأصبحت إستانبول بلدة يرثى لها. بدأت نفوسها بالهجرة والذهاب إلى هنا وهناك.

لم تعد إستنبول بعد الآن قادرة على تسيير دفة الدولـة وفقـدت عظمتهـا وطاقتها المعنوية والثقافية. اضمحلت التجارة، والزراعة العثمانية والصناعة التي كانت بالأساس محدودة، وكذلك المعادن. وقد يكون أكثر من ذلك بلاءً، انهيـار الاعتماد المطلق على الدولة الذي يعود تاريخه إلى مئات السنين [1].

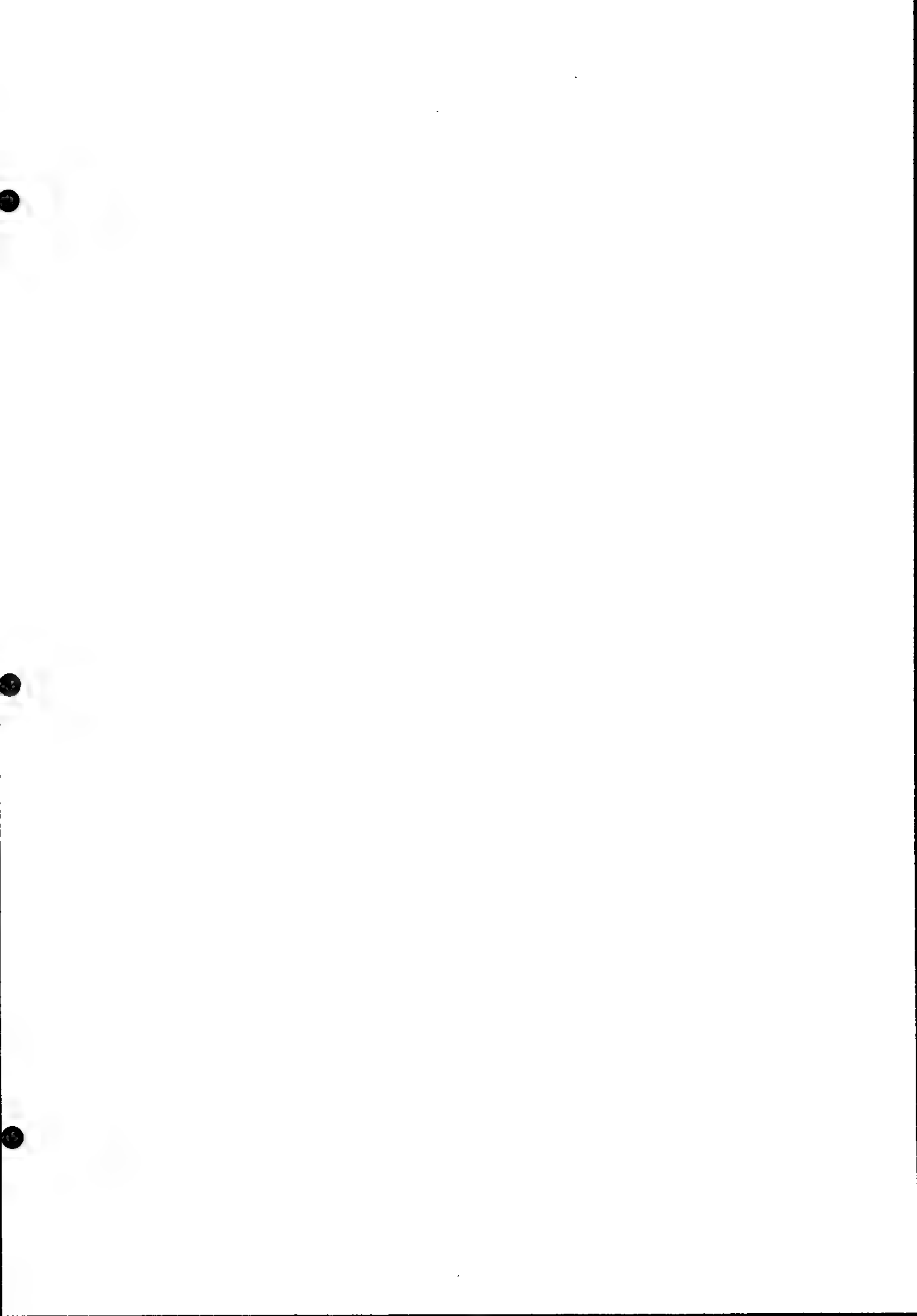
---

(١) تاريخ أزوتونا (٢/٥٨٦-٥٩٠) باختصار.



الفصل الرابع

الآثار الاجتماعية



الآثار الاجتماعية

يرتبط التصوف ارتباطاً عميقاً بواقع الناس فهو الدين الذي يدينون به، والعقيدة التي يعتقدونها، فكان لابد أن تكون له آثار سيئة على حياتهم ومجتمعهم. وهذه سنة من سنن الله تعالى؛ قال الله سبحانه:

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾[1].

وأي إعراض عن الله أكبر من انحرافات الصوفية العقدية التي عادت بهذا الدين إلى الجاهلية الأولى، إلى عبودية الأوثان، والذبح لغير الله، واستماع القينات والمعازف، فكانت الدولة العثمانية على موعد مع تحقيق المعيشة الضنك.

وحسبنا في ذلك ما سطره المؤرخ لوثروب عن أوضاع العالم الإسلامي في أواخر العصر العثماني يقول:

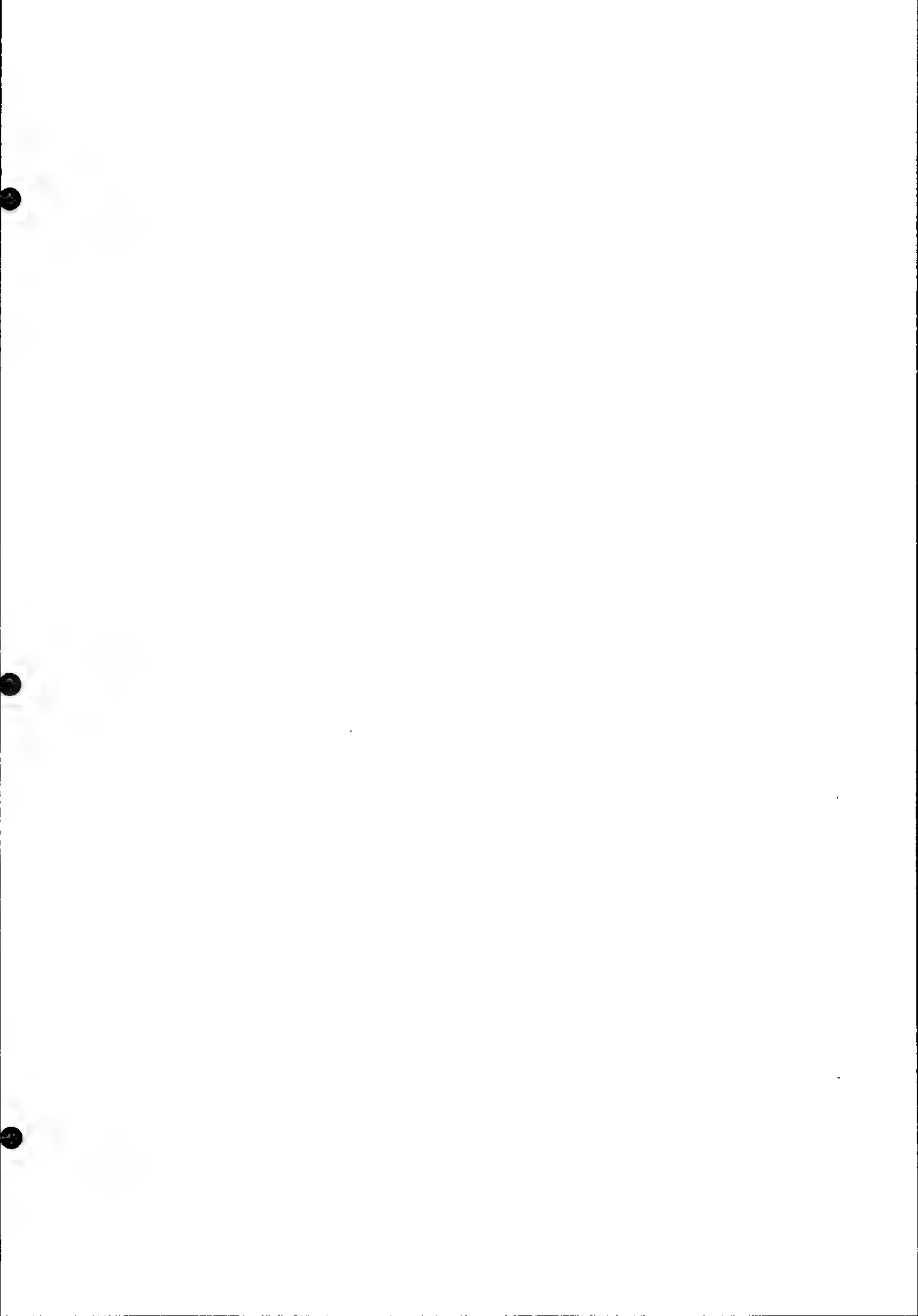
"بلغ العالم الإسلامي من التضعضع أعظم مبلغ، ومن التدني والانحطاط أعمق دركه، فأطبقت الظلمة كل صقع من أصقاعه وانتشر فيه فساد الأخلاق والآداب، واستغرقت الأمم الإسلامية في اتباع الأهواء والشهوات، وماتت الفضيلة في الناس، وساد الجهل وانطفأت قبسات العلم الضئيلة، فكثر السلب والنهب، وفقد الأمن، وصارت السماء تمطر ظلماً وجوراً، فغلت الأيدي، وقعد عن طلب الرزق، وكاد العزم يتلاشى في نفوس المسلمين، وبارت التجارة بوراً شديداً؛ وأهملت الزراعة أيما إهمال .. وغابت عن الناس فضائل القرآن فصار يُشرب الخمر والأفيون في كل مكان؛ و انتشرت الرذائل وهتك ستر الحرمات على غير خشية ولا استحياء"[2].

أجملت هذه العبارة آثاراً متعددة لحقت العالم الإسلامي جراء اتخاذه

---

(١) سورة طه، الآية: (١٢٤).

(٢) حاضر العالم الإسلامي، تعليق شكيب أرسلان (٢٥٩/١).



التصوف ديناً وقربة لله تعالى.

تعددت الآثار الاجتماعية التي خلفها التصوف في ساحة الدولة العثمانية نذكر منها ما يلي:

أولاً: ترك عمارة الأرض

يقوم التصوف على الانعزال عن الدنيا والإقامة في الخلوات لقراءة الأوراد والأحزاب، فتركوا بذلك عمارة الأرض، بل وسعوا في خرابها حينما رأوا أن الفناء في الله الذي هو غايتهم لايتم إلا بالتجرد والخروج من الدنيا تماماً.

يقول السهروردي:

"المريد الطالب إذا أراد أن يدخل الخلوة فأكمل الأمر في ذلك أن يتجرد من الدنيا، ويخرج عن كل ما يملكه"[1].

ويقول الجامي في البهجة السنية:

"وقبيح بالمريد أن يخرج هو من معلومه أي من رأس ماله وقنيته ثم يكون أسير حرفة دنيوية غير ضرورية؛ لأن ذلك يشغل قلبه ويمنعه أدبه، وينبغي أن يستوي عنده وجود ذلك المعلوم وعدمه حتى لا ينافر لأجله فقيراً !!، ولا يضايق به أحداً ولو مجوسياً !! ويكون الأولى عنده تعود الصبر حتى يكون فقره وصبره رأس ماله"[2].

بهذه الأقوال فضل الصوفية البطالة على العمل والكدح، بزعم أن العاطل مشتغل بالله، مفرغ قلبه لما يرد عليه من الإشراقات والتجليات، وبهذا وغيره صدق فيهم قول الشافعي رحمه الله:

"أسس التصوف على الكسل"[3].

---

(١) عوارف المعارف (٢/٥٠).

(٢) البهجة السنية، ص (٢٧).

(٣) تلبيس إبليس، ص (٣٢٠).

وفي ذلك يقول السهروردي:

"إذا كمل شغل الصوفي بالله، يترك التسبب، وينكشف له صريح التوحيد، وصحة الكفالة من الله الكريم، فيزول عن باطنه الاهتمام بالأقسام"[(١)].

ويقول قائلهم يوسف العجمي[(٢)]:

"كل ما يشتغل به المريدون .. من الحظوظ: من تجارة، أو عمل حرفة، فيه حكم من ربط في عنقه حبالاً وثيقة تجره إلى ناحية قفاه"[(٣)].

كذلك أثبتت كتب الصوفية أنهم كانوا يجيزون لأتباعهم أن يسألوا الناس مع ما في السؤال من ذل، بل ويأمرونهم بالتوجه إلى المساجد والأسواق ليجلبوا لهم الأموال وقد ادعى أبو حامد الغزالي أن الأموال التي يحصل عليها الصوفية بالسؤال هي من أشرف المكاسب، وهي دالة - بزعمه - على عناية الله بالصوفية[(٤)].

هذه النظرة الصوفية نحو الكسب والعمل تحمل مبادئ احترام البطالة، وإباحة التسول، وترك التكسب والادخار، وتحقير ما تنطوي عليه الحياة من لذات، وإغراء الناس بتكلف الحزن، واصطناع الضيق، والسعي إلى مواطن الذل، والاغتباط بالهوان، والاطمئنان للمستقبل الغامض، والقناعة بالتافه من شؤون العيش، والاستهانة بالمادة، والاستهتار بالمال، ومن ثم هان في نظرهم السعي في الدنيا لاكتساب المال والكد في ميادين العمل من أجل العيش.

---

(١) عوارف المعارف (٢٢٣/١).

(٢) هو: يوسف بن عبدالله بن عمر، الكوراني العجمي، كانت له زاوية مشهورة في قرافة مصر. له مؤلفات منها: ريحانة القلوب في التوصيل إلى المحبوب، وبيان أسرار الطالبين في التصوف، توفي بمصر سنة (٧٦٨هـ).
انظر: الطبقات الكبرى، ص (٣٧٤)، جامع كرامات الأولياء (٥٣٤/٢)، الدرر الكامنة (٤٦٣/٤).

(٣) الأنوار القدسية في بيان قواعد الصوفية للشعراني، ص (٣٤٢).

(٤) الإحياء (٢٧٤/٤-٢٧٥).

وعلى أساس هذا الفهم السقيم خف ألـوف مـن الـدراويش إلى الزوايـا طاعمين عاطلين عن كل عمل إلا دعوى العبادة والذكر، يحترفونها ويقتاتون من ورائها، ومثلهم في هذا ألوف من الدراويش الذين كانوا يتجولـون في الشـوارع والطرقات، ويفهمون من الحياة هذا الفهم السقيم الذي لا يكلف الإنسان مشقة ولا نصباً.

زاد في ترسيخ تلك المبادئ الاعتقاد الخاطئ لمفهوم التوكل على الله تعالى، إذ اعتقدوا أن التوكل على الله تعالى يتعارض مع الأخذ بالأسباب، وأن المتوكل حقيقة من استوى عنده وجود السبب وعدمه.

يقول أبو طالب المكي[1]:

"قال بعض علمائنا: إذا استوى عند المريد وجود السـبب وعدمـه، وكـان قلبه ساكناً مطمئناً عند العدم، لم يشغله ذلك عن الله تعالى ولم يتفرق همه، فترك التكسب والقعود لهذا أفضل لشغله بحاله وتزوده لمعاده، وقد صـح لـه مقـام في التوكل"[2].

وفي موضع آخر يقول:

"وقد علم التارك للتكسب توكلاً على الله وثقة به ورعاية لمقامه وصـبراً على فقره، وشغلاً بمعاده عن معاشه، ومقاساة الفتنة. أن مولاه قد تكفل له برزقه في الدنيا، وقد وكل إليه عمل الآخرة، وأنه إن شغل بما وكله إليه من عمل آخرته أقام له من يقوم بكفايته من دنياه، فلو لم يتصرف المتوكل تصرف لـه غـيره، وإن عمل آخرته الذي وكله إليه هذا، فإن لم يعمله لم يقم غيره مقامه، وإن الله تكفل

---

(١) محمد بن علي بن عطية الحارثي، أبو طالب المكي، واعظ زاهد، فقيه، مجتهد في العبـادة، له كتاب قوت القلوب، وكتاب علم القلوب، توفي سنة (٣٨٦هـ) ببغداد.
انظر: تاريخ بغداد (٨٩/٣)، العبر (١٧٠/٢)، الأعلام (٢٧٤/٦).

(٢) قوت القلوب (٣٥/٢-٣٦).

له بعمل الدنيا، فإن لم يعمل لعمل له سواه كيف شاء"[1].

أسهم ذلك الاعتقاد بأوفر نصيب في ركود الحياة في العصر العثماني، فعملوا بالتواكل لا بالتوكل.

وقد سجل المؤرخ يلماز ذلك في كتابه بعبارات متعددة يقول:

"يعيش الأتراك عاطلين دون حركة، لإيمانهم بالقضاء والقدر، لا يمكنهم الحصول على النتيجة في أي عمل".

"يعيش الأتراك وهم غافلون عن قيمة ومفهوم الزمن، يكثرون الدعاء وينتظرون كل شيء من الله !!".

"يؤمن الأتراك بالقدر ويخضعون له، حتى السلاطين لا يقاومون عند خلعهم ويقولون يحصل ما يقدر الله".

ويورد أيضاً حواراً بين سفير فرنسا سباستياني مع السلطان سليم الثالث يؤكد هذا المعنى.

يقول السفير: يا صاحب الجلالة، إن للأتراك ثلاثة أعداء أقوى بكثير من الإنجليز والروس. قال البادشاه: ماذا تعني بذلك؟ لا يمكن أن يكون بالنسبة لنا عدو أكبر من انجلترا والروس.

أجاب السفير: نعم يا صاحب الجلالة، للأتراك ثلاثة أعداء، هم:

إن شاء الله (!!)، كريم، ولنر ما سيحدث"[2].

ولاشك أن قول (إن شاء الله) من الألفاظ المشروعة وجاء الأمر بها للنبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ۝٢٣ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾[3] فالمسلم مع عمله يتوكل على الله تعالى ويعلم أن مشيئة الله تعالى مقدمة

---

(١) قوت القلوب (٢/٥٨-٥٩).

(٢) تاريخ الدولة العثمانية (٢/٥٦٧-٥٦٨).

(٣) سورة الكهف، آية: (٢٣-٢٤).

على مشيئته ولا يكون في ملك الله تعالى إلا ما شاء.

لكنها في الدولة العثمانية أسيء استخدامها فأصبحت تنبئ عن الخمول والتكاسل وترك العمل بحجة أن كل شيء قد قدره الله وشاءه.

وكانت السمة البارزة لمن يتصوف أن يترك الدنيا والعمل لها وينقطع للعبادة، ومن هؤلاء: شجاع الدين الشهير بنيازي كان قاضياً زمن بايزيد الثاني، ثم تصوف وترك الدنيا[1].

وأما أحمد البخاري فقد تعلق به الناس كثيراً، وتركوا المناصب، واختاروا خدمته !! [2]

امتلأت التكايا آنذاك بروادها من الكسالى الذين ينقطعون عن أعمال الدنيا والدين ويتقوقعون في هذه التكايا ويتمتعون بعطايا الدولة.

وقد استغلت الدولة العثمانية اعتماد غالبية الناس في معاشهم على أعطياتها ونفقاتها فكانت تعاقب الخارجين عليها بقطع تلك الأعطيات ومنع النفقات ومن ذلك: أنها كانت تجعل للحرمين الشريفين مخصصات مالية، وأخرى عينية من الغلال، تبعث بها سنوياً إلى الحرمين الشريفين فتوزّع على أهلهما خصوصاً العلماء وطلبة العلم والفقراء والمجاورين وكثيراً من الأهالي وقد تسبب ذلك في أن أصبحت تلك الأعطيات مادة حياة الأهالي، الذين تكاسلوا عن العمل بعد أن كُفوا مئونة العيش وكلفته. ولما استولى أهل الدعوة على الحرمين ومنعوا البدع فيهما قطعت الدولة صلاتها فخرج الناس من أوطانهم يستغيثون بالدولة لتعود لهم الأرزاق والصلات، وقد تسبب ذلك في نشوء أزمة اقتصادية دفع أهل الحرمين ثمنها، وأُلقي بتبعتها على أهل الدعوة. وقد حكى الجبرتي ﷺ ذلك في عجائب الآثار قال:

---

(١) تاريخ الدولة العثمانية، شكيب، ص (١٢٦).

(٢) المرجع نفسه، ص (١٣١).

"ولما امتنعت قوافل الحج المصري والشامي وانقطع عن أهل المدينة ومكة ما كان يصل إليهم من الصدقات والصرر التي كانوا يتعيشون منها خرجوا من أوطانهم بأولادهم ونسائهم ولم يمكث إلا الذي ليس له إيراد من ذلك، وأتوا إلى مصر والشام ومنهم من ذهب إلى إسلامبول يتشكون من الوهابي ويستغيثون بالدولة في خلاص الحرمين لتعود لهم الحالة التي كانوا عليها من إجراء الأرزاق واتصال الصلات"[1].

وهذه فضائل أراد بها العثمانيون المثوبة والإحسان، إلا أن ذلك أساء إلى أهالي الحرمين أكثر مما أحسن إليهم فقد عودهم قبول الإحسان بما في هذا التعود من خمول وكسل، وإذا علمنا أن هذه الصدقات ظلت جارية طوال قرون كاملة وأنها كانت تتسع باتساع عدد السكان وأن مخصصاتها كانت تعول جلة الأسر في مكة من العام إلى العام علمنا نوع الإعداد الذي أعد فيه هذا الشعب ونشأة أجياله بالتعاقب على اقتناص الهبات والصدقات.

هذا الموقف يبين أن دعوى ترك عمارة الأرض والسعي في مناكبها دعوة خطيرة على المجتمع، فيها تعطيل لقدرات شباب الأمة لتجعلهم فقراء يتكففون الناس من أجل الحصول على لقمة العيش، فيقضي بذلك على شخصياتهم، وتعطل طاقاتهم، وتورث في نفوسهم الذل والمهانة.

هذه الدعوة مع ما فيها، مخالفة لروح الإسلام، إذ الإسلام يتميز في تنظيم أمور الدنيا وعلاقات الناس وغالبها ينشأ عن الكسب وطلب الرزق، والإسلام دين العمل المنتج والنشاط الدائم.

هذه الدعوة دعوة إلى الفقر والتخلف والضعف. وأي مجتمع يلتزم بهذه الدعوة فستضعف قوته، وينهار عمرانه، وتشيع فيه البطالة، ويعم الفقر، ويصاب اقتصاده بالشلل التام.

---

(١) عجائب الآثار (٣/٢٤٧).

لذا شدد الإسلام على صلاح الدنيا والآخرة، ليحيا الناس في ظله الحياة الطيبة، ويقيموا مجتمعاً قوياً، يقوم بعبادة الله تعالى، ويتولى قيادة البشرية، ويسعى في عمارة الأرض، ونهى المسلم أن يكون عائلاً على غيره يسألهم ويتكففهم.

فمن الآيات التي حثت على العمل لكسب الرزق قوله تعالى:

﴿فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦۖ وَإِلَيۡهِ ٱلنُّشُورُ﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾[2].

بهذا جاءت سنة النبي ﷺ، فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "لأن يأخذ أحدكم حبلة، ثم يغدو - أحسبه قال إلى الجبل - فيحتطب، فيبيع، فيأكل ويتصدق، خير له من أن يسأل الناس"[3].

وقال ﷺ: "ما أكل أحد طعاماً خيراً من أن يأكل من عمل يده وإن نبي الله داود ﷺ كان يأكل من عمل يده"[4].

لم يكتف الإسلام بهذا، بل وحتى فيما يقدم الإنسان من الصدقة راعى الإسلام أن لا يقدم المسلم كل ماله للصدقة ثم يقعد يتكفف الناس، بل يتصدق ببعض المال ويمسك بعضه الآخر يعف به نفسه وأهله من ذل السؤال والحاجة إلى الناس.

روى عبدالله بن كعب بن مالك ﷺ قال: سمعت كعب بن مالك ﷺ يحدث حديث توبته قال: فقلت يا رسول الله إن من توبتي أن أنخلع من مالي

---

(1) سورة الملك، الآية: (15).

(2) سورة الجمعة، الآية: (10).

(3) صحيح البخاري مع فتح الباري، كتاب الزكاة، باب قول الله تعالى (لا يسألون الناس إلحافا)، ح (1480)، (341/3).

(4) المرجع نفسه، كتاب البيوع، باب كسب الرجل وعمله بيده، ح (2072)، (303/4).

صدقة إلى الله عزوجل وإلى رسوله ﷺ، فقال: "أمسك بعض مالك فهو خير لك"[1].

وفي ذلك بيان لأهمية المال في الإسلام، فهو نعمة الله تعالى، ومزرعة الآخرة، به ينتظم المعاش والمعاد، وبه صلاح الدارين، وسعادة الحياتين، به يحج، وبه يجاهد الكفار، وبه قام البدن وقيامه مطية الفضائل وآلة الطاعات، وبه تنال درجة المتصدقين، وبه توصل الرحم، وتدفع حاجات الفقراء، وبه يحصل نفع الناس ببناء المساجد والمدارس وسد الثغور.

وقد جاءت الأحاديث التي تؤكد هذا المعنى؛ فعن عبدالله بن مسعود ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: "لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله تعالى الحكمة، فهو يقضي بها، ورجل آتاه الله مالاً فسلطه على هلكته في الحق"[2].

ودعا ﷺ لخادمه أنس بن مالك ﷺ "اللهم أكثر ماله وولده، وبارك له فيه" [3].

وقال ﷺ لعمرو بن العاص ﷺ "نعم المال الصالح للرجل الصالح"[4].

هذا هو هدي نبينا محمد ﷺ وهذه هي سيرته، وعلى هذا سار السلف من بعده، فكلهم لا تجهل سيرتهم، لم يكن منهم من ترك العمل وكره المال وجلس في

---

(١) صحيح مسلم مع النووي، كتاب التوبة، باب حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه، (٩٦/١٧).

(٢) صحيح البخاري مع الفتح، كتاب العلم، باب الاغتباط في العلم والحكمة، ح (٧٣)، (٢١٨/١)، وصحيح مسلم مع النووي، كتاب صلاة المسافرين، باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه (٩٧/٦-٩٨).

(٣) صحيح البخاري مع الفتح، كتاب الدعوات، باب دعوة النبي لخادمه بطول العمر، ح (٦٣٤٤)، (١٤٤/١١)، ومسلم مع النووي، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أنس بن مالك ﷺ (٣٩/١٦).

(٤) رواه الإمام أحمد في مسنده ح (١٧٩١٥) والبخاري في الأدب المفرد ح (٢٩٩)، صححه ابن حبان في صحيحه كتاب الزكاة، باب جمع المال من حله، ح (٣٢١٠) (٦/٨)، والحاكم في مستدركه (٢٣٦/٢) ووافقه الذهبي.

بيته راضياً أن يكون عائلاً على غيره، بل كانوا يكرهون القعود في المساجد انتظاراً لما يأتي من الصدقات. وفي هذا يقول عمر بن الخطاب ﷺ:

"يا معشر القراء، ارفعوا رءوسكم فقد وضح الطريق فاستبقوا الخيرات ولا تكونوا عيالاً على المسلمين"[1].

وعن محمد بن عاصم ﷺ قال: بلغني أن عمر بن الخطاب ﷺ كان إذا رأى غلاماً فأعجبه سأل عنه هل له حرفة؟ فإن قيل لا. قال: سقط من عيني"[2].

قال سعيد بن المسيب ﷺ:

"من لزم المسجد وترك الحرفة وقبل ما يأتيه فقد ألحف في السؤال"[3].

هذا هو موقف الإسلام من العمل وعمارة الأرض، وهو ضد ما تؤمن به الصوفية من ترك العمل وعمارة الأرض بدعوى الزهد في الدنيا وعدم الرغبة في جمع المال والعيش في تقشف وقناعة.

لكن .. هل عاش الصوفية حياة التقشف والقناعة ؟!!

واقع حال الصوفية في الدولة العثمانية وفي غيرها يثبت أن أرغد الناس عيشاً وأترفهم حياة هم الصوفية، ذلك أنهم عاشوا في الزوايا طاعمين، كاسين، على نفقة الدولة وأصحاب الجاه والغنى الذين تنافسوا في ذلك أي تنافس، كما لازموا الأضرحة والقبور انتظاراً لما يأتيهم باسم الولي الموهوم، وقد زاد ذلك من رفاهية الطرق حتى خشيت الدولة من تناميها.

---

(١) حلية الأولياء (٧١/٧)، وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان، ح (١٢١٦)، (٨١/٢)، تلبيس إبليس، ص (٣٤٦).

(٢) تلبيس إبليس، ص (٣٤٧)، وأخرجه مرفوعاً الخطيب البغدادي من حديث ابن عباس ﷺ بسند ضعيف جداً.
انظر: الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، ح (٤٩)، (١٤٤/١).

(٣) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان، ح (١٢٢١)، (٨٣/٢)، تلبيس إبليس، ص (٣٤٦).

بل تعدى الأمر إلى اقتتال المشايخ على تولي منصب شيخ الطريقة لما يحصل من وراء ذلك المنصب من الأموال والهبات.

ثانياً: انتشار الانحلال الخلقي.

يزعم الصوفية أن التصوف هو التخلق بالأخلاق الحسنة، والبعد عن الأخلاق السيئة.

يذكر أبو الوفا التفتازاني شيخ مشايخ الطرق الصوفية بمصر سابقاً:

"ظهر في العالم الإسلامي علماء آثروا أن يخصصوا جهودهم لدراسة الأخلاق، ولكن كانت هذه الدراسة من نوع خاص؛ فلم تكن نظرية بحتة، وإنما اقترنت بالتجربة والذوق، وقالوا: إن الأخلاق هي روح الدين .. وهؤلاء عرفوا باسم الصوفية وعرف علمهم باسم التصوف"[(١)].

إلا أن واقع الصوفية يثبت أن هذه مجرد أقوال ليس لها تطبيق على أرض الواقع.

فقد ملئت كتب الصوفية بذكر الفواحش والمنكرات المتفشية في الأوساط الصوفية.

منها ما ذكره الشعراني عن إبراهيم العريان أنه كان يطلع المنبر ويخطب عرياناً"[(٢)].

وذكر عن روزبهار أنه كان يصعق في حق الله تعالى، فحول الله ذلك إلى حب امرأة من البغايا، ثم صار يحمل لها العود، ويُركبها ويمشي في خدمتها[(٣)].

وغيرها كثير مما يخجل القلم من تسطيره، ويندى الجبين عند قراءته.

فهذا أوحد الدين الكرماني كان يظهر اهتماماً وتعلقاً بالنساء والمردان

---

(١) الله توحيد وليس وحده، ص (١٤).

(٢) انظر ترجمته وما ذكر عنه في الطبقات الكبرى، ص (٤٧٩).

(٣) جامع كرامات الأولياء (٦٤/٢).

ويقيم السماع معهم، فإذا أنكر عليه ذلك قال: إني لا أنظر إلى شيء سوى الحق !!، فما نظرت إلى شيء فبعين الإيمان والإسلام انظر !! [1].

وقال أحد المتصوفة لإحدى البغايا لائماً لها على الحياء: لمَ تستحين؟!

هل الفاعل والمفعول به إلا هو !! [2]

فإيمان الصوفية بوحدة الوجود، هو إيمانهم بأن المخلوقات هي الله. تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً، وعلى زعمهم هذا فإن الأفعال الصادرة من الخلق هي عندهم صادرة عن الله تعالى على الحقيقة.

يقول الجيلي:

"تحرك في كل متحرك بكل حركة، وسكن في كل ساكن بكل سكون" [3].

وإذا كانت الأفعال كلها صادرة عن الله، تعالى الله عن ذلك، فهي محبوبة له، ومن ثم فلا عاصي له على قولهم.

يقول الجيلي أيضاً: "الموجودات بأسرها مطيعة، فما ثم عاص له من حيث الجملة في الحقيقة" [4].

ويقول علي وفا : "الحق هو الوجود الثابت في مرتبته، والحقائق لا تنقلب فكلها حق، حتى الباطل هو حق" [5].

ولا شك أن مذهباً كهذا، يقضي على الأخلاق قضاءً مبرماً، لكون الصلاح عندهم عين الفساد، والبر عين الفجور، والإحسان هو عين الإساءة، فلمَ يلام ظالم، وينكر على فاجر ؟!!

---

(١) أخبار جلال الدين الرومي، ص (٤٩).

(٢) الديوبندية، ص (٤٠).

(٣) الإنسان الكامل، ص (٥).

(٤) المرجع نفسه، ص (٨٨).

(٥) الطبقات الكبرى، ص (١٣٠).

يقول زكي مبارك:

"القول بوحدة الوجود ليس إلا شطحة صوفية، وهو خطر - كل الخطر - في عالم الأخلاق، فإن رابكم هذا القول، فتأملوا أحوال الصوفية، فهم - في الأغلب - من الذين سقطت عنهم التكاليف - بزعمهم - وعاشوا عيش التفكك والانحلال"[1].

ولما كانت هذه هي العقيدة التي تدين بها الطرق الصوفية - كما تبين ذلك في الباب الأول - شاع لديهم الفسق والفجور وشرب الخمور واتباع الشهوات، خاصة مع سماحهم للمرأة بدخول الطريقة. وزاد الأمر سوءاً اتخاذهم بريد الزنا ورقية الشيطان قربة وطاعة، أقصد به الغناء الذي لا يكون في مكان يجتمع فيه الرجال والنساء معاً إلا وحل فيه الشيطان يأمرهم بكل فحشاء وسوء وينهاهم عن كل خير وبر.

وقد شهدت تكايا الدولة العثمانية الكثير من تلك الوقائع منها:

ما وصف به سعيد أفندي من تكية قسطموني المولوية من أنه "بعيد عن آداب وشرف الطريقة، وظل في لوجة الفسق والفجور والسفاهة وألقي في السجن بسبب سوء سلوكه وما يرتكبه من الآثام[2].

وفي تكية قيسرى تم عزل محمد داده بسبب ارتكابه محظورات جمه والقيام بسلوكيات تخالف الشريعة الإسلامية في هذه التكية[3].

ووصف الشاعر (شوري) أنه من أهل الهوى لا ند له ولا نظير، منغمساً في الملذات والشغف[4].

وأما الصوفي (فصيح) فكان يُرى كل مساء منغمساً في الملذات والشهوات.

---

(١) التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق (١/١٨٢-١٨٣).

(2) Mevleviligin, P, (276).

(٣) المرجع نفسه، ص (٢٨١).

(٤) المولوية بعد مولانا، ص (٣٢٩).

خلص روحه بصعوبة من مصائب ونكبات وبلايا الشباب[1].

وانتسب إلى المولوية الصدر الأعظم (صوفي محمد باشا) يقول عنه المؤرخ نعيما: "لقد ارتكب كثيراً من الظلم والفساد، لا يرى في وجهه أثر التصوف، لا يتورع عن إلحاق المضرة بأموال الناس وأرواحهم وكان صلاحه وتقواه هما أحبولة التزوير والرياء"[2].

ولا غرابة أن يشيع هذا الأمر بين المولوية، فقد كان مولاهم (جلال الدين الرومي) قائدهم في ذلك، وحسبك النظر في شعره المثنوي لترى كم من القصائد التي سطرها وتحمل الفسق والفجور. تقف في مثنويه على أشنع الأدب الواقعي المكشوف الذي يصور العملية الجنسية، بل وتعدى فساده إلى تصوير الشذوذ الجنسي مع الحيوان، وذكر الاتصال السَّدومي مع الغلمان.

فكيف إذا قرئت هذه القصص الماجنة مع آلات السماع وبصوت شجي في مكان يجتمع فيه النساء والرجال ؟!!

ازداد الفساد الخلقي في الدولة العثمانية في عصور الضعف، وقد بدأ دور التراخي في آل عثمان في زمن سليم الثاني (٩٧٤-٩٨٢هـ) الذي كان مدمناً لشرب الخمر، مسترسلاً في الشهوات، وفي أيامه ارتفع التحريج عن الخمرة، فكاد يعم شربها[3].

وفي عهد السلطان مصطفى الثالث[4] ﷺ بلغ الفساد ما لا يقدر معه على الإصلاح لعموم البلوى وشمولها، يقول السلطان: "إن جميع الباشوات الذين

(١) المرجع نفسه، ص (٣٣٠).
(٢) المرجع نفسه، ص (٣٩٠).
(٣) تاريخ شكيب، ص (١٨٩).
(٤) مصطفى الثالث ابن أحمد الثالث، تولى عرش السلطنة بعد عثمان الثالث عام (١١٧١هـ)، كان ميالاً للإصلاح، تم في عهده توقيع صلح مع روسيا توفي عام (١١٨٧هـ).
انظر: تاريخ الدولة العلية، ص(٣٢٩)، تاريخ الدولة العثمانية، يلماز (٦١٧/١).

عندي قد فسدت أخلاقهم، ولم يبق لهم هم إلا في اقتناء الجواري، وآلات الطرب، وبناء القصور"[1].

ولاشك أن الانغماس في الشهوات والانحلال الخلقي الطريق إلى زوال الدولة خاصة إذا تخلى العلماء والحكام عن دورهم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومحاربة الفساد وأسبابه.

فكيف يكون الحال إذا أبيح لكل مخلوق أن يسرق، ويزني، ويقتل، بلا رقيب ولا حسيب واعتقد أنه غير مخطيء ورفع المجتمع عنه اللوم فضلاً عن العقوبة؟

وكيف يكون الحال إذا شعر كل إنسان أنه مهدد باغتيال ما يملك من المنافع وتعكير ما ينعم به من الأمن والعافية؟

وكيف تصبح الدنيا إذا عاش اللئام والفاسقون والظالمون بلا وازع ولا رادع، إذا أنهار حكم الشريعة، وحل محله حكم وحدة الوجود ؟!

وما فضل الإنسان على الحيوان إذا انعدمت محامد الرفق والعطف، وبواعث الضبط والكبح، ومراجع الاحتكام إلى الوحي والعقل؟!

يقول الإمام ابن القيم ﷺ تعالى:

"ومن العجب أنهم دخلوا في أنواع الرياضات، والمجاهدات، والزهد، ليتجردوا عن شهوات النفوس وحظوظها، فانتقلوا من شهوات إلى شهوات أكبر منها، ومن حظوظ إلى حظوظ أحط منها. وكان حالهم في شهوات نفوسهم التي انتقلوا عنها أكمل، وحال أربابها، خير من حال هؤلاء؛ لأنهم لم يعارضوا بها العلم، ولا قدموها على النصوص، ولا جعلوها ديناً وقربة، ولا ازدروا من أجلها العلم وأهله"[2].

---

(١) تاريخ شكيب، ص (٢٥٢).

(٢) مدارج السالكين (١/٤٩٤-٤٩٥).

ولاشك أن فساد الأخلاق إنما هو نتيجة حتمية لفساد العقيدة. وأي فساد أكبر على عقيدة المسلم من التصوف ؟!

فأنى لمجتمع تضافر على الشرك والبدع والخرافات، وملاحقة المجاذيب، والتعلق بالكرامات والرضى بسيادة المتصوفة، والخنوع للواقع المرير المؤلم المليء بكافة صور التخلف من الفقر والحرمان والمرض والجهل.

أنى لهذا المجتمع أن تراعى فيه الأخلاق أو أن يظل محافظاً عليها؟

إن من أكبر عوامل تفشي الانحلال الخلقي فساد العقيدة، وعدم الاهتمام بدراستها والتفقه فيها. وإذا تقرر هذا علمنا أن كل دعوة تهدف إلى إصلاح الأخلاق مع إهمال الجانب العقدي فهي مجرد دعاية خادعة لا يمكن أن تثمر خلقاً أو تنتج تديناً حقيقياً.

ثالثاً: الرضى بالذل والخضوع.

يربي مشايخ الصوفية أتباعهم على الذلة والخضوع، حيث فرضوا على المريدين آداباً يلتزمون بها، يدور غالبها حول المبالغة في تقديس الشيخ وتقديم الخشوع والاستسلام له، وطاعته الطاعة العمياء، وعدم الاعتراض عليه ولو جاء بما ينكره الشرع والعقل، ذاك أن علومهم الباطنة المزعومة لا يمكن إقامة الحجة عليها، فلا كتاب ولا سنة ولا إجماع ولا عقل يمكن أن يدل عليها، فما بقي إلا أن يسلم السامع، وأن يلغي عقله حتى لا يحرم من الفيوضات و البركات !!

لذا فأول ما يدخل المريد للطريقة يأمرونه بأفعال تأنفها النفس، ترويضاً له على الذل والخضوع، والرضا بالدون والمسكنة وهوان النفس؛ فتارة يأمره الشيخ بخدمة الكلاب، وتارة يأمره بنقل القاذورات، وتارة يأمره بالتسول في الأسواق والطرقات.

ذكر محمد أمين الكردي أن محمد بهاء نقشبند أمره شيخه بخدمة الكلاب

على وجه الإخلاص والتذلل[1].

ونقل الشعراني أن أحد مشايخ الصوفية كان يأمر من يراه من أصحابه عنده شهامة نفس بالشحاتة من الأسواق وغيرها؛ حتى تنكسر نفسه[2].

ويقول عن آخر: "غلب عليه الذلة، والمسكنة، والخضوع حتى سأل الله تعالى قبل موته أن يبتليه بالقمل، والنوم مع الكلاب، والموت على قارعة الطريق"[3].

وذكر عن أحمد الرفاعي أنه كان يبتدئ كل من لقيه بالسلام، حتى الأنعام والكلاب وكان إذا رأى خنزيراً يقول له: أنعم صباحاً !! [4]

وحكي عن أبي العباس أحمد بن مسروق لبيان تواضعه وانسلاخه عن التكبر "جاءه مرة شخص فدخل داره لوليمة كانت عنده بلا دعوة، فقال أبو العباس: لله عليَّ ألا أدعه يمشي إلا على خدي حتى يجلس موضع الأكل !! فوضع خده على الأرض ومشى عليه الرجل إلى أن بلغ إلى موضع جلوسه، وصار يقول: مثل هذا الرجل يتواضع لي ويحضر وليمتي، بأيِّ شيء أكافئه؟!"[5].

لا أعلم من أين أخذ الصوفية هذه الآداب لترويض النفس وإذلالها.

ومن الذي أمرهم بالانكسار والتخشع والتذلل حتى بين يدي الكلاب والخنازير؟

هذه هي التربية التي يربون بها أتباعهم، وينشئون عليها أجيالهم، فهل سيكون لدى خريج هذه المدارس أي غيرة أو نخوة تدفعه لانكار منكراتهم،

---

(١) المواهب السرمدية، ص (١١٩).
(٢) الطبقات الكبرى، ص (٤٠٧).
(٣) المرجع نفسه، ص (٤٢٢).
(٤) قلادة الجواهر، ص (٦٢-٦٣).
(٥) الطبقات الكبرى، ص (١٣٤).

والاعتراض على أي شيء يقدمون عليه من أقوال أو أفعال مهما بلغت في القبح والسوء ؟!

وأين هم من قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾[1] ومن قوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾[2].

إن هذا المسلك مسلك بعيد عن دين الله تعالى، فهذه التربية السيئة كانت سبباً في تكوين جماعات ضعيفة الإرادة، ذليلة النفس، ترضى بالذل والهوان، وتسر بالإهانة والاحتقار.

جماهير تصدق بالخرافات، وتدين بالعبودية للمشايخ، محجورة العقل، مطموسة الفطرة، محجوبة عن العلم النافع والعمل الصالح.

هذه الجماهير التي تعودت الذل والخضوع، والانشغال بالسماع وقراءة الأوراد.

لم تستطع أن تفعل شيئاً إيجابياً يقود الدولة العثمانية إلى الأمام لا علماً ولا عملاً.

وعندما واجهت الدولة العثمانية ضغوطاً هائلة لتقسيمها والقضاء عليها، لم تكن تلك الجماهير على علم بما يجري حولها.

وعندما دفعت الدولة إلى سلوك طريق التغريب بعد الهزيمة النفسية التي أصابتها، لم تكن تلك الجماهير تهتم.

وعندما تم إلغاء الطرق على يد كمال أتاتورك لم يكن لهؤلاء الطرقية صوت يدافعون به عن عقيدتهم !!، بل سرعان ما ذلوا وخضعوا وذابوا داخل الدولة الكمالية.

ذلك أن الدين الصحيح الذي يقوم على الكتاب والسنة هو الذي يحرر العقول، من الأوهام و الظنون والخرافة والضلالة.

وهو الذي يحرر القلب من العبودية لغير الله ومن التعلق بغيره.

---

(١) سورة الإسراء، الآية: (٧٠).

(٢) سورة التين، الآية: (٤).

بهذا الدين تعلم النفس أن الذل والخضوع عبادة قلبيـة، فـلا تـذل إلا لله تعالى ولا تخضع إلا لأمره سبحانه وتعالى.

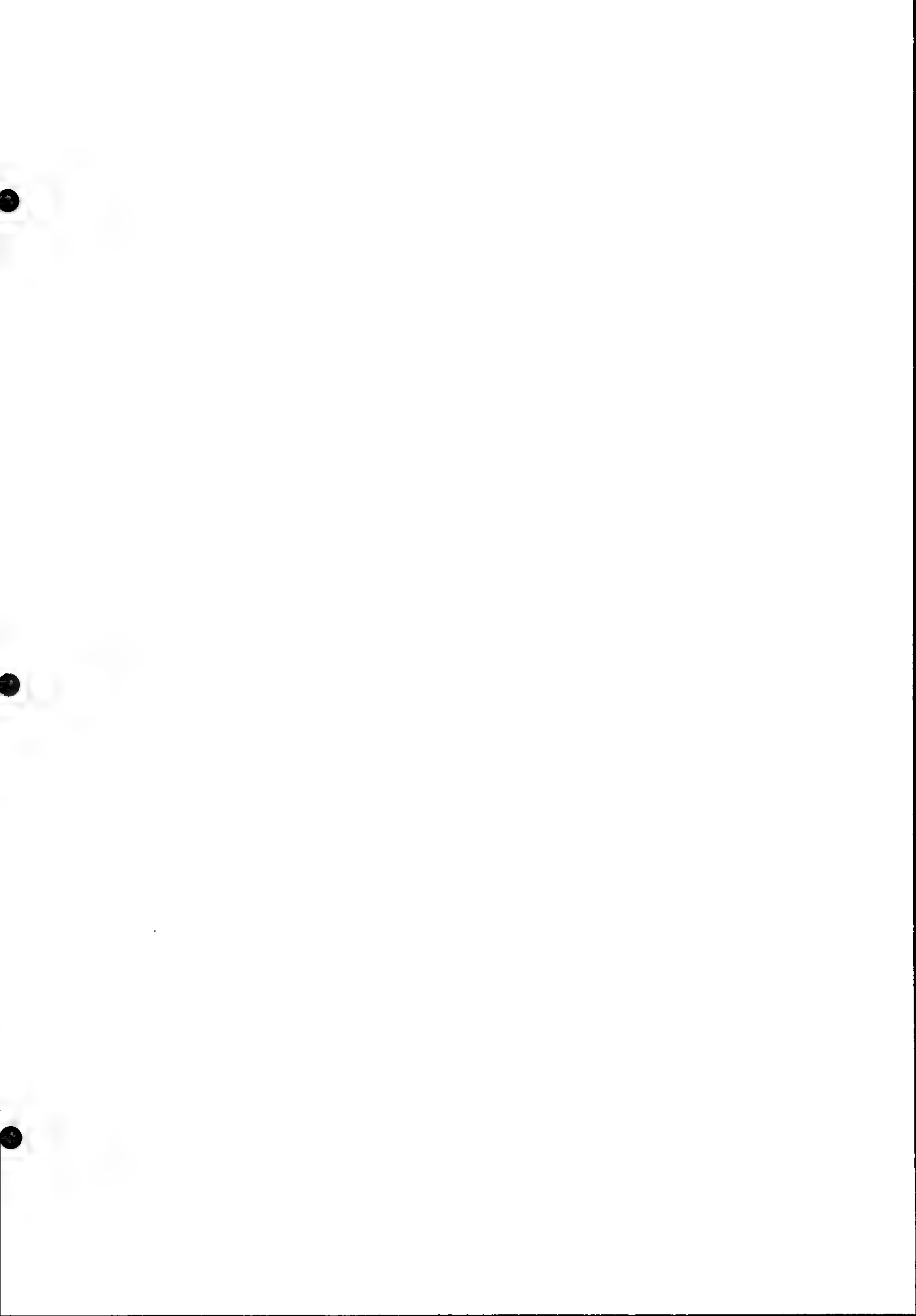
قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾[1].

(١) سورة المنافقون، الآية: (٨).

الفصل الخامس

الأثر السياسي

" علاقة التصوف بسقوط الدولة العثمانية "



علاقة التصوف بسقوط الدولة العثمانية

اقتضت حكمة الله تعالى أن يكون الأمر إليه من قبل ومن بعد، فلا تقوم دولة إلا بإذنه، ولا تسقط إلا بعلمه.

قال الله سبحانه: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[(1)].

ومن رحمة الله بالأمم أن جعل لذلك سنناً كونية لا تتغير ولا تتبدل بتغير الأزمان والدول.

قال الله عزوجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾[(2)].

وقد شاء الله أن تجري هذه السنن على الدولة العثمانية إذ عاشت قروناً عديدة في رخاء ومنعة؛ إلا أنها لما غيرت وبدلت أراد الله تعالى لها السقوط.

سقطت الدولة العثمانية بفعل عوامل كثيرة جامعها الابتعاد عن شرع الله تعالى، وعدم تحقيق المنهج الرباني، وتنكبها عن السير على الهدي الذي جاء به المصطفى ﷺ.

وقد جاء ذلك على لسان السلاطين العثمانيين، فقد أصدر السلطان عبدالمجيد الأول رحمه الله فرماناً عام (١٨٣٩م/ ١٢٥٤- ١٢٥٥هـ) جاء فيه: "إن الدولة كانت تراعي الأحكام الشرعية فبلغت قمة المجد. ومنذ مائة وخمسين سنة أهملت الإدارة الشرعية بسبب الغوائل، وما عرض من حوادث".

وفي عام (١٨٥٦م/ ١٢٧٢-١٢٧٣هـ) أصدر فرماناً آخر يحمل نفس المضمون فمما ورد فيه: "لا يخفى أنه منذ ابتداء ظهور دولتنا العلية كانت الأحكام

---

(١) سورة آل عمران، الآية: (٢٦).

(٢) سورة الرعد، الآية: (١١).

القرآنية الجليلة والقوانين الشرعية المنيفة في غاية المراعاة الكاملة، ولذلك كانت قوة سلطتنا السنية، وراحة الرعايا ورفاهيتهم وعمار البلاد في غاية ما يكون من الكمال. ولكن منذ مائة وخمسين سنة، تم بعد انقياد، لا امتثال للشرع الشريف .. ولهذا تحولت تلك القوة إلى ضعف، والراحة إلى تعب، والعمار إلى الدثار وأية مملكة لا تقوم بحفظ القوانين الشرعية تؤول إلى الاضمحلال"[(١)].

وفي خطبة للسلطان عبدالحميد الثاني ﷺ ذكر ذات السبب لضعف الدولة حيث قال:

"بينما كانت ثروة الدولة والملة وسعادتها صاعدتين في درجة الترقي، أخذنا بالانحطاط تدريجياً بسبب قلة الانقياد للشرع الشريف، والقوانين الموضوعة، وتبدلت تلك القوة بالضعف"[(٢)].

مما سبق يظهر أن الدولة العثمانية قد اتخذت التصوف ديناً ومنهج حياة، ولما كان التصوف منهجاً منحرفاً عن المنهج الرباني، كانت له الآثار السلبية الكثيرة على نواحي الحياة – كما تبين ذلك سلفاً – وإن تلك الآثار لتنبئ عن دور التصوف في سقوط الدولة العثمانية؛ بل إن وجود أحدها كفيل بإسقاط الدولة التي تتبنى هذا الفكر، فكيف وقد اجتمعت آثاره السيئة على الدولة العثمانية ؟!!

هذا الانحطاط عقوبة ربانية وسنة كونية، ذلك أن التصوف أوقعها في محاذير أدت إلى سقوطها.

سنجليها من خلال المباحث التالية.

---

(١) الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، (٦٩/١-٧٠).

(٢) تاريخ شكيب، ص (٧٣٦).

المبحث الأول

علاقة الصوفية بمقومات التمكين

الاستخلاف في الأرض، والتمكين لدين الله فيها، وإبدال الخوف أمناً، والذل عزاً، وعد من الله سبحانه وتعالى لكل من يملك مقومات ذلك التمكين.

ومتى تخلت أي دولة عن هذه المقومات ولم تأخذ بها، لم ينجز الله تعالى لها وعده بالنصر والتمكين والاستخلاف.

قال الله تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾[1].

في هذه الآية بين الله تعالى لعباده مقومات التمكين التي تضمن لهم النصر والعز، فهل حققت الدولة العثمانية هذه المقومات؟!

أولاً: الإيمان بالله والعمل الصالح.

يذهب كثير من المتكلمين وغيرهم إلى أن الإيمان في اللغة مرادف للتصديق.

وقد انتقد شيخ الإسلام ﷺ ما ذهب إليه هؤلاء مبيناً أن الإيمان يكون بمعنى الإقرار وغيره.

الإيمان وإن كان في اللغة التصديق، فالتصديق يكون بالقلب واللسان وسائر الجوارح.

---

(١) سورة النور، الآية: (٥٥).

الإيمان وإن كان هو التصديق، فالتصديق التام القائم بالقلب مستلزم لما وجب من أعمال القلوب والجوارح [1].

وتابعه في ذلك ابن القيم ﷺ فقال:

"ونحن نقول: الإيمان هو التصديق، ولكن ليس التصديق مجرد اعتقاد المخبر دون الانقياد له، فالتصديق إنما يتم بأمرين، أحدهما: اعتقاد القلب، والثاني: محبة القلب وانقياده" [2].

ويقول: "فإن الإيمان ليس مجرد التصديق وإنما هو التصديق المستلزم للطاعة و الانقياد" [3].

ويقول الإمام أحمد بن محمد القسطلاني ﷺ:

"فليس حقيقة التصديق أن يقع في القلب نسبة التصديق إلى الخبر أو المخبر من غير إذعان وقبول، بل هو إذعان وقبول لذلك، بحيث يقع عليه اسم التسليم" [4].

وعليه فالتصديق وحده لا يعد إيماناً بل لابد مع التصديق إقرار وتسليم.

الإيمان شرعاً:

أجمع سلف الأمة رحمهم الله تعالى أن الإيمان قول وعمل، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية. وقد نقل الإجماع كثير من علماء الأمة الثقات منهم:

الإمام البخاري ﷺ يقول: "لقيت أكثر من ألف رجل من أهل العلم؛ أهل الحجاز ومكة والمدينة والكوفة والبصرة وواسط وبغداد والشام ومصر، لقيتهم كرات .. وهم متوافرون منذ أكثر من ست وأربعين سنة،.. فما رأيت

(١) الإيمان، ص (١٠٧).
(٢) الصلاة حكم تاركها، ابن القيم، ص (٦٢).
(٣) المرجع نفسه، ص (٧١).
(٤) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (١٢١/١).

واحداً منهم يختلف في أن الدين قول وعمل؛ وذلك لقول الله تعالى:

﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾(١) (٢).

وقال الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام رحمه الله: "هذه تسمية من كان يقول: الإيمان قول وعمل يزيد وينقص".

ثم عد رجالاً كثيرين من أهل مكة والمدينة واليمن ومصر والشام والكوفة والبصرة وأهل واسط، وأهل المشرق.

ثم قال: "هؤلاء جميعاً يقولون: الإيمان قول وعمل يزيد وينقص؛ وهو قول أهل السنة المعمول به عندنا"(٣).

هذه أقوال بعض أهل العلم في معنى الإيمان وحقيقته وأنه قول وعمل فالعمل الصالح هو جزء من الإيمان وهو المؤدي إلى زيادة الإيمان ونقصانه فالإيمان يزيد بعمل الطاعات أي بفعل العمل الصالح، وينقص بعمل المعاصي أي بترك العمل الصالح.

وقد جاءت الآيات المؤكدة على زيادة الإيمان ونقصانه.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ﴾(٤).

---

(١) سورة البينة، الآية: (٥).

(٢) ذكر قوله الإمام اللالكائي، في كتابه شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١٧٢/١)، وابن حجر في الفتح (٤٧/١).

(٣) الإيمان لابن تيمية، ص (٢٢١)، ولم أقف على هذا النص في كتاب الإيمان لأبي عبيد رحمه الله.

(٤) سورة الأنفال، الآيات: (٢-٤).

جمعت هذه الآيات بين عمل القلب وعمل الجوارح وقصرت الإيمان عليه بأداة القصر (إنما) واختتمها بقوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ ﴾ .

نقل الإمام أحمد رحمه الله عن الفضيل رحمه الله قوله في هذه الآية:

"إن هذه الآية تخبرك أن الإيمان قول وعمل، وأن المؤمن إذا كان مؤمناً حقاً فهو من أهل الجنة. فمن لم يشهد أن المؤمن حقاً من أهل الجنة فهو شاك في كتاب الله مكذب به، أو جاهل لا يعلم، فمن كان على هذه الصفة فهو مؤمن حقاً مستكمل الإيمان، ولا يستكمل الإيمان إلا بالعمل"[1].

ومن النصوص الشرعية الصريحة في تقرير حقيقة زيادة الإيمان ونقصانه قوله تعالى: ﴿لِيَزۡدَادُوٓاْ إِيمَٰنٗا مَّعَ إِيمَٰنِهِمۡۗ ﴾[2] وقوله سبحانه: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا ﴾[3].

وقال عزوجل: ﴿وَمَا زَادَهُمۡ إِلَّآ إِيمَٰنٗا وَتَسۡلِيمٗا ﴾[4].

وفي سنة المصطفى ﷺ ما يعضد ذلك، منها:

قوله ﷺ: "الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة، فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان"[5].

وفي حديث الشفاعة قال ﷺ: "فأقول: يا رب، أمتي، فيقال: انطلق فَأَخْرِجْ منها من كان في قلبه مثقال ذرة، أو خردلة من إيمان، فأنطلق فأفعل"[6].

---

(١) السنة للإمام عبدالله بن أحمد بن حنبل (٣٧٤/١).

(٢) سورة الفتح، الآية: (٤).

(٣) سورة التوبة، الآية: (١٢٤).

(٤) سورة الأحزاب، الآية: (٢٢).

(٥) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الإيمان، باب الحياء شعبة من الإيمان (٦/٢).

(٦) رواه البخاري في كتاب التوحيد، باب كلام الرب عزوجل يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم، ح (٧٥١٠)، (٤٧٣/١٣-٤٧٤).

وفي حديث تغيير المنكر قال ﷺ: "فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان"[1].

ولقد وعى الصحابة رضوان الله عليهم هذا الأمر، فهذا معاذ بن جبل ﷺ كان يقول للرجل من إخوانه: اجلس بنا فلنؤمن ساعة، فيجلسان فيذكران الله ويحمدانه"[2].

وكان ابن مسعود ﷺ يدعو: "اللهم زدنا إيماناً"[3].

وإلى هذا ذهب السلف الصالح رحمهم الله، فجاء تعريفهم للإيمان بأنه: قول وعمل يزيد وينقص".

علاقة الإيمان بالعمل الصالح:

من خلال ما تقرر في تعريف الإيمان يتبين أن العمل الصالح هو جزء من الإيمان، فلا يمكن أن يتحقق الإيمان دون وجود العمل الصالح، ولن يتحقق العمل الصالح بدون الإيمان.

والعمل الصالح هو مناط النجاة في الدنيا والآخرة، فهو الذي ينجي في الدنيا من سيف أهل الإيمان، وينجي في الآخرة من عذاب النيران.

ولم يثن الله عزوجل على المؤمنين بأنه قد رضي عنهم ورضوا عنه وأثابهم على ذلك الدخول إلى الجنة والنجاة من النار إلا بالإيمان والعمل الصالح، لم يدخلهم بالإيمان وحده حتى قرنه بالعمل الصالح. فصار الإيمان لا يتم إلا أن يصدق بالقلب، وينطق باللسان، ويعمل بالجوارح.

---

(١) صحيح مسلم مع النووي، كتاب الإيمان، باب وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (٢٥/١).

(٢) أخرجه بن أبي شيبة في الإيمان، ص (٣٥)، وأبو عبيد في الإيمان، ص (٧٢)، قال الألباني فيهما: صحيح على شرط الشيخين.

(٣) السنة لعبدالله بن أحمد بن حنبل (٣٦٩/١)، شرح العقيدة الطحاوية (٤٨٢/٢). قال الحافظ في الفتح إسناده صحيح (٤٨/١).

ولذلك لا يكاد يذكر الإيمان في موضع إلا ويتبعه العمل الصالح.

قال الله تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ ① إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ② إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ③﴾[1].

وقال الله سبحـانه: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ﴾[2].

وقال الله عزوجل: ﴿وَأُدْخِلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ ۖ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ﴾[3].

فالإيمان يأتي في نصوص الشارع مطلقاً، ويأتي مقروناً بالأعمال. فإذا جاء مطلقاً، فإن الأعمال تدخل فيه؛ لأنه صار بمعنى الدين، والدين قول وعمل.

أما إذا جاء مقروناً بالأعمال فهذا من قبيل عطف الخاص على العام للاهتمام به، وتنبيه المخاطب إلى شرفه وعدم إغفاله.

ومن الأدلة أيضاً: قوله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾[4].

فالأعمال بالجوارح تصديق عن الإيمان بالقلب واللسان، فمن لم يصدق الإيمان بعمله؛ ورضي لنفسه بالمعرفة والقول دون العمل لم يكن مؤمناً، ولم تنفعه المعرفة والقول، وكان تركه للعمل تكذيباً منه لإيمانه.

قال عز شأنه: ﴿فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ ۗ

---

(١) سورة العصر، الآية: (١-٤).
(٢) سورة الرعد، الآية: (٢٩).
(٣) سورة إبراهيم، الآية: (٢٣).
(٤) سورة البينة، الآية: (٥).

﴿ وَنُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيْمَٰنَهُم مِّنۢ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُواْ فِى دِينِكُمْ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَٰنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ ﴾[1].

فجعل سبحانه إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة شرطاً في تخلية السبيل، وعصمة الدم، واستحقاق الأخوة من المؤمنين، وجعل نقض ذلك موجباً للقتال على الكفر.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في تفسيرها: "ولهذا اعتمد الصديق رضي الله عنه في قتال مانعي الزكاة على هذه الآية الكريمة وأمثالها؛ حيث حرمت قتالهم بشرط هذه الأفعال، وهي الدخول في الإسلام والقيام بأداء واجباته، ونبه بأعلاها على أدناها، فإن أشرف الأركان بعد الشهادة الصلاة التي هي حق الله عزوجل، وبعدها أداء الزكاة التي هي نفع متعد إلى الفقراء والمحاويج، وهي أشرف الأفعال المتعلقة بالمخلوقين، ولهذا كثيراً ما يقرن الله بين الصلاة والزكاة"[2].

ولم تخل السنة النبوية من تقرير هذا الأصل العظيم.

من ذلك:

* حديث جبريل عليه السلام المشهور جاء فيه: "قال - أي جبريل عليه السلام: فأخبرني عن الإيمان ؟

قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره. قال: صدقت"[3].

وحديث شعب الإيمان وقد مر ذكره.

وحديث وفد عبد قيس وفيه أن النبي ﷺ سألهم: أتدرون ما الإيمان بالله؟

قالوا: الله ورسوله أعلم.

---

(١) سورة التوبة، الآية: (١١-١٢).

(٢) تفسير ابن كثير (٥٤/٤).

(٣) صحيح مسلم مع النووي، كتاب الإيمان، باب تعريف الإسلام والإيمان (١٥٧/١-١٦٠).

قال: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وأن تؤدوا خمساً من المغنم"[1].

دلت هذه الأحاديث الثلاثة - وهي تشير إلى ما سواها من أحاديث الإيمان - أن الإيمان يشمل الظاهر والباطن معاً، فمضمونها يدل على أن الإيمان حقيقة مركبة من الأعمال الظاهرة والأعمال الباطنة معاً، لا يصح تصور أحدهما دون الآخر في تحقيق الإيمان.

فمن ترك العمل الظاهر فقد ترك ركن الإيمان، ومن زعم أن الإيمان يتحقق لأحد بدون العمل الظاهر فضلاله بيِّن.

وعلى هذا نص علماء الإسلام وشراح السنة، يقول الإمام البغوي رحمه الله في شرح حديث جبريل عليه السلام:

"جعل النبي ﷺ في هذا الحديث الإسلام اسماً لما ظهر من الأعمال، وجعل الإيمان اسماً لما بطن من الاعتقاد، وليس ذلك لأن الأعمال ليست من الإيمان، والتصديق بالقلب ليس من الإسلام؛ بل ذلك تفصيل لجملة هي كلها شيء واحد، وجماعها الدين؛ ولذلك قال: (ذلك جبريل أتاكم يعلمكم أمر دينكم). والتصديق والعمل يتناولهما اسم الإيمان والإسلام جميعاً، ويدل عليه قوله سبحانه ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[2]، فأخبر أن الدين الذي رضيه ويقبله من عباده هو الإسلام، ولن يكون الدين في محل القبول والرضا إلا بانضمام التصديق إلى العمل"[3].

وعن حديث شعب الإيمان يقول الإمام الخطابي رحمه الله:

"في هذا الحديث بيان أن الإيمان الشرعي اسم لمعنى ذي شعب وأجزاء، له

---

(١) المرجع نفسه، الكتاب السابق، باب بيان الإيمان، (١٨٨/١).

(٢) سورة المائدة، الآية: (٣).

(٣) شرح السنة (١٠/١).

أدنى وأعلى، والاسم يتعلق ببعضها كما يتعلق بكلها، والحقيقة تقتضي جميع شعبه، وتستوفي جملة أجزائه؛ كالصلاة الشرعية، لها شعب وأجزاء، والاسم يتعلق ببعضها، والحقيقة تقتضي جميع أجزائها وتستوفيها"[1].

إذاً العمل الصالح هو جزء من الإيمان الذي هو قول وعمل، فقد بين شيخ الإسلام ﷺ أن مقتضى التعريف أن يكون العمل الصالح من الإيمان يقول ﷺ: "أجمع السلف أن الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص؛ ومعنى ذلك أنه قول القلب وعمل القلب، ثم قول اللسان وعمل الجوارح"

فأما قول القلب: فهو التصديق الجازم بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ويدخل فيه الإيمان بكل ما جاء به الرسول ﷺ.

وهذا التصديق يتبعه عمل القلب: وهو حب الله ورسوله ﷺ وتعظيم الله ورسوله ﷺ، و تعزير الرسول ﷺ وتوقيره، وخشية الله والإنابة إليه والإخلاص له والتوكل عليه، إلى غير ذلك.

فهذه الأعمال القلبية كلها من الإيمان، وهي مما يوجبها التصديق والاعتقاد إيجاب العلة للمعلول.

ويتبع الاعتقاد قول اللسان، ويتبع عمل القلب عمل الجوارح من الصلاة والزكاة والصوم والحج ونحو ذلك"[2].

وبهذا قال الإمام ابن القيم ﷺ:

"إن الإيمان قول وعمل؛ والقول قول القلب واللسان، والعمل عمل القلب والجوارح، وبيان ذلك أن من عرف الله بقلبه ولم يقر بلسانه لم يكن مؤمناً ..

وكذلك من قال بلسانه ما ليس في قلبه، لم يكن بذلك مؤمناً، بل كان من

(١) شرح النووي على صحيح مسلم (١/١٤٥).

(٢) مجموع الفتاوى (٧/٦٧٢).

المنافقين. وكذلك من عرف بقلبه وأقر بلسانه، لم يكن بمجرد ذلك مؤمناً، حتى يأتي بعمل القلب من الحب والبغض والموالاة والمعاداة، .. ويستسلم بقلبه لله وحده، وينقاد لمتابعة رسوله ﷺ وطاعته، والتزام شريعته ظاهراً وباطناً .. فهذه الأركان الأربعة، هي أركان الإيمان التي قام عليها بناؤه"[1].

فإذا علمنا هذا، تبين أن وعد الله تعالى لعباده إنما هو للمحققين لهذا الإيمان قولاً وعملاً، هذا الإيمان هو الطريق للتمكين، والعز، وللحياة الطيبة. قال تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾[2].

يقول الحافظ ابن كثير رحمه الله:

"هذا وعد من الله تعالى لمن عمل صالحاً، وهو العمل التابع لكتاب الله تعالى، وسنة نبيه ﷺ من ذكر أو أنثى من بني آدم، وقلبه مؤمن بالله ورسوله بأن يحييه الله حياة طيبة في الدنيا، وأن يجزيه بأحسن ما عمله في الدار الآخرة. والحياة الطيبة تشمل وجوه الراحة في أي جهة كانت"[3].

عاش المسلمون الأُوَل حياة العز والتمكين، حينما فهموا من الإيمان أنه قول وعمل، وحينما أدركوا أن العمل الصالح لا ينحصر في ميدان واحد من ميادين الحياة؛ بل هو ممارسة منهج الله تعالى في واقع الحياة، فكل ميدان ونشاط هو مكان يمارس المؤمن فيه إيمانه ويطبق منهج ربه، حتى أن الإسلام قد عد أعمالاً كثيرة اعتبرها من الأعمال الصالحة التي يؤجر عليها المسلم وتكون له بها صدقة.

روى الإمام مسلم رحمه الله عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:

---

(١) عدة الصابرين، ص (١٤١).

(٢) سورة النحل، الآية: (٩٧).

(٣) تفسير القرآن العظيم (٥٨٦/٢).

"كل سلامى من الناس عليه صدقة، كل يوم تطلع فيه الشمس قال تعدل بين الاثنين صدقة، وتعين الرجل في دابته فتحمله عليها أو ترفع له عليها متاعه صدقة، قال والكلمة الطيبة صدقة، وكل خطوة تمشيها إلى الصلاة صدقة، وتميط الأذى عن الطريق صدقة"[1].

وعنده من حديث أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

"ما من مسلم يغرس غرساً أو يزرع زرعاً فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة"[2].

هذا التطبيق هو الذي مكَّن للأمة في الأرض، وأعزها بعد ذل وهذه سنة الله في الكون .

قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴾[3].

يخبر الله تعالى في هذه الآية عما حتمه وقضاه لعباده الصالحين من السعادة في الدنيا والآخرة ووراثة الأرض في الدنيا.

كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[4] وأخبر سبحانه أن هذا مسطور في الكتب الشرعية، والقدرية، وهو كائن لا محالة [5].

ظلت الأمة في عزها وتمكنها حتى غيرت وبدلت فأجرى الله تعالى سنته فغير عليها وأبدل عزها ذلاً، وتمكنها ضعفاً، ذل المسلمون حينما تخلوا عن هذا

---

(١) صحيح مسلم مع النووي، كتاب الزكاة، باب كل نوع من المعروف صدقة (٧/٩٤-٩٥).
(٢) المرجع السابق، كتاب المساقاة والزروع، باب فضل الغرس والزرع (١٠/٢١٥).
(٣) سورة الأنبياء، الآية: (١٠٥).
(٤) سورة الأعراف، الآية: (١٢٨).
(٥) تفسير القرآن العظيم (٣/٢٠٢).

المفهوم وأصبح الإيمان لديهم قول دون عمل.

يقول سيد قطب رحمه الله :

"حيثما اجتمع إيمان القلب، ونشاط العمل في أمة فهي الوارثة للأرض في أي فترة من فترات التاريخ. ولكن حين يفترق هذان العنصران فالميزان يتأرجح. وقد تقع الغلبة للآخذين بالوسائل المادية. حين يهمل الأخذ بها من يتظاهرون بالإيمان، وحين تفرغ قلوب المؤمنين من الإيمان .. فما على أصحاب الإيمان إلا أن يحققوا إيمانهم، ليتحقق وعد الله، وتجري سنته"[1].

الإيمان بهذا المفهوم (قول وعمل) هو الدواء لكل أزمة تمر بها الأمة، والطريق لكل تقدم، والأساس لكل تمكين..

لكن متى كان مفهوم الإيمان (قولاً بلا عمل)، فلن تجني الأمة تقدماً ولا تمكيناً، وستظل ذليلة تعاني من غلبة العدو، والتبعية له في الغذاء، والكساء، والدواء، بل وفي الفكر أيضاً.

ثانياً: العبادة

هي المقوم الثاني من مقومات التمكين، وذلك بحسب ترتيبها في الآية قال تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾[2].

والعبادة كما عرفها ابن تيمية رحمه الله : "اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة"[3].

---

(١) في ظلال القرآن (٤/٢٤٠٠).

(٢) سورة النور، الآية: (٥٥).

(٣) العبودية، ص (٨).

وهي العهد الذي أخذه الله تعالى على بني آدم، قال تعالى:

﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾[(١)].

وهي الغاية التي من أجلها خلق الله الخلق، قال سبحانه:

﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[(٢)].

وهي الدعوة التي جاء بها الرسل، والنداء الأول الذي ينادي به كل رسول قومه.

قال الله سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾[(٣)].

وهي حق الله على عباده، فعن معاذ بن جبل ﷺ قال: كنت ردف النبي ﷺ، ليس بيني وبينه إلا مؤخرة الرحل فقال: يا معاذ بن جبل، قلت: لبيك يا رسول الله وسعديك. ثم سار ساعة ثم قال: يا معاذ بن جبل قلت: لبيك رسول الله وسعديك. ثم سار ساعة ثم قال: يا معاذ بن جبل قلت: لبيك رسول الله وسعديك قال: هل تدري ما حق الله على العباد؟ قال: قلت: الله ورسوله أعلم. قال: فإن حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا. ثم سار ساعة ثم قال: يا معاذ بن جبل، قلت: لبيك رسول الله وسعديك. قال: هل تدري ما حق العباد على الله إذا فعلوا ذلك؟ قال: قلت: الله ورسوله أعلم.قال: ألا يعذبهم"[(٤)].

---

(١) سورة يس، الآية: (٦٠-٦١).

(٢) سورة الذاريات، الآية: (٥٦).

(٣) سورة النحل، الآية: (٣٦).

(٤) صحيح مسلم مع النووي، كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة (١/٢٣٠-٢٣٢).

هذه العبادة هي التطبيق الواقعي لحقيقة (لا إله إلا الله)، عبودية خالصة من كل شوائب الشرك ﴿يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾.

ينفي بها المؤمن كل ما عبد من دون الله تعالى، فلا عبودية للمشايخ، ولا توسل بالموتى، ولا استغاثة بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله، ولا تبرك ولا تمسح ولا تقبيل إلا لما شرعه الله تعالى، ولا ذبح ولا نذر إلا لله تعالى.

ولخطر الشرك على المسلم؛ بين العلماء من أهل السنة والجماعة الشرك وأنواعه وأسبابه، ودعوا إلى محاربته ومحاربة أهله، كما بينوا أن الإيمان لا يتم، والعمل الصالح لا يقبل إلا بترك الشرك كبيره وصغيره.

ولقد وردت النصوص الكثيرة التي تحذر من الوقوع في الشرك، وأنه أعظم ذنب عصي الله تعالى به.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾[1].

وقال الله سبحانه: ﴿إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾[2].

وقال الله عزوجل: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[3].

والأحاديث الواردة في التحذير منه كثيرة أيضاً، بل لقد أمضى النبي ﷺ دعوته في مكة في محاربة الشرك وبيان بطلانه؛ لأنه ما لم تستقر العقيدة الصافية في القلوب فلن تثمر إيماناً صحيحاً يؤتي عملاً صالحاً.

(١) سورة النساء، الآية: (٤٨).
(٢) سورة المائدة، الآية: (٧٢).
(٣) سورة الزمر، الآية: (٦٥).

روى الإمام مسلم رحمه الله عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "من مات يشرك بالله شيئاً دخل النار"[١].

وله عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "من لقي الله لا يشرك به شيئاً دخل الجنة"[٢].

فالواجب على الدولة التي تريد أن يمكّن الله لها في الأرض أن تدعو الناس إلى اعتناق العقيدة الصحيحة الخالية من شوائب الشرك، وتحارب الشرك وأهله، وأهل البدع والضلال، وتنقي الأمة من البدع القولية والاعتقادية، ومن البدع الفعلية العملية، وتربيها على إخلاص العبادة لله تعالى، فلا استغاثة إلا به، ولا نذر ولا ذبح إلا له وحده، ولا قباب، ولا تعلية، ولا سُرج، ولا تمسح ولا تبرك ولا طواف ولا تقبيل ولا توسل، ولا تعظيم بأي شكل من الأشكال، وتحرص على حماية المجتمع من وسائل الشرك والطرق المؤدية إليه.

ذلك أن تفشي الشرك في أي دولة، ومساندتها له وتشجيعه مادياً ومعنوياً انحراف عن هدي الله تعالى، فمن أعظم الظلم وأبعد الضلال تسوية غير الله بالله قال تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[٣].

ومتى تفشى الشرك في دولة فهو إيذان بسقوطها، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾[٤].

فالأمن من عذاب الدنيا والآخرة إنما يكون لمن آمن ولم يشرك بالله شيئاً، تكون الدولة آمنة من عذاب الجوع، وعذاب الخوف، وعذاب السقوط.

متى ما حققت التوحيد الصحيح الخالي من شوائب الشركيات ..

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب من مات لا يشرك بالله شيئاً (٩٤/١).

(٢) المرجع السابق، الكتاب والباب السابقين (٩٤/١).

(٣) سورة لقمان، الآية: (١٣).

(٤) سورة الأنعام، الآية: (٨٢).

وإذا كانت الدولة على خطر من تفشي الشرك في العبادة، فهي على خطر أيضاً إذا لم يدرك مسلموها المعنى الحقيقي للعبادة. العبادة – كما يظهر من تعريف شيخ الإسلام لها – ليست محصورة في مناسك التعبد فقط، فهي على أهميتها جزء من العبادة وليست كل العبادة.

يقول سيد قطب ﷺ:

"وليس في التصور الإسلامي نشاط إنساني لا ينطبق عليه معنى العبادة أو لا يطلب فيه تحقيق هذا الوصف. والمنهج الإسلامي كله غايته تحقيق معنى العبادة، أولاً وأخيراً .. والنشاط الإنساني لا يكون متصفاً بوصف العبادة .. إلا حين يتم النشاط وفق المنهج الرباني؛ فيتم بذلك إفراد الله سبحانه بالألوهية؛ والاعتراف له وحده بالعبودية"[1].

ويقول في موضع آخر:

"والواقع أنه لو كانت حقيقة العبادة هي مجرد الشعائر التعبدية ما استحقت كل هذا الموكب الكريم من الرسل والرسالات؛ وما استحقت كل هذه الجهود المضنية التي بذلها الرسل عليهم السلام.. إنما الذي استحق كل هذا هو إخراج البشر جملة من الدينونة للعباد وردهم إلى الدينونة لله وحده في كل أمر وفي كل شأن؛ وفي منهج حياتهم كله للدنيا والآخرة سواء"[2].

بهذا المفهوم الشامل للعبادة حققت الأمة في عصورها الأولى ما لم تستطع تحقيقه في أي وقت آخر لقد دكت حصون الشرك شرقاً وغرباً، وأقامت دين الله تعالى على أرضه، وأنشأت حركتها العلمية، وحضارتها السامقة.

إلا أن الأمة لم تحافظ على استمرار هذا المفهوم الصحيح، ففقدت العبادة في الدولة العثمانية لدى كثير من الناس حقيقتها، كانت مجرد صلوات وأذكار.

---

(١) في ظلال القرآن (١٩٣٧/٤)، تفسير سورة هود.
(٢) المرجع السابق (١٩٠٣/٤)، تفسير سورة هود.

صلوات مبتدعة ما أنزل الله بها من سلطان كصلاة ليلة النصف من شعبان وصلاة الرغائب وغيرها.

وأذكار تحمل من بدع الرقص والمزامير والألفاظ الشركية واختلاط النساء بالرجال ما يخالف حقيقة العبادة المأمور بها شرعاً.

إن ما حل بالمسلمين من تأخر حضاري، وعلمي، وعسكري، وسياسي، ومادي، واجتماعي .. لم يكن سببه أنهم مسلمون، وإنما سببه الأصيل هو فساد تصور المسلمين، وفساد سلوكهم، وإفراغ الإسلام من محتواه.

فيوم كانت ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾[1] عبادة، لم يجرؤ أحد على احتلال أرض المسلمين، واستلاب خيراتها.

ويوم كانت ﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ﴾[2] عبادة، كانت المجتمعات الإسلامية أغنى مجتمعات الأرض.

ويوم كانت ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾[3] عبادة، لم تكن للمرأة المسلمة قضية؛ لأن كل الحقوق التي أمر الله لها بها كانت تؤدى إليها طاعة لله وعبادة له.

ويوم كان (طلب العلم فريضة)[4] عبادة، لم يكن هناك تخلف علمي، بل كانت الأمة الإسلامية هي أمة العلم التي تعلمت أوربا في مدارسها.

---

(١) سورة الأنفال، الآية: (٦٠).

(٢) سورة الملك، الآية: (١٥).

(٣) سورة النساء، الآية: (١٩).

(٤) رواه ابن ماجة، في مقدمة سننه باب (١٧) فضل العلماء والحث على طلب العلم، جزء من حديث أنس ﷺ (٨١/١). نقل المناوي في (فيض القدير) (٢٦٧/٤) عن السيوطي أنه قال جمعت له خمسين طريقاً وحكمت بصحته لغيره. وقواه السخاوي في المقاصد الحسنة حديث رقم (٦٦٠) ص (٢٧٥). قال الألباني صحيح دون قوله وواضع العلم فإنه ضعيف جداً.
انظر: صحيح الجامع الصغير رقم (٣٩١٣) (٧٢٧/٢).

ويوم كانت (فكلكم راع، وكلكم مسؤول عن رعيته)[1] عبادة، وكان ولي الأمر يستشعر أنه راع، وأن الله سائله عن رعيته؛ لم يكن للفقراء في المجتمع المسلم مشكلة"[2].

وعليه فأي دولة من الدول أو أمة من الأمم تبحث لنفسها عن نصر وتمكين، وأمن وعز أن تحقق العبودية الحقة وتخلصها من براثن الشرك، وأن تجعلها شاملة لجميع نواحي حياتها ..

حينئذ تنتظر وعد الله لها ومن أوفى بعهده من الله ؟!

أما إذا لم تكن كذلك فلا تنتظر أن يتحقق لها وعد الله ولو تمسكت بالإسلام ظاهراً.

ثالثاً: العلم

من أهم مقومات التمكين لأي دولة أخذها من العلم النافع بحظ وافر في جميع المجالات التي تضمن لها الريادة، والأخذ بزمام الأمور. أما الأمم المتخلفة عن ركب العلم فلن يكون لها في التمكين والعز مكان.

وقد تعددت الآيات القرآنية التي ترفع من شأن العلم والعلماء، وتبين قدرهم وفضلهم في الأمة، ويكفي العلم شرفاً أن أول ما نزل على نبينا محمد ﷺ ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾[3].

وأن الله قد أمر نبيه ﷺ بطلب الزيادة منه، قال تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا﴾[4].

ومن الأدلة التي تبين شرف العلم والعلماء قوله تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ

---

(١) صحيح البخاري مع الفتح، كتاب النكاح، باب المرأة راعية في بيت زوجها، ح (٥٢٠٠)، (٢٩٩/٩)، وصحيح مسلم مع النووي، كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل، (٢١٣/١٢).

(٢) مفاهيم ينبغي أن تصحح، ص (٢٥٠-٢٥١).

(٣) سورة العلق، الآية: (١).

(٤) سورة طه، الآية: (١١٤).

إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[1].

قال الشيخ عبدالرحمن السعدي ﷺ عند تفسيره لهذه الآية:

"في هذه الآية فضيلة العلم والعلماء؛ لأن الله خصَّهم بالذكر من دون البشر، وقرن شهادتهم بشهادته، وشهادة ملائكته، وجعل شهادتهم من أكبر الأدلة والبراهين على توحيده ودينه وجزائه، وأنه يجب على المكلفين قبول هذه الشهادة العادلة الصادقة.

وفي ضمن ذلك: تعديلهم، وأن الخلق تبع لهم، وأنهم هم الأئمة المتبوعون، وفي هذا من الفضل والشرف، وعلو المكانة، ما لا يقادر قدره"[2].

ومنها قوله تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ ﴾[3].

ومنها قوله سبحانه: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴾[4].

ولا تقل السنة النبوية عن القرآن الكريم في بيان أهمية العلم وفضل العلماء، قال النبي ﷺ: "العلماء ورثة الأنبياء"[5].

روى الإمام مسلم ﷺ عن أبي هريرة ﷺ قال:

قال ﷺ: ".. ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به

---

(١) سورة آل عمران، الآية: (١٨).

(٢) تفسير الكريم الرحمن، ص (١٠٣).

(٣) سورة المجادلة، الآية: (١١).

(٤) سورة العنكبوت، الآية: (٤٣).

(٥) قطعة من حديث أبي الدرداء ﷺ أخرجه أبو داود في سننه، كتاب العلم، باب فضل العلم انظر بذل المجهود (٣٢٧/١٥)، والترمذي في سننه، كتاب العلم، باب فضل الفقه على العبادة، ح (٢٦٨٢)، (٤٩/٥)، وأحمد في مسنده (١٩٦/٥). صححه الألباني في صحيح الجامع الصغير، رقم (٦٢٩٧) (١٠٧٩/٢).

طريقاً إلى الجنة .. "[1].

وعنه ﷺ قال: "من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين"[2].

هذه الأحاديث تبين فضل العلم الشرعي، ويدخل في الحث على طلب العلم وبيان ثوابه كل علم تنتفع به الأمة ولا ضرر فيه بوجه من الوجوه.

فعلى الأمة أن تأخذ بالعلم الذي يعين المسلم على إقامة دين الله تعالى ونشره والتمكين له في الأرض بشتى الوسائل المتاحة، فينبغي للأمة أن تتقن كل ما ينفعها وتحتاج إليه.

لقد اعتقد كثير من الناس أن الدين لا علاقة له بالعلوم الأخرى ولسان حالهم يقول: من أراد العلوم المادية وسعى إليها وأبدع فيها فليتخلَّ عن الدين، ومن أراد الدين فليلزم المساجد والتكايا ليقيم الأوراد والأذكار ولا يلتفت إلى الدنيا وما فيها !!

والحق أن المنهج الإسلامي ليس عدواً للعلم المادي أو التجريبي، وإنما هو دافع له، وموجه له الوجهة الصحيحة؛ ذلك كي ينهض الإنسان بمقام الخلافة في الأرض، وليمكن لدين الله تعالى بكل الطاقات التي وهبه الله إياها ولكن مع الأسف غفلت الأمة قروناً عديدة عن هذه الحقيقة بسبب الفكر السيء المنتشر آنذاك بالفصل بين العلم والدين. فتخلف المسلمون في كل المجالات. فأين نحن من علوم الطب، والصيدلة، والهندسة، والاقتصاد وفنون القتال في البر والبحر ؟!!

كيف ستحمي أي دولة لم تأخذ بهذا العلم دينها، وترد أعداءها؟!

كيف يمكنها وهي لم تأخذ بهذا العلم أن تصنع لنفسها ترسانة حربية ترهب

---

(١) صحيح مسلم مع النووي، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر (٢١/١٧).

(٢) رواه البخاري في كتاب العلم، باب (من يرد الله به خيراً يفقهه)، جزء من حديث رقم (٧١)، (٣١/١).

بها عدو الله وعدوها ؟!

كيف تعمر الأرض وتقوي نفوذها الاقتصادي لتكون لها الكلمة العليا ؟!

إن وعد الله تعالى بالتمكين والعزة يكون متى ما قام المسلمون بواجبهم تجاه العلم بكل فروعه التي يحتاجها المسلمون.

يقول أبو الحسن الندوي رحمه الله:

"إن العالم الإسلامي إذا أراد أن يرجع إلى ماضيه العريق، ومجده التليد، وإذا أراد أن يستأنف الحياة، وإذا كان يطمح إلى القيادة والريادة، وإذا كان يريد أن يتحقق وعد الله تعالى له بالتمكين، فلابد إذاً من الزعامة العلمية، وما هي بالأمر الهين.

إنها تحتاج إلى تفكير عميق، وحركة تدوين وتأليف واسعة، وقفزة هائلة في كافة المجالات العلمية، وإنها لمهمة تنوء بالعصبة أولي القوة، فلابد أن يتعاون الجميع على النهوض بها، ولابد أن يتصدر هذه المهمة المخلصون من هذه الأمة في كافة المجالات والتخصصات، فيضعون منهاجاً تعليمياً يجمع بين محكمات الكتاب والسنة، وحقائق الدين التي لا تتبدل، وبين العلوم العصرية النافعة. ويدونون العلوم العصرية للشباب المسلم على أساس الإسلام، وبروح الإسلام، وفيها كل ما يحتاج إليه النشء الجديد، مما ينظمون به حياتهم، ويحافظون به على كيانهم، ويستغنون به عن غيرهم، ويستخرجون به كنوز أرضهم، وينتفعون بخيرات بلادهم.

وبذلك ينهض العالم الإسلامي، ويؤدي رسالته، وينقذ العالم من الانهيار الذي يهدده؛ فليست القيادة بالهزل، إنما هي جد الجد فتحتاج إلى جد واجتهاد، وكفاح وجهاد واستعداد أي استعداد"[1].

(١) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، ص (١٤٠).

بعد هذا العرض لمقومات التمكين (الإيمان بالله والعمل الصالح - العبادة - العلم) فإن السؤال المطروح.

هل عمل التصوف على تحقيق هذه المقومات لدى الدولة العثمانية أم أنه كان عائقاً من عوائق التمكين ؟!!

أثبت البحث - في الفصول السابقة - أن التصوف كان عائقاً من عوائق التمكين للدولة العثمانية.

فأنى للدولة العثمانية أن تُمكَّن في الأرض دون أن تحقق الإيمان قولاً وعملاً ومنهج حياة، بل ينشر التصوف بينهم عقيدة وحدة الوجود التي تخلع الإيمان من القلوب ؟!

وكيف يتصور أن يُمكَّن للدولة العثمانية وهي ترى التصوف لم يحقق عملاً صالحاً تطيب به الحياة، بل يستهان فيه بما أمر الله به من الفرائض، وترتكب المحرمات، وتكمم الأفواه عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ؟!

كيف يُمكَّن لها وهي لم تحقق العبودية الحقة التي يريدها الله تعالى ويأمر بها، بل انحرفت عقيدتها عن كتاب ربها وسنة نبيه ﷺ فنشرت الشرك بدعمها للتصوف الداعي إلى تعظيم المشايخ والأولياء والتعلق بالأحياء منهم، والاستغاثة والذبح للأموات من دون الله، وبناء المساجد على قبورهم؟!

كيف يُمكَّن لها وقد أشاعت البدع بين ظهراني المسلمين وخاصة بدع المقابر، فتراهم يطوفون حولها، ويستلمونها، ويقبلونها، ويبنون عليها القباب، ويغطونها بالستور والأكسية.

وأقامت لهم المولد النبوي وأوقفت له الأوقاف، ونشرته في طول البلاد وعرضها؟!

كيف يُمكَّن لها وقد امتلأت الدولة بالتكايا والزوايا التي تتلى فيها أوراد وأحزاب ما أنزل الله بها من سلطان تحمل من الشركيات والاستغاثات بغير الله

ما يستجلب غضب الله تعالى؟!

كيف يمكّن لها وكثير من تكاياها وزواياها تتخذ دين الله لهواً ولعباً بإقامة حلقات السماع والرقص ؟!

كيف يمكّن لها وقد امتلأت التكايا بالمريدين الكسالى الذين تركوا العلم والعمل وتفرغوا للهو والعبث، فلاهم أحسنوا العلم بدينهم، ولا العمل له؟!

كيف يمكّن لها وفيها من تخلى عن قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [1] وتمسك بقراءة صحيح البخاري لاستنزال النصر؟!

كيف يمكن لها وقد ابتعدت عن منهج الله علماً وعملاً ؟!

إن هذه المقومات تمثل منهج الله تعالى في الحياة. فكل أمة حكّمت هذا النهج في حياتها، وارتضته في جميع شؤونها، تحقق لها ما وعدها الله به من الاستخلاف والتمكين والأمن.

وأي أمة خالفت هذا النهج حصل لها التخلف، والذل، واستبد بها الخوف، وتخطفها الأعداء، وكان ذلك إيذاناً بأفول شمسها وقد جرت هذه السنة الكونية على الدولة العثمانية كما جرت على غيرها.

قال تعالى: ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ [2].

---

(١) سورة الأنفال، الآية: (٦٠).

(٢) سورة فاطر، الآية: (٤٣).

المبحث الثاني

علاقة الصوفية بالجهاد في سبيل الله

*** أهمية الجهاد في سبيل الله :**

الجهاد ذروة سنام الإسلام، به أقام الله تعالى الدين، ورد كيد الأعداء، شرعه سبحانه ليملي كلمته، ويقيم حجته، وليكون الطريق إلى العز والتمكين والحياة الرفيعة. وصفه بالحياة، قال الله سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ ﴾[1].

يعلق الإمام ابن القيم رحمه الله على الآية قائلاً:

(لما يحييكم) يعني للحرب التي أعزكم الله بها بعد الذل، وقواكم بعد الضعف، ومنعكم بها من عدوكم بعد قهرهم لكم ..

الجهاد من أعظم ما يحييهم به في الدنيا، وفي البرزخ، وفي الآخرة.

أما في الدنيا فإن قوتهم، وقهرهم لعدوهم بالجهاد.

وأما في البرزخ فقد قال تعالى: ﴿ وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ ﴾[2].

وأما في الآخرة فإن حظ المجاهدين والشهداء من حياتها ونعيمها أعظم من حظ غيرهم[3].

لذا فلا عجب أن نجد في القرآن الكريم الكثير من الآيات التي تحرض المؤمنين على القتال، وترغبهم فيه، وتعد عليه بالجزاء العظيم، بجنة عرضها

---

(١) سورة الأنفال، الآية: (٢٤).

(٢) سورة آل عمران، الآية: (١٦٩).

(٣) الفوائد، ص (٨٠).

السماوات والأرض.

قال الله تعالى مقرراً فرضية الجهاد: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[1].

وقال الله عزوجل: ﴿انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[2].

وعن جزائه قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[3].

وقال الله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[4].

جاءت السنة النبوية مدعمة لهذه الآيات.

فعن أبي سعيد الخدري ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: يا أبا سعيد "من رضي بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد نبيا وجبت له الجنة" فعجب لها أبو سعيد، فقال: أعدها عليَّ يا رسول الله. ففعل، ثم قال: "وأخرى يرفع الله بها العبد مائة درجة في الجنة، ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض" قال: وما هي يا رسول

(١) سورة البقرة، الآية: (٢١٦).
(٢) سورة التوبة، الآية: (٤١).
(٣) سورة التوبة، الآية: (١١١).
(٤) سورة الصف، الآية: (١٠-١١).

الله؟ قال: "الجهاد في سبيل الله، الجهاد في سبيل الله"[(١)].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: سئل النبي ﷺ ما يعدل الجهاد في سبيل الله عزوجل؟ قال: "لا تستطيعونه" قال فأعادوا عليه مرتين أو ثلاثاً، كل ذلك يقول: "لا تستطيعونه". وقال في الثالثة: "مثل المجاهد في سبيل الله، كمثل الصائم القائم القانت بآيات الله، لا يفتر من صيام ولا صلاة حتى يرجع المجاهد في سبيل الله تعالى"[(٢)].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: سمعت النبي ﷺ يقول: "والذي نفسي بيده، لولا أن رجالاً من المؤمنين لا تطيب أنفسهم أن يتخلفوا عني، ولا أجد ما أحملهم عليه، ما تخلفت عن سرية تغدو في سبيل الله، والذي نفسي بيده لوددت أني أقتل في سبيل الله ثم أحيا، ثم أقتل ثم أحيا، ثم أقتل ثم أحيا، ثم أقتل"[(٣)].

أدرك المسلمون من خلال هذه النصوص مدى أهمية الجهاد في حياتهم، فاندفعوا نحوه باذلين أنفسهم وأموالهم، واضعين نصب أعينهم أنهم بذلك يحققون الحماية لهذا الدين، والحماية للمسلمين في أنفسهم وأموالهم وثرواتهم، وتبليغ رسالة الله تعالى إلى خلقه أجمعين ليخرجوهم من الظلمات إلى النور ومن عبادة العباد إلى عبادة رب العباد.

ويظهر وعيهم لهذه الحقيقة في قول ربعي بن عامر[(٤)] ﷺ رسول قائد

---

(١) صحيح مسلم مع النووي، كتاب الجهاد، باب بيان ما أعده الله للمجاهدين (٢٨/١٣).

(٢) المرجع السابق، كتاب الجهاد، باب فضل الشهادة (٢٤/١٣-٢٥).

(٣) صحيح البخاري مع الفتح، كتاب الجهاد، باب تمني الشهادة، ح (٢٧٩٧)، (١٦/٦)، صحيح مسلم مع النووي، كتاب الجهاد، باب فضل الجهاد والخروج في سبيل الله، (٢٠/١٣).

(٤) ربعي بن عامر بن خالد بن عمرو، صحابي جليل، كان من أشراف العرب، أمد به عمر بن الخطاب المثنى بن حارثة، وله ذكر في غزوة نهاوند.
انظر: تاريخ الأمم والملوك (٢٤٥/٣)، الإصابة (٣٤٩/١).

المسلمين إلى رستم ملك الفرس لما سأله عن سبب مجيئهم:

"إن الله ابتعثنا لنخرج من يشاء من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام"[1].

استمرت الأمة متمسكة بهذا الحق فترة طويلة من الزمن، كان فيها الجهاد سمة أصيلة من سماتها، وعنصراً أساسياً في بناء كيانها واستمرار وجودها، رغم ما يعتريها من ضعف وتخاذل وانهزام في بعض الفترات العصيبة التي مرت بها.

وهكذا كان الحال حتى زمن الدولة العثمانية، فهي دولة قامت على الجهاد ولم تتخل عنه حتى آخر أيامها إلا أن انتشار الطرق الصوفية ودعم السلاطين لها، كان له أثر كبير في تثبيط همم المسلمين، وتوهين قيمة الجهاد في نفوسهم.

وكان الخطر الحقيقي على الجهاد التقاعس عن اكتساب العلوم الحربية الحديثة. كل ذلك كان نتاجاً طبيعياً لنظرة المتصوفة إلى الجهاد.

*** نظرة الصوفية إلى الجهاد:**

لا يزال الصوفية قديماً وحديثاً يعتقدون أن جهاد النفس بالرياضات والأوراد أكبر من الجهاد بالسيف، ولعل في المساجلة التي سطرها السهروردي بين مجاهد وصوفي ما يؤكد هذا الاعتقاد.

وفيها أن المجاهد كتب إلى أخيه الصوفي يستدعيه إلى الغزو.

فكتب إليه الصوفي: يا أخي كل الثغور مجتمعة لي في بيت واحد، والباب عليّ مردود.

فكتب المجاهد: لو كان الناس كلهم على ما لزمته لاختلت أمور المسلمين وغلب الكفار، فلابد من الغزو والجهاد.

فرد عليه الصوفي: لو لزم الناس ما أنا عليه وقالوا في زواياهم على

---

(١) البداية والنهاية (٧/٤٤).

سجادتهم: الله أكبر انهدم سور القسطنطينية !!![1]

وقال بعض المتصوفة في قوله تعالى: ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ﴾[2]: هو مجاهدة النفس والهوى، وذلك حق الجهاد، وهو الجهاد الأكبر على ما يستدل به هؤلاء من أن النبي ﷺ قال حين رجع من بعض غزواته: "رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر"[3].

هذه الأقوال تؤكد أن المتصوفة يدعون أن جهاد النفس والمرابطة في جهادها هو الجهاد الأكبر وهذه دعوة صريحة منهم إلى المرابطة في التكايا والزوايا وقراءة الأوراد والأحزاب وترك الجهاد بالسيف والسنان، وهذه دعوة باطلة مخالفة للأدلة التي تثبت أن جهاد الأعداء هو الجهاد الأكبر وهو من أفضل الأعمال التي يقوم بها المؤمن ابتغاء مرضاة الله تعالى.

أما الحديث الذي استدل به المتصوفة فقد ضعفه الأئمة من علماء الحديث[4].

يقول شيخ الإسلام رحمه الله:

"وجهاد الكفار من أعظم الأعمال بل هو أفضل ما تطوع به الإنسان"[5].

بهذا الفهم السقيم المخالف لمبادئ الإسلام يميت الصوفية العزة والشعور

---

(١) عوارف المعارف (١٨١/١).

(٢) سورة الحج، الآية: (٧٨).

(٣) عوارف المعارف (١٨٠/١).

(٤) قال الحافظ العراقي رحمه الله في (تخريج الإحياء) (٦/٢): " رواه البيهقي في الزهد، وقال: هذا إسناد فيه ضعف " . وضعفه الحافظ ابن حجر رحمه الله في تخريج الكشاف (١١٤/٤- رقم ٣٣). وقال في تسديد القوس: " هو مشهور على الألسنة، وهو من كلام إبراهيم بن أبي عبلة في (الكنى) للنسائي " . قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : " لا أصل له، ولم يروه أحد من أهل المعرفة بأقوال النبي ﷺ وأفعاله " مجموع الفتاوى (١٩٧/١١).
قال الألباني رحمه الله : منكر .
انظر تفصيل ذلك في السلسلة الضعيفة، رقم (٢٤٦٠)، (٤٧٨/٥-٤٨١).

(٥) مجموع الفتاوى (١٩٧/١١).

بالكرامة، ولا يرون الضرورة للدفاع عن دينهم وأرضهم، ما داموا في خلواتهم وتكاياهم لا يمسهم فيها نصب ولا كدر.

وواقع الصوفية يؤكد بجلاء تطبيقهم لهذا الفهم لمعنى الجهاد، فمثلاً يعد الغزالي من كبار المتصوفة الذين عاصروا الحروب الصليبية، تحدث في كتابه (إحياء علوم الدين) عن التصوف، وقرر أن طريقهم من أنجح الطرق وأصلحها للوصول إلى الله تعالى، صوب بدعهم وما هم عليه من انحرافات؛ لكنه مع ذلك لم يسطر كلمة واحدة عن سقوط بيت المقدس في أيدي الصليبيين، والمجازر التي حصلت، والدماء التي جرت.

يقول الشيخ عبدالرحمن الوكيل رحمه الله:

"سقط بيت المقدس في يد الصليبيين عام (٤٩٢هـ)، والغزالي الزعيم الصوفي الكبير على قيد الحياة فلم يحرك منه هذا الحادث الجلل شعوراً واحداً ولم يجر قلمه بشيء ما عنه في كتبه. لقد عاش الغزالي بعد ذلك ثلاثة عشر عاماً إذ مات سنة (٥٠٥هـ).

فما استنهض همة مسلم .. بل كان عاكفاً على كتبه يقرر فيها أن الجمادات تخاطب الأولياء.

ويتحدث عن الصحو والمحو دون أن يقاتل أو يدعو غيره إلى قتال، وابن عربي وابن الفارض الزعيمان الصوفيان الكبيران عاشا في عهد الحروب الصليبية فلم نسمع عن واحد منهما أنه شارك في قتال أو دعا إلى قتال أو سجلا في شعرهما أو نثرهما آهة حسرة على الفواجع التي نزلت بالمسلمين.

لقد كانا يقرران للناس أن الله هو عين كل شيء، فليدع المسلمون الصليبيين فما هم إلا الذات الإلهية، متجسدة في تلك الصور. هذا حال أكبر زعماء التصوف وموقفهم من أعداء الله. فهل كافحوا غاصباً أو طاغياً"[1].

---

(١) هذه هي الصوفية، ص (١٧٠).

ويتحدث د/ عمر فروخ عن موقف الغزالي قائلاً:

"ألا يعجب القارئ إذا علم أن حجة الإسلام أبا حامد الغزالي شهد القدس تسقط في أيدي الفرنجة الصليبيين ولم يشر إلى هذا الحادث العظيم، ولو أنه أهاب بسكان العراق وفارس وبلاد الترك لنصرة إخوانهم في الشام لنفر مئات الألوف منهم للجهاد في سبيل الله، ولوفروا على الإسلام عصوراً مملوءة بالكفاح وقروناً زاخرة بالجهل والدمار.

وما غفلة الغزالي عن ذلك إلا لأنه كان في ذلك الحين قد انقلب صوفياً واقتنع بأن الصوفية سبيل من سبل الحياة بل هي أسدى تلك السبل وأسعدها .. ويزعم المتصوفة أن لهم كرامات ولكنهم لم يظهروا هذه الكرامات للدفاع عن دينهم وأوطانهم فإذا كان لهؤلاء القوم مثل هذه الكرامات – ومثل هذه الكرامات لم تكن منهم – فلقد كان من الجناية على الدين نفسه أن يسكتوا عن الفرنج الصليبيين في بلاد المسلمين..

ولكن المتصوفة يعللون سكوتهم ورضاهم بما ينزل بقومهم من المصائب بأن هذه المصائب عقاب من الله للمذنبين من خلقه، فإذا كان الله قد سلط على قوم ظالماً فليس لأحد أن يقاوم إرادة الله أو أن يتأفف منها"(1).

والحق أن المصائب وإن كانت عقاباً من الله تعالى على الذنوب، لكن الواجب ليس السكوت والاستسلام لها، ولكن الإقلاع عن الذنوب أولاً، ومجاهدة الكفار ثانياً؛ لأن ترك الجهاد في سبيل الله من أعظم الذنوب، وسبب في ذل الأمة بعد عزها.

بناء على هذه النظرة الصوفية للجهاد، وفرت التكايا العثمانية مكاناً مناسباً لكل من تقاعس عن أداء الجهاد، فكل من لا يرغب في الذهاب إلى جبهة القتال فما عليه إلا أن يتدروش، فيجد المكان الآمن والطعام والشراب. يؤكد ذلك

---

(1) التصوف في الإسلام، ص (١٠٩).

ارتفاع عدد الدراويش أثناء الحرب.

"ففي عام (١٢١٤هـ) شيدت ملحقات لتكية قونية بحوالي (٥٠٠) قرش لتزايد عدد الدراويش بسبب الحرب، وكان يخصص لها من المؤن والأطعمة ما يقدر بـ (٣٢٨٠) قرش في السنة"[(١)].

ومن المؤسف أن يشاع أن سبب الازدياد ما توفره التكايا من الأمن النفسي والطمأنينة للناس أيام الحرب !! وأنها الملاذ الآمن واليد الحانية أيام الفزع والخوف !!

ولشغل الناس عما يدور حولهم من تسلط الأعداء ووجوب مدافعتهم بالسلاح استحدثت التكايا الصوفية أوراداً وأحزاباً جعلوها الدواء من كل داء، والآليات التي تدافع عنهم، والحصون التي تحميهم وهم في أماكنهم دون جهاد وتخطيط وعلم وأسلحة.

يذكر محمد طاهر أفندي نائب مدينة قونية في عهد السلطان سليم الثالث ﷺ في تقرير له بعد أن قام السلطان بعمل ترميمات للتكية "إن ترميمات السلطان سليم محب الخير إزاء مقبرة مولانا جلال الدين الرومي وعطفه على العباد والزهاد في هذه التكية يدل على أنه انتصر على أعداء الدين، ووفق التوفيقات الإلهية، وإن الأدعية التي ذكرها الدراويش والشيوخ في التكايا جعلته يهزم الكفار"[(٢)].

وفي عهد السلطان عبدالحميد الثاني ﷺ ساد هذا الاعتقاد أيضاً لانتشار الطريقة الرفاعية آنذاك عن طريق شيخها أبي الهدى الصيادي، فهذه الطريقة تزعم أن لديها أوراداً تنزل النصر والتمكين والعز.

مثالها: (حزب السيف القاطع) يزعمون أن من داوم عليه لا يخذل

---

(1) Mevleviligin son yazyili, p, (337).

(٢) المرجع نفسه، ص (٢٣٦).

ولا يهان ويكون بعين الله وظل رسوله !! وهذا الورد عبارة عن خلط آيات الله بعضها ببعض، وبين كل مجموعة من الآيات يكتبون.

(أعداؤنا لن يصلوا إلينا بالنفس ولا بالواسطة، لا قدرة لهم على إيصال السوء إلينا بحال من الأحوال)[1].

ومن أحزابهم (حزب جوهرة الأسرار) قال عنه الصيادي: "وهو مجرب للفتوح ولقضاء الحاجات على العدو كالسيف القاطع"[2].

وعن (حزب الوسيلة) يقول: "لا يخزي الله من يقرأه ولا يذله، ويحميه من طوارق الزمان، ولا تمتد إليه يد جاهل"[3].

فإذا كان هذا هو اعتقاد الرجل المقرب من السلطان وموضع ثقته فهو اعتقاد أتباعه من المريدين.

لكن السؤال الآن:

أين هذه الأوراد ؟ لِمَ لَمْ تنقذ الدولة من السقوط ؟! وأين هي حينما تم خلع السلطان ؟!

بل أين هي حين تم نفي الصيادي إلى بيكو حتى الموت ؟!

ولا ريب أن للدعاء أهميته في استجلاب النصر من عند الله تعالى، لكن لابد معه من الجهاد والعمل.

قال تعالى: ﴿إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾[4]، فمن ينصر الله تعالى بعمله وجهاده ودعائه ينصره الله على عدوه.

لكن متى تركت الأمة العمل والجهاد واكتفت بالدعاء فقط فإنها لم تحقق

---

(١) قلادة الجواهر، ص (٢٧١).

(٢) المرجع نفسه، ص (٣٤١).

(٣) الرفاعية، ص (١٩٥).

(٤) سورة محمد، الآية: (٧).

جميع أسباب النصر الذي تبحث عنه. فكيف يكون الحال لو اكتفت بدعاء كله بدع وشركيات!! حتماً، سيكون الطريق إلى سقوط الدولة.

لم يدرك السلطان هذا الأثر، فشجع الطرق الصوفية واتكأ عليهم في مقاومة رياح التغريب والاستعمار واتخذهم أشرعة لإنقاذ الدولة من الغرق الوشيك؛ لكنها بانحرافها لم تزد الأمر إلا سوءاً.

يقول د/ علي الصلابي: "لقد نجح السلطان عبدالحميد الثاني في جمع الطرق الصوفية إلا أنه فضل السكوت عن كثير من انحرافاتها العقدية، بحيث إن الطرق الصوفية في تلك المرحلة انحرفت عن كتاب ربها وسنة نبيه ﷺ، لذلك أضعفت الأمة وساهمت في سقوط الخلافة الإسلامية العثمانية السنية"[(١)].

ولم يكتف مشايخ الطرق بتثبيط الهمم عن الجهاد، بل حملوا الناس على الرضى بالواقع والقبول بمن أسلمه الله أمرهم حتى لو حملهم على ترك دينهم !!

فهذا السنوسي شيخ الطريقة السنوسية في عهد السلطان عبدالحميد الثاني ﷺ لم يستطع السلطان أن يستميله لنصرة الأمة وقد سوغ (لوثرب) هذا بأن "السيد السنوسي كان يخامر قلبه الريب في مقاصد السلطان وأغراضه البعيدة، وكذلك كان الأحرار يعرضون عن نصرة السلطان لاستبداده الشديد !!"[(٢)].

لكن السنوسي نفسه لم يخامر قلبه الريب في مقاصد أتاتورك، ولم يره مستبداً غاشماً، وإنما ساعده وسانده في إقناع الناس بقبوله وقبول علمانيته.

يقول عنه شكيب أرسلان ﷺ:

"كان - أي السنوسي - ممن له أثر في تركيا، فقد كان كثير من الترك، والكرد، والجركس، والأرناؤوط، يقصدون زيارته لمجرد التبرك بتقبيل يده (!!)، والاقتداء بهديه، وتلقي وارداته الروحية، ونفحاته القدسية.

---

(١) الدولة العثمانية، ص (٤٢٥).

(٢) حاضر العالم الإسلامي (٣١٠/١).

نزل اسكي شهر، حيث وافاه مصطفى أتاتورك ومعه رهطه، فتلقوه براً وتكريماً، واحتفلوا بمقدمه احتفالاً عظيماً. انتقل إلى قونية فثارت فيها ثورة، فبذل السيد كلمته في إخماد الثورة، ونصح الأهالي بطاعة الحكومة وما زال في تسكينهم حتى وصلت جيوش أتاتورك فبددت شملهم، وقبضت على مئات منهم، وصلبت كثيراً منهم، .. ثم انتدبته الحكومة للذهاب إلى بلاد الأكراد لإخماد بعض الفتن وإعمال نفوذه الديني..

وإنما نصح لهم بالاتفاق مع الحكومة ومظاهرتها توحيداً لكلمة الإسلام (!!) واتقاء الفتنة[1] .

هذا الموقف من شيخ الصوفية ليس بدعاً منهم، بل تعودت الأمة على تلقي ذلك، فمن مبادئ التصوف التكيف مع الواقع الذي يعيشون فيه والدوران معه، سواء كان هذا الواقع مخالفاً للإسلام أم لا.

يقول عبدالوهاب الشعراني مقرراً هذا المبدأ:

"أخذ علينا العهد بأن نأمر إخواننا أن يدوروا مع الزمان وأهله كيف دار ولا يزدرون قط من رفعه الله عليهم ولو في أمور الدنيا وولايتها، وكل ذلك أدباً مع الله عزوجل الذي رفعه فإنه ما يرفع أحداً إلا لحكمة ثم أي فائدة من ازدراء من ارتفع عليهم مع أن أحداً لا يسمع لهم (!!)، وهذا العهد قل من يعمل به من الناس"[2].

وأما ما يرد في بعض المصادر أن للصوفية حضوراً في الجهاد العثماني، فقد كانت مشاركتهم بأعداد قليلة جداً تنبئ عن أن لهذه المشاركة هدفاً آخر غير الجهاد في سبيل الله، ألا وهو إرضاء السلاطين بغية استمرار الدعم لمشايخ الطريقة وتكاياهم.

"ففي عهد السلطان عبدالمجيد ﷺ أرسل همدم جلبي - شيخ تكية قونية

---

(١) المرجع السابق (١/١٥٦-١٥٧).

(٢) التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق (٢/٣٠١).

المولوية - تسعة من الدراويش المولوية ليشاركوا في الحرب الروسية عام (١٨٤٨م/ ١٢٦٤هـ) (!!) وخرج من بورصة وقرة حصار إحدى عشر درويشاً مولوياً للمشاركة على جبهة الطونة، وقد كانت هذه العلاقات الطيبة سبباً في رعاية السلطان للتكية المولوية بقونية"[1].

فذلك الموقف كان ضرورة سياسية تخالف منهج الطريقة الذي تسير عليه، فحينما نشبت الحرب العالمية الأولى كان شيخ تكية قونية (ولد جلبي) قد أسس فرقة عسكرية للاشتراك في الحرب.

لكن لما تمت هزيمة الدولة العثمانية آنذاك تم عزل (ولد جلبي) وعين بدلاً عنه (عبدالحليم جلبي) فكتب خطاباً عارض فيه بشدة ما قام به ولد جلبي مبيناً أن ذلك الفعل يعارض الأصل الذي قامت عليه الطريقة يقول:

"كانت طريقتنا العلية المولوية هي أس الأساس إذا امتشقت السيوف، بيد أنها لم تشترك في حرب من أجل قتل رجل واحد !! بل كانت على خلاف ذلك إذ اضطلعت بتقديم خدمة جليلة إلى عالم الإنسانية على اختلاف أجناسها ومذاهبها، وقدمت بذلك خدمة علمية وإنسانية، أما ولد أفندي فهو رجل لم ينشأ من الطريقة ولم يتسن له في أي وقت من الأوقات أن يعرف أساس طريقتنا ..

وإن المولوية لم تكن حتى الوقت الراهن قد اشتركت في حرب من الحروب قط، وقد أعدت فرقتنا دون تمحيص وتدقيق نظر ومن ثم فإن أساس أحكام طريقتنا قد انقلب رأساً على عقب في نظر الكائنات كلها"[2].

بل كان اشتراك الصوفية مع الجيش العثماني سبباً في إلحاق الهزائم بهم؛ لأنهم مع فقدهم إخلاص العمل لله تعالى، قد انحرفوا ببدعهم عن دين الله تعالى وإنما ينصر الله من ينصره وقد نبه على ذلك العلامة السلفي محمد أفندي

---

(1) Mevleviligin, p, (354).

(٢) المولوية بعد مولانا، ص (٢٨٥-٢٨٦).

الواني[1] رحمه الله حينما كان واعظ الجيش العثماني في وقعة (فينا) عام (١٠٩٤هـ)، فقد ألف رسائل تشنع على الصوفية ابتداعهم، وأرسل رسائل إلى السلطة العثمانية ينبههم فيها أن سبب تأخر الدولة وهزائمها في (فينا) هم المولوية وأمثالهم من الصوفية[2].

لقد أضر هذا الفكر المنحرف لقضية الجهاد في سبيل الله تعالى بالدولة العثمانية إلا أن أعظم جناية ارتكبت في حقها هو وقوف الطرق الصوفية في وجه العلم، لقد جعلت من السواد الأعظم مريدين، لا همَّ لهم إلا رضى الشيخ والتعلق به، وقراءة الأوراد، والسماع والرقص ..

ولقد ساندت الدولة التصوف فشجعت هذا السبات وهذه الغفلة .. بل لقد غفلت معهم ولم تستفق إلا وأسلحة الدول الغربية المتطورة تدك أراضيها، وتقتطع من أوصالها هنا وهناك .. فحاولت أن تلحق بركاب تلك الدول وتجهز جيشاً مدرباً على أحدث الطرق الحربية ..

فقد أدرك القادة العثمانيون أن السلطنة لم تعد الدولة السائدة في أوربا والمشرق، وأن تفوقها قد تعرض لإصابات، وأن تطوراً يحدث في العالم الغربي لم يتسن لهم رصده أو أخذه في الحسبان، وقد أسهمت الانتكاسات العسكرية في ترسيخ الاعتقاد بضرورة التطوير والتعديل.

وقد بدأ ذلك بصورة جدية في عهد السلطان سليم الثالث رحمه الله، فمنذ ارتقائه العرش أظهر اهتماماً عميقاً بإدخال النظام الجديد في الجيش.

إلا أن الدولة العثمانية وجدت نفسها أمام جمود الصوفية فقد عارضت

---

(١) هو محمد بن بسطام الخشابي واني أفندي، من علماء الدولة العثمانية، عين معلماً للسلطان محمد الرابع، وابنه مصطفى، له عدة مؤلفات، له جهوده في الرد على بدع الصوفية توفي في قصبة كاستل، ودفن بها عام (١٠٩٦هـ).
انظر تاريخ الأدب العربي، بروكلمان (٩/٣٦٧)، رسالة الإمام البركوي وجهوده في مقاومة البدع في تركيا، ص (٤٩١).

(٢) أخبار جلال الدين، ص (١٦).

الانكشارية البكتاشية بشدة ذلك التطوير متمسكة بنظامها القديم ..

"قائلين: إن ولي الله الحاج بكتاش كان قد بارك جماعة الانكشارية عند تكوينها، ودعا لها بالنصر الدائم، وزعموا، تأسيساً على دعاء هذا الولي وبركاته أنهم في غنى عن كل تعليم !!

كما استند المتصوفة في معارضتهم للنظام العسكري الجديد إلى أن التعليم العسكري من الأمور التي لم يعرضها الإسلام (!!)، وأن الفتوحات الإسلامية كلها تمت دون أن تحتاج إلى أمثال هذا التعليم !!

وخلصوا من هذا القول إلى أن النظام الجديد بدعة، وأخذوا يرددون الحديث (كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار) [1].

وذهبوا في معارضتهم إلى الزعم بأن من مبادئ الإسلام أن "من تشبه بقوم فهو منهم" [2] [3].

كان لصدور هذه الآراء من مشايخ الصوفية الجهلاء أصداء بعيدة في الرأي العام وقد كون ذلك جبهة عريضة لمعارضة (النظام الجديد) كان قوامها فيالق الانكشارية، ورجال الطرق الصوفية، وعدة قطاعات جماهيرية كثيفة العدد من الجهلاء.

وعليه فقد تقرر عزل السلطان سليم الثالث ﷺ بعد استصدار فتوى من شيخ الإسلام آنذاك جاء فيها: "إن كل سلطان يدخل نظام الإفرنج وعوائدهم ويجبر الرعية على اتباعها لا يكون صالحاً للملك" [4].

---

(١) سبق تخريجه، ص (٢١٨).

(٢) جزء من حديث أخرجه أبو داود في سننه، كتاب اللباس، باب في لبس الشهرة (٣١٤/٤)، قال ابن تيمية ﷺ: هذا إسناد جيد (اقتضاء الصراط المستقيم) ص (٨٢)، وأخرجه الإمام أحمد في مسنده (٥٠/٢). وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير رقم (٦١٤٩) (١٠٥٩/٢).

(٣) الدولة العثمانية، للشناوي (٤٠٩/١).

(٤) تاريخ الدولة العلية، محمد فريد بك، ص (٣٩٣).

ولما تولى السلطان محمود الثاني ﷺ عرش السلطنة في (١٢٢٣هـ) صمم على تعميم تطوير القوات المسلحة بجميع أسلحتها وفرقها بما فيها فيالق الإنكشارية فعين مصطفى باشا البيرقدار في الصدارة العظمى، الذي دعا إلى اجتماع يعقد في القصر السلطاني يحضره جمع من الوزراء والأعيان وقادة أسلحة الجيش وشيخ الإسلام قال فيه:

"إنه هو من جملة الإنكشارية، وهو يفتخر بكونه من هذا النظام، لكنه يرى أن هذا النظام قد فسد. آل من الفساد إلى أن فقد كل مزاياه القديمة، ونسي جميع القوانين. وعمَّ الجهل بالفنون العسكرية. فانحطت منزلة الجيش انحطاطاً عظيماً، ولذلك فقد أمرني السلطان أن أستأصل جميع هذه المفاسد .. وباتباع الطرق العصرية الأوربية.

كما أن مولاي السلطان عازم على تأسيس جيش جديد من شبان المسلمين، ومن أنفس الإنكشارية ليتلقى الطرق العصرية الأوربية، التي يمكنه أن يقاتل بها الكفار بنجاح، مع المحافظة على نظام الطاعة والاتحاد الذي كان عند الإنكشارية القدماء.

وافق الجميع على هذا القرار، وأفتى شيخ الإسلام بوجوبه. إلا أن الإنكشارية رفضوا ذلك فزحفوا إلى القصر، وأحرقوا جانباً منه، ودخلوه، وأوشكوا أن يقبضوا على الصدر الأعظم وأعوانه، فلجأ إلى مخزن البارود، ووضع فيه النار، فهلك هو وأعوانه تحت أنقاض مخزن البارود"[1].

بعد هذا الموقف منهم قرر السلطان محمود الثاني ﷺ القضاء عليهم، واستئصال شأفتهم فتم له ذلك في واقعة سميت بالواقعة الخيرية عام (١٨٢٦م/ ١٢٤٢هـ).

---

(١) انظر هذه الأحداث في تاريخ الدولة العلية محمد فريد بك، ص (٣٩٨-٣٩٩)، تاريخ الدولة العثمانية، شكيب أرسلان، ص (٢٦٨-٢٦٩)، الدولة العثمانية، الشناوي (٤١٥/١-٤١٦)،

وفي اليوم ذاته أصدر السلطان فرماناً بإنشاء جيش جديد وفق النظم الأوروبية الحديثة، أطلق عليه اسم (العساكر المنصورة المحمدية).

ولا يخفى أن السلطان قد ارتكب خطأ كبيراً بإخلائه الدولة من جيشها – رغم فساده[1] – الحامي لها في ذلك الوقت العصيب. خاصة وأن الدول الأوروبية المتربصة لن تعطيه الفرصة لتكوين جيش قوي مسلح بشتى أنواع الأسلحة المتطورة يقارعها به وهو ما حدث فعلاً، إلا أن اللوم الأكبر يقع على عاتق الإنكشارية البكتاشية التي دفعت السلطان إلى اتخاذ هذا القرار بجمودها وتخلفها ورفضها للتطوير في نظامها ونظام أسلحتها.

وقد أدى كل هذا إلى أن ظلت الدولة بلا جيش قوي يمكنها الاعتماد عليه، نعم كونت الدولة بعد ذلك جيشاً لكنه لم يصل إلى أن يكون شيئاً أمام الصواريخ والدبابات والطائرات الأوربية وكان ذلك سبباً مباشراً لسقوط الدولة العثمانية. وقد أدرك السلطان عبدالحميد الثاني ﷺ ببصيرته منشأ الخلل قائلاً:

"إن الخطأ الكبير حقيقة يأتي متدحرجاً من أيام جدي إلى الآن، لقد قضينا على الإنكشارية، ولكنا لم نقض على الأسباب التي أفسدت الإنكشارية. إن إنهاء هذه المؤسسة العسكرية قد جر علينا وصول محمد علي باشا. كما جر علينا عقد معاهدة (أينالي قاواق) مع الروس، وإصدار فرمان التنظيمات. لم تمض أربعون عاماً على انكسار الإنكشارية حتى أسقط الجيش عمي السلطان عبدالعزيز من على العرش، وهو الذي اسقط أخي مراداً وكذلك أسقطني أنا ولو فقدنا اليوم وطننا فذلك يرجع إلى ذات السبب أيضاً"[2].

وهكذا يتضح دور التصوف في سقوط الدولة العثمانية بمبادئه المنحرفة في مفهوم الجهاد ووقوفه في وجه العلم وتطور الأسلحة.

---

(١) انظر صور من طغيان الإنكشارية وفسادهم، الدولة العثمانية، للشناوي (١/٣٩١-٤١٢).

(٢) مذكرات السلطان عبدالحميد الثاني، ص (١٨٠).

المبحث الثالث

علاقة الصوفية بنشر الفتن الداخليــة

أسهمت الطرق الصوفية في نشر الفتن الداخلية ضد الدولة العثمانية، فقد تعرضت الدولة العثمانية لثورات داخلية كادت تعصف بوجودها. وكان غالـب زعماء تلك الثورات من مشايخ الطرق الصوفية، فهـذه الثـورات وإن لم تسـقط الدولة إلا أنها ولاشك أضعفت الدولة وشغلتها عما هو أولى وأهم.

يذكر الباحث التركي يشار أوجاق ذلك بقوله:

"أما عن زعماء تلك الحركات فالذي يسترعي الانتباه فـيهم جميعـاً بغـير استثناء أنهم من مشايخ الصـوفية، فشـاه قـولي ونـور علـي ويـوزوقلي جـلال (شاه ولي)، وشاه قلندر شيوخ يستطيعون أن يجذبوا خلفهم الجموع الغفيرة من الناس.

وتدل المصادر التاريخية على أن هؤلاء الشيوخ كانوا يجرون علـى مـنهج طريف في الدعوة؛ إذ يقومـون قبـل دعـوة النـاس للثـورة بـالانزواء في إحـدى المغارات والاعتكاف والرياضة مدة طويلة، وبعدها فقط يخرج الواحد منهم على الناس ليعلن لهم أنه اتصل بالمولى عزوجل، وأنه كلفـه بهـذه الوظيفـة ويحـرض الناس على الثورة"[1].

ولعل ثورة الشيخ / بدر الدين السمانوي تتصـدر أهـم الحركـات علـى امتداد التاريخ العثماني، فقد تركت أفكاره أثرها بقوة على الجماعات الصـوفية المعارضة للسلطة العثمانية، وشكلت فكراً مشتركاً لها. ونظراً لأهميتها في التاريخ العثماني سأذكر نبذة عنها:

قام بهذه الثورة بدر الدين بن إسرائيل السمانوي ولد في ناحيـة سـيموانه

---

(١) الدولة العثمانية تاريخ وحضارة (٢/٢٠٠).

عام (٧٥٩هـ)، أتم تحصيله العلمي في مدينته ثم سافر إلى مصر، وانتسب هناك إلى الشيخ حسين الأخلاطي، كان ابن عربي المصدر الأساسي لصوفية بدرالدين، حيث ألف شرحاً لكتابه فصوص الحكم.

وله أيضاً كتاب (واردات) شرح فيه عقيدة وحدة الوجود، حيث كان رسالة مكتوبة بطريقة تقليد الفصوص.

اقتصر في ذكر الشهادة على نصفها الأول (لا إله إلا الله)، وذلك طمعاً في ضم اليهود والنصارى إلى حركته.

وليتمكن من تجميع الآلاف من الجهلاء والبسطاء حوله، أجاز لهم الخمرة والموسيقى، ولم يكن يدقق في الفوارق الدينية.

كان يشيع بين أتباعه أنه المهدي المنتظر، وأنه ينتظر إشارة من عالم الغيب، لكي يقود تلاميذه ويوزع الأراضي على أتباعه. بهذه الآراء استطاع بدر الدين أن يجمع حوله في هذا التمرد ثمانية آلاف، كانت أفكار الشيخ أكثر انتشاراً بين نصارى الدولة بالدرجة الأولى، ثم بين اليهود فيها بالدرجة الثانية ثم بين الأتراك الرحل.

ساعد الشيخ في نشر أفكاره، مريدان على درجة كبيرة من الحركة والنشاط، أحدهما يهودي يدعى (طورلاق هود كمال)، والثاني يدعى (بوركلوجة[1] مصطفى)..

تلقى بدر الدين مساعدات خارجية رغبة في ضرب الدولة العثمانية من الداخل. فقد تلقى من أمير الأفلاق وكان من ألد أعداء الدولة العثمانية عوناً عسكرياً ومادياً.

كما بدأت المعونات الأوروبية تفد عليه مما أدى إلى اتساع نطاق الثورة ضد

---

(١) كلمة تركية تعني صاحب العلم.

السلطان العثماني محمد الأول[1] رحمه الله.

قام السلطان بإرسال جيش بقيادة الأمير الصربي سيسمان، لكن الثوار هزموه، ثم أرسل جيشاً آخر بقيادة الوزير الأعظم بايزيد باشا وكان بصحبته ولي العهد الأمير مراد إلى قتال اليهودي (طورلاق كمال) فظفروا به وصلبوه. وقام نفس الجيش العثماني بدحر قوات (بوركلوجه مصطفى).

أما السلطان فقد قام بنفسه لحرب الشيخ بدر الدين وكان هذا على رأس جيش عظيم، اتخذ السلطان سيروز مركزاً لقيادته.

أرسل السلطان قواته إلى الشيخ فكسرته، وتوارى الشيخ الثائر بعد هزيمته.

استطاعت السلطة بعد ذلك القبض عليه، وأقيمت له مناظرة علمية بينه وبين علماء الدولة انتهت بإعدامه.

لكن ما يجب التنبيه عليه هو أن الدولة العثمانية لم يكن اعتراضها على الآراء التي حملها فكر الشيخ بدرالدين، بل لأن الشيخ أظهر طموحاً سياسياً يحكم به المنطقة حيث ادعى وجود نسب يربطه بالأسرة السلجوقية المالكة، يؤكد ذلك أنه حينما حكم عليه بالإعدام حكم عليه سياسة (عرفاً) ولم يكن (شرعاً) بناءً على فتوى شرعية. وكان ذلك عام (١٤٢٠م/ ٨٢٣هـ) بهذا خمدت هذه الثورة بصعوبة بالغة[2].

---

(١) محمد الأول بن بايزيد الأول، انفرد بالسلطة العثمانية بعد قضاءه على اخوته عام (٨١٦هـ)، كانت مدة حكمه كلها حروباً داخلية بسبب الفوضى التي أعقبت موت والده، توفي عام (٨٢٤هـ) في مدينة أدرنة.

انظر: المنح الرحمانية، ص (٣٠)، تاريخ الدولة العلية، ص (١٤٩)، تاريخ يلماز (١١٦/١).

(٢) انظر عن هذه الثورة بالتفصيل في:

تاريخ الدولة العلية، محمد فريد بك ص (١٥٠-١٥١)، العثمانيون في التاريخ والحضارة، محمد حرب ص (١٤٩-١٦٠)، تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار، ص (٢٨٤-٢٨٧)

Zindlklar ve mulhidler, p. (165-199).

ومن الجماعات التي ثارت على الدولة (القلندرية)، فقد كانوا يشاركون دائماً في الاغتيالات الموجهة إلى كبار رجال الحكم وعلى رأسهم السلاطين، لذا فلم تتوقف السلطة المركزية العثمانية أبداً عن مراقبتهم وملاحقتهم [١].

من ذلك مشاركتهم بدر الدين السماوي في ثورته على آل عثمان. وشاركوا مع المدعو (شاه قولو) في ثورته على بايزيد الثاني. وثالثة مع (شاه قلندر) ضد القانوني، ومنهم من عين في مهمة إرهابية وهي اغتيال أمراء المسلمين، مثل ما كان من القلندري الذي هجم على بايزيد الثاني عام (٨٩٩هـ) فرده عنه اسكندر باشا وقطعه بسيفه. إلا أن الصدر الأعظم صوقولي محمد باشا لم يسلم من اعتداء أحدهم بعد تلك الحادثة بسنوات في عام (٩٨٧هـ).

ويستنتج من السجلات والوثائق العثمانية التي تعود إلى القرن العاشر الهجري أن طوائف القلندرية كانت مذكورة بكثرة في حوادث القتل والسلب والنهب [٢].

من ناحية أخرى تسبب الصراع القائم بين الصوفية وعلماء أهل السنة والجماعة في المجتمع التركي إلى انشغال الرأي العام، وانقسام الناس بين مؤيد ومعارض لهذا الطرف أو ذاك، وقد يحتد الصراع أحياناً حتى يتطلب الأمر تدخل الدولة لفض النزاع بينهما، مما أشعل فتيل الفتن الداخلية.

من أمثلة ذلك: ما حدث بين الشيخ قاضي زاده محمد ﷺ وشيخ الطريقة الخلوتية عبدالمجيد السيواسي [٣]، فقد كانت هذه الطريقة آنذاك من أكثر الطرق انتشاراً بين أفراد رجال البلاط في الدولة، وبين العديد من أفراد الرعية، وكانت

---

(١) الدولة العثمانية تاريخ وحضارة (٢/١٩٠).

(٢) القلندرية، ص (١٢٢).

(٣) هو عبدالمجيد بن محرم بن محمد، السيواسي، شيخ الخلوتية في عصره، أشد خصوم قاضي زاده، توفي عام (١٠٤٩هـ).
انظر: معجم المؤلفين (٦/١٧٠).

تتميز تلك الطريقة بالسماع، والدوران، والذكر الجهري.

يذكر المؤرخون أن الشيخ قاضي زاده ﷺ اصطدم مع شيوخ تلك الطريقة ودخل معهم في صراع عنيف فكانت الأحداث التي عرفت في التاريخ العثماني باسم (حركة قاضي زاده وأنصاره).

يقول الباحث أحمد أوجاق:

"نهض قاضي زاده والوعاظ أنصاره بإعلان الحرب رسمياً على الطرق الصوفية المختلفة، كالمولوية والخلوتية وغيرها، عن طريق خطب التحريض الرنانة التي كانوا يلقونها في جوامع إسطنبول، فاتهموا أصحاب تلك الطرق بالكفر والضلالة، حتى إنهم عارضوا تلاوة القرآن الكريم، وإنشاد المولد النبوي، والأذان منغماً كالعادة في المساجد، بل وكانوا يتدخلون بالفعل في ذلك بين الحين والآخر"[1].

واجه الصوفية تلك الانتقادات بالرد من خلال الخطب، والمواعظ، وتأليف الكتب والرسائل. فقد ألفت مجموعة من الرسائل تهاجم قاضي زادة ودعوته، منها: رسالة (حجة السماع) لإسماعيل أنقروي أحد شيوخ الطريقة المولوية، يدافع فيها عن مشروعية السماع والدوران.

ومنها: عدة رسائل ألفها السيواسي مثل رسالة (بضاعة الواعظين) و (رسالة في إيمان فرعون)[2].

وممن عاصر تلك الأحداث المؤرخ كاتب جلبي يقول عنها:

"كان هذان الشيخان على طرفي النقيض فيما بينهما، ولاختلاف طبائعهما[3] قامت بينهما معارك حربية. وفي معظم الخلافات أخذ قاضي زاده طرفاً، وسيواسي طرفاً، ويذهب كلاهما مذهب التطرف، وكان أتباع كل منهما

---

(١) الدولة العثمانية تاريخ وحضارة (٢/٢١٢).

(٢) الإمام البركوي وجهوده في محاربة البدع في تركيا، ص (٤٧٤).

(٣) الأصح أن يقال لاختلاف عقائدهما.

يتنازعون ويتخاصمون فيما بينهم"[1].

وصلت تلك الأحداث إلى مسامع السلطان مراد الرابع ﷺ ورغم تقديره واحترامه لقاضي زاده إلا أنه حرص على عدم ترجيح كفة طرف على حساب طرف آخر[2].

اشتد النزاع بعد ذلك حتى وصل إلى الحد الذي تدخل فيه الصدر الأعظم يقول د/ أحمد أوجاق:

"ولم تخمد هذه الحرب التي كادت تزعزع أركان الدولة في أوساط القرن السابع عشر الميلادي إلا بتدخل الصدر الأعظم كوبريلي محمد باشا وحسمه الشديد لها"[3].

ومن الأمثلة أيضاً: موقف الشيخ محمد الأسطواني[4] ﷺ ضد الصوفية وقف الشيخ موقف الداعية، الآمر بالمعروف، والناهي عن المنكر، و الناصح الأمين لأمته، محذراً من البدع والمحدثات، أظهر معارضة شديدة تجاه الصوفية، وكان يدعوهم إلى التوبة إلى الله تعالى مما يفعلون.

استطاع الحصول على أمر من الصدر الأعظم بمجابهة الصوفية، فاستولى هو وأنصاره على تكية خاصة بالطريقة الخلوتية بإسطنبول وقاموا بضرب المريدين والدراويش بها وفرقوا شملهم.

كما قام بإرسال خطابات إلى مشايخ الطرق الصوفية في إسطنبول، يحذرهم فيها من انعقاد مجالس السماع والرقص والدوران.

---

(١) الإمام البركوي وجهوده في محاربة البدع في تركيا، ص (٤٧٤-٤٧٥).

(٢) الدولة العثمانية تاريخ وحضارة (٢/٢١٣).

(٣) المرجع السابق (٢/١٨٥).

(٤) هو محمد بن أحمد بن محمد، الدمشقي، الحنفي، الفقيه. ولد عام (١٠١٦هـ) بدمشق، رحل إلى إسطنبول ، وعمل واعظاً بمسجد الفاتح، صار معلماً للسلطان محمد الرابع، نقد مسلك الصوفية حتى نفي إلى قبرص ثم ذهب إلى دمشق ولزم الجامع الأموي إلى وفاته عام (١٠٧٢هـ).

انظر: خلاصة الأثر للمحبي (٣/٣٨٦-٣٨٩).

احتدت هذه الأحداث عام (١٠٦٦هـ)، عندما تعرض المؤذنون للمنع من قبل أنصار الأسطواني في جامع السلطان محمد الفاتح، حين بدأوا بقراءة المدائح والقصائد على النبي ﷺ، والتسليمة والترضية عليه ﷺ وأصحابه الكرام رضوان الله عليهم، بالتغني والتلحين، وذلك أثناء خطبة الجمعة، إذ الخطيب يخطب على المنبر، والمؤذنون يقطعون كلامه حسب عاداتهم، فنهض أنصار الأسطواني وأرادوا منعهم عن هذا العمل.

وبعد صلاة الجمعة عقدوا اجتماعاً في نفس الجامع، واتفقوا على طلب الاستئذان من السلطان للقيام بالقضاء على جميع البدع والمحدثات في أنحاء البلاد، ونادوا بهدم التكايا والزوايا، وتفريق جماعات الدراويش ثم عقدوا اجتماعاً آخر في اليوم التالي في المسجد نفسه، وقرروا التطبيق بالفعل لما اتفقوا عليه يوم الجمعة.

فلما سمع الوزير كوبريلي محمد باشا باجتماعهم المذكور تدخل في الأمر، وأرسل مبعوثاً إليهم، وحذر الأسطواني من القيام بأي عمل ضد الصوفية. ثم استطاع الوزير الحصول على أمر من السلطان بمعاقبة الأسطواني وأصحابه بالإعدام، اعتماداً على سلبهم حق الدولة، ونصبهم لأنفسهم قوة تنفيذية. ثم تحول الأمر من الإعدام إلى النفي، فأرسل الأسطواني وزميلاه (ترك أحمد) و (ديوانه مصطفى) عقب ذلك الحادث إلى المنفى بجزيرة قبرص[1].

ومما يسترعي الانتباه في هذه الأحداث أن معظم علماء ذلك العصر، وقفوا موقفاً سلبياً، لا يؤيدون الأسطواني ولا يعارضونه.

يكشف عن ذلك د/ أحمد أوجاق بقوله:

"ومما يبعث على الدهشة في تلك المرحلة أن فئة العلماء أيضاً، وعلى رأسهم شيخ الإسلام بهائي أفندي لم يحركوا ساكناً، وقعدوا متفرجين

(١) الإمام البركوي وجهوده في محاربة البدع، ص (٤٨٦-٤٨٧).

على الأحداث"[1].

واصل الشيخ محمدواني ﷀ جهود من سبقه في محاربة البدع المنتشرة في المجتمع التركي، فوقف من الصوفية موقف المعارض لها. فنادى بهدم التكايا والزوايا، ورمي ترابها في البحر، تجمع حوله عدد كبير من الناس. فبدأ فعلاً بمهاجمة التكايا، وتفريق المريدين والدراويش. وتم له هدم عدة تكايا في إسطنبول وغيرها.

وفي عام (١٠٧٧هـ) استطاع الحصول على أمر من السلطان محمد الرابع ﷀ بمنع الصوفية من مجالس الرقص والسماع والدوران في تكاياهم.

كما أثرت محاولاته تأثيراً واضحاً في معاملة الدولة مع مشايخ الصوفية، حيث نفي مجموعة من الشيوخ إلى مناطق مختلفة تابعة للدولة، مثلما نفي الشيخ نيازي المصري، والشيخ قراباش إلى جزيرة من جزر اليونان، ونفي الشيخ عثمان آطبازاري إلى مدينة شومند من مدن بلغاريا، ونفي بعضهم إلى جزيرة قبرص بحيث امتلأت الجزيرة بمشايخ الصوفية المنفين إليها.

كذلك قتل في هذه الفترة ثلاثة من مشايخ الصوفية بسبب بعض تصرفاتهم وأقوالهم الخارجة عن الإسلام، إذ قتل الشيخ أحمد المشهور بـ (شيخ سقاريا) في مدينة قونية لزعمه مهديته، وقتل الشيخ محمود (شيخ روميا) في ديار بكر، كما قتل أمير شيخ في إسطنبول.

وقد دفعت هذه الأحداث الصوفية إلى كراهية الشيخ محمدواني ﷀ ويلقبونه (واني الجاني) أي القاتل، حتى أنهم حينما يعبرون مضيق إستانبول لا يمرون على ساحل (واني كوي) حيث كان الشيخ يسكن[2].

---

(١) الدولة العثمانية تاريخ وحضارة (٢/٢١٣).

(٢) الإمام البركوي وجهوده في محاربة البدع، ص (٤٩٦).

هذه جهود بعض العلماء المخلصين الذين حاولوا الوقوف في وجه البدع والعودة بالمجتمع التركي إلى العقيدة الصحيحة إلا أن الحال ظل على ما هو عليه من انتشار البدع بسبب تمسك الطرق الصوفية بنفوذها المادي والمعنوي، ووقوف السلاطين إلى جانبها ودعمها، مما أدى إلى نشر الفتن الداخلية التي أدت بدورها إلى سقوط الدولة العثمانية، وانهيار الخلافة الإسلامية.

المبحث الرابع
علاقة الصوفيــة بالماسونية

التعريف بالماسونيــة:

الماسونية تعبير حديث مأخوذ من لفظة فرماسـون المركبـة مـن كلمـتين، أصلها لاتيني هما: فرانك وتعني الحر، وميسون وتعني حرفة البناء.

وبذا يكون معناها: البناء الحر، أو البناء الصادق. وتسـمى الجمعيـة الـتي تضمهم (جمعية البنائين الأحرار) [1].

نشأة الماسونيـــة:

نشأت الماسونية في جو من السرية الشديدة، والتكتم من قبل المؤسسين لها؛ لذا فقد اختلف الباحثون في نشأتها على عدة أقوال فمن قائل: أنها نشأت حـين كان موسى ﷺ مع قومه في التيه.

ومنهم من أرجع نشأتها إلى العصور الحديثة.

ولعل الراجح – والله أعلم – قول من ذهب إلى أن نشأة الماسونية كانـت بعد ظهور عيسى ﷺ، حيث قامت مجموعة مـن اليهـود في عـام (٣٧م) تقريباً بتكوين جماعة ضمت بداية تسعة أفراد أطلقوا على جماعتهم (القوة الخفية) .. كان ضمن هؤلاء هيرودوس الثاني والي الرومان على القدس ومستشاريه اليهوديين (أحيرام ابيود) و (مرآب لافي).

كان الهدف منها آنذاك مقاومة دعوة المسيح ﷺ؛ لأنه كـان يبشـر بـزوال هيكل سليمان، حتى لا يبقى حجر يلامس حجر .. وملاحقة الفئة المؤمنة به.

عقد هؤلاء أول مجلس لهم عام (٤٣م) في مكان أطلقوا عليه اسم الهيكـل

---

(١) الماسونية، محمد السقا، ص (١١)، الماسونية وموقف الإسلام منها، ص (١١-١٢).

تقاسموا فيه بأغلظ الأيمان أن يكون أمرهم سراً بينهم، وأن يتعاونوا فيما بينهم أشد ما يكون التعاون، وأن ينفذ كل واحد منهم ما يطلبه المجلس، ومن شذ عن ذلك فالموت جزاؤه، ولا شفقة، ولا رحمة[1].

اعتمدت تلك الجماعة منذ نشأتها الأسلوب السري، وحبك المؤامرات في الظلام.

في عام (١٧١٧م/ ١١٢٩هـ) بمؤتمر لندن اتخذت تلك القوة الخفية اسماً جديداً لها وهو (الماسونية).

عرفها المستشرق الهولندي دوزي:

"جمهور كبير من مذاهب مختلفة يعملون لغاية واحدة هي إعادة الهيكل؛ إذ هو رمز دولة إسرائيل"[2].

أقسام الماسونية:

حرص مؤسسو الماسونية، منذ تأسيسها، على بنائها بناء هرمياً دقيقاً، تختفي العلاقة فيه بين القاعدة والقمة، ضماناً لسرية العمل، وإضفاءً لصفة الرهبة على التنظيم، وإشعاراً للعضو بأهميته وخطره.

تم تقسيم الماسونية إلى ثلاثة أقسام رئيسة هي:

١- الماسونية الرمزية:

سميت بذلك لكثرة الرموز والإشارات التي تستخدم فيها. عدد درجاتها (٣٣) درجة، لا يصل القمة منهم إلا القلة القليلة، وكل أعضائها من غير اليهود؛ ولهذا نصب لهم هذا السلم العالي، الصعب المرتقى فلا يصل قمته إلا من أصبح خادماً طيعاً لمخططاتهم.

---

(١) انظر: الماسونية لسعيد الجزائري، ص (٣٣-٦٥)، خفايا وأسرار الأخطبوط الماسوني، ص (١٤-١٥)، الماسونية للسقا، ص (١٢-١٣).

(٢) الماسونية في العراء، ص (١٨).

٢- الماسونية الملوكية:

يقتصر هذا القسم على اليهود أو من حصل على الدرجة الثالثة والثلاثين، أي على درجة أستاذ أعظم في الماسونية الرمزية.

يعرف أصحابها بعض الأهداف البعيدة للماسونية.

٣- الماسونية الكونية:

هذا القسم غير معروف إلا من نفر قليل من اليهود أنفسهم، وهو محصور في محفل واحد لاغير، مكون من (١٢) عضواً بالإضافة إلى رئيس يرأسهم، وهؤلاء جميعاً منتخبون من كبار حاخامات اليهود وأحبارهم .. وهذا المحفل لا يعرف مكانه، ولا رجاله، ولا أسلوب العمل فيه. إلا أنه من الثابت أنه هو الذي يضع الخطط لجميع يهود العالم، وأنصارهم بما فيهم رجال الماسون[١].

دور الماسونية في الدولة العثمانية:

هاجر يهود أسبانيا والبرتغال على أثر خروج العرب من الأندلس فحلوا الدولة العثمانية، وأصبحوا رعايا داخل هذه الدولة، بدأ اليهود في تكوين قوة داخلية تمكنهم من العيش في رغد، وتحقق لهم ما يخططون له. واتخذوا لهم من سلانيك[٢] مركزاً.

في عام (١٦٤٨م/ ١٠٥٨هـ) في عهد السلطان محمد الرابع ﷬ أسس اليهود جماعة الدونمة في تركيا.

كان ذلك عندما ادعى رجل يدعى (ساباتاي ليفي)، وهو يهودي من أصل أسباني، وولد في أزمير، أنه المسيح المنتظر الذي تشير إليه كتبهم المحرفة..

---

(١) أبناء يهوذا في الخفاء، ص (١٦-١٩)، أثر القوة الخفية الماسونية على المسلمين، ص (١٢-١٣)، الماسونية في العراء، ص (٢٠-٢١).

(٢) سلانيك: مدينة رومية قديمة جداً تقع في جنوب بلاد مقدونية على بحر الأرخبيل. انظر: تاريخ الدولة العلية، محمد فريدبك، ص (١٣٣) هـ (٨).

ذهب إلى مصر ثم إلى فلسطين ليتعرف على اليهود وينشر دعوته بينهم..

عاد إلى أزمير وانهالت عليه وفود اليهود وكان يوقع بلقب "الابن الوحيد الأول ليهوه"

ولما رأت السلطات العثمانية استفحال أمره، ألقي القبض عليه، وتم التحقيق معه، ثم خُير بين إثبات دعواه أو الموت أو الإسلام، فلم يجد بداً من إعلان إسلامه، تحت اسم (محمد أفندي البواب)، لأن السلطان عينه بعد ذلك رئيساً لبوابي قصره.

طلب ليفي من السلطان أن يسمح له بالدعوة إلى الإسلام في أوساط اليهود فوافق. وعمل تحت هذا الستار على تكوين جماعة أظهرت الإسلام وأبطنت اليهودية. فأصبحت كياناً مستقلاً معزولاً في جسم الدولة العثمانية.

وبعد عشرة أعوام اكتشفت السلطات عدم صدق دعواه، فنفته إلى ألبانيا، وهناك في عام(١٦٧٥م/ ١٠٨٥-١٠٨٦هـ) مات ساباتاي وأطلقت السلطات على أتباعه الدونمة[1].

وفي عام (١٦٨٣م/ ١٠٩٤هـ) أنشأ يهود سلانيك، أول محفل ماسوني لهم فيها، وأصبح فيما بعد الأب لجميع المحافل الماسونية التي انتشرت في الدولة العثمانية.

استطاعت تلك المحافل أن تستغل يهود الدونمة، وتدسهم في المراكز الحساسة للدولة، وأصبح منهم الوزراء، والنواب، وقادة الجيش، وكبار الموظفين.

قويت شوكة الماسونية في جسد الدولة العثمانية، وبدأت النشأة الحقيقية للمحافل في الفترة من (١٨٦٠-١٨٦٩م) (١٢٧٦-١٢٧٧هـ/ ١٢٨٥-١٢٨٦هـ) في عهد السلطان عبدالعزيز[2].

---

(١) العثمانيون في التاريخ والحضارة، ص (١٠٧)، أبناء يهوذا، ص (١٢٩-١٣٠)، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة (٥٠٧/١-٥٠٨).

(٢) السلطان عبدالحميد الثاني، محمد علي، ص (٧٠-٧١).

وبعد خلع السلطان وتولية مراد الخامس[1] استمرت الماسونية في نشاطها، نشاطها، ومحاولاتها ضم ذوي النفوذ من الأمراء وقادة الجيش والمثقفين، حتى تم ضم السلطان نفسه إلى المحفل الماسوني الاسكتلندي عن طريق ولي عهد إنجلترا آنذاك الأمير أدوارد[2].

أدى ذلك إلى إحكام سيطرتهم على الدولة، لدرجة أنه لم يكن يتم فيها أي أمر من الأمور إلا بتخطيط منهم أو بمشورتهم.

لذا عندما تولى السلطان عبدالحميد الثاني ﷺ اتخذ موقفاً حاسماً جداً من الماسونية ومحافلها، حيث أبدى معارضة شديدة لها.

يذكر المؤرخ التركي (نظام الدين نظيف) أن السلطان عبدالحميد الثاني ﷺ كان عدواً للماسونية[3].

هذا الموقف قابلته الماسونية بالعمل على تكوين جماعة الاتحاد والترقي بهدف خلع السلطان ومن ثم إسقاط الخلافة العثمانية ليخلوا لهم الطريق إلى فلسطين وإعادة الهيكل المزعوم.

يقول أرنست:

"إن الثورة التركية – أي حركة جمعية الاتحاد والترقي–، كلها تقريباً من عمل مؤامرة يهودية ماسونية"[4].

ويقول أيضاً:

"وجدت الجمعية أن المحافل الماسونية في سلانيك تلائم أغراضها بصورة

---

(١) السلطان مراد الخامس بن عبدالمجيد، تولى عرش الدولة العثمانية عام (١٢٩٣هـ) عزل في نفس العام بسبب الاضطراب النفسي والعقلي الذي يعاني منه.
انظر: تاريخ الدولة العلية، ص (٥٧٩).

(٢) أسباب خلع السلطان عبدالحميد الثاني، يوسف عمر، ص (١٧١).

(٣) الأفعى اليهودية في معاقل الإسلام، عبدالله التل، ص (٧٨).

(٤) تركيا الفتاة وثورة (١٩٠٨م)، أرنست رامزور، ص (١٢٦).

رائعة. وعلى ما يبدو أن الجمعية استعملت بعض المحافل أو ربما جميعها لتكون محلات للاجتماع، وضمت كثيراً من أعضائها، ومن المحتمل أيضاً أن عمل الجمعية سار بسرعة تثير التقدير بسبب هذا الاتصال مع ماسونية سلانيك[(١)].

تذهب أغلب الآراء إلى أن تأسيس هذه الجمعية إنما كان على يد (إبراهيم تيمو)[(٢)]، وتشير كثير من الاحتمالات إلى أنه قد زار في عام (١٨٨٨م/ ١٣٠٥-١٣٠٦هـ) محفلاً ماسونياً تعرف فيه على الكاربوناري[(٣)]، وقرر وقتها تأسيس جمعية سرية على نمطها[(٤)].

وقد تم اختيار (سلانيك) مقراً لإنشاء هذه الجمعية لغلبة الطابع اليهودي عليها؛ لذا كان غالب المنضمين إلى الجمعية والذين يشكلون عناصر فعالة فيها هم من يهود سلانيك.

تلقت هذه الجمعية الدعم المادي والمعنوي من قبل اليهود؛ الذين كانوا يتميزون بامتلاكهم الكثير من الثروات، بسبب سيطرتهم على تجارة سلانيك.

يقول أحد أعضاء هذه الجمعية وهو (رؤوف ليسكو فيلكي):

" والغريب أن الدونمة يقيمون حصراً في تلك المدينة - أي سلانيك - ويتهمون بالطمع الشديد، لاشتغال أكثرهم بالتجارة، هؤلاء كانوا أشد صراعاً من أجل الحرية من غيرهم من المسلمين !! فإننا لقينا أثناء صراعنا من أجل الحرية

---

(١) المرجع نفسه، ص (١٢٣-١٢٤).

(٢) إبراهيم تيمو، ألباني الأصل، ولد عام (١٨٦٥م) في بلدة مات جنوب يوغسلافيا سابقاً، غادر إلى إستانبول لإكمال دراسته، التحق بالمدرسة الإعدادية الطبية.
انظر: أسباب خلع السلطان، ص (١٠٦) هـ (٢).

(٣) الكاربوناري جمعية إيطالية سرية تأسست عام (١٨٠٧م)، تهدف إلى طرد الفرنسيين والنمساويين من إيطاليا، بسبب سيطرتهم على مقاليد الأمور.
انظر: الدولة العثمانية دولة مفترى عليها للشناوي (٢/٢٦٠) هـ (٢).

(٤) تركيا الفتاة، أرنست، ص (٥٠).

مساعدات وتضحيات جساماً من الدونمة"[1].

اتبعت جمعية الاتحاد والترقي نفس الوسائل والأساليب الماسونية من حيث السرية التامة، والتحفظ الكامل حتى لا يقف أحد على حقيقتها، وطريقة قبول العضو فيها، ومكاشفته بالرعب. والقسم على عدم إباحة السر، والقتل لأي شخص إذا حكمت عليه الجمعية بذلك. بل إن الاجتماعات السرية للجمعية كانت تقام في بيوت اليهود باعتبارها الملاذ الآمن من جولات التفتيش التي تقوم بها السلطات.

يقول عمر يلماز:

"إن الوثائق الموجودة صحيحة وقطعية بالدرجة التي لا تدع مجالاً للشك، في إثبات تمازج جمعية الاتحاد والترقي مع الماسونية فالمحافل الماسونية كانت أساس حركة تركيا الفتاة، ومن بعدها جمعية الاتحاد والترقي، وقد تحققت كل الأنشطة التي قامت بها حركة تركيا الفتاة من قبل الماسون .. وقد كان عملهم من أجل جعل الدولة العثمانية في حالة لا تمكنها من الحفاظ على وجودها ثم تتمزق"[2].

وقد اعترف أعضاء الجمعية أنفسهم بدور الماسونية في تكوين الجمعية ودعمها لتنفيذ مخططاتها ضد الدولة العثمانية.

يقول أحد زعمائها:

"حقاً إننا وجدنا سنداً من الماسونية، وخاصة الماسونية الإيطالية، فالمحفلان الإيطاليان (مكدونية ريزورتا) و (لابوريت لوكس) قدما لنا خدمة حقيقية، ووفرا لنا الملاجئ، فكنا نجتمع فيها كماسونيين، غير أننا في الحقيقية كنا نجتمع لتنظيم أنفسنا. كما أننا اخترنا معظم رفقائنا من هذين المحفلين، اللذين ساعدا لجنتنا، كان العمل السري الذي يجري في سلانيك قلما يثير الشكوك في القسطنطينية، كما أن

---

(١) صحوة الرجل المريض، ص (٢٥٤-٢٥٥).
(٢) السلطان المظلوم بالوثائق، ص (٢٥٩).

عملاء الشرطة حاولوا عبثاً دخوله، يضاف إلى ذلك أن هذه المحافل التمست من الشرق الأعظم في إيطاليا أن تتدخل السفارة الإيطالية عند الحاجة، وقد وعد الشرق الأعظم بضمان ذلك"(١).

ويقول آخر:

"نحن العثمانيون مدينون للماسونية أكبر دين؛ لأنها هي التي ثبتت في نفوس أعضاء جمعية الاتحاد والترقي روح الحرية، وبها اقتدوا في إنشاء جمعيتهم"(٢).

هذه الحقائق كلها لم تغب عن السلطان عبدالحميد الثاني ﷺ فسجلها في مذكراته قائلاً:

"لابد للتاريخ يوماً أن يفصح عن ماهية الذين سموا أنفسهم تركيا الفتاة، وعن ماسونيتهم، استطعت أن أعرف من تحقيقاتي أن كلهم تقريباً من الماسون، وأنهم متنسبون إلى المحفل الماسوني الإنجليزي، وكانوا يتلقون معونة مادية من هذا المحفل، ولابد للتاريخ أن يفصح عن هذه المعونات، هل هي معونات إنسانية أم سياسية"(٣).

وفي مقابل الدعم اليهودي الماسوني الداخلي؛ تلقت الجمعية دعماً خارجياً من الدول الأوربية، متمثلاً في وجود محاضن للجمعية في الدول الخارجية وتقديم العون المادي والمعنوي لها، ومن ذلك توصيل منشوراتهم الصحفية إلى داخل الدولة العثمانية. فقد كان للجمعية صحيفتان تصدران من الخارج هما (مشورت) ويصدرها أحمد رضا في فرنسا، و(ميزان) ويصدرها مراد بك في مصر(٤).

---

(١) تركيا الفتاة ، ص (١٢٦-١٢٧).

(٢) أسباب خلع السلطان عبدالحميد، ص (١٨٠).

(٣) مذكرات السلطان عبدالحميد الثاني، ص (١١٥-١١٦).

(٤) انظر للاستزادة بشيء من التفصيل:
تركيا الفتاة، ص (٥٥-٦٠)، تاريخ الدولة العثمانية، مانتران (٢/٢٢٩-٢٣٠)، مذكرات السلطان عبدالحميد الثاني، ص (١٣٢-١٣٣).

لم تجد هذه الصحف طريقاً لدخول الدولة العثمانية إلا دوائر البريد الأجنبية التي كانت مصونة من التفتيش بسبب الامتيازات الأجنبية.

وقد كان السلطان عبدالحميد الثاني ﷺ على علم بذلك يقول:

"هؤلاء الذين أطلقوا على أنفسهم اسم تركيا الفتاة كانوا في الأصل ثلاثة أشخاص أو خمسة، وهؤلاء عملوا ضدي عدة سنوات في أوروبا، تكلموا، خططوا، كتبوا، كل ذلك قبل أن يفكروا أن العمل ضدي معناه أيضاً العمل ضد الوطن، لقد كانت صحفهم التي يصدرونها تأتي خفية إلى البلاد عن طريق البريد الأجنبي، وتوزع بواسطة الأجانب"[(١)].

عملت الماسونية بكل ما تملك على تشوية صورة السلطان عبدالحميد ﷺ بين شعبه وفي نظر الدول الأخرى أيضاً؛ لكنها لما رأت أن ذلك لم يؤثر التأثير المرجو بخلع السلطان، دبرت له عدة محاولات للاغتيال.

كان أولها محاولة اغتياله عن طريق المنظمات الثورية الأرمينية السرية، حيث قام ملك انجلترا (كارل إدوارد) والمنتسب للمحفل الماسوني، والصديق الحميم لليهود بتقديم ثلاثة عشر ألف ليرة ذهبية لهذه المنظمات للقيام بعمليات ضد الدولة[(٢)].

ثم كانت المحاولة الأخرى لاغتيال السلطان، حيث كلف بهذه المهمة يهودي مجري، فرنسي الجنسية يدعى (جورس)، تدرب في روسيا على عمليات الاغتيال، ولقد قام بالتعاون مع المنظمة الثورية الأرمينية بوضع قنبلة موقوتة في عربة حصان لتنفجر أثناء صلاة الجمعة بحيث تترك العربة في المكان الذي يمر فيه السلطان وكان ذلك في عام (١٩٠٥م/ ١٣٢٢-١٣٢٣هـ)، إلا أن الله أراد غير ما أرادوا فنجا السلطان ودوى انفجار هائل قتل فيه عدد كبير لم يتم التعرف عليهم

---

(١) مذكرات السلطان عبدالحميد، ص (١٣١-١٣٢).

(٢) أسباب خلع السلطان عبدالحميد، ص (١٧٣).

بسبب ما أصابهم من تشويه خلال الانفجار. وقد ذهل من بقي حياً من هوله ونتائجه[1].

في عام (١٩٠٨م/ ١٣٢٥-١٣٢٦هـ) أقامت الماسونية الثورة ضد السلطان عبدالحميد الثاني ﷺ لفرض المشروطية الثانية (الدستور)، ونصبت الماسوني مدحت باشا رمزاً للحرية المنشودة في عصر الاستبداد وأطلقت عليه (أبو الدستور)، وهو ابن حاخام مجري.

يقول المؤرخ أزوتونا:

"كان مدحت باشا بطل المشروطية، وشهيد الحرية !! كان هؤلاء الشباب لا يعلمون أي عميل إنجليزي هو. كذلك لم يكن من مصلحتهم معرفة ذلك؛ لأنه كان يلزم لحصولهم على الحكم أن يرفعوا نوعاً من الشعارات أو المثل، حتى ولو كانت مفتعلة. من هو أكبر معارض لنظام عبدالحميد؟ مدحت باشا !! إذاً هو بطل"[2].

ومن سلانيك نادت جمعية الاتحاد والترقي بشعارات الماسونية عدالة - مساواة - حرية - إخاء .

ومن سلانيك تم إسقاط السلطان عبدالحميد ﷺ عام (١٣٢٦هـ)، وانتدبوا لتبليغه بالخلع وفداً مكوناً من أربعة أشخاص على رأسهم يهودي يدعى (قره صو).

يقول السلطان عبدالحميد ﷺ:

"إن أهم ما أصابني من حزن وكدر هو عملية التبليغ بالخلع التي خطط لها الماسون ونفذ قرارها اليهود"[3].

---

(١) انظر عن هذه المحاولة: السلطان المظلوم بالوثائق، ص (١٠٠-١٠١)، مذكرات السلطان عبدالحميد، ص (١٦٦، ٢١٨) هـ (١).

(٢) تاريخ الدولة العثمانية (٢/١٦٨).

(٣) السلطان المظلوم، ص (١٦).

بل بلغ بهم الحقد على السلطان أن ينفوه في سلانيك، ويقيموه في بيت رجل يهودي إمعاناً في إذلاله.

يقول رضا نور الذي كان وزيراً في أول حكومة كمالية:

"لقد أسقطوا السلطان التركي وهو رئيس سلطنة عظيمة، على يد يهودي حقير جداً، ومعه ألباني رذيل قاتل هو أسعد باشا، ثم أرسلوا السلطان منفياً إلى سلانيك ليجلسوه في منزل تاجر يهودي غني يدعى آلاتني"[1].

تولت جمعية الاتحاد والترقي السلطة وكان عهدهم يمثل العهد الذهبي لليهود فقد تم لهم الاستيطان في فلسطين وتمكن الماسون من التمركز في الوزارات الحساسة فتسلم طلعت بك وزارة الداخلية وجاويد بك وزارة المالية، وهما يمثلان قمة الماسونية في تركيا[2].

أسند طلعت بك الوظائف الكبرى في الأقاليم إلى ولاة ومتصرفين من الماسونيين؛ وقد أسهم ذلك في فتح المحافل الماسونية في طول البلاد وعرضها.

يقول عمر يلماز:

"تربع طلعت بك على عرش الماسونية فانتخب أستاذاً أعظم، وكان طلعت بك الذي لمع فجأة بصفته الشخصية المتميزة في العهد الدستوري، أثبت قدرته على لعب الدور الرئيس بمقدرات الدولة العثمانية. ويا للأسف، فقد قدر للدولة العثمانية أن تتمزق في عهد صدارته، وتواصلت من بعد افتتاح المحافل الماسونية..

افتتح في فترة قصيرة أربعة وعشرين محفلاً في إستانبول وحدها. ووجد بالدولة العثمانية ثمان وخمسون محفلاً. وقد سهلت المواقع السياسية، والاجتماعية، والثروات التي حصلت عليها الماسونية، سقوط

(١) مذكرات السلطان عبدالحميد، ص (٢٠٤) هـ (١).

(٢) الماسونية للسقا، ص (٢٢٢).

الدولة العثمانية"[1].

في عهد جمعية الاتحاد والترقي هيمن الطابع اليهودي على الدولة العثمانية السنية، وقد ظهر ذلك على ألسنة الشعراء فهذا الشاعر (أشرف) ينتقد الوضع القائم قائلاً:

إن حكومتنا بالدونمة

أصبحت شبيهة بالدولة اليهودية

ويشكو نابي المانسترلي نفس الشكوى بأسلوب آخر فيقول:

في وقت من الأوقات شمل العالم كفر الماسونية

وغدا كل أركان الدولة جميعهم مستبدين

فكيف يصبر الإسلام على مثل هذه الأوضاع ؟! [2]

من سلانيك ظهر مصطفى كمال؛ وبيد الماسون أسقط الخلافة العثمانية وأعلن علمانية تركيا. ففي مؤتمر الصلح في لوزان كانت الأمور كلها بيد مستشار الوفد الحاخام ناعوم.

يقول رضا نور: "إن الدور الأساسي في موضوع الصلح كان قد أعطي إلى حاييم ناعوم"[3].

ومعنى ذلك أن صفقة بيع وشراء الخلافة، قد تم بين لندن وأنقره، وما حضور وفد تركي إلى لوزان إلا للتمويه والتوقيع.

من أجل الماسونية حارب مصطفى كمال كل مظاهر الإسلام في تركيا، بل وفي يوم افتتاح مجلس الشعب سنة (١٩٢٣م/ ١٣٤١-١٣٤٢هـ) أعلن "نحن الآن في القرن العشرين، ولا نستطيع أن نسير وراء كتاب تشريع يبحث في

---

(١) السلطان المظلوم، ص (٢٦٨).

(٢) المرجع السابق، ص (٢٦٠).

(٣) الرجل الصنم، ص (٢٨٧).

التين والزيتون"[1].

وقد اعترف الماسون أنفسهم "أن صولة أتاتورك على الإسلام تنفيذاً لقرارات ماسونية ترى هدم تركيا واجباً، لأنها آخر الخطوط المدافعة عن فلسطين"[2].

لقد كانت صولة أتاتورك على الدين تحقق هدفاً آخر تسعى الماسونية لتحقيقه، ألا وهو إزالة المظلة التي تجمع بين العرب والترك. لتمزيق الدولة العثمانية.

فنادوا بالقومية العربية بين العرب، وبالتركية بين الأتراك. بعد أن تعايشا طيلة أربعة قرون كاملة، متحابين متعاونين، كان ذلك حين ضعفت الدولة وأخذت الماسونية تثير بينهما الأحقاد والضغائن، ولبست اليهود ثياب الأتراك (الدونمة) فأخذوا يضخمون الأخطاء والسلبيات، ويضربون هؤلاء بأولئك ينفخون نار الطورانية هناك، ونار العروبة هنا. هنا العربية الفتاة، وهناك تركيا الفتاة .. كل ذلك تمهيداً للفصل بينهما.

زاد أعضاء جمعية الاتحاد والترقي من تأجيج الدعوة إلى القوميات فهذا أنور باشا من دعاة الطورانية تأثر بأفكار الكاتب اليهودي العثماني (موئيز كوهين) في الدعوة إلى القومية التركية الطورانية.

وهذا نامق كمال[3] أول من بذر بذور القومية في أدب الأتراك الإسلامي[4].

---

(١) الماسونية في العراء، ص (٢٢١).

(٢) المرجع السابق، ص (١٥١).

(٣) هو نامق كمال: شاعر ومؤرخ عثماني، تأثر بفلاسفة الثورة الفرنسية، أصدر في باريس جريدة (الحرية)، أعاده أتاتورك مرة أخرى إلى تركيا، أصدر ديوان (مرثية كربلاء). انظر: المرجع السابق، ص (٥١).

(٤) مذكرات السلطان عبدالحميد، ص (٢٧٣-٢٨١).

وقد ذكر السلطان عبدالحميد الثاني ﷺ هذه الحقيقة في مذكراته يقول:

"الذين تولوا زمام الحكم من بعدي، رجحوا داعي القومية عند الأتراك، وجعلوه في مرتبة أعلى من الغيرة الدينية، ونفروا منهم العرب فبئس ما كانوا يفعلون"[1].

هذه الدعوات القومية حلقة من حلقات المخطط الماسوني لإسقاط الدولة العثمانية؛ وبالفعل فقد كانت لها آثارها المرة على الفريقين.

فلما انهزمت الدولة العثمانية في الحرب العالمية وسقطت أراضيها العربية فريسة سهلة للدول الاستعمارية لم تمثل هذه الفاجعة للأتراك شيئاً !!

ولما وضعت تركيا تحت الحكم الجمهوري وأعلنت علمانيتها، وأزيلت كل مظاهر الإسلام منها لم يمثل سقوطها للعرب شيئاً !!

لذا لم يسع العرب ولا الأتراك إلى إرجاع سطوة الخلافة مرة أخرى وعاشوا الشتات والفرقة والضعف، وكل يرى أن ذلك خير له.

وهو خير لليهود الذين أشاعوا هذه الدعوات للحصول على هذا الهدف.

*** علاقة الصوفية بالماسونية:**

لا يخفى على الباحث في التصوف العلاقة بينه وبين الماسونية، ذلك أن أهم المعتقدات الصوفية هي من تأثير اليهود الحاقدين على الإسلام؛ فقد "أفرزت حملات التشكيك اليهودية .. كل الفرق الإسلامية، وغلاة المتصوفة، وليست شطحات الصوفية كالفيض الإلهي، والتناسخ، والحلول، والتجسيد، والتجلي إلا من تأثير هذا الدس اليهودي"[2].

بل إن تأويلات الصوفية لتصحيح عقائدها الفاسدة هي تطبيق حرفي لما جاء في بروتوكولات حكماء صهيون حين قالوا:

---

(١) المرجع السابق، ص (١٩٥).

(٢) أبناء يهوذا في الخفاء، ص (٧١).

"لا تكذبوا نصوص الجويم، بل أولوها تأويلاً يبطل مفعولها"[1].

يقول د/ أبو حبيب:

"إن القارئ في كتاب ابن عربي (فصوص الحكم) ليجده تطبيقاً حرفياً لهذا الأمر؛ بل إن جميع معتقداته التي جاء بها من وحدة الوجود، ووحدة الأديان، عقائد يهودية، ماسونية صرفة.

فابن عربي خرج من الأندلس البلد المليء باليهود الذين هاجروا فيما بعد إلى تركيا، وانتسب إلى العرب فتسمى بابن عربي ثم دعا الناس إلى عقائده اليهودية وتبعه كثير من الصوفية ولا يزالون يعتقدون عقائده"[2].

أثمرت عقائد التصوف المنحرفة لدى الصوفية القبول لجميع الملل، فصاحب أي ملة يهودية كانت أو نصرانية لا ينكر عليه عندهم.

وهنا تلتقي الصوفية مع الماسونية؛ لأن الماسونية تقبل في محافلها جميع من يريد الانتساب من أي ملة كانت يهودية أو نصرانية أو إسلامية، لكنها خلف جدران المحافل تهدم جميع الأديان ليبني الجميع هيكل سليمان.

لذلك فلا عجب أن نرى الماسونية والدول التي تحركها تدعم التصوف وتنشره وتحقق تراثه، وتفتح أقسام الدراسات العليا ونحوها عن الإسلام، وما هي عن الإسلام، وإنما هي عن التصوف.

اتبعت الطرق الصوفية أساليب الماسونية في طريقة قبول العضو، وقد حضر الشيخ محمد الزعبي حلقة صوفية تم خلالها قبول عضو جديد، فوجدها لا تختلف كثيراً عن طريقة الماسونية – التي كان منتسباً إليها – في قبول العضو.

---

(١) أثر القوة الخفية، ص (٣٦). ولم أقف على هذا النص في كتاب (بروتوكولات حكماء صهيون) الذي بين يدي.

(٢) أثر القوة الخفية الماسونية على المسلمين، ص (٣٦).

يقول: "كثيراً ما حضرت حلقات أذكار يقيمها المساكين المغرورون ويخالونها عبادة وهي في الواقع ملتقية مع الماسونية بمصدرها الأول، حضر بعض إخواني جلسة تكريس (تخليف) صوفية يرأسها الشيخ/ محمد قدور شيخ طريقة صوفية بمزة دمشق، مساء الخميس الأول من شهر نيسان (١٩٦٩م) الموافق ١٣/ ١/ ١٣٨٩هـ فشاهد الماسونية بأسلوب ثان.

١- جرح الشيخ يد التلميذين اللذين تقدما للتكريس ليضم دم أحدهما لدم الآخر تحقيقاً للأخوة وهذا مأخوذ من جرح الطالب الماسوني ليوقع بدمه.

٢- لف الشيخ على رقبة تلميذه حبلاً وهذه لا تزال في المحافل الماسونية.

٣- جلس التلميذ بين يدي الشيخ للقسم كما يجلس الماسوني بالمحفل وراء المذبح.

٤- طيف بالتلميذ بعد التخليف وقيل: من يشتري العبد الذليل وكلما مر بشخص قال: اشتريته وأعتقته بقراءة الفاتحة وهذا تشبه كلمة (مر ياصحيح النسب) التي نراها بالمحفل.

٥- أوصى الشيخ تلميذه بالكتمان والطاعة العمياء وعانقه وقبله وهذا ما نراه بالمحفل.

٦- قبل التلميذ أيادي إخوانه وهذه ذات صلة بما نراه بالمحفل حين انعقاد حلقة الأسباط "[1].

* علاقة الصوفية بالماسونية في الدولة العثمانية:

تمكن الماسون من فرض سيطرتهم على الدولة العثمانية، بفضل مراكزهم الحساسة فقد كان منهم الوزراء، والصدور العظام، والمدرسون في الجامعات، بل

---

(١) أثرة القوة الخفية، ص (٣٦-٣٧)، الماسونية وموقف الإسلام منها، ص (١١٣-١١٤) نقلاً عن الماسونية في العراء . ولم أقف على هذا النص في النسخة التي بين يدي.

ومنهم الشيوخ الذين يصعدون المنابر !!، ويغشون حلقات دراسة الفقه، والحديث، والتفسير، والتصوف.

وهذا تنفيذ عملي لما أوصى به هرتزل في مؤتمر عام (١٩٠٣م/ ١٣٢٠-١٣٢١هـ) حين قال:

" لا بأس أن يدخل الماسون بين المتدينين ويؤسسوا الجمعيات الدينية، ليلعبوا على السذج "[١].

وقد اقتنع عدد من رجال الدين بالانتماء إلى الماسونية، فاتخذتهم جمعية الاتحاد والترقي أمثلة للتغلب على شكوك الشعب بالماسونية، وكراهيتهم لها، وقد وصف أحد الأتراك هذه الطريقة بأنها عملية تخدير الشعب بحشيشة اليهودية "[٢].

بل قد وصل الأمر إلى منصب شيخ الإسلام ومن هؤلاء موسى كاظم أفندي[٣] فقد تردد أنه يمكن أن يكون أستاذاً ذات يوم، حتى أن السلطان محمد رشاد لم يكن يرغب في تعيينه في هذا المنصب وقال: إنه قد وردت رسائل إلى القصر تخبر بماسونيته [٤].

بهذا استطاعت الماسونية ضم جماعات دينية في محافلها، ومن هذه الجماعات.

---

(١) الماسونية في العراء، ص (٧٤).

(٢) الماسونية للسقاء، ص (٢٢٥).

(٣) هو موسى كاظم بن إبراهيم الطورطوملي، ولد عام (١٢٧٥هـ)، دخل الطريقة النقشبندية، تولى المشيخة في عهد الاتحاد والترقي عام (١٣٢٨هـ)، قام بترجمة كتاب وحدة الوجود للنوري من اللغة العربية إلى اللغة العثمانية، وترجم كتاب الواردات، له مجموعة من الكتب والمقالات، أعفي من منصبه عام (١٣٣٧هـ)، توفي عام (١٣٣٨هـ).
انظر: تاريخ مؤسسة شيوخ الإسلام في العهد العثماني (٢/٣٥٥-٣٦٣).

(٤) السلطان المظلوم بالوثائق، ص (٢٦٩).

أولاً: البكتاشيـــة.

هي أوسع الطرق الصوفية انتشاراً وأقواها أثراً في الدولة العثمانية، حيث استطاعت جمعية الاتحاد والترقي الماسونية استقطاب العديد من أعضاء هذه الطريقة، في حين أن الكثير من أعضاء الجمعية كانوا يتبعون الطريقة البكتاشية لما تقدمه لهم من مساعدات وتسهيلات "ومن هذا الصنف طلعت باشا والفيلسوف والشاعر التركي رضا توفيق، وشيخ الإسلام موسى كاظم أفندي"[(١)].

ينقل أرنست عن براون قوله: "ولعل من الغريب أن يعتبر دراويش البكتاشية أنفسهم كالماسونيين تماماً، وأنهم مستعدون للتآخي معهم"[(٢)].

ويقول آخر: "خلال القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر قاموا (أي البكتاشية) بالاشتراك مع الانكشارية في حركة الإصلاح العثماني!! بنفس الدور الذي قامت به الماسونية في حركة الإصلاح الأوروبي، وبعد القضاء على الانكشارية استمرت البكتاشية التي كانت مرتبطة بالماسونية، وقد أعاد فاضل بك تشكيل الطريقة بحيث ظلت مثلاً لحركة تركيا الفتاة لمدة تزيد عن القرن"[(٣)].

يرى المؤرخون أن السبب في تحالف البكتاشية بالماسونية:

أن البكتاشية هدفت إلى السيادة الدينية التامة في البلاد التي تصلها دعايتهم، حيث كانوا يأملون بتحالفهم هذا تأسيس دولة بكتاشية في (ألبانيا)، ويرون أيضاً أن السلطان عبدالحميد أرتاب من البكتاشيين، إبان الحركة الألبانية سنة (١٨٨٠م/ ١٢٩٧هـ)، حيث لاحظ مدى تعاطف البكتاشية مع الأماني الألبانية، حينما لاح في الأفق إمكانية تنازل الدولة عن جزء من جنوب ألبانيا[(٤)].

---

(١) تاريخ الدولة العثمانية، مانتران (٢/٢٣٧)، تركيا الفتاة، ص (١٣١).
(٢) تركيا الفتاة، ص (١٢٩).
(٣) المرجع السابق، نفس الصفحة.
(٤) المرجع السابق، ص (١٣٠).

فقد جاء في وثيقة سرية رفعها سفير بريطانيا في القسطنطينية إلى وزير خارجيته عام (١٩١٠م/ ١٣٢٨هـ) أظهر أبناء طائفة البكتاشية المنشقون عن أهل السنة والجماعة والذين يبلغ عددهم مليون شخص يسكن معظمهم في جنوب ألبانيا ومقدونيا ويمارسون طقوساً سرية تشبه طقوس الماسونية ولهم تنظيم يشبه تنظيمها، أظهروا رغبتهم في الانتماء إلى الماسونية وكان هؤلاء البكتاشيون مدفوعين بروح الماسونية الحقة[(١)].

في حين رغبت الماسونية في ذلك من أجل إضفاء الصفة الدينية على جمعية الاتحاد والترقي، التي قامت بتشجيعها واستخدامها كوسيلة ضغط على السلطنة قبل سقوطها، وجعلت لها دوراً رائداً ومسانداً في عهدها.

ففي عهد الحكومة الكمالية قام مصطفى كمال بزيارة شيخ الطريقة آنذاك جمال الدين أفندي وكان ذلك في عام (١٩١٩م/ ١٣٣٧-١٣٣٨هـ)، كان هذا الشيخ يتزعم ستة ملايين بكتاشي في الأناضول فقط، وكان نائب مدينة قير شهر في البرلمان، وكان أيضاً رئيس البرلمان.

ومن ثم قاما بزيارة ضريح الشيخ بكتاش، ثم توجها لزيارة (صالح نيازي بابا) الشيخ الثاني للطريقة وعقد الثلاثة اجتماعاً مغلقاً لم تعرف تفاصيله، لكن المحصلة منه هو وقوف البكتاشية إلى جانب أتاتورك.

وقد قلد مصطفى أتاتورك جمال الدين أفندي نيابة مجلس الأمة في تركيا بعد أن أسسه.

وبعد وفاة جمال الدين تولى أخوه (ولي الدين أفندي) مشيخة الطريقة وقد ألقى ولي الدين خطبة في البرلمان التركي كشفت عن مدى الاتفاق بين الطرفين أهم ما جاء فيها:

"إلى كل المحبين المخلصين لجدي حاجي بكتاشي ولي إن تصريحات وبيانات

---

(١) مظاهر الغلو عند الصوفية، ص (٨١).

الفاتح مصطفى كمال باشا الجليل رئيس مجلس الأمة التركي تبعث الشرف للأمة الإسلامية كلها، وتضمن إحياء واستقلال أمتنا وكلها معلومة لدينا جميعاً، وإنه من الواجب علينا تنفيذ كل مطالب الفاتح الباشا بخصوص رقي وعلو هذا الوطن، وجميع أفكاره صائبة وإن من ينكر هذا فلا علاقة لنا به أبداً، وإنني أوصي جميع المتسبين إلى طريقتنا العلية بأهمية شديدة بألا يؤيدوا أحداً إلا هو، ومن لم يعمل بنصيحتي فليس منا.

وسأكرر بياني مرة أخرى، لن ينقذ هذه الأمة سوى مصطفى كمال باشا وكل أبناء طريقتنا ووطننا معه .."

ولي الدين خليفة حاجي بكتاشي ولي في ٢٥/٤/١٩٢٣م[1]. الموافق ٩/٩/١٣٤١هـ

وتفسر بعض المصادر هذا الموقف من أتاتورك تجاه الطريقة البكتاشية بأن لديه ميلاً لهذه الطريقة، إذ تذكر تلك المصادر أن والده كان بكتاشياً، فأتاتورك من مواليد سلانيك التي عرفت بالنفوذ البكتاشي فيها. كما أن أتاتورك كان متأثراً بآراء نامق كمال وكان بكتاشياً إذ تربى في كنف جده عبداللطيف البكتاشي. ورغم دور هذه المعلومات إلا أن أتاتورك كان همه الأول هو العمل على تثبيت أقدامه في دار الخلافة وتقبل الناس ورضوخهم لدولة علمانية بعد دولتهم التي استمرت قروناً عديدة وهذا لن يتأتى له إلا عن طريق مشايخ الصوفية الممسكين بزمام الشعب.

وفي المقابل لن يأنف هؤلاء المشايخ من القبول بأي سلطة أظهرت القوة والغلبة ما دامت توفر لهؤلاء المشايخ النفوذ الاقتصادي والمعنوي ويظهر جلياً من قول الشيخ البكتاشي آنفاً حرصه الشديد على تأييد البكتاشيين لمصطفى أتاتورك، إذ جعل ذلك من الأمور الواجبة ومن خالفها فليس داخلاً في الطريقة، ولا علاقة له بها أبداً.

---

(١) المنهج الصوفي للطريقة البكتاشية، ص (٥٠-٥١).

وهذا بمثابة الطرد من الطريقة وهي عقوبة لا تنزلها الطرق الصوفية إلا على من ارتكب جرماً لا يغتفر.

هذا الحرص إنما هو بسبب ما يقدمه مصطفى أتاتورك لشيخ الطريقة من نفوذ اقتصادي متمثل في الأموال والنفوذ المعنوي المتمثل في المناصب التي سيحصل عليها في دولته. وهذا ديدن مشايخ الطرق، فهم مع الغالب مهما كانت ديانته. ولانتساب البكتاشية للماسونية التي ينتسب إليها أتاتورك والتي تعمل على تحريكه، فكلاهما منفذ لخطط الماسونية على الحقيقة.

ثانياً: المولـوية.

عملت الماسونية على استقطاب أعضاء الطرق المؤثرة في المجتمع التركي ومن هذه الطرق المولوية. فقد بلغت العلاقة بينهما لدرجة أن كانت التكايا المولوية مكاناً لعقد اجتماعات الجمعية في عهد السلطان عبدالحميد الثاني ﷺ. وكان ذلك الأمر سبباً من أسباب تخوف السلطان من هذه الطريقة.

يذكر محمد ضيا "أن السبب في تخوف السلطان من الطريقة المولوية هو انضمام بعض شخصيات الدولة في إستانبول إلى جمعية الاتحاد والترقي، وأن اجتماعات هؤلاء كانت تنظم في التكية المولوية، وأن الجريدة التي كان يصدرها هذا التشكيل كانت تأتي إلى التكية وتقرأ هناك"[(١)].

وقد صدق ظن السلطان عبدالحميد الثاني ﷺ؛ إذ ثبت وجود علاقة بين جلال الدين أفندي شيخ تكية قونية وجماعة تركيا الفتاة الموجودة في باريس. كما أن ثمة مولوية من أمثال عبدالحليم ممدوح، وإبراهيم أدهم الذي أصدر صحيفة (خدمت) في أزمير، ورئيس تحريرها توفيق نوزاده من الذين هاجموا السلطان عبدالحميد وساهموا في إسقاطه[(٢)].

---

(1) Mevleviligin, p. (372-373).

(٢) المولوية بعد مولانا، ص (٤٢٩).

ولما تم لهم ذلك أصبحت الجمعية هي الحاكم الفعلي للسلطنة العثمانية، فما كان من الطريقة إلا أن وثّقت علاقتها معها، ورغبت الجمعية في ذلك لما تتمتع به الطريقة من المكانة المهمة لها في أوساط الشعب.

حتى إذا ما تسلم السلطة مصطفى كمال قام بعدة زيارات لقونية، في أحدها قام بإهداء شيخ المولوية عبدالحليم جلبي الذي كان في استقباله قبعة - وكان انقلابها حديث عهد - فتقبلها ونزع عنه طربوش المولوية الطويل، ووضع القبعة على رأسه. وقد منح قبلها بمنصب رئاسة برلمان جمهورية أتاتورك في دورته الأولى وبالنيابة عن ولاية قونية[1].

كما أقام علاقة وطيدة مع شيخ الطريقة ولد جلبي الذي مالأ الاتحاديين فكان منهم، ثم التحق بالثورة الكمالية وصادق زعيمها فكان حظياً عنده، عينه أتاتورك نائباً عن ولاية قسطموني[2].

ولما أعلن أتاتورك إغلاق التكايا عام (١٩٢٤م/ ١٣٤٢-١٣٤٣هـ) كان إغلاقه لها صورياً، فقد بقيت للمولوية امتيازاتها، فلم يحاربهم في كتبهم وثقافتهم، بل كانت دولته العلمانية تقام فيها احتفالات يوم وفاة جلال الدين وتطبع كتبه، وكتب ابنه ومن تابعهما تحت ستار من الفلكلورية. وتحتفي دولته بالدارسين لآرائه المعظمين لفكره وتناوئ خفية المظهرين لعواره[3].

بعد إغلاق التكايا في تركيا قام شيخ تكية حلب محمد بكر جلبي بتأسيس مقام الجلبية في مدينة حلب، واستمر ذلك إلى عام (١٩٤٤م/ ١٣٦٣هـ)، إذ تم إغلاق التكايا في سوريا. خلال هذه الفترة ناصرت تكية حلب حكومة الاتحاد والترقي، فقد قام شيخها عامل جلبي ببيع عقارات خاصة بوقف المولوية، وإنفاق أموالها على رجال عهد الاستبداد. كما قام بتأجير أراضي الوقف لهم لمدة سبع

---

(١) أخبار جلال الدين، ص (٧٣) هـ (٢).

(٢) المرجع السابق، ص (٧٤) هـ (١).

(٣) المرجع السابق، ص (٧٤).

سنوات. ورغم سوء تصرفه في أوقاف التكية إلا أن علاقته مع حكومة الاتحاد والترقي أعادته لمنصب المشيخة بعد ثمانية شهور من عزله. وقد انضم إليهم أيضاً مدير الأوقاف في طرابلس الشام شفيق دده[1].

هذه العلاقة المتبادلة بين الطريقة والجمهورية الكمالية دعمت استمرار الطريقة إلى الوقت الحاضر، فلا زال لها وجود في أوساط الشعب التركي وخاصة قونية فما زال قبر جلال الدين يزار، ولا زالت احتفالاتهم تقام على أنغام الرباب والناي والآلات الموسيقية الحديثة.

ثالثاً: النقشبندية:

ما أن وثبت جماعة الاتحاد والترقي إلى السلطة، حتى وقفت منها النقشبندية موقف المؤيد والمساند؛ وجعلوا من مريديهم رعايا متبعين ومستسلمين. لم تمثل النقشبندية قوة سياسية مستقلة في العهد الجمهوري، بل كانت واقعة تحت استغلال الأحزاب السياسية المسيرة من قبل يهود سلانيك، يتصل رؤساء هذه الأحزاب السياسية في مواسم الانتخابات، ويأخذون تأييدهم؛ ويكلفونهم بتعليمات لا يخالفهم فيها مشايخهم، بل حصل عدد من أبنائهم على العضوية في البرلمان.

يتحدث فريدآيدن عن دور النقشبندية مع السلطة:

"ترتاح - السلطة الحاكمة - لكثرة عددهم ونشاطهم؛ لأنه كلما ازدادوا عدداً ونشاطاً، ازدادت بهم السلطة قوة وتحكماً؛ وذلك لأن نجاح الأحزاب السياسية في الانتخابات العامة متوقف على دعمهم، لذا فإن الأحزاب تتنافس في سبيل اكتسابهم؛ ولأن النجاح في كسب دعمهم ضرورة لا مهرب منها لإرضاء الطغمة الحاكمة من يهود سلانيك الذين يملكون زمام الحكم في كل مرحلة ويحتكرون السلطة. وعليه فإن الحزب السياسي في تركيا لا يعدو عن آلة

---

(1) Mevlevlligin, p. (319).

يستخدمها يهود سلانيك في توجيه المجتمع وترويضه"[1].

وفي المقابل فإن النقشبنديين لا يعصون أمراً ليهود سلانيك يشاركونهم في طقوسهم الدينية، ويحتفلون معهم عند قبورهم، ويقومون بإجراء ما لا يتعارض مع أهداف اليهود وعقائدهم من تخدير مشاعر الناس بنشاطهم الصوفي، وإحياء بدع أوليائهم، وتقديس قبورهم والاستغاثة بأمواتهم، وغير ذلك مما يصد الناس عن دينهم الحق وتوحيدهم الخالص، ويشغلهم عن مخططات السلطة الحاكمة.

بل تعدى الأمر إلى أن ساندت الطريقة النقشبندية السلطة الحاكمة على أهل التوحيد؛ يقول فريدالدين آيدن:

"ربما يدافع بعض الناس أن هؤلاء الشيوخ هم أهل الزهد والنسك، معتكفين في تكاياهم، يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم، مشغولين عن الدنيا وملاهيها، لا يراهم أحد في الشوارع أبداً هل يجوز أن يكونوا متواطئين مع رجال السياسة الذين لا يهمهم إلا المصلحة، وهل يجوز أن يتعاون هذان الجمعان المختلفان في العقيدة والفكر والسلوك وبخاصة ضد أهل التوحيد ؟!

والجواب: أن منطق الإنسان النقشبندي يسمح له بالتعاون مع كل من يصدقه على أساطيره وعقائده، ولو كان يهودياً أو نصرانياً، ويضيق صدره عن كل من يكذب أساطيره ويرشده إلى توحيد الله وإن كان حنيفاً مسلماً. ولهذا لم يتخلف النقشبنديون عن التحيز إلى الفئة المتغلبة، واتخاذ الموقف المضاد من أهل التوحيد؛ بل قد شاركوا الحكومات العلمانية في مواقف عديدة وبصورة فعلية ضد الحنفاء المسلمين، منها: أن أحداً من مشايخ الطريقة النقشبندية لم ينبس ببنت شفة استنكاراً لما تقوم به السلطة من تصرفات ظالمة بإهانة المسلمين وغصب حقوقهم، ولم يبد أحد منهم إدانته لموقفها المتسامح مع أجهزة الإعلام اليهودية

---

(١) الطريقة النقشبندية، ص (٣٢٢).

التركية في حملاتها على الإسلام والمسلمين، وسخريتها بالمقدسات الإسلامية من غير هوادة [(١)].

بعد هذا العرض يتضح أن الطرق الصوفية قد تعاونت، ومدت يدها بالمساعدة والمساندة لجمعية الاتحاد والترقي الماسونية التي لها دور لا يخفى في سقوط الدولة العثمانية.

بهذا يتبين أن ظاهرة نشوء الدول وسقوطها من الظواهر التاريخية المتكررة في التاريخ البشري، وأن لذلك سنة جارية.

والدول الإسلامية خلال مراحل تاريخها في الماضي والحاضر هي أمة التوحيد، ومنهجها القرآن الكريم والسنة المطهرة، يرتبط تفوقها وسيادتها وعالميتها بتمسكها بهذا المنهج وهذه الرسالة، ويتزامن إخفاقها وتكالب الأمم الأخرى عليها بابتعادها عن هذا المنهج وتخليها عن تلك الرسالة.

والقرآن الكريم أشار مراراً إلى سنة التغيير وربطها بالبعد عن دين الله تعالى قال الله تعالى:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [(٢)].

وقال الله سبحانه:

﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم﴾ [(٣)].

والدولة العثمانية مثلها مثل غيرها من الدول السابقة عليها، أصابتها عوامل السقوط، فقد تجلت أولى مظاهر الضعف لديها بحلول القرن الثاني عشر الهجري في البعد عن منهج الإسلام، وجوهر الإيمان، بنشر الشركيات في طول البلاد وعرضها، وبتعطيل الجهاد، والتعلق بالحياة المترفة، وضعف السلاطين،

---

(١) المرجع السابق، ص (٣٢٩-٣٣٠).

(٢) سورة الرعد، جزء من الآية: (١١).

(٣) سورة محمد، جزء من الآية: (٣٨).

وفساد الحاشية، والغلو في نزعة التصوف البعيدة عن حقائق الإسلام النقية.

ولما بدأت الدولة العثمانية ببرامج التغيير، في محاولة منها لوقف انهيار الدولة، أخفقت تلك المحاولات بسبب عدم استناد هذه التنظيمات الجديدة على أسس إسلامية واضحة، لإيجاد الصيغة المرجوة للاقتباس من الغرب فأضاع العثمانيون قرناً من الزمان في هذه التجربة ازدادت فيها الفجوة لصالح الأعداء.

كما كان لتعدد عناصر الدولة وقومياتها، وتنوع أديانها ومللها ومذاهبها في قارات ثلاث أثر في زيادة أعباء الدولة وإضعافها، خاصة بعد هبوب رياح القومية والطائفية بمؤازرة جمعية الاتحاد والترقي التي تدعمها قوى استعمارية، جعلت منها قوة حاكمة لدولة الخلافة؛ وهكذا تمكنت تلك العصابة اليهودية من إسقاط الدولة العثمانية، وإعلان علمانية الدولة، وقدمت أراضي الدولة العثمانية للدول المستعمرة، وخصت اليهود بأرض فلسطين.

هذا السقوط المريع لدولة استمرت قروناً عديدة هو سنة ربانية باقية ما بقيت السموات والأرض.

قال الله تعالى:

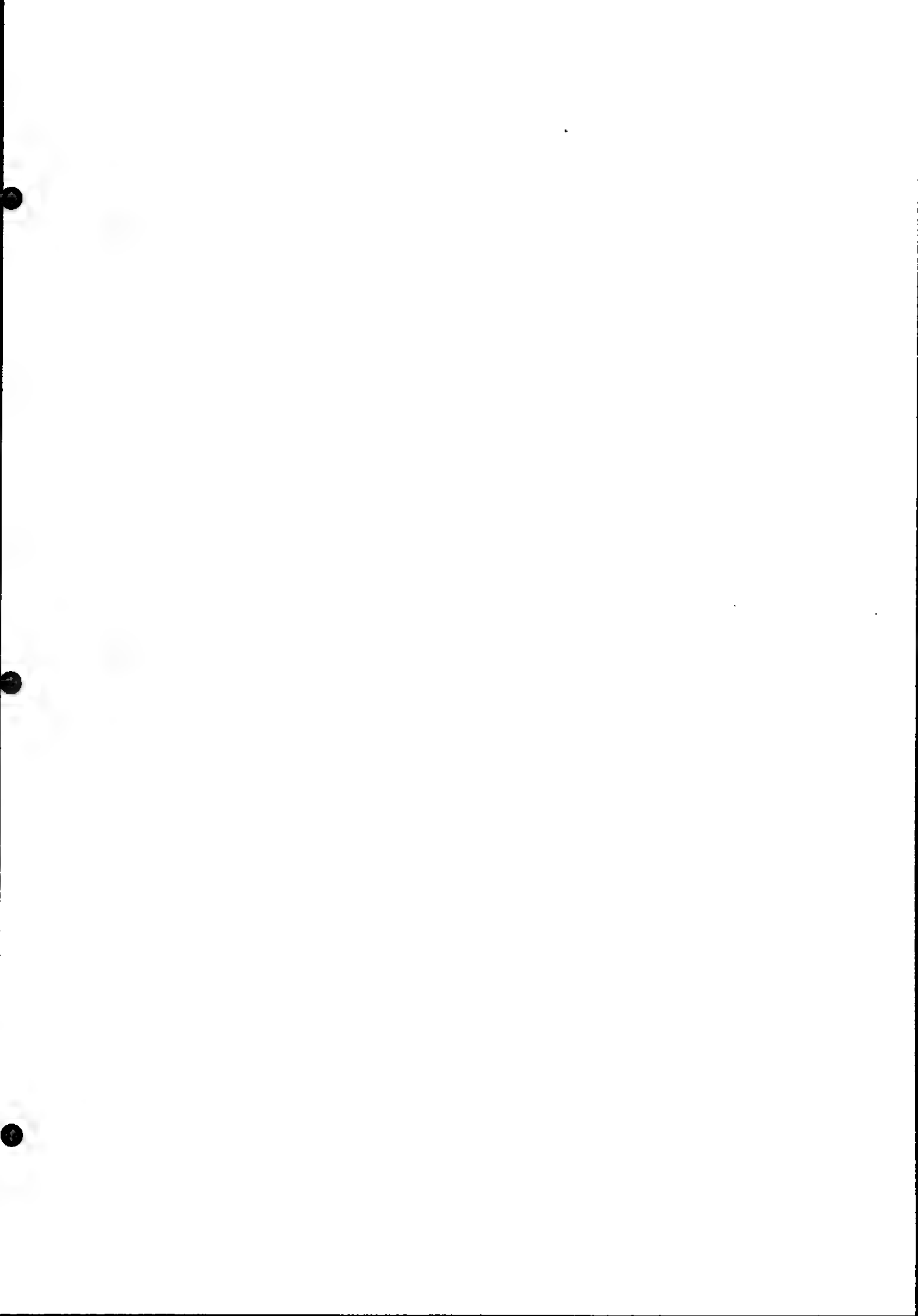
﴿إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[1].

فالعاقبة للتقوى، لمن التزم الأوامر واجتنب النواهي، لذا حينما أسقط الله هذه الدولة ببعدها عن المنهج أوجد الأرض البديل ليتحقق فيها دين الله تعالى، فقد مكن الله لدولة سعت لتصحيح العقيدة ومحاربة الشرك وإقامة الدين الخالص بعيداً عن البدع المحدثة، مع قلة في العدد والعدة وفي بيئة موبوءة بالشركيات والبدع، فرفع الله شأنها وأعلى منارها وحقق لها وراثة الأرض وخدمة الحرمين الشريفين وستظل كذلك بإذن الله تعالى ما لم تغير أو تبدل.

---

(١) سورة الأعراف، الآية: (١٢٨).

الخاتمة



الخاتمــة

الحمد لله رب العالمين، الذي أنعم عليّ بإتمام البحث بهذه الصورة التي أرجو أن أنال بها رضاه، وأن يكون البحث نافعاً محققاً للغرض منه، وقد توصلت من خلاله إلى عدة نتائج أهمها:

أولاً: أن التصوف نبتة غريبة عن الإسلام، ولا علاقة لها بالزهد المشروع، وليس لها قدوة من صحابي أو تابعي أو إمام معتبر من أئمة المسلمين.

ثانياً: انتشرت الطرق الصوفية في تركيا، إلا أنها تختلف قوة وضعفاً بحسب انتساب رجال الدولة لها، ومن ثم يختلف نفوذها باختلاف قوتها.

ثالثاً: آمنت الطرق الصوفية في تركيا بمعتقدات التصوف في كل مكان وزمان ومن أخطرها عقيدة وحدة الوجود.

رابعاً: نشرت الطرق الصوفية الشرك في أوساط العوام بصور متعددة، منها: تعظيم الأموات بالاستغاثة بهم والذبح لهم، واتخاذ القبور مساجد، والغلو في الأولياء، حيث ادعوا لهم حق التصرف في الكون، وعلم الغيب، وإحياء الموتى وغيرها مما لا ينسب إلا لله تعالى.

خامساً: أشاعت تلك الطرق البدع بين الناس، وقد تعددت مظاهرها، منها:

١- بدع المقابر، وهي: استلامها، وتقبيلها، والكتابة عليها، والطواف حولها، ووضع الستور والأكسية عليها، وتعليتها وبناء القباب فوقها.

٢- بدعة المولد النبوي.

٣- بدع الذكر والسماع: وهي: بدعة الأوراد الصوفية، بدعة الاعتماد على الذكر القلبي، بدعة السماع والرقص.

٤- التبرك غير المشروع بآثار النبي ﷺ بعد وفاته.

٥- بدعة المحمل.

٦- قراءة كتاب صحيح البخاري لاستنزال النصر.

سادساً: للتصوف آثاره الشرعية أيضاً، منها: الاستهانة بفرائض الله تعالى، والاستهانة بالمحرمات الشرعية، وتعطيل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

سابعاً: تعددت آثار التصوف السيئة على الدولة العثمانية من الناحية العلمية، والاجتماعية، والاقتصادية.

ثامناً: للتصوف دوره في سقوط الدولة العثمانية.

أما التوصيات التي خرج بها البحث فهي على النحو التالي:

أولاً: مناصحة دعاة التصوف في الأمة، والرد عليهم، وكشف أباطيلهم، ومقارعتهم بالحجج والبراهين.

ثانياً: دعوة الأمة الإسلامية عامة إلى العقيدة الصحيحة وتحقيق التوحيد، وتضليل البدع المنتشرة وبيان فسادها وخطرها.

ثالثاً: تحذير الأمة من تراث ومصنفات الصوفية، وما تحويه من دعوة إلى الشرك والبدع.

رابعاً: دعم المراكز السلفية في العالم الإسلامي دعماً مادياً ومعنوياً لنشر منهج السلف الصالح، والرد على أهل الأهواء والبدع.

خامساً: إقامة مركز للأبحاث العلمية المتخصصة في التصوف تعني بكشف عواره، وبيان أثره السيء على الأمة وترجمة تلك الأبحاث بجميع لغات العالم الإسلامي وتوزيعها على المسلمين خاصة ممن يعيشون في ضلالات التصوف.

سادساً: على الإعلام الإسلامي أن يقوم بدوره خاصة في ظل الانفتاح

الفضائي فيتبنى إنشاء قناة إسلامية متخصصة، لبث الوعي بين الشعوب الإسلامية والتحذير من أهل الأهواء والبدع والديانات الباطلة.

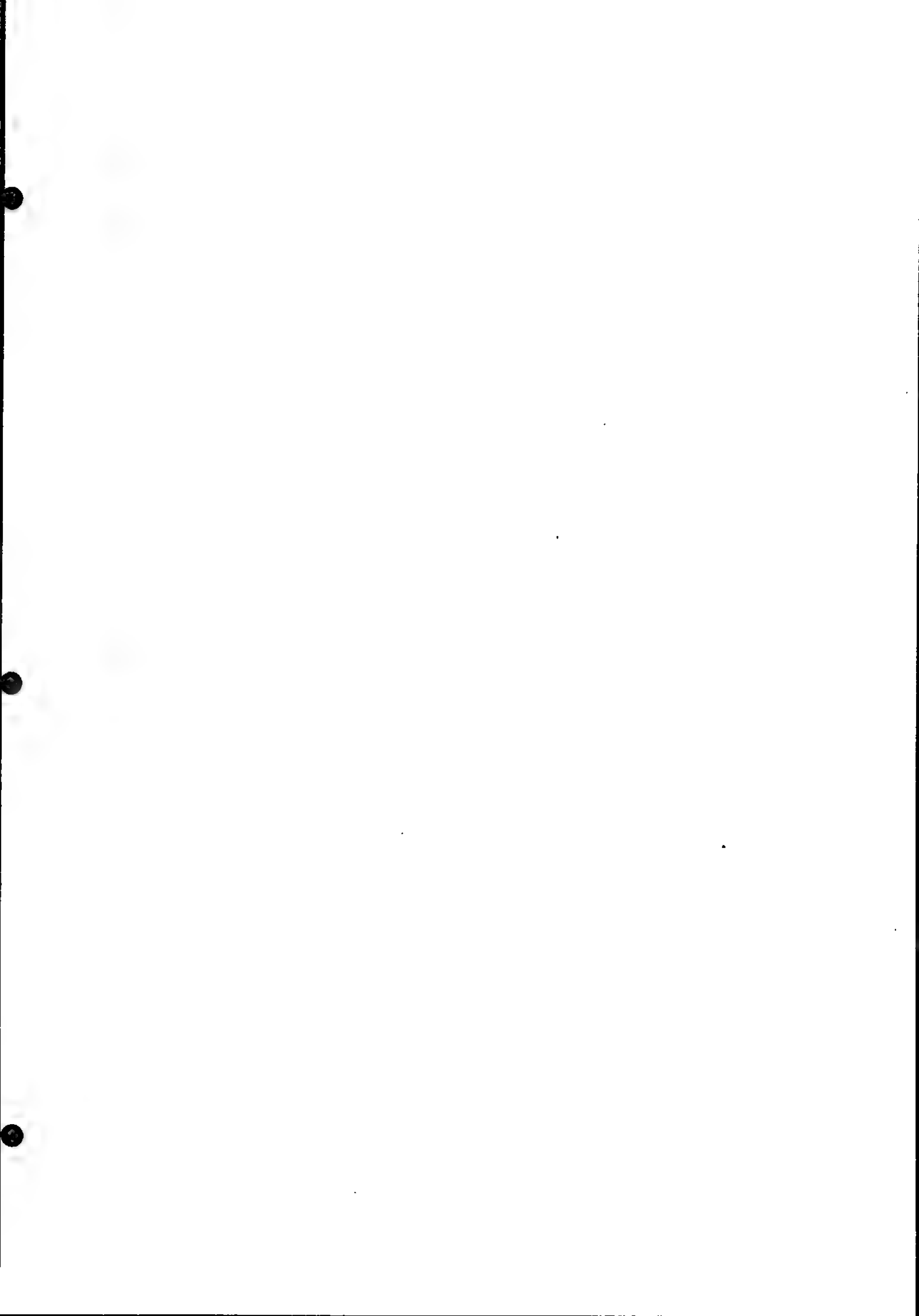
بهذا أختم بحثي راجية من الله تعالى أن أكون قد وفقت فيه للصواب فما كان صواباً فمن الله وحده وما كان من خطأ فهو من نفسي والشيطان واستغفر الله منه.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

سبحان ربك رب العزة عما يصفون

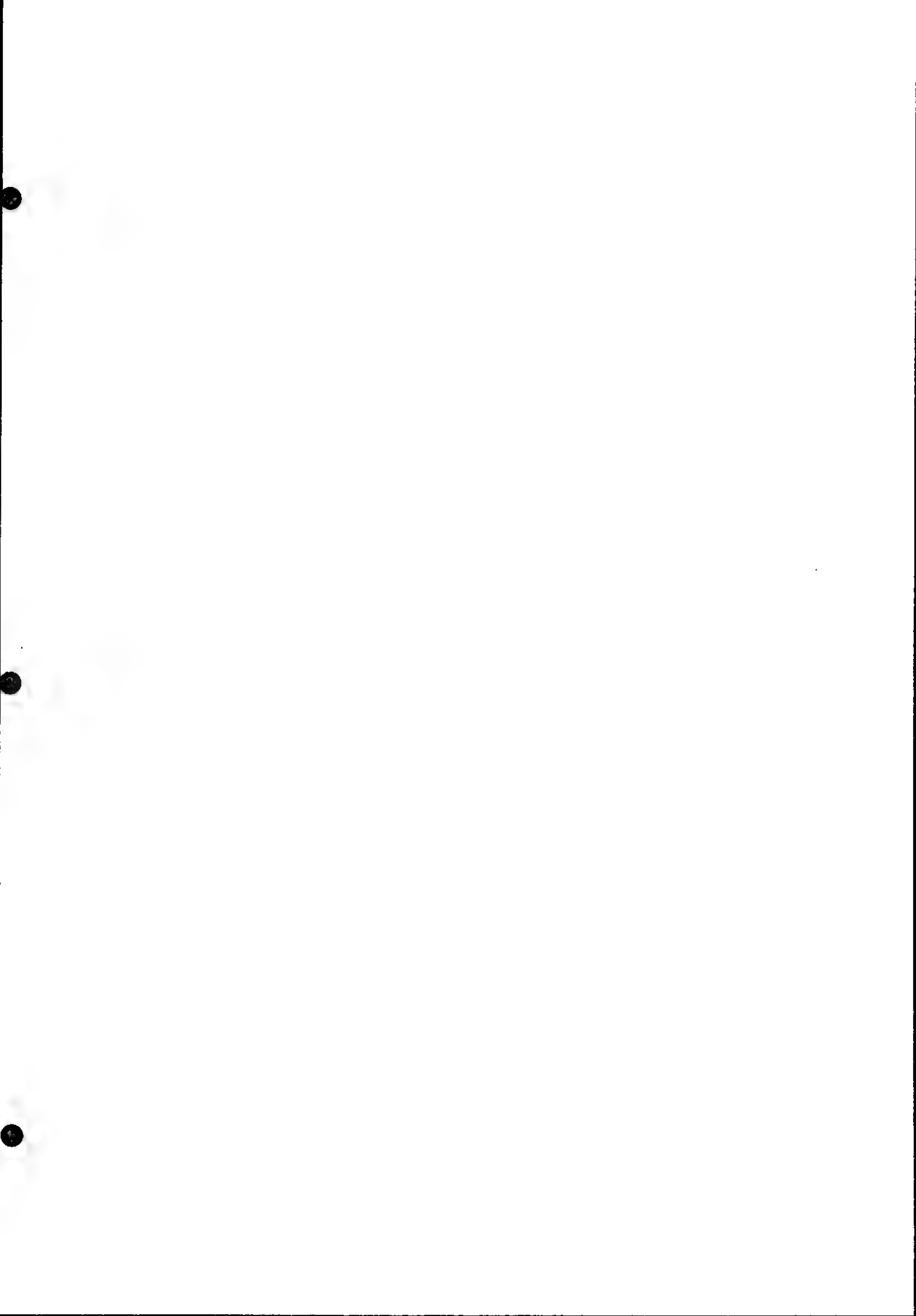
وسلام على المرسلين

والحمد لله رب العالمين

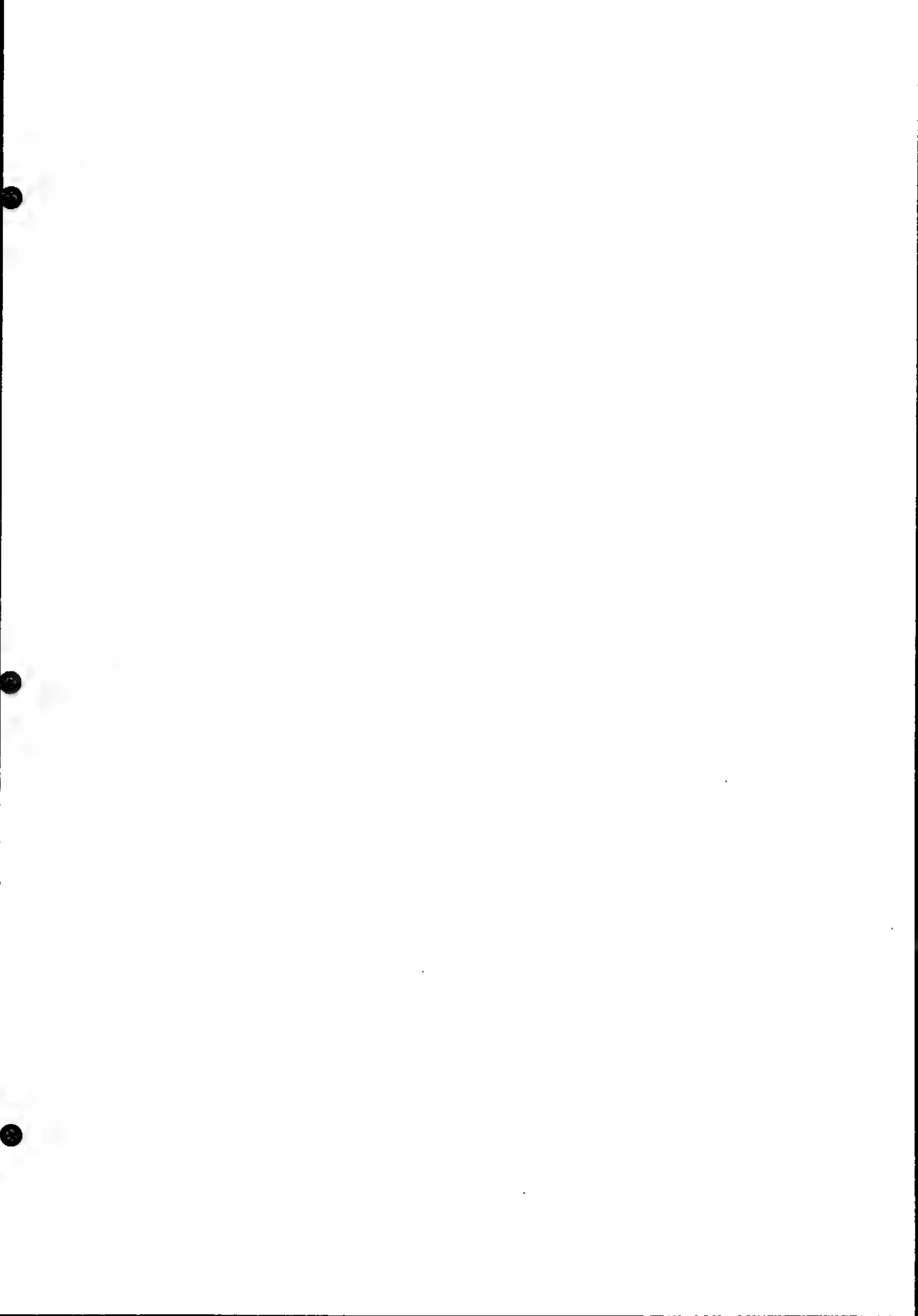


الفهارس العامة

- فهرس الآيات القرآنية.
- فهرس الأحاديث النبوية.
- فهرس الآثار.
- فهرس الأعلام المترجم لهم.
- فهرس المصطلحات والفرق والكلمات الغريبة.
- فهرس الأماكن والبلدان.
- فهرس المصادر والمراجع.
- فهرس الموضوعات.



فهرس الآيات القرآنيـــة



الآيـــــة	رقمها	رقم الصفحة
سورة المـائدة		
﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ..... ﴾	٣	٢٠٩، ٣٠٧، ٤٤٢
﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ ..... ﴾	١٧	٢٤٨
﴿نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ..... ﴾	١٨	٢٤٨
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ..... ﴾	٣٥	٢٠٠، ٢٠٧
﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ..... ﴾	٤٤	٣٥٣
﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ ..... ﴾	٧٢	٤٤٨
﴿ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ..... ﴾	٧٦	٢٧٥
﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ..... ﴾	٧٨-٧٩	٣٦٠
﴿لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ..... ﴾	١٢٠	٢٧٦
سورة الأنعـــام		
﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ ..... ﴾	١٧	٢٧٥
﴿ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ ..... ﴾	٤٠-٤١	٢٥٧
﴿ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ ..... ﴾	٥٠	٢٧٨
﴿ ۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ ..... ﴾	٥٩	٢٧٧
﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ ..... ﴾	٨٢	٤٤٩
﴿قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ ..... ﴾	٩١	٢٢٠، ٣١٢، ٣١٦
﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ ..... ﴾	٩٣	٣٦٣
﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا ..... ﴾	١٥٣	٣
﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى ..... ﴾	١٦٢-١٦٣	٢٦٢

الآيـــــة	رقمها	رقم الصفحة
سورة الرعد		
﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ..... ﴾	١١	٤٣٣، ٥٠٧
﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ ..... ﴾	٢٨	٢٠٥، ٣١٩
﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ..... ﴾	٢٩	٤٤٠
سورة إبراهيم		
﴿ وَأُدْخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ..... ﴾	٢٣	٤٤٠
سورة الحجر		
﴿ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ ..... ﴾	٩٩	٣٥٧
سورة النحل		
﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ..... ﴾	٣٦	٤٤٧
﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ..... ﴾	٩٧	٤٤٤
﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا..... ﴾	١١٢	٣٦٤
سورة الإسراء		
﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ ..... ﴾	٧٠	٤٣١
سورة الكهف		
﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ...... ﴾	٢٣-٢٤	٤١٨
﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟..... ﴾	١١٠	٣٠٣
سورة طه		
﴿إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ ..... ﴾	١٤	٢٢٠، ٣١٢، ٣١٧
﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ..... ﴾	١١٤	٤٥٢
﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى ..... ﴾	١٢٤	٤١٤

٢- فهرس الأحاديث النبوية

٣- فهرس الآثار

٤- فهرس الأعلام المترجم لهم

٥- فهرس المصطلحات والفرق والكلمات الغريبة

٦- فهرس الأماكن والبلدان

٧- فهرس المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.

١) أبحاث في التصوف، د/ عبدالحليم محمود ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفاته، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط٢، ١٩٨٥م.

٢) الإبداع في مضار الابتداع، علي محفوظ، ت: سعيد بن نصر، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤٢١هـ.

٣) أبناء يهوذا في الخفاء القوى الخفية لليهودية العالمية الماسونية، داود سنقرط، دار الفرقان، عمان – الأردن، ط١، ١٤٠٣هـ.

٤) الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر، محمد محمد حسين، دار الرسالة، مكة، ط٩، ١٤١٣هـ.

٥) الآثار النبوية، أحمد تيمور باشا، لجنة نشر المؤلفات التيمورية، مطبعة دار الكتاب العربي، ١٩٥١م.

٦) أثر القوة الخفية الماسونية على المسلمين، محمد ناصر أبو حبيب، دار الحبيب للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٠هـ.

٧) إحياء علوم الدين، محمد بن محمد الغزالي، دار الخير، بيروت، ط٢، ١٤١٣هـ.

٨) أخبار جلال الدين الرومي، محمد بن عبدالله القونوي، ط١، ١٤٢١هـ.

٩) أديان الهند الكبرى، أحمد شلبي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط١٩٧٦م.

١٠) الأذكار النووية، يحيى بن شرف النووي، دار الفكر، ط [بدون].

١١) الارتسامات اللطاف في خاطر الحاج إلى أقدس مطاف، شكيب أرسلان، تصحيح عبدالرزاق محمد سعيد، دار الشعب بالقاهرة.

١٢) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، أحمد بن محمد القسطلاني، ضبطه وصححه محمد الخالدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ.

١٣) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ.

١٤) أسباب خلع السلطان عبدالحميد الثاني، يوسف حسين عمر، دار الكتاب الثقافي، الأردن، ١٤٢٦هـ.

١٥) الاستقامة، ابن تيمية، ت: محمد رشاد سالم، مكتبة ابن تيمية، ط [بدون].

١٦) أسد الغابة في معرفة الصحابة، لابن الأثير، طبعة القاهرة، سنة (١٩٧٠م).

١٧) الإسلاميون وتركيا العلمانية نموذج سليمان حلمي، هدى درويش، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط١، ١٤١٨هـ.

١٨) الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، دار الفكر، ١٣٩٨هـ.

١٩) إصلاح المساجد من البدع والعوائد، محمد جمال الدين القاسمي، تعليق محمد الألباني، المكتب الإسلامي، ط٦، ١٤٢٢هـ.

٢٠) الأصول من الكافي، محمد بن يعقوب الكليني، ت: علي أكبر الغفاري، دار صعب - دار التعارف، بيروت، ط٤، ١٤٠١هـ.

٢١) الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، ط١١، ١٩٩٥م.

٢٢) الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، العباس بن إبراهيم السملالي، راجعه عبدالوهاب بن منصور، المطبعة المكية، الرباط، ط٢، ١٤٢٠هـ.

٢٣) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، محمد بن قيم الجوزية، ت: مجدي السيد، دار الحديث، القاهرة، ط [بدون].

٢٤) الأفعى اليهودية في معاقل الإسلام، عبدالله التل، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢.

٢٥) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، أحمد بن تيمية، مطابع المجد التجارية، ط [بدون].

٢٦) الله توحيد وليس وحده، محمد الأنور البلتاجي، مكتبة وهبة، القاهرة، ط١، ١٤٠٦هـ.

٢٧) الأم، محمد بن إدريش الشافعي، دار المعرفة، بيروت، ط [بدون].

٢٨) الإمام البركوي وجهوده في مقاومة البدع في تركيا، سالم سانجاقلي ، رسالة دكتوراه غير منشورة مقدمة لقسم العقيدة بجامعة أم القرى، ١٤٢٢هـ.

٢٩) الأمر بالإتباع والنهى عن الابتداع، جلال الدين السيوطي، ت: مشهور سلمان، دار ابن القيم، الرياض، ط٣، ١٤٢٢هـ.

٣٠) إنباء الغمر بأبناء العمر في التاريخ، ابن حجر العسقلاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٠٦هـ.

٣١) انتشار الإسلام في آسيا، أحمد السعيد سليمان، الرياض، ١٣٩٧هـ.

٣٢) الانحرافات العقدية والعلمية في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين وآثارهما في حياة الأمة، على بخيت الزهراني، دار طيبة، مكة المكرمة، ط٢، ١٤١٨هـ.

٣٣) الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل، عبدالكريم الجيلي، ت: صلاح عويضة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ.

٣٤) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، عبدالله بن عمر البيضاوي، دار صادر، بيروت، ط [بدون].

٣٥) الأنوار القدسية في بيان قواعد الصوفية، عبدالوهاب الشعراني، ت: لجنة التراث في دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٩٩م.

٣٦) الأنوار القدسية في مناقب السادة النقشبندية، يس السنهوتي النقشبندي، مطبعة السعادة بمصر، ١٣٤٤هـ.

٣٧) الأوضاع الثقافية في تركيا في القرن الرابع عشر الهجري، سهيل صابان، رسالة دكتوراه غير منشورة مقدمة لقسم الثقافة الإسلامية بجامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض، ١٤١٥هـ.

٣٨) الإيضاح في المناسك والحج والعمرة، محي الدين النووي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ.

٣٩) الإيمان، لعبدالله بن أبي شيبة ولأبي عبيد القاسم بن سلام، ت: محمد ناصر الدين الألباني، دار الأرقم، الكويت، ط٢، ١٤٠٥هـ.

٤٠) الباعث على إنكار البدع والحوادث، لأبي شامة الشافعي، ت: إبراهيم رمضان، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط١، ١٩٩٢م.

٤١) بحار الولاية المحمدية في مناقب أعلام الصوفية، جودة محمد المهدي، دار غريب، القاهرة، ط[بدون].

٤٢) البحر المحيط، محمد بن يوسف الغرناطي، دار الفكر، ط٢، ١٤٠٣هـ.

٤٣) البداية والنهاية، ابن كثير، دار الفكر العربي، ط [بدون].

٤٤) البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، الشوكاني، دار المعرفة، بيروت، ودار الباز، مكة، ط [بدون].

٤٥) **بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية أهل الإلحاد ومن القائلين بالوحدة والاتحاد**، ابن تيمية، ت: د/ موسى الدويش، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط٣، ١٤١٥هـ.

٤٦) **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**، جلال الدين السيوطي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط١، ١٣٨٤هـ.

٤٧) **البهجة السنية في آداب الطريقة العلية الخالدية النقشبندية**، محمد بن عبدالله الخالدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ.

٤٨) **التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول**، صديق حسن القنوجي، مكتبة دار السلام، الرياض، ط١، ١٤١٦هـ.

٤٩) **تاريخ ابن خلدون المسمى كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر**، عبدالرحمن بن خلدون، دار الكتاب اللبناني، ١٩٥٦م.

٥٠) **تاريخ الأدب العربي**، بروكلمان، دار المعارف، القاهرة، ط٤، بدون تاريخ.

٥١) **تاريخ الأمم والملوك**، محمد بن جرير الطبري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط [بدون].

٥٢) **تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي**، د/حسن إبراهيم حسن، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط ٧، ١٩٦٤م.

٥٣) **تاريخ بغداد**، أحمد بن علي البغدادي، المكتبة السلفية، المدينة المنورة، ط[بدون].

٥٤) **تاريخ الترك في آسيا الوسطى**، بارتولد، ترجمة: د/ أحمد السعيد سليمان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط ١٩٩٦م.

٥٥) **تاريخ التصوف في الإسلام**، قاسم غني، ترجمة: صادق نشأة، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٧٠م.

٥٦) **تاريخ جودت**، أحمد جودت باشا، تعريب: عبدالقادر الدنا، ت: د/ عبداللطيف الحميد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ.

٥٧) **تاريخ الدولة العثمانية**، الميرالاي إسماعيل سرهنك، تقديم د/ حسن الزين، دار الفكر الحديث، بيروت، ط [بدون].

٥٨) **تاريخ الدولة العثمانية**، شكيب أرسلان، ت: حسن سويدان، دار ابن كثير، دمشق، ط١، ١٤٢٢هـ.

٥٩) تاريخ الدولة العثمانية، روبير مانتران، ترجمة: بشير السباعي، دار الفكر للدراسات والنشر، القاهرة، ط١، ١٩٩٣هـ.

٦٠) تاريخ الدولة العثمانية، يلماز أزوتونا، منشورات مؤسسة فيصل للتمويل، استانبول، ط١، ١٤١٠هـ.

٦١) تاريخ الدولة العثمانية العلية، إبراهيم بك حليم، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ١٤٠٨هـ.

٦٢) تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار، د/ خليل اينالجيك، ترجمة: محمد الأرناؤوط، دار المدار الإسلامي، ط١، ٢٠٠٢م.

٦٣) تاريخ الدولة العثمانية منذ نشأتها حتى نهاية العصر الذهبي، د/ أحمد فؤاد متولي، ايتراك للطباعة والنشر، القاهرة، ط١، ٢٠٠٢م.

٦٤) تاريخ الدولة العلية العثمانية، محمد فريد بك المحامي، ت: د/ إحسان حقي، دار النفائس، بيروت، ط٧، ١٤١٤هـ.

٦٥) تاريخ مكة دراسات في السياسة والعلم والاجتماع والعمران، أحمد السباعي، مطبوعات نادي مكة الثقافي، دار مكة للطباعة والنشر، مكة المكرمة، ط٤، ١٣٩٩هـ.

٦٦) تاريخ مكة إتحاف فضلاء الزمن بتاريخ ولاية بني الحسن، محمد بن علي الطبري، ت: محسن سليم، دار الكتاب الجامعي، القاهرة، ط١، ١٤١٣هـ.

٦٧) تاريخ مؤسسة شيوخ الإسلام في العهد العثماني، أحمد صدقي شقيرات، الأردن، ط١، ١٤٢٣هـ.

٦٨) تاريخ نجد الحديث، الأعمال الكاملة العربية لأمين الريحاني، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٠هـ.

٦٩) تبصرة الفاضلين عن أصل الواصلين في الرابطة، سليمان زهدي، ضمن مجموعة الرسائل على أصول الخالدية الضيائية المجددية، نضارة المعارف العلية، ١٣٠٥هـ.

٧٠) التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية، محمد بن خليفة النبهاني، منشورات مركز دراسات الخليج العربي، جامعة البصرة، ١٩٨٠هـ.

٧١) التحقيق فيما ينسب إلى أهل الطريق، أبو بكر خوقير، ضمن مجموعة مؤلفاته، المجموعة الأولى في العقيدة، ت: د/ عبدالله الدميجي، مطبوعات جامعة أم القرى، ط١، ١٤٢٥هـ.

٧٢) **تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة**، محمد بن أحمد البيروني، مجلس دائرة المعارف العثمانية، الهند، ١٣٧٧هـ.

٧٣) **تذكرة الحفاظ**، أبو عبدالله الذهبي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط [بدون].

٧٤) **تركيا الفتاة وثورة (١٩٠٨م)**، أرنست رامزور، ترجمة: صالح العلي، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٦٠م.

٧٥) **التصوف الإسلامي في الآدب والأخلاق**، زكي مبارك، دار الكتاب العربي، مصر، ط٢، ١٣٧٣هـ.

٧٦) **التصوف الثورة الروحية في الإسلام**، أبو العلا عفيفي، دار الشعب، بيروت.

٧٧) **التصوف الشعبي في الأدب التركي**، حمزة طاهر، ط [بدون].

٧٨) **التصوف في مصر إبان العصر العثماني**، توفيق الطويل، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة.

٧٩) **التصوف المنشأ والمصادر**، إحسان إلهي ظهير، إدارة ترجمان السنة، لاهور- باكستان، ط١، ١٤٠٦هـ.

٨٠) **تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد**، محمد الصنعاني، ت: عبدالله يوسف، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي، ط١، ١٤٠٤هـ.

٨١) **التعرف لمذهب أهل التصوف**، محمد الكلاباذي، ت: عبدالحليم محمود، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد، ط١، ١٤٢٤هـ.

٨٢) **تفسير البغوي المسمى معالم التنزيل**، الحسين بن مسعود البغوي، ت/ خالد العك- مروان سوار، دار المعرفة، بيروت، ط٢، ١٤٠٧هـ.

٨٣) **تقريب التهذيب**، ابن حجر العسقلاني، ت: أبو الأشبال صغير الباكستاني، تقديم بكر أبو زيد، دار العاصمة، الرياض، ط١، ١٤١٦هـ.

٨٤) **تكملة فتح القدير للمحقق ابن الهمام الحنفي على الهداية شرح بداية المبتدي**، على المرغنياني، دار الفكر، ط [بدون].

٨٥) **تلبيس إبليس**، ابن الجوزي، ت: السيد الجميلي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٥، ١٤١٢هـ.

٨٦) **تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي**، برهان الدين البقاعي، ت: عبدالرحمن الوكيل، ط [بدون].

٨٧) **التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع**، أبو الحسين محمد بن أحمد الملطي، ت: يمان المياديني، رمادي للنشر، المؤتمن للتوزيع، الرياض، ط١، ١٤١٤هـ.

٨٨) **تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة**، علي محمد الكناني، ت: عبدالوهاب عبداللطيف وعبدالله الصديق، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٣٩٩هـ.

٨٩) **تنوير القلوب في معاملة علام الغيوب**، محمد أمين الكردي، المكتبة التوفيقية، ط [بدون].

٩٠) **التوسل أنواعه وأحكامه**، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، ط٢، ١٣٩٧هـ.

٩١) **تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد**، سليمان بن عبدالله، ط [بدون].

٩٢) **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، عبدالرحمن السعدي، مؤسسة الرسالة، ط٥، ١٤١٧هـ.

٩٣) **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، محمد بن جرير الطبري، المكتبة الفيصلية، مكة المكرمة، ط [بدون].

٩٤) **الجامع الصحيح وهو سنن الترمذي**، محمد بن عيسى الترمذي، ت: محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث العربي.

٩٥) **جامع كرامات الأولياء**، يوسف بن إسماعيل النبهاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٢٢هـ.

٩٦) **الجامع لأحكام الراوي وآداب السامع**، الخطيب البغدادي، ت/محمد الخطيب، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٤، ١٤١٧هـ.

٩٧) **الجامع لأحكام القرآن**، محمد القرطبي، دار إحياء التراث، بيروت، ط [بدون].

٩٨) **الجرح والتعديل**، عبدالرحمن الرازي، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بالهند، ط١، ١٣٧١هـ.

٩٩) **جزء فيه عقيدة ابن عربي وحياته وما قاله المؤرخون والعلماء فيه**، تقي الدين الفاسي، تعليق علي حسن عبدالحميد، دار ابن الجوزي، الدمام، ط٢، ١٤١٣هـ.

١٠٠) **الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي**، ابن قيم الجوزية، ت: سعيد اللحام، دار إحياء العلوم، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ.

١٠١) **الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية**، عبدالقادر القرشي، ت: عبدالفتاح الحلو، مؤسسة الرسالة، ١٤١٣هـ.

١٠٢) حاضر العالم الإسلامي، لوثروب ستودارد، تعريب: عجاج نويهض، تعليق شكيب أرسلان، دار الفكر، بيروت، ط [بدون].

١٠٣) حركة الجامعة الإسلامية، أحمد فهد الشوابكة، مكتبة المنار، الزرقاء، ط١، ١٤٠٤هـ.

١٠٤) حقائق خطيرة عن الطريقة النقشبندية، عبدالرحمن دمشقية، دار المسلم، الرياض، ط١، ١٤١٩هـ.

١٠٥) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم الأصبهاني، دار الفكر، بيروت، ط [بدون].

١٠٦) حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، عبدالرزاق البيطار، ت: محمد بهجت البيطار، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٣٨٠هـ.

١٠٧) الحوادث والبدع، محمد بن الوليد الطرطوشي، ت: بشير عيون، مكتبة دار البيان، دمشق، ط٢، ١٩٩١م.

١٠٨) خفايا وأسرار الأخطبوط الماسوني العالمي، إبراهيم فؤاد عباس، ط١، ١٤١٢هـ.

١٠٩) خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، محمد المحبي، دار صادر، بيروت، ط [بدون].

١١٠) خلاصة كتاب المواهب السرمدية في مناقب السادة النقشبندية، نجم الدين الكردي، ط [بدون].

١١١) دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند، د/ محمد الأعظمي، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤٢٢هـ.

١١٢) دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين (الخوارج والشيعة)، د/ أحمد محمد جلي، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ط٢، ١٤٠٨هـ.

١١٣) درء تعارض العقل والنقل، لابن تيمية، ت: محمد رشاد سالم، دار الكنوز الأدبية، ط [بدون].

١١٤) الدرر السنية في الأجوبة النجدية، جمع عبدالرحمن النجدي، ط٥، ١٤١٣هـ.

١١٥) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ابن حجر العسقلاني، ت: محمد سيد جاد الحق، دار الكتب الحديثة.

١١٦) دعاوى المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، عبدالعزيز العبداللطيف، دار الوطن، الرياض، ط١، ١٤١٢هـ.

١١٧) **دمعة على التوحيد حقيقة القبورية وآثارها في واقع الأمة**، كتاب المنتدى الإسلامي، ط٣، ١٤٢٢هـ.

١١٨) **دور التصوف في انتشار الإسلام في آسيا الوسطى والقوقاز**، د/ هدى درويش، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، ط١، ٢٠٠٤م.

١١٩) **دور الطريقة النقشبندية في نشر الدعوة الإسلامية في تركيا**، رسالة ماجستير غير منشورة أحمد بلاطة، جامعة الزقازيق، ١٤٢٥هـ.

١٢٠) **الدولة العثمانية تاريخ وحضارة**، مجموعة من المؤلفين، إشراف: أكمل الدين أوغلي، ترجمة: صالح سعداوي، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية باستانبول، ١٩٩٩م.

١٢١) **الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها**، د/ عبدالعزيز محمد الشناوي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ٢٠٠٤م.

١٢٢) **الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط**، علي الصلابي، دار التوزيع والنشر الإسلامية، ط١، ١٤٢١هـ.

١٢٣) **الدولة العثمانية والغزو الفكري**، د/ خلف الوذيناني، مطابع جامعة أم القرى، ط٢، ١٤٢٤هـ.

١٢٤) **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب**، إبراهيم بن علي المالكي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط [بدون].

١٢٥) **الدين الخالص**، محمد صديق القنوجي، مكتبة دار التراث، القاهرة، ط [بدون].

١٢٦) **ديوان حافظ إبراهيم**، ضبط وتصحيح وشرح: أحمد أمين وآخرون، دار العودة، بيروت، ط [بدون].

١٢٧) **الديوبندية تعريفها – عقائدها**، سيد طالب الرحمن، دار الصميعي، الرياض، ط١، ١٤١٩هـ.

١٢٨) **ذئب الأناضول**، مصطفى الزين، رياض الريس للكتب والنشر، لندن – قبرص، ط ١، ١٩٩١م.

١٢٩) **ذخائر الأقوال في مولانا جلال**، د/ علي حسون، دار الرؤية، دمشق، ط١، ١٤٢٤هـ.

١٣٠) ذم ماعليه مدعو التصوف، موفق الدين عبدالله المقدسي، ت: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٣، ١٤٠٤هـ.

١٣١) الذيل على طبقات الحنابلة، عبدالرحمن ابن رجب، ت: عبدالرحمن العثيمين، مكتبة العبيكان، ط١، ١٤٢٥هـ.

١٣٢) الرجل الصنم، ضابط تركي سابق، ترجمة عبدالله عبدالرحمن، مؤسسة الرسالة، ط٤، ١٩٨٢م.

١٣٣) رحلة ابن بطوطة، أدب الرحلات، دار التراث، بيروت، ط ١٣٨٨هـ.

١٣٤) رحلة الإمام بدر الدين العيني إلى قونية، محمد القونوي، بحث غير منشور.

١٣٥) الرحلة العياشية ماء الموائد، لأبي سالم العياشي، مطبوعات دار المغرب للتأليف، الرباط، ط٢، ١٣٩٧هـ.

١٣٦) الرسالة الأحمدية في تاريخ الطريقة البكتاشية، أحمد سرى دده بابا، مطبعة عبده وأنور أحمد، مصر، ط ٤، ١٣٧٨هـ.

١٣٧) الرسالة القشيرية، عبدالكريم القشيري، ت: عبدالحليم محمود، ومحمود بن الشريف، دار الشعب، القاهرة، ١٤٠٩هـ.

١٣٨) الرفاعية، عبدالرحمن دمشقية، ط١، ١٤١٠هـ.

١٣٩) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن قيم الجوزية، ت: شعيب الأرنؤوط وعبدالقادر الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، مكتبة المنار الإسلامية، ط١٥، ١٤٠٧هـ.

١٤٠) الزواجر عن اقتراف الكبائر، محمد بن علي الهيتمي، مطبعة مصطفى الحلبي بمصر، ط٢، ١٣٩٠هـ.

١٤١) زيارة القبور الشرعية والشركية، للإمام محمد البركوي، دار القاسم، الرياض، ط١، ١٤١٨هـ.

١٤٢) زيارة القبور والاستنجاد بالمقبور، ابن تيمية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ.

١٤٣) السبع الأسرار في مدارج الأخيار، محمد معصوم النقشبندي، ترجمة: محمد عبدالقادر المدني، شركة مرتبيه مطبعة سي، استانبول، ١٣٣١هـ.

١٤٤) السلاجقة في التاريخ والحضارة، أحمد كمال الدين حلمي، دار البحوث العلمية، الكويت، ط١، ١٣٩٥هـ.

١٤٥) سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض (جـ١/ ٢، ط ٤، ١٤٠٥هـ)، (جـ٤، ط٣، ١٤٠٦هـ)، (جـ٥، ط١، ١٤١٢هـ).

١٤٦) سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيء في الأمة، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، (جـ ٢، ط٥ / ١٤١٢هـ) (حـ٥، ط١ / ١٤١٧هـ).

١٤٧) السلطان عبدالحميد الثاني، محمد حرب، دار القلم، دمشق، ١٤١٠هـ.

١٤٨) السلطان عبدالحميد الثاني وأحداث عهده، د/ أورخان محمد علي، مكتبة الأنبار، ط١، ١٩٨٧هـ.

١٤٩) السلطان المظلوم السلطان عبدالحميد خان الثاني بالوثائق، عمر يلماز، ترجمة طارق السيد، دار نشر عثمانلي، استانبول، ط [بدون].

١٥٠) سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، محمد خليل المرادي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط٢، ١٤٠٨هـ.

١٥١) السنة، عبدالله بن أحمد بن حنبل، ت: د/ محمد سعيد القحطاني، دار عالم الكتب، الرياض، ط٤، ١٤١٦هـ.

١٥٢) سنن ابن ماجة، محمد بن يزيد القزويني، ت: محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث العربي، ١٣٩٥هـ.

١٥٣) سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، تعليق عزت الدعاس وآخر، دار الحديث، بيروت، ط١، ١٩٩٣هـ.

١٥٤) سنن الدارمي، عبدالله بن عبدالرحمن الدارمي، نشر دار إحياء السنة النبوية، ط [بدون].

١٥٥) السنن الكبرى، أحمد بن شعيب النسائي، ت/ حسن شلبي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ.

١٥٦) سنن النسائي، أحمد بن شعيب النسائي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط [بدون].

١٥٧) سير أعلام النبلاء، محمد أحمد الذهبي، أشرف على تحقيقه: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط١٠، ١٤١٤هـ.

١٥٨) شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، ط٧، ١٩٩٧م.

١٥٩) **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، لأبي الفلاح عبدالحي بن العماد الحنبلي، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ت: لجنة إحياء التراث العربي في الدار، ط [بدون].

١٦٠) **شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة والتابعين من بعدهم**، هبة الله بن الحسن اللالكائي، ت: أحمد سعد حمدان، دار طيبة، الرياض، ط ٢، ١٤١١هـ.

١٦١) **شرح السنة**، الحسين البغوي، ت: زهير الشاويش، شعيب الأرناؤوط، المكتب الإسلامي، ط١، ١٣٩٠هـ.

١٦٢) **شرح الصدور بتحريم رفع القبور**، محمد الشوكاني، ضمن رسائل الجامع الفريد لأئمة الدعوة الإسلامية، دار الأصفهاني للطباعة، ط٢.

١٦٣) **شرح العقيدة الطحاوية**، علي بن أبي العز الدمشقي، ت: عبدالله التركي، شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ.

١٦٤) **شعب الإيمان**، أبو بكر البيهقي، ت: محمد السعيد بسيوني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٠هـ.

١٦٥) **الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية**، طا شكوبري زاده، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٣٩٥هـ.

١٦٦) **الصاعقة المحرقة على المتصوفة الرقصة المتزندقة أو الرقص والدوران عند الصوفية**، محمد صفي الدين الحنفي، ت: عبدالرحمن دمشقية، دار عالم الكتب، الرياض، ط١، ١٤١٠هـ.

١٦٧) **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**، أحمد القلقشندي، شرحه وعلق عليه: محمد حسين شمس الدين، دار الفكر، ط١، ١٤٠٧هـ.

١٦٨) **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، إسماعيل الجوهري، دار العلم للملايين، بيروت، ط٢، ١٣٩٩هـ.

١٦٩) **صحوة الرجل المريض أو السلطان عبدالحميد الثاني والخلافة الإسلامية**، موفق بني المرجة، مؤسسة صقر الخليج، الكويت، ١٩٨٤م.

١٧٠) **صحيح ابن أبي داود**، محمد الألباني، طبع مكتب التربية العربي لدول الخليج، ط١، ١٤٠٩هـ.

١٧١) **صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان**، الأمير علاء الدين علي بن بلبان، ت: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ.

١٧٢) **صحيح الجامع الصغير وزيادته**، محمد الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٣، ١٤٠٨هـ.

١٧٣) **صحيح سنن ابن ماجة**، محمد الألباني، طبع مكتب التربية العربي لدول الخليج، ط٣، ١٤٠٨هـ.

١٧٤) **صحيح مسلم بشرح النووي**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط [بدون].

١٧٥) **الصفا لأهل الوفا في آداب الذكر**، سليمان زهدي، ضمن مجموعة الرسائل على أصول الخالدية الضيائية المجددية، نظارة المعارف العلية، ١٣٠٥هـ.

١٧٦) **صفة الصفوة**، ابن الجوزي، ضبط إبراهيم رمضان وسعيد اللحام، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٩هـ.

١٧٧) **الصوارم الحداد القاطعة لعلائق مقالات أرباب الاتحاد**، محمد الشوكاني، ت: د/ محمد ربيع المدخلي، دار الحريري، القاهرة، ط١، ١٤١٤هـ.

١٧٨) **الصوفية في الإسلام**، نيكلسون، ترجمة نور الدين شريبة، مكتبة الخانجي، مصر، ١٣٧١هـ.

١٧٩) الصوفية القلندرية تاريخها وفتوى شيخ الإسلام ابن تيمية فيها، محمد القونوي، ط١، ١٤٢٣هـ.

١٨٠) **الصوفية معتقداً ومسلكاً**، صابر طعيمة، ط١، ١٤٠٥هـ.

١٨١) **ضعيف الجامع الصغير وزيادته**، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٣، ١٤١٠هـ.

١٨٢) **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**، محمد السخاوي، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ط [بدون].

١٨٣) **طبقات الشافعية**، ابن قاضي شهبة، تصحيح د/ عبدالعليم خان، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، ط١، ١٤٠٠هـ.

١٨٤) **طبقات الشافعية الكبرى**، عبدالوهاب السبكي، ت/ محمود الطناحي وعبدالفتاح الحلو، دار إحياء التراث العربي.

١٨٥) الطبقات الصغرى المسمى إرغام أولياء الشيطان بذكر مناقب أولياء الرحمن، محمد المناوي، ت: محمد الجادر، دار صادر، بيروت، ط [بدون].

١٨٦) طبقات الصوفية، لأبي عبدالرحمن السلمي، ت: نور الدين شريبة، نشر مكتبة الخانجي، القاهرة، مطبعة المدني، المؤسسة السعودية، بمصر، ط٣، ١٤٠٦هـ.

١٨٧) الطبقات الكبرى، محمد بن سعد الزهري، دار صادر، بيروت، ط [بدون].

١٨٨) الطبقات الكبرى المسماة بلواقح الأنوار في طبقات الأخيار، عبدالوهاب الشعراني، تصحيح خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ.

١٨٩) طريق الهجرتين وباب السعادتين، ابن القيم، ت/ عبدالكريم الفضيلي، المكتبة العصرية، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ.

١٩٠) الطريقة المحمدية والسيرة الأحمدية، الإمام محمد البركوي، ت: محمد حسني مصطفى، دار القلم العربي، حلب، ط١، ١٤٢٣هـ.

١٩١) الطريقة النقشبندية بين ماضيها وحاضرها، فريد الدين آيدن، العبر للنشر والتوزيع، اسطنبول، ط٢، ٢٠٠١م.

١٩٢) الطريقة النقشبندية وأعلامها، د/ محمد أحمد درنيقة، جروس برس.

١٩٣) عبدالله النديم خطيب الثورة العرابية، نجيب توفيق، تقديم: عبدالرحمن الرافعي، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ط [بدون].

١٩٤) العبر في خبر من غبر، محمد الذهبي، ت: محمد السعيد زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٠٥هـ.

١٩٥) العبودية، ابن تيمية، ت: علي الحلبي، دار الأصالة، الأردن، ط١، ١٤١٢هـ.

١٩٦) العثمانيون، في التاريخ والحضارة، محمد حرب، دار القلم، دمشق، ط٢، ١٤١٩هـ.

١٩٧) عجائب الآثار في التراجم والأخبار، عبدالرحمن الجبرتي، دار الفارس، بيروت، ط [بدون].

١٩٨) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، ابن قيم الجوزية، ت: محمد عثمان الخشت، دار الكتاب العربي، ط٢، ١٤٠٦هـ.

١٩٩) العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، محمد بن أحمد الفاسي، ت/ فؤاد سيد، القاهرة، ١٣٨١هـ.

٢٠٠) **العقد الفريد**، ابن عبدربه الأندلسي، شرح وضبط أحمد أمين، وآخرون، دار الكتاب العربي، ط [بدون].

٢٠١) **العقد المنظوم في ذكر أفاضل الروم**، علي بن لالي بالي، ملحق بالشقائق النعمانية، ط [بدون].

٢٠٢) **العقد اللؤلؤية في طريق السادة المولوية**، عبدالغني النابلسي، مطبعة المقتبس، دمشق، ١٣٢٩هـ.

٢٠٣) **عمارة وإصلاح وتوسعة المسجدين الشريفين من بداية التأسيس إلى وقتنا الحاضر**، د/ سعد الردادي، ط١، ١٤٢٤هـ.

٢٠٤) **عوارف المعارف**، عمر السهروردي، ت: عبدالحليم محمود، محمود الشريف، دار المعارف، القاهرة، ط [بدون].

٢٠٥) **غاية الأماني في الرد على النبهاني**، محمود شكري الألوسي، مطابع نجد التجارية، الرياض، ط [بدون].

٢٠٦) **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**، ابن حجر العسقلاني، دار المعرفة، بيروت.

٢٠٧) **فتوح البلدان**، أحمد بن يحيى البلاذري، ت: عبدالله وعمر الطباع، مؤسسة المعارف، بيروت، ١٤٠٧هـ.

٢٠٨) **الفتوحات المكية**، ابن عربي، ت: د/ عثمان يحيى، مراجعة د/ إبراهيم مدكور، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٢م.

٢٠٩) **الفرق بين الفرق**، عبدالقاهر البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ.

٢١٠) **الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان**، ابن تيمية، المكتب الإسلامي، ط٤، ١٣٩٧هـ.

٢١١) **فصول من المثنوي لجلال الدين الرومي**، ترجمة: عبدالوهاب عزام، مطبعة لجنة التأليف والترجمة بدار الكتب، ١٣٦٥هـ.

٢١٢) **فضل الله الصمد في توضيح الأدب المفرد للبخاري**، فضل الله الجيلاني، ط ١٤١٦هـ.

٢١٣) **الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة**، عبدالرحمن عبدالخالق، دار الحرمين، ط٤، ١٤١٠هـ.

٢١٤) الفلسفة الصوفية في الإسلام ومصادرها ونظرياتها ومكانها من الدين والحياة، د/ عبدالقادر محمود، دار الفكر العربي، القاهرة، ط٢، ١٩٦٦م.

٢١٥) الفهرست، ابن النديم، تعليق: إبراهيم رمضان، دار المعرفة، بيروت.

٢١٦) الفوائد، ابن قيم الجوزية، المؤسسة السعيدية، الرياض، مطبعة الكيلاني.

٢١٧) الفوائد البهية في تراجم الحنفية، محمد عبدالحي اللكنودي، دار المعرفة، بيروت.

٢١٨) الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة، محمد الشوكاني، ت: عبدالرحمن المعلمي، مطبعة السنة المحمدية، ط١، ١٣٨٠هـ.

٢١٩) في التصوف الإسلامي وتاريخه، نيكلسون، تعريب: أبو العلا عفيفي، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٣٦٦هـ.

٢٢٠) في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، القاهرة، ط١٠، ١٤٠٢هـ.

٢٢١) فيض القدير شرح الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير، محمد عبدالرؤوف المناوي، دار الفكر، بيروت، ط [بدون].

٢٢٢) فيه ما فيه، جلال الدين الرومي، ترجمة عيسى علي العاكوب، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٤٢٥هـ.

٢٢٣) القاموس المحيط، الفيروزآبادي، دار الجيل، بيروت، ط [بدون].

٢٢٤) قصة الحضارة، ول ديورانت، ت: زكي نجيب محمود، الإدارة الثقافية في جامعة الدول العربية، ط٤، ١٩٧٣م.

٢٢٥) قلادة الجواهر في ذكر الغوث الرفاعي وأتباعه الأكابر، محمد بن حسن الصيادي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١٤٢٠هـ.

٢٢٦) قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد، أبو طالب المكي، ت: سعيد مكارم، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٩٥م.

٢٢٧) قيام الدولة العثمانية، محمد فؤاد كوبريلي، ترجمة: د/ أحمد السعيد سليمان، دار الكاتب العربي، ط [بدون].

٢٢٨) قيام الدولة العثمانية، عبداللطيف بن دهيش، مكتبة النهضة الحديثة، مكة المكرمة، ط ٢، ١٤١٦هـ.

٢٢٩) الكامل في التاريخ، لابن الأثير، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٤٠٠هـ.

٢٣٠) كشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، راجعه هلال مصيلحي، دار الفكر، بيروت، ط ١٤٠٢هـ.

٢٣١) كشف الخفا ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، إسماعيل العجلوني، دار زاهد القدسي، القاهرة، ط [بدون].

٢٣٢) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، حاجي خليفة، دار الفكر، ١٤٠٢هـ.

٢٣٣) الكشف عن حقيقة الصوفية لأول مرة في التاريخ، محمود عبدالرؤوف القاسم، المكتبة الإسلامية، عَمان، ط٢، ١٤١٣هـ.

٢٣٤) كشف القناع عن حكم الوجد والسماع، أحمد بن عمر القرطبي، ت: عبدالله الطريقي، ط١، ١٤١١هـ.

٢٣٥) كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد للطوسي، شرح الحسن بن يوسف بن المطهر، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط [بدون].

٢٣٦) الكلام على مسألة السماع، ابن قيم الجوزية، ت: راشد بن عبدالعزيز الحمد، دار العاصمة، الرياض، ط١، ١٤٠٩هـ.

٢٣٧) الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة، محمد بن محمد الغزي، وضع حواشيه خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ.

٢٣٨) كيف نكتب التاريخ الإسلامي، محمد قطب، دار الوطن، الرياض، ١٤١٢هـ.

٢٣٩) اللآلي المصنوعة في الأحاديث الموضوعة، جلال الدين السيوطي، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط [بدون].

٢٤٠) لسان العرب، ابن منظور الأفريقي، دار صادر، بيروت، ط [بدون].

٢٤١) لسان الميزان، ابن حجر العسقلاني، ت: خليل العربي، الفاروق للطباعة، القاهرة، ط١، ١٤١٦هـ.

٢٤٢) اللمع في تاريخ التصوف الإسلامي، عبدالله الطوسي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ.

٢٤٣) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، أبو الحسن الندوي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٧، ١٤٠٢هـ.

٢٤٤) الماسونية، سعيد الجزائري، دار الجيل، بيروت، ط٢، ١٤١٣هـ.

٢٤٥) الماسونية، محمد السقا، سعدي أبو حبيب، منشورات رابطة العالم الإسلامي، مكة، ط٢، ١٤٠٢هـ.

٢٤٦) الماسونية في العراء، محمد علي الزعبي، دار الجيل، بيروت، ط [بدون].

٢٤٧) الماسونية وموقف الإسلام منها، د/ حمود أحمد الرحيلي، دار العاصمة، ط١، ١٤١٥هـ.

٢٤٨) المتصوفون الأولون في الأدب التركي، محمد كوبريلي، ترجمة عبدالله إبراهيم، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط١، ٢٠٠٢م.

٢٤٩) مثنوي مولانا جلال الدين الرومي، ترجمة: إبراهيم شتا، المجلس الأعلى للثقافة، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، ١٤١٨هـ.

٢٥٠) المجالس السبعة، جلال الدين الرومي، ترجمة د/ عيسى العاكوب، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٤٢٥هـ.

٢٥١) مجمع الأنهر في شرح ملتقى الأبحر، محمد بن سليمان المعروف بداماد أفندي، دار إحياء التراث العربي، ط [بدون].

٢٥٢) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، نورالدين الهيثمي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٤٠٢هـ.

٢٥٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع: عبدالرحمن بن محمد العاصمي وابنه محمد، الرئاسة العامة لشؤون الحرمين، مكة المكرمة.

٢٥٤) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١.

٢٥٥) مذكرات السلطان عبدالحميد الثاني، محمد حرب، دار القلم، دمشق، ط ٤، ١٤١٩هـ.

٢٥٦) المستدرك على الصحيحين في الحديث، محمد بن عبدالله الحاكم، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٨هـ.

٢٥٧) المستشرقون، نجيب العقيقي، دار المعارف، القاهرة، ط٤.

٢٥٨) المسند، للإمام أحمد بن حنبل، المكتب الإسلامي، دار صادر، بيروت، ط [بدون].

٢٥٩) مشاهير علماء نجد وغيرهم، عبدالله بن عبداللطيف آل الشيخ، دار اليمامة، الرياض، ط١، ١٣٩٢هـ.

٢٦٠) مظاهر الانحرافات العقدية عند الصوفية وأثرها السيء على الأمة الإسلامية، إدريس محمود إدريس، شركة الرياض للنشر والتوزيع، ط١، ١٤١٩هـ.

٢٦١) مظاهر الغلو عند الصوفية حقائق وملابسات، محمد بن ناصر الشثري، ط١، ١٤٢٤هـ.

٢٦٢) معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، ياقوت الحموي، ت: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٩٩٣م.

٢٦٣) معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية، عمر رضا كحالة، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤١٤هـ.

٢٦٤) مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، فخر الدين الرازي، دار الكتب العلمية، طهران، ط٢، [بدون].

٢٦٥) مفاهيم ينبغي أن تصحح، محمد قطب، دار الشروق، القاهرة، ط٧، ١٤١٢هـ.

٢٦٦) المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، محمد السخاوي، تصحيح عبدالله الصديق، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٣٩٩هـ.

٢٦٧) مقاييس اللغة، أحمد بن فارس القزويني، ت: عبدالسلام هارون، شركة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط٢.

٢٦٨) مقدمة ابن خلدون، عبدالرحمن بن خلدون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ.

٢٦٩) المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد، لابن مفلح إبراهيم بن محمد، ت: عبدالرحمن العثيمين، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤١٠هـ.

٢٧٠) مكتوبات الإمام الرباني، أحمد الفاروقي السرهندي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط [الثانية].

٢٧١) الملل والنحل، محمد بن عبدالكريم الشهرستاني، ت: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، ط ١٤٠٠هـ.

٢٧٢) منائح الكرم في أخبار مكة والبيت وولاة الحرم، علي بن تاج الدين السنجاري، ت: د/ ماجدة زكريا، مطبعة جامعة أم القرى، ط١، ١٤١٩هـ.

٢٧٣) المنح الرحمانية في الدولة العثمانية، محمد بن أبي السرور الصديقي، ت: ليلى الصباغ، دار البشائر للطباعة، ط١، ١٤١٥هـ.

٢٧٤) منهاج السنة النبوية، أحمد بن تيمية، ت: محمد رشاد سالم، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط٢، ١٤٠٩هـ.

٢٧٥) المنهج الصوفي للطريقة البكتاشية وتأثيره على السلطة الحاكمة في تركيا، هدى درويش، مجلة كلية الآداب، جامعة الزقازيق، نوفمبر ٢٠٠١م.

٢٧٦) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، أحمد بن علي المقريزي، دار صادر، بيروت، ط [بدون].

٢٧٧) الموافقات، إبراهيم بن موسى الشاطبي، تخريج: مشهور آل سلمان، دار ابن عفان، الخبر، ط١، ١٤١٧هـ.

٢٧٨) مواهب الجليل لشرح مختصر خليل، لمحمد بن محمد المغربي المعروف بالحطاب، مكتبة النجاح، ليبيا، ط [بدون].

٢٧٩) الموسوعة الإسلامية الميسرة، أشرف على تحريرها: هـ. جب وج . كالمرز، ترجمة: راشد البراوي، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٨٥م.

٢٨٠) الموسوعة العربية العالمية، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤١٩هـ.

٢٨١) موسوعة الفلسفة، عبدالرحمن بدوي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١، ١٩٨٤م.

٢٨٢) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، إشراف مانع الجهني، دار الندوة العالمية، الرياض، ط٤، ١٤٢٠هـ.

٢٨٣) الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير والإقراء والنحو واللغة، جمع وليد الزبيدي وآخرون، سلسلة إصدارات الحكمة، ط١، ١٤٢٤هـ.

٢٨٤) الموطأ، مالك بن أنس، برواية يحيى بن يحيى الليثي، ت: محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي، ط ١٣٧٠هـ.

٢٨٥) الموضوعات، عبدالرحمن ابن الجوزي، ت: عبدالرحمن محمد عثمان، المكتبة السلفية، المدينة المنورة، ط١، ١٣٨٦هـ.

٢٨٦) موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية، حسان علي حلاق، جامعة بيروت العربية، ١٩٧٨م.

٢٨٧) المولوية بعد جلال الدين الرومي، عبدالباقي جلبنارلي، ترجمة: عبدالله أحمد إبراهيم، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، ط١، ٢٠٠٣م.

٢٨٨) ميزان الاعتدال في نقد الرجال، محمد الذهبي، ت: علي البجاوي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، ط [بدون].

٢٨٩) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، يوسف بن تغري بردي الأتابكي، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، مصر، ط [بدون].

٢٩٠) نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، علي سامي النشار، دار المعارف، مصر، ط ٨.

٢٩١) النظرات، مصطفى المنفلوطي، دار الهدى الوطنية، بيروت، ط [بدون].

٢٩٢) نفوذ الأتراك في الخلافة العباسية وأثره في قيام مدينة سامراء من ٢٢١ – ٢٧٩هـ، د/ عبدالعزيز محمد اللميلم، ١٤٠٣هـ.

٢٩٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، ت: طاهر الزاوي ومحمود الطناحي، دار الفكر، بيروت.

٢٩٤) نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح منتقى الأخبار، محمد الشوكاني، ضبطه وصححه محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.

٢٩٥) هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، إسماعيل باشا البغدادي، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٢هـ.

٢٩٦) هذه هي الصوفية، عبدالرحمن الوكيل، دار الكتب العلمية، ط٣، ١٣٩٩هـ.

٢٩٧) الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل الصفدي، الناشر فرانز شتاتير، ط٢، ١٣٨١هـ.

٢٩٨) الوثنية في ثوبها الجديد، سمير شاهين، ضمن كتاب زيارة القبور والاستنجاد بالمقبور، لابن تيمية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ.

٢٩٩) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أحمد بن محمد بن خلكان، ت: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ط [بدون].

• **المراجـــع التركية:**

1- Butun yonleriyle
Bektasillk
- ALevillk –
Ismet Zeki Eyuboglu

البكتاشية عصمت زكي أيوب أوغلو.

* * * *

2- Buyk Tarikatlar
Doc. Dr. Yasar Nuri
Hurriyet offset, ist, 1986

الطرق الكبرى للبرفسور/ ياشار نوري.

* * * *

3- Melamilik ve Bektasilik
Prof. Dr. Cavit Sunar
Ankara university Est
ilahiyat fakultesi yayinlari

الملامية والبكتاشية البروفسور: جاويد سونار

* * * *

4- Mevleviligin son yuzyili
Sezai Kucuk
I. Baski, Istanbul. 2003.

المولوية في المئة عام الأخيرة سيزا كوجك

* * * *

5- Osmanli
ansiklopedisi
tarin / medeniyet / kultur
yeni sapak Dr. Mustafa Kara.

الموسوعة العثمانية تاريخاً وحضارة وثقافة د/ مصطفى كارا

* * * *

6- Osmanli Derle Zarih Sahnesine
Celarleen Kurredlerder biri Zanlead
Larin sosyal poli
Doc. Hasan Kucak
Ist. 1980

الدور الاجتماعي للطرق الصوفية د/ حسن كوشك

* * * *

7- Osmanli to Plumunda
Zindiklar ve mulhidler
(15-17. Yuzyillar)
Ahmet Yasar Ogak
Turkiye Ekonomik ve Toplum sal tarih vakfi
Yayinidir, Istanbul, 1998

الزنادقة والملحدون في الدولة العثمانية د/ أحمد يشار أوجاق

* * * *

8- Osmanlilarda Devlet-Tekke munasebetleai
Dr. Irfan Gunduz
Seha nesriyat A.S, Ankara.

علاقة الدولة بالتكية عند العثمانيين د/ عرفان جوندوز

* * * *

9- Seyh Bedreddin
Huseyin Hatemi

الشيخ بدر الدين / حسين حاتمي

* * * *

10- Turk Dusuncesi – Mevlevlik culd 7
Mevlana ve sema
Furuzan Husrev Tokin

مقال المولوية بقلم: فروزان خسرو توكين
من مجلة الفكر التركي العدد (٤) مجلد (٧) بتاريخ ١/ مارس / ١٩٥٧م.

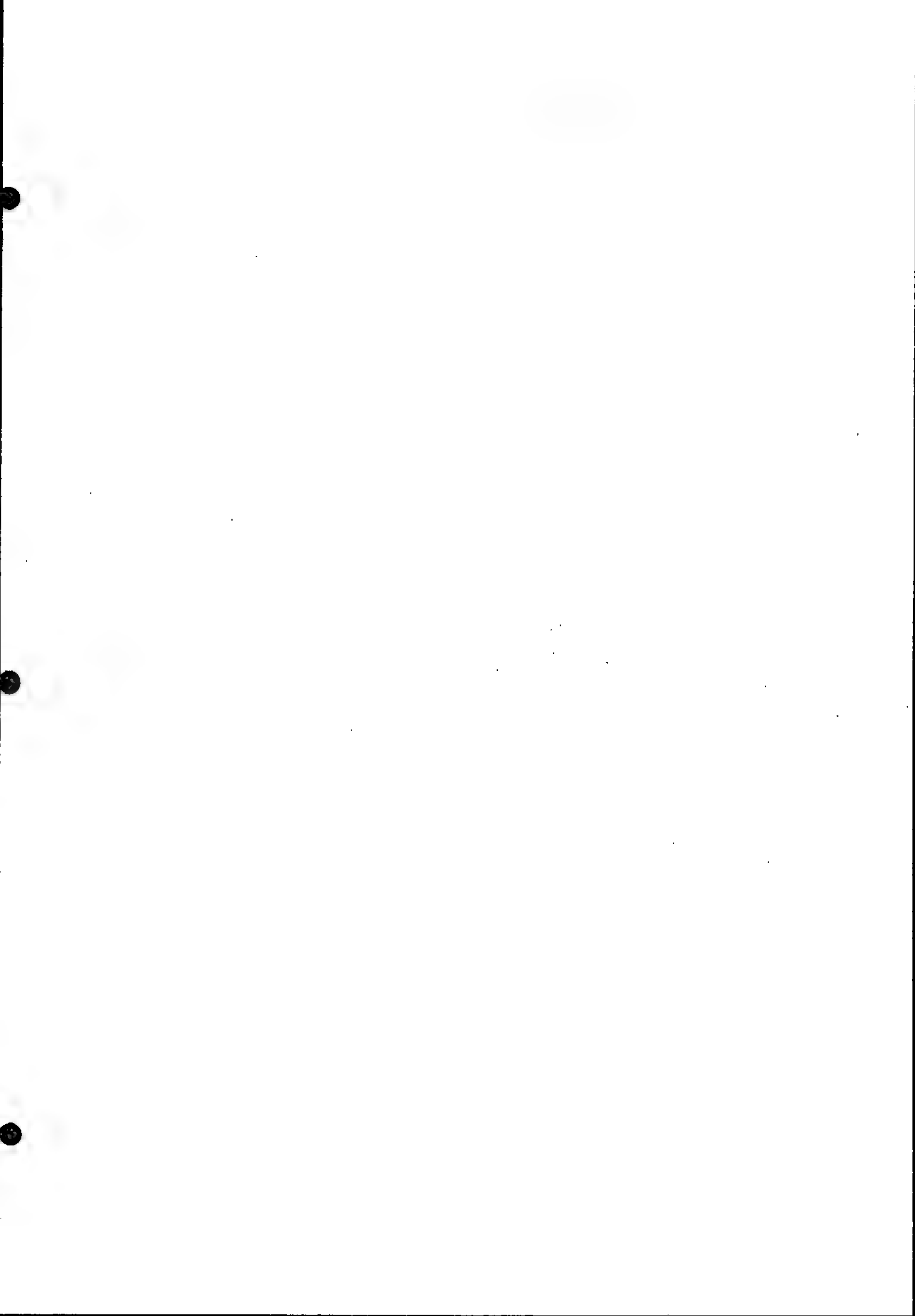
* * * *

11- Turk halk inanclarinda ve edebiyat
Evliya menkabeleri
Dr. Ahmed yasar ogak
Basbakanlik Basimevi Ankara - 1984

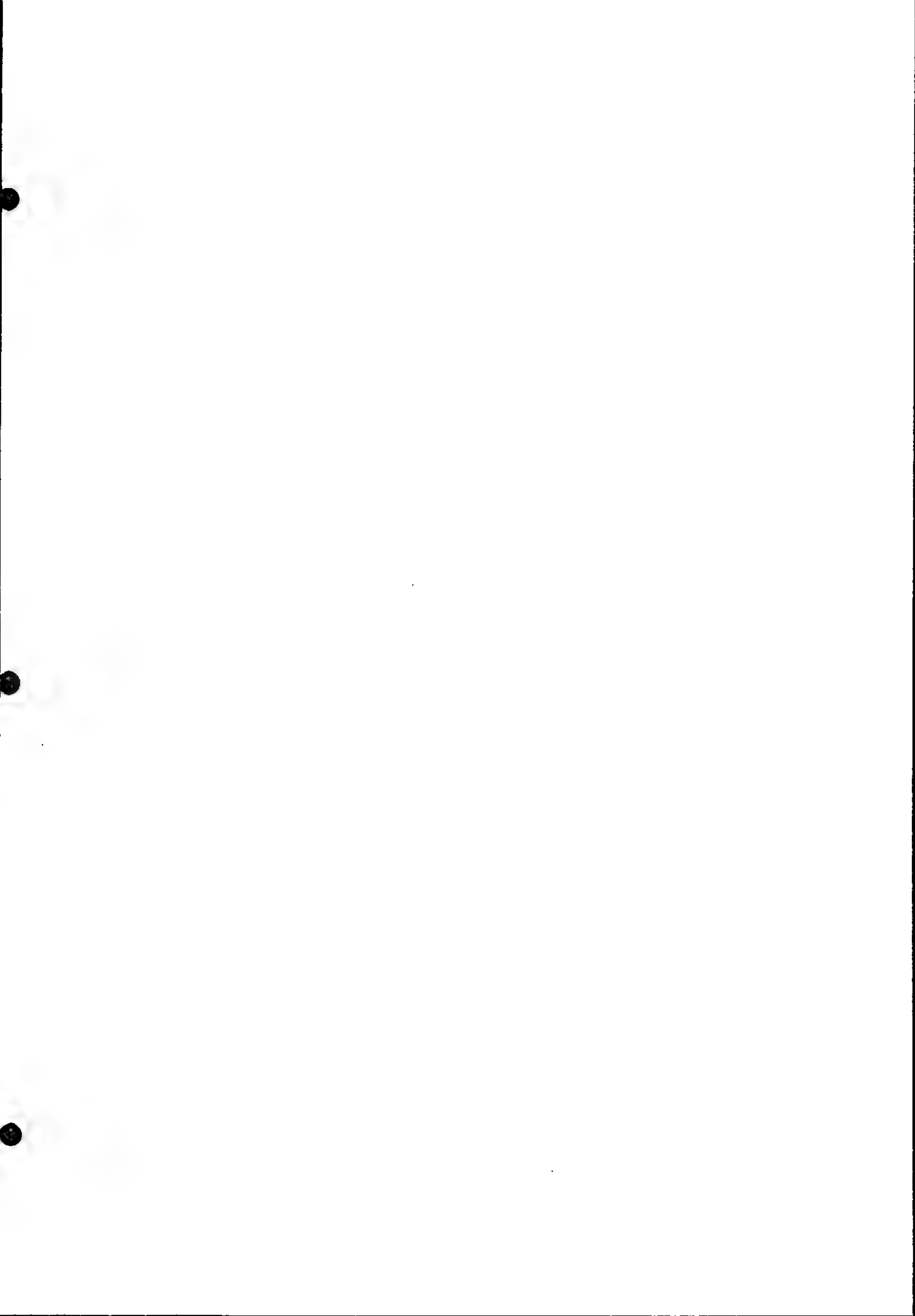
المعتقدات الشعبية التركية ومناقب الأولياء د/ أحمد يشار أوجاق

12- Turkiye'de tarihin saplirilmasi surecinde
Turk sufiligine bakisiar
Dr. Ahmad Yasar Ogak
Iletisim, Istanbul, 1996.
وجهات نظر حول التصوف التركي في فترة تحريف التاريخ في تركيا.
د/ أحمد يشار أوجاق

* * * *



٨- فهرس الموضوعــات



رقم الصفحة	الموضـــــــــوع

الفهارس العامة

